الدكتور علي أحمد الخطيب

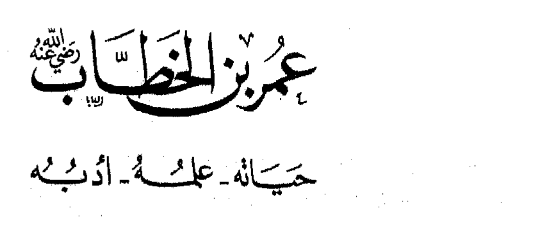
عمر بن الخطاب رضي الله عنه

حياته - علمه - أدبه

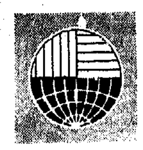
عالم الكتب



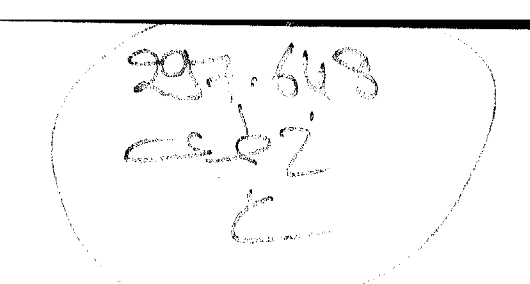



عمر بن الخطاب رضي الله عنه
حياته - علمه - أدبه





بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠



عمر بن الخطاب رضي الله عنه

حياته - علمه - أدبه

تأليف

الدكتور علي أحمد الخطيب
رئيس تحرير مجلة الأزهر



عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا آتِنَا مِن لَدُنكَ رَحْمَةً

وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا

صدق الله العظيم

بسم الله أحمده، وأستعين به وأستغفره، وأصلي وأسلم على نبيه الأمين، ورسوله الكريم، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فان عصر صدر الاسلام يتميز بلون من الأدب مارسه المؤمنون وبخاصة صحابة رسول الله - ﷺ، والصفوف الأولى للتابعين وهذا اللون من الأدب انما تميز بما فيه من أمانة القول، وقوة التعبير وصدق التصوير.

صحيح أننا نجد هذه السمات في آثار أدبية كثيرة بعد هذا العصر، وهذا حق. ولكن من الحق أيضاً أن وجودها في غير هذا العصر لا يتسم بطابع الشمول الصادق على كل أديب، وصدق رسول الله - ﷺ، وهو الصادق دائماً وأبداً، اذ يقول:

خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.

فهؤلاء القوم، وبخاصة صحابة رسول الله ﷺ، تميزوا بالخير اذا تكلموا، وبالخير اذا عملوا.

ولقد تركوا أدبا من النثر ومن الشعر، فأما الشعر فقد استبق اليه الدارسون، فولجوا اليه كل طريق، وسارعوا الى كشف فوائده ومدارسه ولم يحظ النثر بمثل هذا الاهتمام.

وعندي ـ وقد صحبت القوم، صحابة رسول الله ﷺ على مدى بحثين استغرقا عشر سنوات، أننا يمكننا أن نعبر الى دراسة النثر الجاهلي نفسه طريقا مأمونة العثرات واضحة المعالم، لا تهوي بنا الى موضوع أو منحول[١]، وذلك عن طريق دراسة نصوص هؤلاء الصحابة الذين عاشوا من أعمارهم شطوا جاهليا، ثم ختموا أعمارهم بشطرها الاسلامي، ودون كثير من حديثهم، وان العبور اليه ـ على طريق دراسة المسانيد، يؤدي بنا ـ فعلا الى الوقوف على آثار أدبية جاهلية أمينة تَدْرُسُ من خلالها نثر القوم وشيئاً كبيراً من شعرهم، ونحن في مناعة من نحل أو وضع.

ولما كانت دراسة النثر لم يتم لها ما تم للشعر، وخرجت من بحثي الأول[٢]: الذي أعددته للماجستير، وأنا ـ على يقين ـ من وجود نثر لعصر صدر الاسلام لا تعلق به الشبهات، لأن آثاره الأدبية قيض الله لها رجالا التزموها بالحفظ والحيطة، ومنعوا منها الدخيل والموضوع، حتى خرجوا من ذلك بعلم ينفرد به المسلمون، أعني به علم الرواية: سندا وخبرا، كان معنى ذلك أمكان البحث في هذا النثر، وكان من توفيق الله لي أن أسهم بالدراسة في نثر هذا الصدر، لا سيما وقد طرق الميدان أخ كريم هو الدكتور محمد رجب البيومي، فدرس الأدب النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، فتناولت دراسة أدب عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، على مختلف ألوانه، آملا أن اكون قد وضعت لبنة في الطريق الى دراسة النثر في هذا العصر، وليكون في ذلك تمهيد لاتصال الدراسة الى غيره من العصور.

ولي ـ في هذه الدراسة ـ منهج:
فإنّ من توفيق الله أن أُبَصَّرَ بما ينبغي لدراسة أدب صحابي مثل عمر، فإن أثراً أدبياً لِعُمَرَ ليس كمثل أثر أدبي لابن العميد مثلا، فنحن مع الأخير لا ننتظر منه

---

(١) يطلق «الموضوع» في علم الحديث الشريف على كل خبر، أو رواية نسبت كذبا إلى من نسبت إليه، وبنفس المعنى يطلق «المنحول» في الأدب: فيشمل ما كان من شعر أولون من النثر نسب زورا وبهتانا الى من نُسِبَ إليه. «الباحث».

(٢) عنوانه «وثنية العرب وأثرها في الأدب الجاهلي» وهي تحت الطبع.

احكاما تشريعية يطرحها للمسلمين، لكن آثار عمر الأدبية كثيراً ما تحمل تشريعا، فيجب علينا أن نصل إليه بزاد من الثقة والحذر والاطمئنان التام الى ثبوت الأثر الأدبي له، فاذا درسنا منه للأدب ما درسنا كنا في رضا عن فهم الحكم الشرعي الذي يتركه في نفوس الناس، سواء تناولناه في البحث أم لم نتناوله.

ومعنى ذلك أن يكون من طابع هذا البحث أساسا ـ العلمُ بصدور النص عن عمر، فإذا تم لنا ذلك أمكن في ضوء ما يتم من آثاره ـ أن نجري فيها البحث الأدبي بعيدا عن منحول أو موضوع.

وهنا ـ ومن توفيق الله ايضاً ـ كانت مصادر البحث ذات أصول ثلاثة: الأصل الاول: المسانيد:

وقد عنى علماؤها بالبحث عن أحوال الرجال الذين رووا الآثار الأولى وأدرجوهم في مراتب، مُبَيّنِينَ منهم من كان ثقة صادقا، ومن كان على شائبة، واسْتَصْفَوْا ـ في ضوء ذلك ـ آثار القوم ومنهم عمر.

ويمتاز هذا المصدر بايقاف الباحث على الطريق الى عمر مباشرة عبر رجال يُعلِمُهُ بأمرهم ويقفه عليه، وبذلك لا ينقطع عن وصلة لعمر.

ومع هؤلاء القوم تناولت المصادر الأولى التي تركها أئمة الأمة فبحثت في آثار الامام أبي حنيفة في مسانيده الثلاثة، وفي موطأ الامام مالك ومسند الامام الشافعي، ومسند الامام أحمد، ثم الصحاح الستة لكل من الأئمة: البخاري ومسلم والنسائي وأبي داود وابن ماجه والترمذي، ثم تجاوزت ذلك الى غيره من مراجع السنة كالمصنف للامام عبد الرزاق الصنعاني شيخ الامام البخاري، ومسند الطيالسي وس الدارقطني، وغير هؤلاء القدوة الأعلام، فوقفت من ذلك ـ في النهاية على رص مصفي من آثار عمر الأدبية لا يتطرق اليه شك، محكم السند متين الصدق، وآثار ع فيه ـ وان لم تكن فضفاضة الحديث الا انه يكمل بعضها بعضا، وينتفع بعضها باتمام حديث بعض حتى يفيض أحيانا.

ثم كان الاصل الثاني من المراجع أصولنا الادبية، وهذه دخلت اليها برصيد متين من ثمار الأصل الأول، فكان نبراسا قويا اليها وضح لي كثيراً من نصوص الروايات الأدبية، وأعان على بيان كثير من أسباب صدور النص، وأوضح ـ في جلاء ـ ما امتازت به بعض الآثار الأدبية لعمر بصدورها عنه في أكثر من لون أدبي كخطبة أو رسالة.

وهذا الأصل [1]، وان لم يعن أغلب رجاله بالسند، أمكن في ضوء ما تجمع لي من المصدر الأول أن أجدَعَوْناً على الطريق ومرشدا الى الصحيح.

وينبغي أن أذكر في هذا المقام ما امتاز به أديب عن أديب وان الجاحظ ـ رحمه الله ـ مثال مشرف في هذا الباب، لقد رأيت منه الرجل الذي لا يسمح لنفسه أن يسند أثرا لانسان عن عفوية، وانه ليتحرى في ذلك تحرياً دقيقاً، ويسوق النص في اطار من الواقعية الممكنة، التي يكون الغلو في أمرها فيما صور غيره كفيلا بأن يرد القارىء عن النص وتساوره في أمره الشكوك.

وكان من توفيق الله ـ بما بسط أمامي من ضروب الاصلين ـ أن تمكنت من ارساء كثير من نصوص البحث، وقد توفر لها الوضوح بما ألحقته معها أو في حواشيها من بيان أعطى للنص حاجته وحاجة القارىء الى ما يريده منه.

ثم الأصل الثالث ويشمل التاريخ والسير والتراجم وغيرها وقد أعان هذا الأصل على الكشف عن آثار أدبية لعمر ـ رضي الله عنه.

وفي هذا الاصل ما يتصل بالاصلين السابقين، ويدلي بدلوه معهما، ويروي نفس الأثر الأدبي لعمر فيجتمع للنص التوثيق تاما كاملا بداية من علم الرواية والحديث، ومساقا مع موارد الأدب وختاما مع التاريخ فيكون النص بذلك في القمة صدقا ورواية.

---

(١) أعني الأصل الأدبي.

وقد ينفرد الأصل الادبي في يوجد إلا في التاريخ، ولم يكن يمكنني إزاء ذلك الا النظر في الأثر، أعْني في هذا الأصل:

فان كان مما تقتضيه الحوادثُ، ولا بد من صدوره عن عمر ازاء أمر من الامور ضرورة وقوف عمل القوم على ما يصدر من أمره ونهيه كان أرجع عندي في القبول.

ثم يرجع النص أيضا اذا ردده أكثر من مؤرخ، وقد لجأت ـ هنا ـ الى رجال ثلاثة جمعوا بين العلم برواية السند والتاريخ وأعني بهم الأئمة:

الطبري، وابن الاثير، وابن كثير.
فأولهم صاحب تفسير بالمأثور وعلم بالرجال.
وثانيهم صاحب موسوعة في الصحابة.
وثالثهم كأولهم ذوباع في التفسير بالمأثور والعلم بالرواية.

والثلاثة ـ الى ذلك ـ كله ـ مؤرخون، ينتقون الروايات، ولا ينفصل عنهم النظر فيها على ضوء علمهم بالرجال.

فكان ما أطبق عليه الثلاثة أو أثنان منهم مقبولا لدى مشعرا لي بأني قريب جدا الى مصدري الأول ثم الثاني.

وفي هذا الأصل وما اتصل به وبخاصة في بعض ما كتب أصحاب التراجم نجد قصصا لا ترسخ قدمه الى أصل، ولا يصور عن علم وانما تحدو له رغبة الاثارة واستدرار الدموع أو الاعجاب.

وقد حاولت جهد الطاقة، وفي حدود ما وهبني الله من علم ـ أن أبين المنحول وأدلل عليه تدليلا في قدر طاقتي.
أرجو أن يكون كافيا في رده وبيان نحله.

وقدمت النص الذي تعددت رواياته في مصدره أو غير مصدره مصحوبا بتحقيق بين هذه الروايات معتبرا النص المقدم في البحث أعلى الصفحة هو «أ» ثم تابعت التحقيق في الحواشي مقرونا بالحروف ب ج د هـ و ز ح ط ي حتى نهاية الروايات.

واذا لم أجد للنص روايات في مراجعي ووجدت من كلام عمر أنيسا له أدرجته في الحاشية معينا على الثقة بالنص.

لقد اعطيت للنص بفضل الله ـ ما يمكن أن أجده في نفسي واجبا على نحوه حتى أقدمه في اطارحي أقرب شيء الى ما قدمه عمر ـ رضي الله عنه.

وقد انعقد البحث في بابين، الأول تناول حياة عمر وعلمه ومصادر هذا العلم في فصلين: حياة عمر، وعلم عمر ومصادره.

وجعلت الثاني خاصا بألوان أدب عمر، فاشتمل فصولا ستة تناولت خطبه ووصاياه ورسائله وعهوده وحكمته وانتهت بفصل عن نقده.

واذا صور هذا البحث جهدا الله الحسيب فلكم أشكر الأخوة ـ من الزملاء والطلاب ـ الذين عاونوني بأكثر ما يستطيعون.

أسأل الله ـ سبحانه لي ولهم ـ حسن الإثابة على ما قدموا لي من حسن هدى.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يتقبل ويعين.

د/ علي أحمد الخطيب

الباب الاول

حَيَاةُ عُمَرَ وَعَمَلُه

الفصل الأول

حياة عمر

عمر بين أبويه
ماليات عمر
آل عمر
شخصية عمر
اسلام عمر
من الاسلام الى الخلافة : الهجرة ، الأذان ، جمع القرآن خلافة عمر
جهاز الحكم : عمال عمر ، الادارة المالية : بيت المال ، الديوان ، المجلس الاستشاري .
أبرز أعمال عمر
رياح الخاتمة .

عمر بين أبويه:

مما نحمد الله عليه أن العرب عنوا بحفظ الانساب، وبخاصة في هذا العصر العتيق واستمسكوا ـ في ذلك ـ بقيم عليا تعود ـ بشعبها ـ الى الحفاظ على نقاء النسب، وصيانته عن الاختلاط، وأورثهم ذلك إحساسا بالاصالة ومعرفة بالارحام[1]، فان القوم ـ على الرغم مما طرأ عليهم في الجاهلية ـ كانوا لا يزالون يستنكفون من الفجور ويضعون مغموز النسب، وجاء الاسلام فوجه هذه المعرفة الى خير صراطها السوي وأزال عنها ما قد تندفع فيه من تطرف، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (٤٩ ـ ١٣).

وروى ابن حزم ـ بسنده ـ الى أبي هريرة قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فان صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأجل، مرضاة للرب»[2].

---

(١) راجع لابي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الاندلسي، جمهرة انساب العرب ص ١ ـ ٣.
وللقاضي أبي سعيد عبد الكريم بن أبي بكر محمد بن أبي المظفر المنصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني ـ كتاب الانساب ص ٣، ٤ مصور عن مخطوط المتحف البريطاني ـ بمكتبة الازهر ـ تاريخ رقم خاص ٢٨٥٥ رقم عام ٤٥٣٣١.

(٢) ابن حزم ـ جمهرة أنساب العرب ص ٣.

وبحفظ العرب للانساب أصبح من السهل متابعة سلسلة الآباء الى قدر يكفي عـ
بداية الترجمة عن شخصياتهم التاريخية، ومنها عمر - رضي الله عنه:

فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح بن عبد الله بن قرط بـ
رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضربن كنانة القرشـ
العدوي [1].

قال ابن حزم - في ولد فِهْر: «... وهم قريش لا قريش غيرهم، ولا يكو
قريشي الا منهم، ولا من ولد فهر أحد الا قريشي [2]....».

ونسب عمر من كعب الى عدنان نصب متصل بنسب رسول الله ﷺ - وعدنا
من ذرية اسماعيل بن ابراهيم - عليهما الصلاة والسلام [3].

والقليل من أولئك الآباء من نعرف أخباره أو شيئا منها، وربما كان عمر نفـ
سببا مباشرا في اسدال ستار على والده، قال: «... سمعت رسول الله ﷺ يقول
ان الله - عز وجل - ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، قال عمر: فو الله ما حلفت بها مـ
سمعت رسول الله ﷺ - نهى عنها، ولا تكلمت بها ذاكرا ولا آثرا» [4].

والقدر اليسير جدا الذي نعرفه عن والده يماثله تماما ما نعرف عن والدته لهذا كا
الحديث عن الخطاب كلمات:

فالخطاب أبوه نفيل بن عبد العزي بن رياح، كان له ثلاثة ولد: عمرو، والخطا
وعبدنهم، كلهم ولد نفيل، ولم يكن عمرو شقيقا للخطاب وعبدنهم، ووالدة الخطا

(١) راجع نفس المصدر فصل «بنو عدي بن كعب» ص ١٥٠.

(٢) نفس المصدر ص ١٢.

(٣) راجع لابي جعفر محمد بن جرير الطبري - تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ١٩٥/٤ وانظر النسب الشريف لابي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري - السيرة النبوية ٤٣/١، و للامام المحدث عبد الرحمن السهيلي - الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ٦٦/١.

(٤) الامام أحمد بن حنبل - المسند ٢٠٤/١.

وشقيقة هي جيداء بنت خالد بن أبي حبيب عربية وليست زنجية كما يدعي بعض الشيعة دون دليل بين يديه[1] ، ومات نفيل فخلفه على جيداء ولده عمرو فأولدها زيد بن عمرو بن نفيل، فكان الخطاب وعبدنهم أخوى زيد وعميه[2] ويبدو أن الخطاب كان فقيرا يكدح على أسرته، على ان فقره هذا لم يسقط به على شرف السيادة لبني عدي، والتخطيط لعزها وعز قريش، كذلك وكان صاحب علم بالنسب متعصباً لدين قومه.

فأما فقره فنلمحه من عبارة غاضبة لعمرو بن العاص - رضي الله عنه - حين شاطره عمر ماله - وهو عامله على مصر - وذلك اذا قال لمحمد بن مسلمة - رضي الله عنه، وكان رسول عمر اليه:

والله اني لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب، وعلى ابنه مثلها، وما منهما الا في نمرة لا تبلغ رسغيه »[3].

ولعل في طعام عمر صغيرا حب الحنظل منقوعا لتذهب مرارته الى جانب عصيدة مغلظة، ولباسه وأخت له من نقبة لوالدتها[4] - تصويرا لما كان عليه الخطاب من فقر فكدح على تلك الاسرة.

وليس - بين مصادري - ما يمكنني من الحكم العام على حاله هذا: أكان فقيرا حتى مات أم كان فقره في حقبة من حياته؟.

وأيا ما كان - فقد كان الرجل شريفا في قومه بني عدي سيدا مطاعا، يتحدث في

---

(١) ادعى أنها زنجية اسمها باطحلي، راجع لابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ١٠٣/٣.

(٢) راجع لابي الفرج علي بن الحسين الاموي الاصبهاني - الاغاني ١٢٣/٣ - ولابن محمد احمد بن سعيد ابن حزم - جمهرة انساب العرب ص ١٥٠.

(٣) أحمد بن محمد بن عبد ربه - العقد الفريد ٤٨/١.

(٤) راجع لابي عبيد القاسم بن سلام الهروي - الاموال ص ٦٧٥، والبحث ٢٤ النقبة: ثوب كالازار له حجزة مطيفة من غير نيفق أي اتساع، قاموس مادة ن ق ب - و مـا د ة ن ف ق.

النسب والانساب[1] دون أن يغضي لأحد لعزه وشرفه ووفور عرضه.

وكانت سفارة قريش في آل عدي، ومنهم الخطاب هذا، قال الاستاذ محمد مصطفى النجار: «السفارة: وصاحب هذا المنصب يكون سفير قريش اذا دخلوا في صلح، وينوب عنهم اذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر، وكانت بعد قصي في بني عدي، وآخر سفير لهم في الجاهلية عمر بن الخطاب»[2].

ولعل ارتباط السفارة بالعلم الموسع في نسب الاسرة العربية آنئذ يعتبر أوليا في نجاح مهمة السفير، وهذا الجانب في الخطاب استفاد منه عمر فائدة موسعة اذ كان الخطاب ضليعا فيه[3]. وجرى الخطاب على سنة نفيل والده في التحالف مع بعض القبائل العربية حالف نفيل بن عبد العزي عبد ياليل بن ناشب الليثي الكناني، وحالف الخطاب خولي بن أبي خولي الجعفي الذي كان حليفا لبني عدي، وحالف - الى ذلك - عامر ابن ربيعة بن كعب[4].

وهذا التحالف عمل سياسي بحت، يفسر بقدر دائرته، وهو يعطينا لونا من ممارسة الخطاب لمسؤوليته تجاه بني عدي فقريش.

وتعصبه لدين قومه يؤكده موقفه من زيد بن عمرو بن نفيل، وكان زيد من الحنفاء، اعتزل الوثنية في الجاهلية، وأخذ يبحث عن خير دين حتى وفق الى دين ابراهيم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - وأعلن ذلك في الكعبة، فقال:

«... يامعشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيري»[5].

---

(١) راجع لابي عمر عثمان بن بحر الجاحظ البيان والتبيين ٣٠٤/١، ٣١٨.

(٢) الاستاذ محمد محمد مصطفى النجار - تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٤٧. راجع - في سفارة عمر - لعز الدين بن الاثير ابي الحسن علي بن محمد الجزري - أسد الغابة في معرفة الصحابة ١٤٦/٤ - وللامام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي - تهذيب الاسماء واللغات، القسم الاول - الجزء الثاني ص ٣.

(٣) البحث ص ١٣٨.

(٤) راجع لابن الاثير - اسد الغابة ٩١/٢، ١٥٠ - ١٢١/٣ - ٤٠٨/٥.

(٥) الامام ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري - صحيح البخاري =

فضاق به الخطاب حتى أخرجه من مكة وعزله قريباً منها وسلط عليه سفهاء قريش فمنعوه أن يدخل مكة، وكان ذلك من الخطاب خيفة أن يفسد على قريش دينها[1].

ولم ينج عمر نفسه من قسوة الخطاب وغلظته، حج عاما فنزل بـ «ضجنان»[2] منزلة يستريح وفاضت به الذكرى فقال:

«... لا اله الا الله، العلي العظيم، المعطي من شاء ما شاء، كنت في هذا الوادي في مدرعة صوف أرعى ابل الخطاب، وكان فظا يتعبني اذا عملت ويضربني اذا قصرت، وقد أمسيت الليلة ليس بيني وبين الله أحـد.

ثم تمثل:

لاشيء مما تـــرى تبقـــى بشـــاشتـــه
يبقـــى الالـــه ويـــودى المال والولـــد..[3]

تزوج الخطاب أسماء بنت وهب بن حبيب من بني أسد، فأولدها زيد بن الخطاب[4] وتزوج بحنتمة بنت هاشم بن المغيرة، وهذه مخزومية قرشية[5].

ولست أعلم - في حدود مراجعي - زوجا أو اكثر للخطاب غير هاتين. وحنتمة هي والدة عمر، وتذكر بعض المراجع أن لعمر أخا غير شقيق ليس هو زيدا، إنما هو عثمان بن حكيم بن أبي الاوقص السلمي جعله ابن حجر أخا له من أمه ثم قال:

«ويقال بل هو أخو زيد لامه[6] وعلى هذا فيكون ابنا لأسماء بنت وهب، لكن

= ٢٧٤/٢ المطبعة البهية ادارة محمد مصطفى عام ١٢٩٩ هـ. راجع بالموضع (حديث زيد بن عمرو بن نفيل).

(١) سيرة ابن هشام ٣٥٢/٢ و ٣٥٣.

(٢) بزنة سكران: جبل قرب مكة. قاموس مادة ض ج ن.

(٣) أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني - زهر الآداب ٤١/١.

(٤) راجع للامام شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني الشهير بابن حجر - الاصابة تمييز الصحابة ٥٤٧/١ - ولابن الاثير أسد الغابة ٢٨٦/٢.

(٥) راجع لابن حزم - جمهرة أنساب العرب ص ١٤٤ - ولابن الاثير - أسد الغابة ٢٨٦/٢.

(٦) ابن حجر - الاصابة في تمييز الصحابة ٤٥٩/٢.

قال البيهقي في السنن الكبرى (٤٢٢/٢) في حلة الحرير التي اهداها رسول الله ﷺ لعمر: «فكساها عمر أخا له من أمه مشركا بمكة. ا هـ. فيكون عثمان ابنا لحنتمة، ويؤكده أنه لم يذكر في الصحابة.

ثم نسجل للخطاب ـ فيما له وما عليه ـ أنه لم يكن من الوائدين.

عاشت حنتمة زوجا للخطاب، ويدل بعض النصوص أنها كانت تقاسمه شظف العيش ورهقه، وتعاونه في احتماله والتجمل له [١].

وقد أنجبت حنتمة للخطاب غير عمر احدى فتاتين ـ على يقين، اما فاطمة واما صفية فقد صرح عمر بذلك [٢]، وليس ببعيد أن تكون حنتمة أم الاثنتين فلم يذكر لاسماء بنت وهب ولد غير زيد.

تزوج بصفية بنت الخطاب قدامة بن مظعون ـ رضي الله عنهما، وتزوج فاطمة أختها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ـ رضي الله عنهم [٣].

هؤلاء الاربعة: زيد وعمر وصفية وفاطمة هم كل ولد الخطاب، ومات الخطاب على دين قومه، وربما كانت حنتمة كذلك فلم أجد تصريحا باسلامها في مراجعي.

فأما أولاده الاربعة، فكل أسلم وكل هاجر [٤].



والرواية في مولد عمر مختلفة:

قيل بعد الفيل بثلاث عشرة سنة [٥]، وثمة رواية لمحمد بن عمر ـ بسنده ـ عن

(١) راجع لابن سلام الهروي ـ الاموال ـ ص ٦٧٥.
(٢) البحث ص ٢٤.
(٣) ابن الاثير ـ اسد الغابة ٣٩٤/٤ ـ ٢٢٠/٧.
(٤) ابن حجر ـ الاصابة ٥٤٧/١ ـ ٢١٩/٣ ـ ٣٧/٤.
(٥) ابن الاثير ـ اسد الغابة ١٤٦/٤.

عمر أنه قال: « ولدت قبل الفجار الاعظم الآخر بأربع سنين »[1].

والرواية - في حال قبولها - لا تحدد يوما معينا يعتبر ميلادا لعمر، وان أعطت تاريخا تقريبيا له، وكان (الفجار) قبل مبعث الرسول ﷺ بعشرين سنة[2].

وعندي أن تحديد يوم ميلاد عمر، بل وساعته - ان أمكن - لن يعطينا تاريخا صحيحا لميلاده، فانه بالاضافة الى اختلاف الروايات، ثمة حقيقة ينبغي أن تكون في الاعتبار، وأعني بها (اضطراب التاريخ العربي كله) في الجاهلية ثم استمراره مضطربا الى ما قبل حجة الوداع، اذ كان هناك لونان من النسيء:

أولها: - وكان أقدم - يصاحبه كبس « فيقومون في كل ثلاث سنوات بتأخير الشهر السابع مثلا شهرا مقابل أن يستمر الشهر الذي يسبقه شهرين أو بمعنى آخر يزيدون شهرا قبل الشهر السابع، فتأخير الشهر السابع نسيء، وزيادة شهر قبله كبس، وبهذا النظام ظل حجهم في اواخر الخريف وأوائل الشتاء... »[3]. ولم يستمر هذا اللون الى ظهور الاسلام، وانما تلاه النسيء المنفرد.

ثانيها: هذا النسيء المنفرد بغير كبس، « ... فكانوا قد أحدثوا قبل الاسلام بمدة تحليل المحرم فأخروه الى صفر فيحلون الشهر الحرام ويحرمون الشهر الحلال.... »[4].

(١) تاريخ الطبري ١٩٧/٤، وانظر لابي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري - الطبقات الكبرى ٢٦٩/٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٣٠/٢.

(٣) الإستاذ عبد الحميد لطفي - الشهور العربية (بحث بالعدد ٨٨ ص ٢٥ من مجلة الثقافة السنة الثانية أول شعبان ١٣٥٥ - ١٩٤٠/٩/٣ م.

(٤) الامام عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - تفسير القرآن العظيم ٣٥٦/٢.

زاد السندي: «فينتقل المحرم من شهر الى شهر حتى جعلوه في جميع شهور السنة...»[1] وكان ذلك اتباعا لهوى النفس في شن الغارات[2].

وهذا النسيء بنوعية افسد تاريخ القوم: من نسأ ومن لم ينسأ، من أفسد الحرام ومن لم يفسد حتى اذا كان الوداع أوحى الله لرسوله ﷺ فقال:

«[3]... الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم: ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان...»[4].

قال ابن كثير - في الحديث: «تقرير منه صلوات الله وسلامه عليه وتثبيت للأمر على ما جعله الله في أول الامر من غير تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقص ولا نسيء ولا تبديل[5] ا هـ.

ولد عمر، ونشأ بمنازل عشيرته بني عدي قومه وقوم أبيه، وكانت منازلهم بأصل (العاقر) وهو جبل من جبال مكة سمي فيما بعد بجبل عمر[6].

نشأ عمر في هذه الاسرة وعمل وكدح صغيرا، قال - رضي الله عنه:

«لقد رأيتني - أنا وأختا لي - نرعى على أبوينا ناضحا لهما، قد ألبستنا أمنا نقبتها وزودتنا من الهبيد يمينيها، فتخرج بنا ضحنا، فاذا طلعت الشمس ألقيت النقبة الى اختي، وخرجت أسعى عريانا، فنرجع الى أمنا، وقد جعلت لنا لفيته من ذلك الهبيد.

---

(١) حاشية السندي على صحيح البخاري ٧٤/٣ المطبعة البهية عام ١٢٩٩ هـ.

(٢) سيرة ابن هشام ٢٤٤/١.

(٣) كذا دون ذكر (ان).

(٤) صحيح البخاري ٨٤/٣ مطبعة الشعب.

(٥) تفسير ابن كثير ٣٥٤/٢.

(٦) طبقات ابن سعد ٢٦٦/٣.

فيا خصباه!! [١]

وعمل لخالات له من بني مخزوم، استعذب لهن الماء بقبضات من زبيب [٢] وذلك يدعو الى القول بأن عمر حمل - من صغر - عبء الحياة، لكنه - وان نشأ في فقر، فان هذا الفقر زاد من احساسه بالجمال [٣]، ومتعة الحياة، ولم يطفىء في نفسه الشاعرة ضياء الذوق الجميل، فان عمر شب وكدح وأثري، وحالف كجده وأبيه كمحالفته - في الجاهلية - واقد بن عبد الله اليربوعي [٤]، وعرف في ثرائه طيبات الحياة ثم اختار لنفسه - عن غني - العيش في كفاف، قال - رضي الله عنه:

« أترون أني لا أعرف الطيبات، لباب البر بصغار المعزي » [٥] وتلك حقيقة الزهد:

مااليات عمر:

بدأ عمر فقيرا جدا - كما رأينا - فبدأ برعاية النعم لوالديه، وكان هذا واجبا عليه، لكنا نعلم أنه عمل بجانب ذلك لخالات له، وهذا الاخير يمدنا بواحد من الخيوط الاولى لعمل عمر في الكسب لنفسه - سواء مد والديه من ذلك ام لا - ثم تنوعت - بعد ذلك - جهوده في طلب الزرق حتى كان عند هجرته واحدا من كبار أغنياء مكة، قال - لعياش بن أبي ربيعة، يحضه على المكث بالمدينة وعدم العودة الى مكة مع أبي جهل والحارث بن هشام: والله انك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما » [٦].

---

(١) ابن سلام - الاموال ص ٦٧٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٢٩٣/٣ - وراجع لابي العباس أحمد بن عبد الله - المحب الطبري - الرياض النضرة في مناقب العشرة ٦٦/٢.

(٣) راجع للامام ابي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الاصبحي - الموطأ ١٠٢/٣ - وللسيوطي - تنوير الحوالك على موطأ مالك ١٠٢/٣ فيما استحسنه لاهل العلم من حسن الزي والتجمل في أعين الناس.

(٤) راجع لابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي تفسير القرآن العظيم ٢٥٢/١.

(٥) الجاحظ - الحيوان ٤٨١/٥ - والبيان والتبيين ١٨/١ - ولابي العباس أحمد بن عبد الله المحب الطبري - الرياض النضرة ٢٥/٢.

(٦) ابن هشام - السيرة النبوية ١٧٠/٤.

وأعطى ـ يوما ـ صهرا له عشرة الآف درهم من صلب ماله[1]، وانها لعطية كريم، وأمهر زوجه أم كلثوم بنت علي ـ رضي الله عنهم ـ أربعين ألف درهم[2].

لقد بدأ عمر ذا متربة، لكنه تجر وأثري، ومن بلدان تجارته غزة[3]. وتناول نشاطه أعمالا مختلفات:

تاجر في الثياب[4]، وأكرى الدواب وباعها[5]، وامتلك الارض والعقار، وأسكنه[6]، وزارع على الثلث والربع[7]، وملك الرقيق، واستمتع ببعضهن[8]، وصار ذا موالي.

ولقد بدرت منه ـ رضي الله عنه ـ كلمة، ولعلها صدرت منه مرارا، وانها لتصور من أساه على ما فاته من علم رسول الله ﷺ بقدر ما تصور من نشاطه التجاري، وذلك ان يقول: ألهاني الصفق بالاسواق»[9].

ونضيف الى مصادر عمر المالية ما ناله من عطاء[10] رسول الله ﷺ وما ناله من

---

(١) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ١٣٠.

(٢) راجع لابي محمد أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ـ عيون الاخبار ٧١/٤ ـ ولابن الاثير ـ أسد الغابة ٣٨٧/٧.

(٣) راجع لسعيد الافغاني ـ أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ص ٢٦.

(٤) راجع للجاحظ ـ المحاسن والاضداد ص ٩٣.

(٥) راجع لسعيد الافغاني ـ أسواق العرب ص ٢٦.

(٦) راجع موطأ مالك ٦٩/١، ٧٠ ـ وصحيح مسلم ١٩٢/٤ ـ ٤٠/٧ ـ وللامام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ـ معجم الادباء (ارشاد الاريب الى معرفة الاديب) ٣٧٨/٦ ـ وللمحب الطبري ـ الرياض النضرة ٧١/٢.

(٧) صحيح البخاري ١٣٧/٣.

(٨) موطأ مالك ٧٢/٢.

(٩) صحيح البخاري ٨٦/٣ ـ ١٣٣/٩ ـ راجع صحيح مسلم ١٧٩/٦.

(١٠) راجع للامام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ـ الجامع الصحيح ٩٨/٣ ومسند أحمد ١٩٧/١.

غنيمة، لا سيما وقد شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها [1]، ونال من ذلك جزءا من أرض خيبر كان من أحسن ماله [2].

ثم كان خليفة له دار امارة [3].

وأجره من بيت مال المسلمين:

قال سالم بن عبد الله بن عمر: « ... [4] لما ولى عمر قعد على رزق أبي بكر الذي كانوا فرضوا له » وفي رزق أبي بكر روايات تصعد به الى ستة آلاف درهم في السنة [5].

وذكر في أجره تقويم آخر لحميد بن هلال قال:

« لما ولي أبو بكر قال أصحاب رسول الله: افرضوا لخليفة رسول الله ما يغنيه: قالوا: نعم، برداه اذا أخلقهما وضعهما وأخذ مثلهما، وظهره اذا سافر، ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يستخلف. قال أبو بكر: رضيت » [6].

والامر كذلك في عمر، فقد قال للمسلمين:

« ألا أخبركم بما أستحل من مال الله؟ حلتين: حلة الشتاء والقيظ، وما أحج عليه وأعتمر من الظهر، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ثم أنا

(١) راجع لابن سعد - الطبقات الكبرى ٢٧٢/٣ - ولابن كثير - البداية والنهاية ١٣٣/٧ ولابن الجوزي - سيرة عمر بن الخطاب ص ٧٧ - وللسيوطي - تاريخ الخلفاء ص ١١٦.

(٢) راجع صحيح البخاري ١٣٩/٣ و٢٥٩ - وللامام الحافظ ابي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - صحيح الترمذي ١٤٣/٦.

(٣) راجع للامام أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري - الآثار ص ١٤٣ وللامام محمد بن الحسن الشيباني - الآثار ص ٨٩.

(٤) تاريخ الطبري ٦١٦/٣.

(٥) راجع في ذلك لابي عبيد الهروي - الاموال ص ٣٤٠ - وتاريخ الطبري ٤٣٢/٣ وابن الاثير - الكامل في التاريخ ٤٢٤/٢ - ولابن سعد - الطبقات الكبرى ١٨٦/٣ - وللمحب الطبري - الرياض النضرة ٢٣٢/١.

(٦) ابن سعد - الطبقات الكبرى ١٨٤/٣ - وانظر للمحب الطبري - الرياض النضرة - ٢٣٢/١.

رجل من المسلمين يصيبني ما يصيبهم »[1].

وأبى أن يزيد على ذلك

ومن مصادره المالية أيضا عطاؤه كواحد من البدريين المهاجرين[2]. انه لا يسعنا الا أن نؤكد القول بأن عمر كان من أثرياء المسلمين، وفي حديث لمسلم رضي الله عنه: «[3] كان الهدى مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، وذوي اليسارة» وعمر منهم، ومن نادر ما حدث له أنه كان أول جد يرث في الاسلام[4]، لكنه أنفق في سبيل الله الكثير ومات مدينا بستة وثمانين الف درهم أو نحوها[5] وقد سأله عنها عبد الرحمن بن عوف، فقال:

أنفقتها في حجج حججتها، وفي نوائب كانت تنوبني[6].

* * *

آل عمر:

عمل عمر وأثرى واتخذ الازواج والاماء، ولقي عمر ما يلقاه الناس، فمن النساء من تصورته عبوسا اذا دخل أو خرج، تفقد منه المرح، وسعادة الحياة فرضته وتلك أم أبان بنت عتبة[7]، ومنهن من أقبلت عليه شغفا به حتى كانت تقبل رأسه - وهو صائم - فلا ينهاها[8]، وكما يجد الناس أيضا تزوج وطلق، ويبدو أنه كان يجد من بعضهن مالا سبيل الى اصلاحه الا بالضرب[9].

---

(١) ابو عبيدة بن سلام الهروي - الاموال ص ٣٤١ - راجع تاريخ الطبري ٦١٦/٣ ولابن الاثير - الكامل في التاريخ ٥٠٤/٢ - ولابن سعد - الطبقات الكبرى ٢٧٥/٣ و ٢٧٦ و ٣٠٧.

(٢) راجع تاريخ الطبري ٦١٦/٣ - وابن الاثير - الكامل في التاريخ ٥٠٤/٢.

(٣) صحيح مسلم ٣٠/٤.

(٤) سنن الدارمي ٢٥٦/٢.

(٥) راجع صحيح البخاري ٢٠/٥.

(٦) ابن حجر - فتح البادي بشرح صحيح ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ٥٣/٧.

(٧) راجع لابن الاثير - أسد الغابة ٢٩٩/٧ - ولابن حجر - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٤٠/٤.

(٨) موطأ مالك ٢٠٣/١، ٢٧٤.

(٩) مسند أحمد ٢٠٩/١.

وكان ـ رضي الله عنه ـ يطلب في المرأة الولد، ويقول: حصير في البيت خير من امرأة لا تلد»[1] ودعاه ذلك الى طلاق بنت حفص بن المغيرة قبل أن يدخل بها اذ أيقن أنها عاقر[2]، وممن طلقهن :قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة، وأم كلثوم بنت جرول بن مالك بن المسيب الخزاعي، وهاتان طلقهما عمر بعد هدنة الحديبية[3] اذ نزل قوله تعالى: «ولا تمسكوا بعصم الكوافر»[4].

ومن هنا نقول: ان الاسلام كان سببا خارجيا لطلاق المرأة عند عمر الى جانب ما يكون سببا في الطلاق عادة كطلاقه جميلة واسمها عاصية بنت ثابت بن أبي الاقلح وهي من الانصار، تزوجها سنة سبع من الهجرة[5].

وتزوج عمر:

زينب بنت مظعون، وهي أولى من تزوج[6]، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة[7] وبنت زيد بن خارجة[8]، وعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوي[9]، وأم هنيدة بنت خالد الخزاعي[10]، وأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب[11] ـ رضي الله عنهم.

وثمة احتمال لا رجحان معه أن تكون فاطمة بنت الوليد، أخت خالد بن الوليد من

---

(١) الامام الحافظ أبو داود سليمان بن الاشعث بن اسحاق بن بشير السجستاني سنن أبي داود ٣٤٥/٣.
(٢) مسند الشافعي ص ١٢٣.
(٣) انظر صحيح البخاري ٢٥٧/٣، وتفسير ابن كثير ٣٥١/٤.
(٤) الممتحنة الآية ١٠.
(٥) صحيح مسلم ١٧٣/٦، وابن الاثير ـ اسد الغابة ١١١/٣، ١١٥ ـ ٥٥/٧.
(٦) صحيح البخاري ١٠٨/٥.
(٧) محمد بن سعد ـ الطبقات الكبرى ٢٦٦/٣.
(٨) صحيح مسلم ١٨٧/٤.
(٩) موطأ مالك ٢٧٤/١.
(١٠) ابن الاثير ـ اسد الغابة ٤٢٠/٥.
(١١) نفس المرجع ٣٨٧/٧.

أزواجه، وان يكون تزوجها بعد وفاة زوجها الحارث بن هشام بن المغيرة[1].

فاذا استثنينا فاطمة بنت الوليد، واستثنينا بنت حفص بن المغيرة، تلك التي لم يدخل بها، كان في حياة عمر عشر أزواج.

ويبدو أن عمر - رضي الله عنه - ما كان يرى أن الحب سبب مباشر - دائما - لبقاء الحياة الزوجية، فقد هم رجل بطلاق امرأته، فقال له: لم تطلقها؟ قال: لا أحبها، فقال عمر: أوكل البيوت بنيت على الحب، فأين الرعاية والتذمم[2] ».

وما كان عمر جافيا مع أزواجه، ولا مع أبنائه، بل لم تمنع غيرته[3] الشديدة اصرار عاتكة على الخروج الى المسجد لصلاتي الصبح والعشاء[4]، تستأذنه فيسكت فتقول: « والله لأخرجن ان لم تمنعني... فلا يمنعها... »[5].

وكان - رضي الله عنه - محتملا لغيرتهن:

شكا اليه جرير بن عبد الله البجلي ما يلقى من غيرة نسائه فهون عليه وقال له: « لا عليك، فان التي عندي ربما خرجت من عندها فتقول: انما تريد أن تتصنع لفتيات بني عدي... »[6].

ويرى المرأة ضعيفة أدنى الى الاستسلام منها الى المقاومة يقول: « انما المرأة لحم على وضم الا ماذب عنه)[7] ولا يمنع ذلك أن تكون المرأة عنده - في أسلوب العيش احدى ثلاث: « هينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها،

---

(١) راجع - نفس المرجع ٤٢١/١ - ٤٣٢/٣ - ٢٣٢/٧.

(٢) الجاحظ - البيان والتبيين ٨٩/٢.

(٣) صحيح البخاري ٤٦/٧، ٤٧ - ٥٠/٩.

(٤) صحيح البخاري ٧/٢.

(٥) موطأ مالك ٢٠٣/١.

(٦) ابن عبد ربه - العقد الفريد ١٠٦/٦.

(٧) الجاحظ - البيان والتبيين ١٩١/٢ (الوضم - محركة: ما وقيت به اللحم عن الارض من خشب وحصير... وتَرَكَهُمْ لحما على وضم: أوقعهم فذللهم وأوجعهم، قاموس: مادة و ض م).

وأخرى وعاء للولد، وثالثة غل قمل يلقيه الله في عنق من يشاء »[1].

وكان - ودودا لهن ولاولاده، حتى ليطلب منه بعض بنيه أن يسأل له رسول الله ﷺ في أمور جنسية كالجنابة فيذهب ويسأل[2]، ولو أن كلفة قامت بينه وبين ولده ما أمكن أن يطرح عليه مثل هذا الطلب، وكان يهدي لولده[3]، ويعينه اذا تزوج[4]، ودود عطوف لبناته لا يجبرهن على مكروه، ومن حكمته فيهن وأمثالهن: « لا تكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح فانهن يحببن ما تحبون »[5] وهو مع ذلك حازم « رأى ابنا له اذا سجد رفع شعره لا يصيبه التراب وهو في الصلاة، فأخذ شعره فدلكه في التراب وأمر به فحلق »[6].

وهو مع حبه لابنائه - يرجو الله أن يغنيه عنهم.

حدث أن ناول رجلا شيئا، فقال لعمر:

خدمك بنوك، فقال عمر: بل أغنانا الله عنهم »[7].

وله - في الولد - قول مأثور: ريحانة أشمها، وعن قريب: ولد بار أوعد وحاضر »[8].

رزق عمر - رضي الله عنه - الولد، ومات منهم[9] وعاش:

(١) ابن عبد ربه - العقد الفريد ١١٢/٦ (غل قمل أصله أنهم كانوا يغلون الاسير وعليه الشعر فيقمل ق ل م).

(٢) السيوطي - تنوير الحوالك ٦٨/١.

(٣) موطأ مالك ٧٢/٣.

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي - الاموال ص ٢٣١.

(٥) ابن قتيبة - عيون الاخبار ١١/٤.

(٦) آثار ابي يوسف ص ٦٧.

(٧) ابن قتيبة - عيون الاخبار ٩٣/٣.

(٨) الجاحظ - البيان والتبيين ٢٨٥/٣.

(٩) راجع لاحمد بن محمد بن عبد ربه - العقد الفريد ٣٠٤/٣.

راجع لنساء عمر وأولاده مراجع عامة:

ابن جرير الطبري - تاريخ الرسل والملوك ١٩٨/٤ و١٩٩ ولمحمد بن سعد - الطبقات الكبرى ٢٦٥/٣ و٢٦٦ وللامام أحمد بن عبد الله المحب الطبري - الرياض النضرة ١٠٨/٢.

فله من البنات: أم المؤمنين حفصة، ثم أختها رقية، وفاطمة، وزينب، واحداهن تكنى «أم الوليد»[1] رضي الله عنهن.

وله من البنين: عبد الله، وعبيد الله، وعياض، ومحمد، وعاصم، وزيد الاكبر، والاصغر، وعبد الرحمن الاكبر، وأبو شحمة عبد الرحمن الاوسط، وأبو المجبر عبد الرحمن الاصغر.

فزينب بنت مظعون أم حفصة وعبد الله وعبد الرحمن الاكبر - رضي الله عنهم[2].

وأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب أم زيد الاكبر ورقية - رضي الله عنهم[3].

وأم كلثوم بنت جرول أم زيد الاصغر وعبيد الله - رضي الله عنهم[4].

وجميلة (عاصية) بنت ثابت بن أبي الاقلح أم عاصم - رضي الله عنهما[5].

وأم حكيم بنت الحارث أم فاطمة - رضي الله عنهما[6].

وعاتكة بنت زيد بن عمرو - أم عياض - رضي الله عنهم[7].

وفكيهة أم زينب[8]، ولهية أم عبد الرحمن الاوسط[9].

وعبد الرحمن الاصغر أمه أم ولد[10].

---

(١) ابن الاثير - اسد الغابة ٤٠٩/٧.

(٢) راجع صحيح البخاري ٢٥٢/٣ - ١٣٩/٧ - وموطأ مالك ١٧٣/٢.
ولسلطان الملك الاشرف عمر بن يوسف بن رسول - طرفة الاصحاب ص ٦٩.

(٣) ابن الاثير - اسد الغابة ٣٨٧/٧ - آثار الامام ابي يوسف ص ١٤٣، وآثار الامام محمد الشيباني ص ٤٢، ٨٩.

(٤) تفسير ابن كثير ٣٥١/٤.

(٥) راجع صحيح مسلم ١٧٣/٦، وابن الاثير - اسد الغابة ١١١/٣، ١١٥ - ٥٥/٧.

(٦) موطأ مالك ١١٥/٢ - صحيح البخاري ١٧٤/٣.

(٧) موطأ مالك ٢٠٣/١، ٢٧٤ - اسد الغابة ١٨٤/٧.

(٨) السلطان ابن رسول - طرفة الاصحاب ص ٦٩.

(٩) ابن الاثير - اسد الغابة ٢٥٥/٧ و٢٨٣.

(١٠) نفس المرجع السابق ٤٧٨/٣.

فأما محمد فذكره الخوارزمي ولم أجد له متابعا، ولم يذكر والدته[١].

وثمة رواية لابن منقذ ذكر فيها من اسماه اسماعيل بن عمر[٢]، ثم أعقبه برواية عن عمر، واسماعيل هذا من الرواة وليس من ولد عمر، وانما ولده من ذكرت. لذلك ورد في سند للطبالسي ـ رضي الله عنه « عن شعبة أخبرني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب »[٣] وهو على التحقيق: سليمان بن عاصم بن عمر بن الخطاب[٤]: فهو حفيده.

كل أولئك آل عمر، وذريته من هؤلاء ـ رضي الله عنهم.



شخصية عمر من خلال صفاته الخِلْقيةِ والنفسية:

تتجلى الشخصية من خلال صفاتها، وقد حدث الرواة بصفات لعمر سجلتها مصادر، وما سجلته هذه المصادر كثير، بعضه مدعم بشهادة الرسول ﷺ وبعضه أوصاف أرسلها عدول هذه الامة، والبعض يرويه أفراد من رعيته غير المسلمين وهي صفات تتناول عمر خلقا وخلقا.

وينبغي أن نضع في الحسبان أن جزءا من هذه الصفات بنوعيها روي، وحفظ أو دون منذ بداية الصراع بين المسلمين ومشركي مكة، ثم سايرت عمر ـ رضي الله عنه ـ مسلما فخليفة الى وفاته، ومما ينبغي ملاحظته ـ أيضا ـ أن ليس كل صفاته الخلقية يمكن اعتباره صفات مصاحبة له منذ صار في ضوء التاريخ حتى النهاية، كذلك لا نجد الواصف ملتزما في كل حال الحاق الوصف بزمن معين، وهذان أمران يحملاننا على تناول الوصف ـ وعقولنا معه ـ لنصل الى ما يمكن أن يكون أولى بالاعتبار.

(١) راجع للامام الخوارزمي جامع مسانيد الامام الاعظم ٤٩٠/٢.

(٢) الامير اسامة بن منقذ ـ لباب الآداب ص ١٧٨.

(٣) تفسير ابن كثير ٢٩١/١.

(٤) ابن حجر ـ تقريب التهذيب ٥٧/٢.

وعلى ذلك فوصفه - رضي الله عنه - بأنه مديد الصوت[1] غير وصفه بأنه كان أجوف[2] يعني كبير الجوف، فاحتمال الاستمرار في الوصف الاول ممكن، وليس كذلك الوصف الثاني.

ومن الصفات التي لحقت زمنا بعينه أدمته - رضي الله عنه - وهي أدمة علت بشرته عام الرمادة، فأما هو فقد كان أبيض شديد الحمرة[3].

وكان جسيما طويلا قد فزع الناس، أروح كأنه راكب والناس يمشون[4]، له حفافان، حسن الخدين، والانف والعينين، غليظ القدمين والكفين، مجدول اللحم حسن الخلق ضخم الكراديس[5].

قد يجلس متربعا، أو يستلقي على ظهره، ويضع احدى رجليه على الاخرى[6].

وهو ذو لحية وشارب، وكانت لحيته عظيمة[7]، مثلها سبلة شاربه، وكان في أطرافها صهبة[8] وكان - اذا غضب - فتل شاربه ونفخ[9]، ثم خضب بالحناء[10] حين وخطه الشيب.

ثم كان أصلع شديد الصلع، ومن معاصريه من لقبه بـ (الاصيلع)[11] وكان - في

---

(١) راجع موطأ مالك ١٠٣/١ - وصحيح البخاري ٢٥/٢.
(٢) راجع صحيح مسلم ١٤١/٢.
(٣) راجع لهذا الوصف رواية بسند جيد - الى زر بن حبيش - يتصل فيه الحديث ببعض ولد عمر - ابن حجر - الاصابة في تمييز الصحابة ٥١١/٢.
(٤) نفس المصدر ٥١١/٢.
(٥) ابن عبد ربه - العقد الفريد ٢٦٩/٤.
في القاموس المحيط مادة حفف، وككتاب: الطرة من الشعر حول رأس الاصلع.
(٦) طبقات ابن سعد ٢٩٤/٣.
(٧) صحيح البخاري ٢٠٥/٧ - ابن الاثير - اسد الغابة ١٦٥/٤.
(٨) السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ١٣١.
(٩) ابو عبيد القاسم بن سلام الهروي - الاموال ص ٣٧٧.
(١٠) صحيح مسلم ٨٤/٧، ٨٥. (١١) راجع صحيح مسلم ٦٧/٤ - والسيوطي - تاريخ الخلفاء ص ١٣١.

عارضيه ـ خفة [١].

وكان ـ رضي الله عنه ـ أعسر يسرا [٢]، وكما كان ـ لهذه الصفة ـ أثرها العضوي في يديه، فأمكنه أن يعمل بهما جميعا، كان لها أيضا أثرها ـ في لسانه ـ فكان يخرج الضاد بأي صدقية شاء [٣]. وكان ـ فيما يبدو ـ متمتعا بصحة نفسية عالية، وقد يضحك بشدة [٤].

ومن وصف عائشة ـ رضي الله عنها ـ فيه ـ أنه « ... اذا قال أسمع واذا مشى أسرع، واذا ضرب أوجع ... » [٥].

وكان ـ رضي الله عنه ـ عفيف الطرف طيب الظرف، قوياً جليدا [٦]. قال له رسول الله ﷺ يا عمر: انك رجل قوي، لا تزاحم على الحجر [٧].

واذا كانت القوة عطاء من الله، فان من توفيق الله أن عمر كانت له رياضات عدة تساعد على استبقاء الحيوية والشباب في نفسه، وذلك ما نفقهه من رواية للامام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ بسنده الى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:

ربما قال لي عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه: « تعال أباقيك في الماء، أينا أطول نفسا، ونحن محرمون [٨] ».

وهي رواية تصرح بمران عمر على السباحة والغوص واحتمال البقاء تحت الماء فترة أطول مما يحتملها ابن عباس وكان الاخير أشب من عمر.

---

(١) ابن حجر ـ الاصابة في تمييز الصحابة ٥١١/٢.
(٢) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ١٣١.
(٣) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٦٢/١.
(٤) مسند أحمد ٢٩٢/١، ٢٩٣.
(٥) ابو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ـ الكامل في اللغة والادب ٣٣٧/١.
(٦) طبقات ابن سعد ٣٦٩/٣ ـ صحيح مسلم ١٤١/٢.
(٧) مسند احمد ٢٣٧/١ و ٢٣٨.
(٨) الامام الشافعي ـ مسند الشافعي ص ٤١.

ونفهم من رواية للجاحظ مدى مقدرة عمر في الفروسية، اذ يقول: « كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى اذن فرسه اليسرى، ثم يجمع جراميزه ويثب فكأنما خلق على ظهر فرسه »[1].

ثم هو فارس ممارس ـ لدرجة عالية ـ لاستعمال ادوات القتال في عصره بارع فيها، فهو لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة، وثبت معه يوم حنين في قلة من القوم[2]، وقاد ـ بأمر رسول الله ﷺ سرية الى عجز هوازن بتربة في شعبان سنة سبع من الهجرة[3]، ومقدرته هذه يشهد بها الصديق: اذ يقول: « ليتني ـ حين بعثت خالد بن الوليد الى الشام اني كنت بعثت عمر بن الخطاب الى العراق، فأكون قد بسطت يدي جميعا في سبيل الله »[4].

وهذه الفروسية العسكرية في عمر زودته بقوة احتمال عالية حتى ليؤدي واجبه في نفخ السموم غير مستظل[5] ويحج فلا يضرب فسطاطاقط، انما هو الثوب يلقيه على أغصان الشجر ثم يأوي تحته[6].

ثم ـ بعد ـ يتمتع عمر بصفات نفسية في مقدمتها صفة الامانة، وفي الحق كان عمر قويا أمينا، وتبلغ الحساسية بهاتين الصفتين في نفسه أن جعلهما شغله الشاغل وهدفه الاول والاخير في تنصيب العمال خاصة، وأعمال الخلافة عامة، ولأمانته: كان شديدا في أمر الله[7]، يتحرى الحلال[8]، ويقيم العدل ويخشى الظلم[9]، ويضع عن العامل

---

(١) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢٤/٣.

(٢) ابن الاثير ـ اسد الغابة ١٤٦/٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٢٧٢/٣، ابن الأثير ـ اسد الغابة ١٤٦/٦.

(٤) ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ الامامة والسياسة ص ١٩.

(٥) راجع بحثه عن بكري الصدقة بمسند الشافعي ص ١٢٦، ١٢٧.

(٦) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ١٢٩.

(٧) صحيح مسلم ١١٥/٧ ـ وصحيح الترمذي ٢٠٢/٣، ٢٠٣.

(٨) راجع « شربه لبنا ثم استقائه اياه » بموطأ مالك ٢٥٧/١.

(٩) موطأ مالك ١٦١/٣.

ما لايطيق [1]، مشيرا - اذا أشار - عن اخلاص وبصيرة. أشار على رسول الله ﷺ [2] والصديق [3]، والناس [4] ولأمانته يستشير [5]، ولا يوافق - فيما لا يعلم - دون اقتناع بالدليل [6].

★ ★ ★

ثم هو رحيم، رحمة جعلها الله - عنده - على بصيرة، فهي رحمة موافقة للحق لا تدفعها مجاملة الى مجاوزة العدل، ولا تزل بها عاطفة عن صلاح أمر ومن دعائه: اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين [7] ».

وروى الامام أبو حنيفة - بسنده - قال:

« كان عمر بن الخطاب - يطعم الناس بالمدينة - وهو يطوف عليهم - وبيده عصا - فمر برجل يأكل بشماله، فقال: يا عبد الله كل بيمينك، قال: يا عبد الله انها مشغولة، فمضى ثم مر به - وهو يأكل بشماله - فقال: يا عبد الله كل بيمينك، قال: يا عبد الله انها مشغولة - ثلاث مرات - قال: وما شغلها؟ قال: أصيبت يوم مؤتة، قال: فجلس عمر عنده - رضي الله عنه - يبكي، فجعل يقول له: من يوضئك؟ من يغسل رأسك وثيابك؟ من يصنع كذا وكذا؟ فدعا له بخادم وأمر له براحلة وطعام، وما يصلحه، وما ينبغي له، حتى رفع أصحاب محمد ﷺ أصواتهم يدعون الله لعمر - رضي الله عنه - مما رأوا من رقته للرجل واهتمامه بأمر المسلمين » [8].

---

(١) نفس المرجع ١٤٦/٣.

(٢) ابن الاثير - اسد الغابة ١٥٤/٤.

(٣) الامام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق ٤٤٥/١.

(٤) راجع للقاضي ابي يوسف يعقوب بن ابراهيم - كتاب الخراج ص ٢٤، ٢٥.

(٥) صحيح البخاري (املاص المرأة) ١٦٨/٧، ١٦٩ - ١٤/٩.

(٦) نفس المصدر (التيمم من الجنابة) ٩٢/١ - ٩٣ - ٩٦.

(٧) ابن عبد ربه - العقد الفريد ٦٥/٤.

(٨) الامام محمد بن الحسن الشيباني - الآثار ص ١٤٥ و ١٤٦، وانظر آثار الامام أبي يوسف ص ٢٠٨.

وتبدو رحمته جلية في فقهه - رضي الله عنه -[1] ثم هو لا ينسى - بعد مراقبة نفسه ليضع منها[2].

كان عمر رحيما برعيته يخاف الله فيهم، ويرجو لهم الخير، ولقد كان ابو بكر - الصديق رضي الله عنه - على بصيرة من خلته تلك، فحين أراد أن يعقد له أدلى برأيه في غلظة عمر، وذلك اذ دعا عبد الرحمن بن عوف فقال له:

«أخبرني عن عمر، فقال: يا خليفة رسول الله، هو - والله - أفضل من رأيك فيه... ولكن فيه غلظة، فقال أبو بكر:

ذلك لانه يراني رقيقا، ولو أفضى الأمر اليه لترك كثيرا مما هو عليه،... يا أبا محمد، قد رمقته، فرأيتني - اذا غضبت على الرجل في الشيء - أراني الرضا عنه، وان لنت له أراني الشدة عليه..»[3].

وتولى عمر فمنع عماله من الاساءة الى الرعية، أو محاولة اذلالها، وذهب في ذلك الى حد أن يقتص لرعيته من عماله[4].

وللفرد من رعيته حسن الظن عنده ما صدر منه الخير[6]، وهو أميل الى الستر على الناس[5]، ويمكن - في حدود مطالعتي - حصر شدته في:

أ - عامل لم يؤد واجبه[7].

---

(١) راجع آثار الامام محمد بن الحسن الشيباني - في درء الحدود ص ١٠٨. وللامام أبي المؤيد محمد بن محمد ابن محمود بن محمد الخوارزمي - جامع مسانيد الامام الاعظم ٥٦/٢، ٢١٢، ٢٢٠ - ٢٢١. ومسند الشافعي ص ٤٧.

(٢) موطأ مالك ١٥٤/٣ - السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ١٣٠.

(٣) تاريخ الطبري ٥١/٤.

(٤) مسند أحمد ٢٧٩/١.

(٥) نفس المصدر ٢٧٩/١.

(٦) صحيح مسلم ١٠٢/٨.

(٧) تاريخ الطبري ٢٠٧/٤.

ب - انسان جاهز بمعصية، وقد ذهب - في هذه - الى حد احراق حانوت رويشد الثقفي، وكان خمارا [١].

جـ - قاتل نفس بغير حق، وصلب - في هذه - ثلاثة [٢].

د - مبتدع فتنة، وأدب - في هذه - صبيغا حتى فاء لنفسه [٣].

هـ - شاعر أطلق لسانه في الناس، وأخذ - في هذه - الخطيئة [٤] فسجنه.

فعمر صَلَبَ ورجم [٥] وسجن وجلد [٦] ونفى [٧]، وكانت شدته على أهل المعصية، شدة لا تجاوز العدل أو تجمح الى عدوان.

وانه مع ذلك لمهيب، له من هيبته على الناس ماله منها على أهله قال عبد الله ولده: لما طعن عمر قلت: يا أمير المؤمنين لو اجتهدت بنفسك وأمرت عليهم رجلا!؟ قال: أقعدوني.

قال عبد الله: فتمنيت لو أن بيني وبينه عرض المدينة فرقا منه حين قال: أقعدوني » [٨].

ومكث ابن عباس - وهو من المقربين اليه - سنة يتردد - هيبة له - قبل ان يسأله: من المرأتين اللتين حدث الله عنهما - في سورة التحريم؟ أي عائشة وحفصة - رضي الله عنهم [٩].

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٨٢/٣ - راجع لابن عبيد بن سلام - الاموال ص ١٣٧.

(٢) سنن ابي داود ١٣٩/١ - ابن الاثير - اسد الغابة ٤٠٨/٧ - أبو عبيد بن سلام - الاموال ٢٣٦.

(٣) محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني - شرح الزرقاني على موطأ الامام مالك ٢٥/٣.

(٤) الاصفهاني - الاغاني ١٨٧/٢.

(٥) موطأ مالك ٥٥/٣.

(٦) سنن أبي داود ٥٥/٣.

(٧) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق ٣٤١/١.

(٨) المحب الطبري - الرياض النضرة ٩٨/٢.

(٩) صحيح مسلم ١٩٠/٤.

هذا هو عمر الرحيم المهيب الذي اختاره الله ليحكم في رعية كانت من خير القرون، وذلك ثابت في الصحيح، قال رسول الله ﷺ:

« خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »[١].

قال الحسن البصري:

« ... كما تكونوا يولى عليكم »[٢].

لقد كانت أمة جديرة بعمر، وكان عمر جديرا بها، وتجلت صفاته العبقرية فيها، حفظوه بالسمع والطاعة وحفظهم بمراقبة الله فيهم، فنزل من نفوسهم مكانا رفيعا، وتلك امرأة من أوساط شعبه تقفنا على ما في قلبها لعمر:

حدث مالك - رضي الله عنه - بسنده:

« ... أن عمر بن الخطاب مر بأمرأة مجذومة، وهي تطوف بالبيت، فقال لها: يا أمة الله، لا تؤذي الناس، لو جلست في بيتك، فجلست، فمر بها رجل بعد ذلك فقال لها: ان الذين كان قد نهاك قد مات فاخرجي، فقال: ما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتا »[٣].

★ ★ ★

ثم كان - رضي الله عنه - عبقريا شديد الذكاء لا يخدع الا نادرا، ومن حيث يؤتى الكريم، له حافظة عريضة مستوعبة لمختاراته، لها مقدرتها على طرح محفوظها ومقارنته في ذوق وافر، حساس بمواطن الفوق والجمال والنصفة الجميلة، وهذه الهبة لها لواحقها مما سنتبينه - في موضعه من البحث - بمشيئة الله، لارتباطها به.

ذكر عبقريته رسول الله ﷺ اذ قال عنه:

« لم أر عبقريا يفري فريه »[٤].

---

(١) صحيح البخاري ٣/٥.

(٢) راجع للمحدث الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي - كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس ١٢٦/٢ و١٢٧ والرواية كذا (يولى).

(٣) موطأ مالك ٣٧١/١ - راجع حج الصبي بن معبد بآثار ابي يوسف ص ٩٨ و ٩٩.

(٤) صحيح البخاري ١٣/٥.

ونتبين ذكاءه في جوانب، منها استنتاجه الفقهي، وقضاياه كثيرة، وانتزاعه الحق - في قضائه - بغير الكراه[1]، وحواره مع اليهود[2]، وموازنته لحديث محدثة في بصيرة تطرح ما جانب الواقع، أو خالف الحق ونأى عن الصواب[3].

يصفه ابن عباس - رضي الله عنهما - بأنه:

« ... كان كالطائر الحذر، قد علم أنه قد نصب له في كل وجه حباله »[4].

وكان - في ذكائه الهام - أشار اليه رسول الله ﷺ فقال: « لم يبعث الله نبيا الا كان في أمته محدث، وان يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر قالوا: يا رسول الله، كيف محدث؟ قال :تتكلم الملائكة على لسانه[5].

على أن هذه العبقرية بذكائها والهامها لم تمنعه أن يتهم الرأي على الدين[6]، وتلك ميزة يندر أن تكون في عبقري، اذ الغرور مهلكة تجعل ذكاء المرء محسوبا عليه، وقد سلم عمر من هذه الآفة، فكان وافر الدين - كما رآه رسول الله ﷺ[7].

ولذلك كان ينأى - في دينه عن استقصاة يضُرُّبه:

« ... عن عبد الرحمن بن حاطب - رضي الله عنه - : أن عمر بن الخطاب خرج - في ركب - فيهم عمرو بن العاص، حتى وردوا حوضا، فقال عمرو بن العاص - لصاحب الحوض: يا صاحب الحوض، هل ترد حوضك السباع؟.

---

(١) راجع قضية المرأة وجاريتها وزوجها بموطأ مالك ٤٧/٣ - والقائل: احملني وسحيا بنفس المرجع ١٩/٢.

(٢) آثار الامام محمد الشيباني ص ٦٦.

(٣) السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ١٢٧.

(٤) الجاحظ - البيان والتبيين ٢٦٦/٣.

(٥) رواه الطبراني باسناد حسن راجع للسيوطي - تاريخ الخلفاء ص ١١٩ و ١٢٠ وانظر صحيح البخاري ١٥/٥ حيث النص على كون عمر من المحدثين دون شرح للمعنى من حديثه ﷺ.

(٦) راجع الخبر رقم ٣١٧ بمسند احمد ٢٩٣/١.

(٧) صحيح البخاري ١٢/١ - ١٥/٥ - ٤٥/٩، ٤٦.

فقال عمر بن الخطاب: يا صاحب الحوض، لا تخبرنا، فانا نرد على السباع وترد علينا ... »[1].

وكان ـ رضي الله عنه ـ على ذكائه الوافر لا يتبع هوى بل يستشير[2]، ويقبل النصح[3]، ويعترف بالخطأ[4]. وتلك خصال شريفة تكشف عن جانب من أسباب توفيقه، ولا حرج عليه ـ بعد ـ أن يقول:

« الله يعلم اني لصادق بار راشد تابع للحق »[5].

وكفى بمدحه ﷺ له ـ اذ يقول: « نعم الرجل عمر »[6].

وعندي أن هذا الذكاء الملهم الذي لا يغتربه صاحبه هو (البصيرة) التي هدت عمر الى أمور وافقة عليها القرآن الكريم أو السنة المطهرة، وقد عرفت هذه الامور بالموافقات، والتسمية بـ (موافقات) مشتقة من اطلاق لعمر نفسه:

١، ٢، ٣ ـ قال عمر: وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يارسول الله، لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى، وآية الحجاب، قلت: يارسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فانه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه ـ فقلت لهن: عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن « فنزلت هذه الآية[7] ».

٤ ـ واحدى ثلاث ـ في رواية أخرى: « ... وفي أسارى بدر »[8].

٥ ـ واحداهن في رواية ثالثة، قال:

---

(١) موطأ مالك ٤٦/١.

(٢) صحيح البخاري ٨٥/٥ ـ ١٤/٩.

(٣) صحيح البخاري ٢٠٨/٨/ تفسير ابن كثير ٢١/٢.

(٤) تفسير ابن كثير ٤٦٧/١..

(٥) صحيح مسلم ١٥٢/٥.

(٦) صحيح الترمذي ٢٠٥/٣.

(٧) صحيح البخاري ١١١/١.

(٨) صحيح مسلم ١١٥/٧ و ١١٦.

لما مات عبد الله بن أبي جاء رسول الله ﷺ ليصلي عليه، قلت: يارسول الله، تصلي على هذا الكافر المنافق، فقال: ايها عنك يا ابن الخطاب، فنزلت: ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره... وهذا اسناد صحيح[1]...».

٦ - وفي قوله تعالى: ﴿**قل من كان عدوا لجبريل**﴾... (٢ - ٩٧ و٩٨ و٩٩).

ورد - باسناد صحيح الى الشعبي - مناظرة لعمر - مع اليهود - في مدراسهم، نالوا فيها من جبريل - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - لانه عدوهم من الملائكة، وادعوا أنه لو قرن بمحمد ﷺ - ميكائيل - عليه الصلاة والسلام - لآمنوا به، فقال عمر: وما منزلتهما من ربهما؟ قالوا: احدهما على يمينه والآخر عن يساره.... قلت: فو الله الذي لا إله الا هو، انهما، والذي بينهما، لعدو لمن عاداهما، وسلم لمن سالمهما، وما ينبغي لجبريل أن يسالم عدو ميكائيل ولا لميكائيل ان يسالم عدو جبريل. قال: ثم قمت فاتبعت النبي ﷺ فلحقته - وهو خارج من مخرفة لبني فلان، فقال لي: يا ابن الخطاب... ألا أقرئك آيات نزلن؟ فقرأ علي: (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه) حتى قرأ الآيات... قلت: بأبي أنت وأمي - يارسول الله، والذي بعثك بالحق لقد جئت، وأنا أريد أن أخبرك الخبر فأسمع اللطيف الخبير قد سبقني اليك...[2]».

---

(١) تفسير ابن كثير ١٧٠/١.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري ٣٨٠/٢ - ٣٨٢، وبحاشية ص ٣٨٢ - قال الشيخ شاكر: وقال السيوطي في الدر المنثور ٩٠/١: صحيح الاسناد، لكن الشعبي لم يدرك عمر.

الباحث: لذلك قلت: اسناد صحيح الى الشعبي - فكل من رجاله ثقة - راجع تفسير الطبري تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر - طبع دار المعارف ٣٨٠/٢ وما بعدها في تخريجه للخبر - ثم راجع للزمخشري - الكشاف ٢٩٩/١.

٧ - كان عمر يرى - بعد اسلامه - أن الخمر «مذهبة للعقل مسلبة للمال»[١] فكان ميالا الى تحريمها حريصا عليه[٢]، وزاده حرصا على ذلك تحريمها في أوقات الصلاة، حتى كان يدعو فيقول: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء...

روى الترمذي عن عمر أنه قال: «اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت في البقرة: يسألونك عن الخمر والميسر الآية فدعى عمر فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في النساء ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**﴾ فدعى عمر فقرئت عليه ثم قال: اللهم بين لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في المائدة انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والمسير - الى قوله - فهل أنتم منتهون. فدعى فقرئت عليه، فقال انتهينا انتهينا... ا هـ. (صحيح الترمذي ١١/١٧٧ و ١٧٨).

يريد الأيتين من قوله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر** - إلى قوله: **فهل أنتم منتهون**﴾ (٥ - ٩٠، ٩١).

٨ - وفي الآية ﴿**كما أخرجك ربك من بيتك بالحق**﴾ (٨ - ٥).

وكان من رأي عمر وفريق من الصحابة الخروج لقتال صناديد قريش حين استشارهم النبي ﷺ في الخروج اليهم، وقد نجا أبو سفيان - رضي الله عنه - بالعير.

وذلك الذي أراد الله، كما هو ظاهر من قوله - تبارك وتعالى: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون[٣].

---

(١) الامام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي - اسباب النزول ص ٤٨، ٤٩.

(٢) راجع للمحب الطبري - الرياض النضرة ٢٦٧/١.

(٣) صحيح البخاري ٦٤/٦ و ٦٥ - سيرة ابن هشام ٩١/٥ - ولأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) ٧٢/٢ - السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ١٢٣.

٩ - ومما رجاه عمر فوفق فيه حكم الآية

﴿يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾... (٢٤ - ٥٨). فقد بعث رسول الله ﷺ مدلج بن عمرو - وقت الظهيرة - الى عمر ليدعوه، فانطلق فدخل على عمر فوجده نائما وقد انكشف عنه ثوبه، وكره عمر ذلك، فقال: لوددت أن الله - عز وجل - نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا ألا يدخلوا علينا هذا الساعات الا باذن.

ثم انطلق معه الى النبي ﷺ فوجد الآية قد انزلت (١).

هذا هو القدر من موافقات القرآن الكريم الذي يعضده الصحيح.

★ ★ ★

- ولقد وافق رسول الله ﷺ عمر، ووافق عمر بعض الصحابة رضي الله عنهم، وهذا قدر من الصحيح في هذا الباب.

١ - قال ابن عمر: «كان المسلمون - حين قدموا المدينة - يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادي لها، فتكلموا يوما في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقا مثل قرن اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة، فقال رسول الله ﷺ: يا بلال قم فناد بالصلاة (٢)».

ووافق عمر في الاذان عبد الله بن زيد بن ثعلبة الجشمي الخزرجي - رضي الله عنه - وكان رأى رؤيا بالنداء قبل عمر (٣).

---

(١) راجع تفسير الزمخشري ٣٩٥/٢ - وتفسير النسفي ١٨٨/٣ - وابن الاثير - اسد الغابة ١٣٢/٥ - والسيوطي - تاريخ الخلفاء ص ١٢٤.

(٢) صحيح البخاري ١٥٧/١.

(٣) البحث ص ٥٦.

٢ - قال سلمة بن الاكوع - رضي الله عنه - وقد خرج فريق من المسلمين لغزوة: « خفت أزواد القوم وأملقوا، فأتوا النبي ﷺ في نحر ابلهم، فأذن لهم، فلقيهم عمر، فأخبروه، فقال: ما بقاؤكم بعد ابلكم؟! فدخل على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما بقاؤهم بعد ابلهم؟.

فقال رسول الله ﷺ: ناد في الناس فيأتون بفضل أزوادهم. فبسط لذلك نطع وجعلوه في النطع، فقام رسول الله ﷺ: فدعا وبرك عليه، ثم دعاهم بأوعيتهم، فاحتثى الناس حتى فرغوا، ثم قال رسول الله ﷺ: أشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله » [1].

ورأى آخر:

٣ - وهو رأي لعمر أبداه قبل وفاة الرسول ﷺ بأيام أربعة وعلى التحديد يوم الخميس السابق ليوم الاثنين الذي كانت فيه الوفاة. وكان جمع من صحابته ﷺ في زيارته، وفيه وجع شديد، فأمر عليا - كرم الله وجهه - أن يحضر كتفا ودواة، وقال ﷺ:

اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده [٢]

فرأى عمر أنه ﷺ غلبه الوجع وسيشق عليه املاء الكتاب وقد توقع أن مثل هذا الكتاب سيكون طويلا، ولم يبد له أن أمر الرسول ﷺ أمر وجوب، وانما هو لارشاد الى أصلح، فقال عمر: « عندنا كتاب الله حسبنا » [٢] وفي رأي عمر هذا - وقد وافقه عليه بعض الحاضرين - ما يقطع السبيل على المنافقين الى الطعن في ذلك المكتوب.

وخالف الرأي آخرون وتنازعوا - في ذلك - حتى فضهم رسول الله ﷺ عنه، وقال: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع.

---

(١) صحيح البخاري ١٨٠/٣ - راجع لابن حجر - فتح الباري ٩٢/٥.
(٢) صحيح البخاري ٣٩/١

وأحسن بعض القوم أن - في ذلك خسارة كبيرة حتى قال ابن عباس - رضي الله عنه : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه.

ولم يمض وقت حتى تبين أن ما رآه عمر كان أولى، فان رسول الله ﷺ عاش بعد ذلك أياما، وبلغ فيها بأمر في الدين، من ذلك قوله - عليه الصلاة والسلام: «قاتل الله اليهود والنصارى». اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد [١].

لكنه عليه الصلاة والسلام - لم يعاود أمرهم بالكتابة، ولو كان الامر واجباً ما تركه رسول الله ﷺ بسبب اختلافهم، اذ كان الصحابة يراجعونه ما لم يجزم، فان جزم امتثلوا.

قال ابن حجر: وقد عد هذا من موافقة عمر - رضي الله عنه [٢].

وباسلامه - رضي الله عنه - وباقباله - على هذا الدين مخلصا على فرق من ربه ورغب فيه - زهد عمر، واستمر زهده يصاعد حتى اشتد، فلم يعد الطعام له مشغلة ينتقي منه ويختار، ولا اللباس له زينة فيأنق به ويختال، انما طعامه جَشْب ولباسه مرقوع [٣]، وقد كان من نعيم العيش على قدرة، ومن ضروب لذائذه على خبرة [٤].

حكى جعفر بن أبي العاص أن عمر أكل «الخبز والزيت، والخبز واللبن، والخبز والقديد، وأقل ذلك اللحم الغريض [٥].

فاذا نظرنا الى قليل اللحم هذا وجدنا معظمه لحم الابل، ثم لا بأس بالضب او

---

(١) موطأ مالك ٨٨/٣.
(٢) راجع لدراسة الموضوع لابن حجر/ فتح الباري ١٨٥/١ - ١٨٧.
وصحيح البخاري ١٥٦/٧ - ١٨٥/٩.
وصحيح مسلم ٧٦/٥.
ومسند احمد ٣٤٦/٣ (الميمنية).
(٣) المحب الطبري - الرياض النضرة ٥٢/٢ (طعام جَشْب: غليظ أو بلا أدم. قاموس مادة ج ش ب).
(٤) الجاحظ - البيان والتبيين ١٨/١ - المحب الطبري - الرياض النضرة ٥٢/٢.
(٥) المحب الطبري - الرياض النضرة ٥٣/٢.

الجراد - ان وجد [١].

وكان من الناس من يأسى له، وقد يجرؤ أحدهم كالربيع بن زياد الحارثي فيخاطبه:

« يا أمير المؤمنين، ان أحق الناس بمطعم طيب وملبس لين ومركب وطيء لأنت » [٢].

ودفعت الشفقة عليه جماعة من قومه، فزجوا عليه حفصة أم المؤمنين - رضي الله عنها، فحدثته، فأدرك الذي كان وذكرها بعيش رسول الله ﷺ فأسكتها [٣] - يقول عمر: « لقد رأيت رسول الله ﷺ يلتوي ما يجد ما يملأ به بطنه من الدقل » [٤].

ثم ذهب - بآخرة - يسرد الصوم [٥] ويمعن في الكفاف حتى خجل الملأ من قومه أن يترفوا - وهو على هذه الحال، قال ابن قتيبة:

« لم ينل أحد معه من الدنيا شيئا اعظاما له، واجلالا، وتأسيا به واقتداء. » [٦].

وهكذا نبذ عمر الدنيا، وهو أشد ما يكون قدرة عليها، ولفظها - وهي أشد ما تكون رغبة فيه، قال طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه:

« ما كان عمر بأولنا اسلاما، ولا أقدمنا هجرة، ولكنه كان أزهدنا في الدنيا وأرغبنا في الآخرة... [٧] ».

---

(١) الخوارزمي - جامع مسانيد الامام الاعظم ٢١٥/٢ - صحيح مسلم ٧٠/٦ موطأ مالك ١١٥/٣.

(٢) ابن قتيبة - عيون الاخبار ٥٢/١.

(٣) طبقات ابن سعد ٢٧٧/٣ و٢٧٨ - المحب الطبري - الرياض النضرة ٥٥/٢

(٤) مسند أحمد ٢٢٤/١ الدقل - محركة: أرادا التمر.

(٥) راجع المحب الطبري - الرياض النضرة ٧٠/٢ - وطبقات ابن سعد ٣١٢/٣ وابن كثير - البداية والنهاية ١٣٥/٧.

(٦) ابن قتيبة - الامامة والسياسة ص ٢٦.

(٧) المحب الطبري - الرياض النضرة ٥١/٢.

وحسبنا من عمر - في الزهد - أن يزهد حتى يزهد الملأ من قومه.

اسلام عمر:

استجاب الله دعاء رسوله ﷺ اذ قال: اللهم اعز الاسلام بأحب هذين الرجلين اليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب»[1] فأسلم عمر، وكان اسلامه سنة ست أو سبع من المبعث - في ضوء تحقيق حسابي دقيق لابن حجر[2].

وقد روى أهل الحديث في ذلك خبرين:

أحدهما: تعقبُهُ لرسول الله ﷺ وسماعه منه، وهو يصلي عند الكعبة[3].

الثاني: قصته مع فاطمة أخته وزوجها سعيد بن زيد، ومقرئهما خباب بن الارت[4] وذكر الأمرين بعد أهل الحديث - أصحاب الاخبار والسير[5].

وللرواية الثانية - في الصحيح - ما يقوي أمرها جدا، وذلك - اذ يقول سعيد ابن زيد - رضي الله عنهما:

«لقد رأيتني، وان عمر لموثقي على الاسلام قبل أن يسلم» «وأخرى - في نفس المقام: «رأيتني موثقي عمر على الاسلام أنا وأخته»[6].

وضعف الرواية الاولى مرجعه (انقطاع) لا (رضع). وعندي - في هذا المقام - أنه ينبغي النظر الى الرواية الاولى باعتبار خاص، لا أقحمه على أهل الحديث اذ أن

(١) صحيح الترمذي ١٤٣/١٣ (حديث حسن صحيح).

(٢) ابن حجر - فتح الباري بشرح صحيح البخاري (خبر عبد الله بن عمر يروي عن اسلام أبيه وهو صبي) ١٣٥/٧.

(٣) مسند أحمد ٢٠١/١.

(٤) راجع للامام الحافظ علي بن عمر الدارقطني - سنن الدارقطني ١٢٣/١ شركة الطباعة الفنية المتحدة بالدراسة ١٣٨٦ هـ.

(٥) ابن هشام - السيرة النبوية ٢٦٥/٣، ٢٦٩.

(٦) صحيح البخاري ٦٠/٥ - ابن حجر - فتح الباري ١٣٤/٧.

عملهم العلمي ينظر في السند باحكام خاصة، جزاهم الله بها خيرا. انما أنظر الى هذه الرواية في ضوء مسؤولية عمر (سفير) قريش في الجاهلية، وكانت السفارة تقتضيه أمرين: النظر في أمر قريش داخليا لاستبقاء وحدتها دائما، وعلاج خصوماتها - اذا خاصمت - خارجياً [١].

فاذا كانت قريش قد رأت أمر محمد ﷺ مهددا لكيانها مسفها أحلامها، وثارت لذلك، أيكون عمر بعيدا عن الاحداث التي تراها قريش من صميم وظيفته؟؟ اللهم لا، فأن يتعقب عمر رسول الله ﷺ ليلمس، عن قرب، أمره، ويتعقب مسلمي بيته لامر طبعي ان لم يحدث بعث على الدهشة وأثار العجب.

وأسلم عمر:

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه:

« ان اسلام عمر كان فتحا، وان هجرته كانت نصرا، وان امارته كانت رحمة، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه » [٢].

وباسلام عمر استقبل من عطاء الاسلام، فبقدر ما أعطي عمر الاسلام والمسلمين أخذ بالاسلام أضعافاً مضاعفة الى ما لا ينتهي من خيرات الله. وان أقرب طريق يهدينا الى عطاء الاسلام لعمر أن نصل الى « قاعدة مساواة » ننطلق بعدها الى رصد (زيادة) تكون بسبب الاسلام فتكون منه عطاء.

واذا بحثنا عن قاعدة مساواة نرتضيها فلننظر - الى ما تقدم - من دعاء رسول الله ﷺ، وهو دعاء نجد فيه عمر وأبا جهل فرسي رهان يجعل من كل منهما ندا للآخر، ثم اسلم عمر، ففاق أبا جهل، فكل فوق لعمر على أبي جهل هو من عطاء الاسلام.

---

(١) راجع للامام ابي زكريا يحيى الدين بن شرف النووي - تهذيب الاسماء واللغات ٣/٢ من القسم الاول، والبحث ١٩.

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية ٢٦٤/٣.

ان اسلام عمر سلك به دربا، وصعد به أفقا لم يكن لابي جهل، ولا لمن فاق أبا جهل، في الجاهلية من أمثال: قس بن ساعدة، أو أمية بن أبي الصلت، وكلاهما من أعلام العرب الجاهليين، لكن عمر صار حنيفا مسلما، فزاد بالاسلام.

ويتمثل عطاء الاسلام لعمر في:

١ - العقيدة التي خلفت عقيدته الاولى، وقضت - في نفسه - عليها: فانهارت أركان الايمان بالوثنية، فلا زلفى لوثن، ولا بنات لله، ولا صهر بين الجن والله، ولا كهانة تحدد للمجتمع مساره، وتقذف به في تيه التشاؤم والطيرة ولا عدم بعد الموت.

انتهى ذلك كله وخلفته عقيدة الايمان بالله وحده مصفاة من الشرك، والولد والكهانة والعدم بعد الحياة الدنيا، ليحل الايمان بآخرة ينتهي اليها عمل الانسان في تقويم مجزي عليه.

انتهى عبث الجاهلية في حياة بلا بعث ولا مسؤولية أمام الديان.

وخلفتها عقيدة الايمان باليوم الآخر ومسؤولية الجزاء.

وانتهى فراغ العدم - في عمر - لينصهر بكليته في هذا الدين، فيكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما، ويعبد الله - وحده - في احسان كأنما يراه.

وهذا التحول في العقيدة كان له أثره على الخلق فالسلوك: ذلك ان عمر - في الجاهلية - يعتبر في نظر مجتمعه الجاهلي على مستوى خلقي رفيع، لأن هذا الخلق هو ما ترتضيه تلك الجاهلية ليبرز طابع «عظمتها» هي... تلك العظمة التي تتمثل فيها تقاليد الجاهلية وقوميتها، وسواء كانت تلك التقاليد مما أهدره الاسلام أم كانت مما استبقاه.

وهذا الخلق الذي يمثل تلك العظمة - هو في الواقع - مسؤول امام هذه (القومية) بتقاليدها ضرورة ما يكون في المجتمع من عقد اجتماعي - وبمعنى آخر:

ان عمر يستمد عظمته من البقاء على هذه القومية والعمل على ثباتها، اذ أنه بقدر ما يخرج على تقاليد تلك القومية بقدر ما تنهار عظمته لديها، وهذا ما أعنيه بمسؤوليته

أمامها ولذلك ضرب عمر كأي من ضرب عندما أعلن اسلامه [١]. ففقد من مكانته عندها.

وجاءت عقيدة الاسلام فاستأصلت من عمر خلقا، واستعلت بآخر وغرست ثالثا. وهكذا أطاحت بما ليس من الاسلام، واستعلت بما يتفق معه، وغرست ماجد بالاسلام وتدفق ذلك ـ كله ـ سلوكا في الحياة.

وكان سلوكا له مسار مختلف لا يعمل في حدود القبيلة والعشيرة، بل يعمل للانسانية نصب مسؤولية مباشرة أمام الله.

وكالتمثيل الغذائي تمثل عمر العقيدة مع طواعية لها ـ في نفسه ـ فعاش على صراطها لا يميل ولا يزيغ.

* * *

وأعطت العقيدة عمر كتاب الله، فأخذ القرآن في بكورة التنزيل، وذلك ما سنعرض له [٢]، فقرأه عمر ـ رضي الله عنه ـ وتنقل القرآن به من تشريع الى آداب ومن تاريخ الى حكمة، في عطاء مسترسل كريم، مع قدرة معجزة على بسط السكون كله: منظوره وخافيه ـ أمام عمر في أفق غير محدود.

ونال عمر ـ رضي الله عنه ـ بالتئامه مع العقيدة ـ تلمذة نادرة على يدي رسول الله ﷺ فوعاها علما وعملا، وحوادث بأسبابها وتاريخها ـ كانت ـ ايضا ـ لها ثقافة ليست بذات نظير في ذلك الحين، نلم بها في علم عمر ومصادره [٣].



(١) ابن الاثير ـ اسد الغابة ١٤٩/٤.

(٢) البحث ص ٩٠.

(٣) البحث ص ٨٦.

ونتيجة ـ لهذا العطاء ـ برز عطاء آخر يتمثل في امامة عمر: فعمر واحد من أئمة هذا الدين، ويظل ـ فيه اماما ـ حتى يرث الله الارض وما عليها.

وامامته ناشئة عن فقهه، وهو عطاء مباشر لدراسته الاسلامية.

ولننظر ـ هنا ـ الى عمر الحاكم، فنراه وسع (رعيته) عدلا وأمنا، وصار واحدا من نوادر الرجال الذين لم يردوا على عالمنا بعد الخلفاء الراشدين، وصدقت فيه كلمة علي بن أبي طالب ـ وهو يؤبنه:

« رحمة الله على أبي حفص ورضوانه، تالله لقد أكد من بعده وأتعب من تلاه، والله ما أحد من خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ أحب الي من أن القى الله بصحيفته من هذا المسجى.. ثم خرج ودموعه تتحادر »[1].

وما هو الا قليل حتى تحققت كلمة علي ـ كرم الله وجهه: « أكد من بعده وأتعب من تلاه » فاذا بعبد الملك بن مروان يصدر أمره بمنع ذكر عمر.. « ..فانه ازراء على الولاة مفسدة للرعية »[2].

واذا انتهى عمر (الحاكم) فانه عمر (الامام) لم ينته، فنفعه قائم باق الى يوم الدين.

وحسبنا ـ تقويما ـ لهذا العطاء قول رسول الله ﷺ: « من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا »[3].

وعمر امام هدى فتحت على يديه بلاد، لا تزال تسبح باسم الله.

★ ★ ★

ونذكر في النهاية من هذا العطاء الذي لا يعلمه الا الله، بشرى من رسول الله ﷺ

---

(١) الخوارزمي ـ جامع مسانيد الامام الاعظم ٢٠٥/١.

(٢) ابو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ـ مجالس ثعلب ـ ٣٩٣/٢ و ٣٩٤.

(٣) صحيح مسلم ٦٢/٨.

لعمر بالجنة[1]، وهو لا زال بين ظهراني الدنيا، فالتقى بالرفيق الأعلى بمشيئة الله - من الآمنين.

* * *

من الاسلام الى الخلافة:

أسلم عمر - رضي الله عنه - وليس يتجاوز عدد المسلمين - حين أسلم، في أقصى تقدير - خمسة وأربعين رجلا بعمر، وثلاثا وعشرين امرأة[2]، وظل - من يوم اسلامه - للنبي ﷺ أخادين وجهاد، يقول - علي كرم الله وجهه: حسبت أني كنت كثيرا أسمع النبي ﷺ يقول:

« ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر »[3].

ونختار من بين الحوادث التي عاشها عمر بعضا منها نذكره لاهميته البالغة:

١ - الهجرة:

كان عمر من مهاجري المدينة فلم يهاجر الهجرتين، لكنه صلى الى القبلتين ويبدو أنه كان من آخر المهاجرين حفظا منه للمسلمين، ففي رواية عن البراء بن عازب تحكي أن عمر سأل - عند مقدمة المدينة مهاجرا: « ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: هو على اثري »[4].

روى الامام البخاري عن البراء بن عازب - حديثه عن مهاجري المدينة، قال: « ... أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس، فقدم

---

(١) راجع ابن حجر - فتح الباري ٥٤/٧.

(٢) النووي - تهذيب الاسماء واللغات - القسم الاول ٣/٢، ٤.

(٣) صحيح البخاري ١٤/٥.

(٤) النووي - تهذيب الاسماء واللغات - القسم الاول ٥/٢

بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب - في عشرين من أصحاب النبي ﷺ ثم قدم النبي ﷺ[1] ...».

قال ابن حجر - في اسماء هؤلاء العشرين من أصحاب النبي ﷺ:

«... في رواية عبد الله بن رجاء «في عشرين راكبا» وقد سمي ابن اسحاق منهم: زيد بن الخطاب، وسعيد بن زيد بن عمرو، وعمرو بن سراقة، وأخاه: عبد الله، وواقد بن عبد الله، وخالدا، واياسا، وعامرا، وعاقلا بني البكير، وخنيس بن حذافة - بمعجمة ونون ثم سين مصغر - وعياش بن ربيعة، وخولي بن خولي، وأخاه.

هؤلاء كلهم من أقارب عمر وحلفائهم، فنزلوا - جميعا - على رفاعة بن عبد المنذر، يعني بقباء»[2].

ثم انتقل عمر من قباء الى العالية من ضواحي المدينة، وتسمى - العوالي - ايضا، فكان منزله بها في بني أمية بن زيد[3]، ثم انتقل - فيما بعد - الى المدينة وقطن دار الخلافة[4].

وفي المدينة آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي بكر[5] وبينه وبين عتبان بن مالك أخي بني سالم بن عوف الانصاري الخزرجي[6]، وبينه وبين اوس بن خولى[7]، زاد في الطبقات: ... وعويم بن ساعدة ... ثم قال:

---

(١) صحيح البخاري ٨٤/٥.

(٢) ابن حجر - فتح الباري ٢٠٤/٧.
وانظر للامام سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري - مسند أبي داود الطيالسي ص ٩٦.

(٣) صحيح البخاري ٣٣/١.

(٤) آثار أبي يوسف ص ١٤٣.

(٥) ابن هشام - السيرة النبوية ٢٤٤/٤، ولابن سعد - الطبقات الكبرى ٢٧٢/٣.

(٦) ابن حجر - فتح الباري بشرح صحيح الامام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ١٦٧/١.

(٧) راجع لابي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني - ارشاد الساري - شرح صحيح البخاري ١٨٨/١.

قال محمد بن عمر: ويقال: بين عمر ومعاذ بن عفراء [1]. ا هـ.
ومدار التأكيد على الثلاثة الاول ـ رضوان الله عن الجميع.

٢ ـ الاذان:

لم يؤذن المسلمون بمكة قبل الهجرة، فلما أمنوا بالمدينة شغلهم أمر النداء، حتى كان النداء رؤيا لقنها رجل عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجي [2]... قال عبد الله:

لما أصبحنا أتينا رسول الله ﷺ فأخبرته بالرؤيا، فقال: ان هذه الرؤيا حق، فقم مع بلال، فانه أندى، وأمد صوتا منك، فالق عليه ما قيل لك، وليناد بذلك.

قال: فلما سمع عمر بن الخطاب نداء بلال بالصلاة خرج الى رسول الله ﷺ وهو يجر ازاره ـ وهو يقول: يارسول الله، والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي قال، فقال رسول الله ﷺ فلله الحمد، فذلك أثبت [3]...».

جمع القرآن:

لقي رسول الله ﷺ الرفيق الاعلى، والقرآن الكريم: مخطوط في العسب واللخاف والكرانيف والرقاع والاقتاب وقطع الادم والاكتاف.

محفوظ في الصدور.

ذلك أن رسول الله ﷺ كان يتلقى الوحي، فتنزل الآية فيأمر كاتبا بكتابتها، وكذلك الآيات، أو السور القصار التي نزلت جملة، فتكتب وقد بين رسول الله ﷺ مكان الآية من سابقتها ولاحقتها.

والمادة المخطوطة بهذه الانواع ـ التي ذكرت ـ هي السجل الاول للقرآن الكريم مباشرة، وكان الكاتب يكتب لرسول الله ﷺ ويوضع المكتوب ببيته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولا يمنع مانع أن يدون الكاتب لنفسه نسخة.

---

(١) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ٢٧٢/٣.
(٢) راجع لابن هشام ـ السيرة النبوية ٢٩٩/٤.
(٣) صحيح الترمذي ٣٠٥/١ و٣٠٦.



كذلك لم يكن ما يمنع أن يكتب آخرون لانفسهم ليحفظوا من غير كتبة الوحي وهذا السجل الاول حصيلة ثلاثة وعشرين عاما هي عمر نزول القرآن الكريم، وهو بحكم امكاناته لا يعطينا القرآن جملة الا مجتمعا جملة، واذا جمع جملة لا يعطينا القرآن مرتب السور في الشكل الذي انتهت اليه (العرضة الاخيرة) لجبريل - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وكانت في رمضان الاخير من حياته، ﷺ [1].

وينبغي ألا تفوتنا مكانة «الحفظ» في ذلك الحين، اذ هو تلق مباشر عن رسول الله ﷺ وهذا الحفظ هو (المعتمد) الاول لترتيل الكتاب العزيز على أسلم وجه - والحافظ بهذا التلقي - هو القارىء المجيد للمادة المكتوبة.

واذا فاهتمامنا بالمادة المكتوبة ورعايتها لا يقل - بحال - عن اهتمامنا بالذخيرة الحية المرتلة للقرآن، فكما ينبغي المحافظة على الاولى يجب موالاة التنمية في الثانية.

وقد تولى أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - الحكم، والمجتمع الاسلامي عامر بالناحيتين.

حتى اذا انفجرت الردة وجاهدها الصديق - رضي الله عنه - توالي مصرع القراء ولم يكن القضاء على الردة يعني ايقاف الجهاد، فقد انبسط كف الدولة في الفتح وانطلقت جيوش الصديق الى العراق والى الشام، وهالت مصارع القراء عمر، فحض أبا بكر على جمع القرآن، وأشرف على جمعه زيد بن ثابت - رضي الله عنه - يساعده عمر [2] - قال زيد: «... أرسل الى أبو بكر - مقتل أهل اليمامة - وعنده عمر، فقال أبو بكر: ان عمر أتاني فقال: ان القتل قد استحر - يوم اليمامة - بالناس واني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن الا أن تجمعوه واني لأرى أن نجمع القرآن.

---

(١) راجع للشيخ عبد الفتاح القاضي - تاريخ المصحف الشريف ص ٤١ - ٥٨.

(٢) ابن كثير - فضائل القرآن ص ٩.

قال أبو بكر: قلت لعمر: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ فقال عمر: هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأي عمر.

قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر:

انك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه.

فو الله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبي ﷺ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أرجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والاكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الانصاري لم أجدهما مع أحد غيره «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم الى آخرهما.

وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند ابي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر...[1]».

وهكذا انتقلت كتابة المصحف من مئات الرقاع المختلفات الى الصحف، وكانت جميعا من الورق على الاصح[2]، وكانت تلك الخطوة الثانية التي مهدت لصدور المصحف الامام في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان فصدر مطابقا للعرضة الاخيرة مرتب الآيات مرتب السور، اذ كان جمع ابي بكر صورة لاصل الرقاع حفظ المادة المكتوبة بصورة نزولها. وكان عمر من المشرفين على الجمع عن أمر من الصديق له، حدث بذلك يحي بن عبد الرحمن بن حاطب[3].

---

(١) صحيح البخاري ٨٩/٦، وراجع ـ بنفس المصدر ٩٢/٩.

(٢) راجع لابن حجر ـ فتح الباري ١٣/٩ ـ والمسألة كلها بنفس المصدر ١٣/٩.

(٣) الحافظ اسماعيل بن كثير القرشي ـ فضائل القرآن ص ٩.

خلافة عمر :

اشتد المرض بأبي بكر وثقل ، يوما بعد يوم ، فعهد - بالحكم - الى عمر ، وأوصاه ، وكتب العهد عثمان ، وتلى على الناس [1] ، ثم أشرف أبو بكر عليهم ، فقال :

« أترضون بمن استخلف عليكم ، فاني - والله - ما ألوت من جهد الرأي ولا وليت ذا قرابة ، واني قد استخلفت عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا .

فقالوا : سمعنا وأطعنا [2] » .

ودعا أبو بكر له ولرعيته :

اللهم أني لم أرد بذلك الا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملت - فيهم - بما أنت أعلم به ، واجتهدت لهم رأيا ، فوليت عليهم خيرهم ، وأقواهم عليهم ، وأحرصهم على ما أرشدهم ، وقد حضرني من أمرك ما حضر ، فاخلفني فيهم فهم عبادك ، ونواصيهم بيدك ، أصلح اللهم ولا تهم ، واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته [3] .

وتوفي أبو بكر - رضي الله عنه - عشاء ، بعد ما غابت شمس يوم الاثنين لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، وصلى عليه عمر بمسجد رسول الله ﷺ ودفن من نفس الليلة ، ليلة الثلاثاء ، ودخل قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن ابن أبي بكر [4] . والخليفة - حينئذ - عمر .

★ ★ ★

---

(١) راجع مسند أحمد ٢٦٧/١ - تاريخ الطبري ٤١٩/٣ ، ٤٢٨ - ولابي حاتم السجستاني - المعمرون والوصايا ص ١٤٨ - ولابن الاثير - اسد الغابة ١٦٨/٤ - ولابن قتيبة - الامامة والسياسة ص ١٩ - ولاسامة بن منقذ - لباب الآداب ص ٢١ .

(٢) تاريخ الطبري ٤٢٨/٣ .

(٣) السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٤) تاريخ الطبري ٤٢٢/٣ .

جهاز الحكم:

تولى عمر الحكم، وقد دانت الجزيرة ـ جميعا ـ بالطاعة، فاتجه عمر الى اخراج أهل الكتاب منها لما ثبت من قوله ﷺ: لا يجتمع دينان في جزيرة العرب[1].

فأما النصارى فكانوا جالية كبيرة بنجران، فاتجه إليهم يعلي بن أمية بأمر عمر ـ رضي الله عنهما ـ فأجلاهم ـ بسلام ـ على أن ينزلوا ما شاؤوا من غير أرض الجزيرة المنهي عنها، فاتخذوا قرية بالكوفة سميت بالنجرانية[2]، وأما اليهود، فقد تكررت اساءتهم، وبخاصة في خيبر، فأجلاهم عمر، كما أجلى يهود فدك، وغيرهما[3] ودانت الجزيرة بالاسلام.

ولم تكن لعمر جيوش تحارب بجنوب الجزيرة، وانما كانت جيوش المسلمين في الشمال من الجزيرة: في العراق وشرق البحر المتوسط وجنوبه تحوز نصرا بعد نصر يوسع من أرض الدولة، ويضع أمام عمر التزامات جديدة، وشؤونا تتسع يوما بعد يوم من: أرض مفتوحة، الى غنائم من الاموال السائلة، فبشر جديد صار من رعية عمر، فكانت رعية عمر تجمع الى المسلم الكتابي يهوديا أو نصرانيا، فالمجوسي، ووسع عدل الاسلام، على يد عمر، هذه الالوان من البشر واتسع صدره لتحقيق العدالة للجميع، ونجد لذلك وقائع محفوظة[4].

نضيف ـ الى ذلك ـ أن هذا الاتساع لم ينته زمن عمر مما يخفف الامر، ويحدد مجال العمل، بل كان عليه أن يواجه بين وقت وآخر بلدا مفتوحا ورعية أخرى وهذا أمر

---

(١) موطأ مالك ٨٨/٣. وبنفس الصفحة أكثر من رواية.

(٢) ابو عبيد القاسم بن سلام الهروي ـ الاموال ص ٢٤٥ ـ تاريخ الطبري ٤٤٦/٣.

(٣) صحيح البخاري ١٤١/٣ و٢٥٢ ـ ١٢٠/٤ ـ سنن أبي داود ١٤١/٢ مسند أحمد ١٩٣/١ ـ موطأ مالك ٨٨/٣.

(٤) راجع ليحيى بن آدم القرشي ـ كتاب الخراج ص ٦٤ (الشيخ النصراني). عبد الرحمن بن خلدون المغربي ـ بقية الجزء الثاني من تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر... الخ) ص ١٠٨ (نصاري إياد) موطأ مالك ٧/٢ (طلب العلج).

من شأنه مضاعفة الجهد لمواجهة التزامات الحكم الاسلامي في هذه الميادين ومن شأن ذلك كله أن يكون لعمر جهاز حكم يبسط نفوذا قويا في هذه البقاع، ويجمع الى القوة الامانة والعدل، وتمثل هذا الجهاز في:

١ - عمال عمر:

وهم من قامت بهم شؤون البلاد وسارت بهم عجلة الحكم، وقليل منهم من ليس صحابيا مثل أبي عبيد بن مسعود الثقفي[1]. ويعتبر الصحابة من أسباب توفيق عمر، فهؤلاء عدول هذه الامة وخير قرونها.

وغالبا ما كان برأس القبيلة صحابي منها، إن كان منها صحابي، ويكون - قائدها في الحرب[2].

وبعض عمال عمر - في بلاد الفتوح - نفس القواد العسكريين الذين فتحوها، فهم عليها ما لم يحدث عزل أو موت أو استعفاء يقبله عمر، فكان أبو عبيدة بن الجراح على الشام[3]، وسعد بن أبي وقاص على الكوفة[4]، وعمرو بن العاص على مصر[5]، وشرحبيل بن حسنة على الأردن[6]، ومعاوية بن أبي سفيان على قيسارية[7]... الخ - رضي الله عنهم.

فان قام الأمير العامل بالقضاء، كما كان أبو موسى الأشعري ومعاوية - رضي الله

---

(١) تاريخ الطبري ٤٤١/٣ - ٤٤٦.
(٢) نفس المرجع ٣/ ٤٦٠ - والجاحظ - البيان والتبيين ١٠٨/٣.
(٣) تاريخ الطبري ٤٧٩/٣.
(٤) نفس المرجع ٣٩/٤.
(٥) راجع لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم - فتوح مصر وأخبارها ص ٩١.
(٦) تاريخ الطبري ٦٠٥/٣.
(٧) نفس المرجع ٦٠٤/٣.

عنهما ـ [1] وإلا عين عمر القاضي كما عين شريحا بن عامر السعدي [2]، وكانوا مع ذلك يطارحون عمر فيما أشكل من قضاء [3].

وقد يرسل ـ عمر إلى المنطقة بالفقيه يعلم الناس، كما بعث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ إلى البصرة لحاجة أهلها إلى فقيه [4].

وكان عامل عمر ـ يستطيع ـ إذا اقتضى الأمر ـ أن ينيب عنه دون الرجوع إلى عمر [5]، وقد يعين الأمير العامل ـ بدوره ـ عمالا في إمارته، وهو مسؤول عنهم أمام عمر [6].

وعمال عمر يمثلون جهازاً متنوع الاختصاص:

فمنهم ـ كما تقدم ـ القائد والحاكم.

ومنهم القاضي ـ مثل سلمان بن ربيعة الباهلي ـ رضي الله عنه ـ على الكوفة، وقيس ابن أبي العاص السهمي ـ رضي الله عنه ـ على مصر، وكعب بن سور بن بكر الازدي ـ رضي الله عنه ـ على البصرة [7].

ومنهم صاحب بيت المال: كمعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي ـ رضي الله عنه ـ على بيت مال المدينة، وعبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ على بيت مال الكوفة [8].

---

(١) ابو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ـ اعلام الموقعين عن رب العالمين ٨٥/١ ط ١ مطبعة السعادة ـ ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٨٤/١، ٨٦.

(٢) سنن الدارمي ٥٥/١.

(٣) موطأ مالك ٨٠/٢ (حبلك على غاربك)

(٤) ابن الاثير ـ اسد الغابة ٢٨١/٤.

(٥) صحيح مسلم ٢٠١/٢ ـ ابن الاثير ـ اسد الغابة ٤٢٣/٣.

(٦) ابو العباس محمد بن يزيد (المبرد) الكامل في اللغة والادب ٨٩/١.

(٧) ابن الاثير ـ اسد الغابة ٤١٥/٢ ـ ٤٣٢/٤ ـ ٤٧٩.

(٨) نفس المرجع ٢٤١/٥.

ومنهم المساح، القائم على مساحة الارض كعثمان بن حنيف - رضي الله عنه - [1] بالعراق والخارص، والعاشر والساعي [2] والبريد.

ونلاحظ أن بعض هذه الأعمال ذو طابع (موسمى) وبعضها متواصل ما لم يعزل العامل أو يوجه لعمل آخر، وبعض عمال عمر قام بأكثر من عمل كما تقدم.

وليس ذلك كل جهاز العمل عند عمر، فمن العمال كتبة مثل عبد الله بن الارقم وعبد الله بن خلف الخزاعي - رضي الله عنهما.

وتفيد بعض الأخبار أن نافع بن ظريب بن عمرو بن نوفل القرشي - رضي الله عنه - كتب المصاحب لعمر، وعن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - في اسناد صحيح - قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لا يملين في مصاحفنا الا غلمان قريش أو غلمان ثقيف [3].

ومن عماله من يؤذن، وكان مؤذن عمر يسمى مسعودا - رضي الله عنه [4]، ومنهم من كان يلي له الخيل، فقد جعل عمر في كل مضر من أمصار المسلمين خيلا كثيرة معدة للجهاد، فكان من ذلك بالكوفة أربعة آلاف فرس، فاذا دهم العدو ثغرا جاهد عليها المسلمون، وتولاها بالكوفة سلمان بن ربيعة الباهلي [5]، وكان عمر يعقب الجيوش كل عام مرة [6].

ومن عماله على الاسواق: عبد الله بن عتبة، والسائب بن يزيد، والشفاء بنت عبد

---

(1) ابو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي البلاذري - فتوح البلدان ص ٢٦٩.

(2) ابن الاثير - اسد الغابة ٨٦/٦ - أبو عبيد القاسم بن سلام - الاموال ص ٦٤٦ - ويحيى بن آدم القرشي - الخراج ص ٦٥ - صحيح البخاري ٢٨٤/٣ - الخوارزمي - جامع مسانيد الامام الاعظم ٤٦٢/١.

(3) ابن الاثير - اسد الغابة ١٧٣/٣، ٢٢٤ - ٣٠٣/٥.

(4) سنن أبي داود ٥١٧/٢.

(5) ابن الاثير - اسد الغابة ٤١٥/٢ و ٤١٦.

(6) سنن أبي داود ١٢٥/٢.

الله بن عبد شمس بن خلف - رضي الله عنهم[1]، وكان (يرفا) عاملا ملازما له[2].

وقد يقتضي الامر عمر أن يرسل بعشرة من الرجال لاداء مهمة واحدة تشتد الحاجة اليها كما أرسل بعشرة لتفقيه أهل البصرة[3]، وأطلق على بعض عماله لفظ (عريف)[4].

واتخذ عمر محمد بن مسلمة - رضي الله عنه - رسولا شخصيا له، وصاحب سره، يسند إليه أمورا يتعقبها في البلدان المختلفة[5].

ثم كان له - بعد ذلك - عيون لا يعلم الا الله عددهم - ولم أعثر في مراجعي - جميعا - على واحد منهم، وربما اندثر بموته سرهم، ولست أعتبر ابن مسلمة - رضي الله عنه - رغم أنه صاحب سره - واحدا منهم اذا كان ابن مسلمة معروفا للجميع.

وفي هذا النص المنسوب للجاحظ تصوير تام لحذر العامل ومدى اجتهاده فيما يعمل، قال: «ان الامم كلها: أولها وآخرها وقديمها وحديثها لم تخف أحدا من ملوكها خوفها أرد شير بن بابك من ملوك العجم ومن كان قبلهم، وعمر بن الخطاب من خلفاء الاسلام، فان عمر كان علمه بمن نأى عنه من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه في مهاد واحد، وعلى وساد واحد، فلم يكن له في قطر من الاقطار ولا ناحية من النواحي عامل ولا أمير جيش الا وعليه له عين لا يفارقه ما وجده، فكانت ألفاظ من بالمشرق والمغرب عنده في كل ممسي ومصبح، وأنت ترى ذلك في كتبه الى عماله وعمالهم حتى كان العامل منهم ليتهم أقرب الخلق اليه وأخصهم به»[6].

كان عمر يختار عماله من المسلمين، وانتهر - لذلك - أبا موسى الاشعري لاتخاذه

---

(١) مسند الشافعي ص ٧٢ - وانظر لابن حزم الاندلسي - جمهرة انساب العرب ص ١٥٠.

(٢) راجع صحيح مسلم ١٥١/٥.

(٣) ابن الاثير - اسد الغابة ٣٩٩/٣.

(٤) موطأ مالك ٢١٢/٢.

(٥) ابن الاثير - اسد الغابة ١١٢/٥.

(٦) الجاحظ - التاج ص ١٦٨ و ١٦٩.

كاتبا نصرانيا . وقرأ الآية : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليـاء [١] .
ا هـ . ورد في ذلك قوله ﷺ « انا لا نستعين بمشرك » وقال عمر ـ لأسبق مولاه : انك ان اسلمت استعنت بك [٢] . ثم زاد على ذلك من واقع مرارة التجربة ألا يكون من المرتدين ،فمن ارتد ثم أسلم له ما للمسلمين الا انه لا يشارك في قيادة [٣] . واذا وقع اختيار عمر على عامل كان له ـ ابتداء ـ أن يعمل أو يعمل [٤] . وفي بعض الاحوال يقبل عمر نوع العمل الذي يريده العامل ما دام أهلا له [٥] . فاذا قبل الرجل العمل كان عليه أن يقبل شروطه ، وفي مقدمتها :

أ ـ تسجيل ما يملك كله الى يوم توليه العمل [٦] .

ب ـ وألا يكون مترفا في عيشه ومظهره أو متخذا لنفسه حجابا من دون الناس [٧] .

جـ ـ وأن يعود المريض ويشهد الجنازة ما أمكن [٨] .

د ـ وأن يعلم الرعية دينها ويقيم شعائره ، ولا يذلها بأمر أو تكليف ليس لهابه طاقة [٩] .

وينبغي أن نلاحظ أن شروط العامل الامير غير الشروط فيما سوى الامارة ـ ضرورة تنوع التخصص واختلاف المسؤولية .

وعامل عمر يحظى بأجر يرضاه ، ويرفض عمر تنازل العامل عنه ، استمدادا من

---

(١) راجع الحادث بتفسير ابن كثير ٦٨/٢ .

(٢) الشريف العلامة المحدث السيد ابراهيم ابن السيد محمد ابن السيد كمال الدين الشهير بابن حمزة الحسيني ـ البيان والتعريف في اسباب ورود الحديث الشريف ٢٥١/١ ولابي عبيد القاسم بن سلام ـ الاموال ص ٤٣ .

(٣) ابن الاثير ـ اسد الغابة ٩٥/٣ .

(٤) راجع رفض كعب بن ضنة القضاء بمصر لابن الاثير ـ اسد الغابة ٤٩٠/٤ .

(٥) تاريخ الطبري ١١٤/٤ .

(٦) طبقات ابن سعد ٣٠٧/٣ ـ البلاذري ـ فتوح البلدان ٢٢١ .

(٧) تاريخ الطبري ٢٠٧/٤ و ٢٠٨ ـ السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ١٢٨ .

(٨) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢٩٣/٢ .

(٩) مسند أحمد ٢٧٩/١ .

تجربة شخصية له مع رسول الله ﷺ تحدث بها عمر عندما امتنع عامله: عبد الله بن السعدي - رضي الله عنه - عن أخذ عمالته، فقال عمر: « لا تفعل فاني كنت أردت الذي أردت، فكان النبي ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه أفقر اليه مني حتى أعطاني مرة فقلت: أعطه أفقر اليه مني قال: فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - خذه فتموله، وتصدق به، فما جاءك من هذا المال - وأنت غير مشرف، لا سائل، فخذه، ومالا فلا تتبعه نفسك... »[1].

وللعامل علاج اذا مرض، فقد عالج عمر معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي من جذام أو برص حتى توقف[2].

ويسوءه أن يؤذي عامله ويغضب لذلك[3]، كما غضب رسول الله ﷺ اذ أوذي خالد بن الوليد، في موقف مماثل[4]، وقد كان عمر على علم بحق العامل وواجبه فقد سبق له العمل لرسول الله ﷺ في الزكاة، وللصديق في القضاء[5].

ثم يحدث ما يعرض العامل للعزل، وليس في مراجعي معزول لخيانة، فان عمر عمل له صفوة الامة، فاذا عزل فانما عزل:

أ - لاقدام العامل على أمر خطير دون استئذانه، وقد اطاح هذا العمل بالعلاء بن الحضرمي - رضي الله عنه - اذ أقدم على غزو فارس من البحر دون اذنه[6].

ب - ولتعرض العامل مع رعيته او جزء منها لما يحرجه، وقد عزل - في هذه - الوليد ابن عقبة، فقد أبى من بني تغلب النصاري الا الاسلام، وكان فيهم عز وامتناع

---

(١) مسند أحمد ١٩٧/١.

(٢) ابن حجر - الاصابة ٤٣٠/٣.

(٣) السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ١٢٧.

(٤) صحيح مسلم ١٤٩/٥ - وراجع للامام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم الدين عبد الوهاب بن أبي الفرج الشيرازي - اقبسة النبي المصطفى محمد ﷺ ص ١٩٤.

(٥) صحيح مسلم ٦٨/٣ - سنن أبي داود ٣٧٦/١ - تاريخ الطبري ٤٢٦/٣.

(٦) تاريخ الطبري ٨١/٤.

فلا زالوا ينازعونه فتهددهم وبلغ تهديده عمر، فخاف عليه أن يحرجوه فيضعف صبره فيسطو عليهم فعزله وأمر عليهم غيره [١].

جـ ـ وعزل لوجـود عامل أقوى من آخر [٢].

د ـ وعزل ـ في اتهام حتى يتبين ما يسفر عنه التحقيق، وعزل في هذه المغيرة ابن شعبة ـ رضي الله عنه ـ وكان اتهم بالزنا ـ ثم برئت ساحته فاستعمله عمر بعد [٣].

هـ ـ وعزل لرغبة الجماعة عزل أميرها دون عجز أو خيانة، وأصابت هذه سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه [٤].

و ـ وعزل في العطاء للشعراء لغير الرغبة في اسكات ألسنتهم، وأفلت من هذه أبو موسى الاشعري ـ رضي الله عنه [٥]. فقد أعطى إسكاتا لشاعر.

ز ـ وأعفي بعض العمال استجابة لرغبتهم، كما حدث لزياد بن حنظلة، والنعمان بن مقرن ـ رضي الله عنهما ـ ولم تكن تلك قاعدة مطردة، فقد يتمسك بالرجل ولا يعفيه [٦]

وينبغي حين ندرس (العزل) عند عمر أن نلاحظ أن البعض استعمل اللفظ في غير ما يتبادر منه، فقد يصرف عمر العامل الى جهة لامر ما فيطلق البعض على ذلك عزلا وليس به، بل ليس في الامر عجز ولا خيانة ولا مجرد خطأ [٧]، انما هو نقل اقتضته

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٥٥/٤ و٥٦.

(٢) تاريخ الطبري ٦٤/٤، ٦٥ (عزل شرحبيل بن حسنة ـ رضي الله عنه).

(٣) نفس المرجع ٧١/٤ و١٤٤.

(٤) نفس المرجع ١٢/٤ و١٢٠ و١٢١.

(٥) الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ابن العديم) زبدة الحلب من تاريخ حلب ٣٣/١ وأبو الفرج الاصفهاني ـ الاغاني ١٧٦/٢.

(٦) تاريخ الطبري ١٣٨/٤ ـ أبو يوسف ـ الخراج ـ ص ٣٤ ـ ابن خلدون بقية الجزء الثاني ص ١١٠.

(٧) نفس المرجع ٩٥/٤ و١٣٨ (في أبي موسى الاشعري) ١٢٧/٤، ١٣٨، ١٤٠، ١٦١ (في عبد الله ابن عبد الله بن عتبان ـ رضي الله عنه).

المصلحة.

ولم أقف - في حدود مراجعي - على عزل في غير ما قدمت - كذلك نسجل أمرا له أهميته، وهو أن عمر لم يكن يعزل في كل ما يراه خطأ، فقد يعاقب، أو يلفت النظر دون عزل[1].

وكان «... يأخذ عماله بموافاة الموسم - في كل سنة - يحجز عليهم بذلك الظلم، ويحجزهم عنه [2]..».

★ ★ ★

٢ - الادارة المالية:

وتتكون من:

أ - **بيت المال:** الذي اتسعت موارده في عهد عمر، فكانت تمده الزكاة بأنواعها، والجزية، والعشور، وخراج الارض وكان للارض قائمون بأمر مساحتها ثم الغنائم التي كانت ترد اليه من وقت لآخر وتطور أمره عما كان عليه في عهد أبي بكر[3].

فكان لبيت المال - في عهد عمر - فروعه خارج المدينة [4].

وعلى بيت المال تمويل مشاريع الدولة - ومنشآتها وامداد التعمير الواجب عليها، فقد كان لعمر كتاب خاص بانشاء الطرق، أمر فيه بالمناهج أن تكون

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٤/٤٧ - البلاذري - فتوح البلدان ص ٢٢١.

(٢) تاريخ الطبري ٤/١٥٥.

(٣) راجع بيت المال في عهد ابي بكر الصديق وقد وليه له عمر وأبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - للعلامة الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الحسني الادريسي الكتاني الفارسي - نظام الحكومة النبوية - التراتيب الادارية ١/٢٢٥ و ٢٢٦.

(٤) تاريخ الطبري ٤/٤٦.

أربعين ذراعا، وما يليها ثلاثين والازقة سبع أذرع [١]، ثم كان لعمر دار قضاء [٢]، واشترى دار صفوان بن أمية فجعلها سجنا [٣]، وأقام عمارة بالحرم المكي [٤]، الى غير ذلك مما تقتضيه مصالح الدولة، وفي مقدمة ذلك عطاء الجند والعمال والناس [٥].

ب ـ **والديوان** ومسؤوليته ضبط حركة العمل لبيت المال، فهو يدون العطاء، وأسماء المعطون من الناس [٦] والجند على اختلاف مراتبهم [٧] وغير ذلك، واتسع ـ في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ ضرورة اتساع رقعة الدولة فمسؤولياتها.

ومما ينبغي أن نعرفه أن العطاء كان قائما على عهد رسول الله ﷺ [٨] وكان يدون أحيانا [٩]، ودون الصدقات لرسول الله ﷺ الزبير بن العوام، وجهم بن الصلت ـ رضي الله عنهما، ودون له ـ ﷺ خوص النخل حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه [١٠].

---

(١) نفس المرجع ٤٤/٤.
(٢) موطأ مالك ١١٦/٢.
(٣) الكتاني ـ نظام الحكومة النبوية ٢٩٨/١.
(٤) ابن خلدون ـ بقية الجزء الثاني ص ١٠٩.
(٥) راجع في العطاء ـ صحيح مسلم ٢٦/٥ ـ سنن ابي داود ١٢٣/٢ و ١٣٢، ١٤٢، الخوارزمي ـ جامع المسانيد ٢٨٨/٢ و٢٩٧. ابن خلدون ص ١٠١ و١٠٢ و١٠٦. يحي بن آدم القرشي ـ الخراج ص ٥٧. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ١١٩/٢ و ١٢٠. ولابي عبيدة القاسم بن سلام الهروي الاموال ـ الصفحات ٢٨٥ ـ الى ـ ٣٣٥.
(٦) الكتاني ـ نظام الحكومة النبوية ٢٥٥/١.
(٧) راجع ـ في مراتب الجند ـ تاريخ الطبري ٤٨٨/٣.
(٨) الكتاني ـ نظام الحكومة النبوية ٢٢٤/١ و ٢٢٨.
(٩) الكتاني ـ نظام الحكومة النبوية ٢٢٨/١.
(١٠) نفس المرجع ٢٢٨/١.

٣ ـ المجلس الاستشاري:

الرأي الصائب توجيه له مفعوله في جهاز الحكم، وكان كيانا موجودا له عطاء يجدد اسلوب التنفيذ، وينبغي لدراسة الاستشارة هنا أن نلاحظ أن عمر كان قاضيا يفتي ويحكم في أمور افراد ترفع اليه [١]، وهو ـ أي عمر ـ من جهة ذات أولوية بالنسبة لموضوع هذا البحث ـ كان خليفة المسلمين وأميرهم واستشارته ـ فيما يخص الدولة هي موضوع هذا الفصل، اذ هي عطاء يمد بخطبة أو رسالة أو غيرهما مما يتعلق بأدب أمير المؤمنين عمر.

واستشارة الخلافة ـ التي نحن بصددها تعتبر مجلسا في بعض أحوالها ـ والا فلم يكن هناك مجلس استشاري بالمعنى الذي يتبادر الى أفهامنا من الكلمة، فليس ثمة أفراد معينون أو منتخبون، وليس هناك أجر لمشير ـ انما الامر ـ بدقة ـ (أمانة) العالم بمصالح الامر الذي هو مناط البحث لعدم وضوح الرؤية فيه عند أمير المؤمنين، فيجب عليه: فردا أو جماعة أن يتحدث به لأمير المؤمنين، قال تعالى: وأمرهم شورى بينهم [٢].

وقال رسول الله ﷺ: الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم» [٣].

فالاشارة بالسديد للسداد واجب الامة نحو اميرها عليها أن تمده به.

ففي شؤون الدولة، قال عمر يوما ـ عن المجوس:

« ... ما أدري: كيف أصنع بهم؟

فقال عبد الرحمن بن عوف:

---

(١) يمكن الرجوع الى استشارة عمر ـ في القضاء الى: موطأ مالك ٣٦٤/١ و ٣٦٥ فيما يصيب المحرم من صيد، وانظر مسند الشافعي ص ١١٤ وصحيح البخاري ١٢٦/٩ املاص المرأة.

(٢) الشورى الآية ٣٧.

(٣) صحيح مسلم ٥٣/١.

أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: سنوا بهم سنة أهل الكتاب... ففرض عليهم الجزية...[1] ».

فالمشير هنا عبد الرحمن بن عوف، وقد تم ذلك - في مجلس.

وعندما حج عمر - في آخر حجة له - نمى اليه أن قائلا قال: لو قد مات عمر لقد بايعت (فلانا) فأفزعه الأمر، وهم أن يخطب في الموسم نفسه، فتقدم اليه عبد الرحمن ابن عوف وأقنعه بتأخير اعلامه الناس بهذا الشأن الى أن ينتهي الى خاصتهم بالمدينة، فأما الموسم فقد يجمع رعاع الناس، ومن لا يحتاط في الابلاغ فيحمل حديثه على غير وجهه فتكون كارثة[2].

وجمع عمر الناس ليستشيرهم في أجره[3].

وعندما رأى أن يحبس الارض التي فتحت بالعراق لتكون للمجاهدين ومن بعدهم واختصموا معه، ولم يقبل بعضهم - وكان من كبار الصحابة - أن ينال من الارض من لم يجاهد في فتحها استشار عمر في ذلك جماعة بعد جماعة[4].

فهو احيانا يجمع ليستشير، وأحيانا يأمر بمتابعة البحث للوصول الى أمر جلي يتخذ قاعدة عمل للمسلمين، كما فعل في صلاة الجنازة اذ أمر بتتبع آخر جنازة صلاها رسول الله ﷺ فوجدت اربع تكبيرات فأثبتها أربع[5].

وربما عرض الامر فلم يظهر وجهه فيقول عمر:

---

(١) موطأ مالك ٢٦٤/١، وانظر في ذلك السيوطي - تنوير الحوالك ٢٦٤/١ ومسند الشافعي ص ٥٨ و ٥٩.

(٢) راجع صحيح البخاري ٢٠٨/٨، ٢١١، ومسند أحمد ٣٢٤/١.

(٣) تاريخ الطبري ٦١٦/٣.

(٤) أبو يوسف - الخراج ص ٢٦، ٢٧.

(٥) آثار الشيباني ص ٤٦.

أذكر الله امرءا سمع من النبي ﷺ شيئا في كذا[1] ويتوج ذلك روعة وجلالا اقدامه علنا - في جماعة - باعلانه عن خطأ أخطأه فيعتذر منه[2].

ولنذكر هنا من خواتيم أعمال عمر اختياره لستة شهد لهم رسول الله - برضا الله عنهم، وبشرهم بالجنة، فقضى أن يكون الامر بينهم في اختيار من يخلفه شورى.

وهكذا سجل عمر للشورى مقاما كريما وأثرا عظيما فقام بها وقامت به، وهداه الله بها قصد السبيل.



أبرز أعمال عمر بعد جمع القرآن الكريم:

ترك عمر للأمة الاسلامية من عصره فالعصور التي تلته معالم بارزة لا زال لها أثرها الى اليوم فمن ذلك، بعد جهده في جمع القرآن العظيم (★).

١ - **تدوين التاريخ**، والمحفوظ أن الامر به عمر بن الخطاب، وقد وقع له كتاب من أبي موسى الاشعري يطلب اليه أن يؤرخ كتبه[3]، وحدث... « ... أن رفع اليه صك محله شعبان، فقال: أي شعبان؟ الذي نحن فيه، أو الذي مضى، أو الذي هو آت؟ ثم قال - لاصحاب النبي ﷺ ضعوا للناس ما يعرفونه من التاريخ[4] » وتداول الجمع الرأي في أمرين:

أ - السنة التي يبدءون منها التاريخ وأشار فيها علي - كرم الله وجهه - بالهجرة.

---

(١) مسند الشافعي ص ١١٤.

(٢) ابن حجر - فتح الباري ١٧٩/١٣.

(٣) راجع لابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق ٣٢/١، ٣٥.

(★) البحث ص ٥٦.

(٤) نفس المرجع ٣٤/١.

ب ـ والشهر الذين يبدءون به العام، وأشار عثمان بالمحرم.

وتم ذلك في ربيع الاول من سنة ست عشرة أو سبع عشرة، من خلافة عمر وبدىء بالمحرم الذي قبل الهجرة مباشرة [1].

٢ ـ فتوحاته الاسلامية:

وقد رفعت الاصر عن ملايين البشر بلا مبالغة فدانت فارس والعراق وشرق البحر الابيض بالاسلام، وامتد الى مصر، ومنها الى النوبة، وأصبح الطريق ممهدا للاسلام ليبسط جناحه على شمال افريقية، مثله في ذلك الطريق الى الهند والى أوربا من آسيا الصغرى وشمال افريقية [2].

٣ ـ علم عمر وأدبه:

فأما أدبه فهو موضوع هذا البحث الذي يتناول كثيرا منه بالتفصيل، كما يعرج على علمه في الفصل التالي توطئة كريمة للنظر في أدبه.

★ ★ ★

رياح الخاتمة:

عاش عمر ـ منذ أسلم ـ يزهد في الدنيا ويتقي فتنتها، ويرغب في الآخرة، ويمارس اسبابها، وصفه ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال: «كان كالطائر الحذر قد علم أنه قد نصب له في كل وجه حبالة، وكان يعمل لكل يوم بما فيه على عنف السباق [3].

ويعطينا معاوية ـ رضي الله عنه ـ صورة لامره، فيقول: «... وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها...» [4].

---

(١) نفس المرجع ١/٣٧ و ٣٩.

(٢) راجع للمحب الطبري ـ الرياض النضرة ٢/٣.

(٣) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٣/٢٦٦.

(٤) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ١٢٠.

عاش عمر يرصد الموت ويدعو ربه أن يرزقه منه خير وجوهه فيقول: « اللهم أني أسألك شهادة في سبيلك ووفاة ببلد رسولك »[1].

فأما الشهادة فقد كان لها اشارة من رسول الله ﷺ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال:

« صعد النبي ﷺ الى أحد، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم، فضربه برجله، قال: اثبت، فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيدان[2].

فلما كانت الخلافة، وآلت اليه الامارة، قام بها على اشتداد وزرها سنوات عشرا تثاقلت فيها الاعباء عاما بعد عام فما ناء بها.

ونجده في السنة الاخيرة ينهي وجوها من قريش، عما اتخذوا من مجالس متعددة لكل منها قبيل، من شأنها أن تسرع بالفرقة وتذهب بالالفة، ثم يدعو ربه فيقول:

« اللهم ملوني ومللتهم، وأحسست من نفسي وأحسوا مني، ولا أدري بأينا الكون، وقد أعلم أن لهم قبيلا منهم، فاقبضني اليك »[3].

ويبدو أن هذا الدعاء كان في سنته الاخيرة يلح عليه، فانه لما حج آخر حجة له، ثم صدر « ... من مني أناخ بالابطح، ثم كوم كومة بطحاء، ثم طرح عليها رداءه، واستلقى ثم مد يديه الى السماء فقال:

اللهم كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني اليك غير مضيع ولا مفرط... قال سعيد بن المسيب: فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل رحمه الله »[4].

---

(١) موطأ مالك ١٩/٢ ـ وانظر صحيح البخاري ١٩/٤.

(٢) صحيح البخاري ١٤/٥ ـ وانظر صحيح الترمزي ١٥٢/١٣.

(٣) تاريخ الطبري ٢١٣/٤ و ٢١٤.

(٤) موطأ مالك ٤٢/٣.

لقد ذكـر ابن المسيب في هذه العبارة واقع التاريخ.

أما القدر فقد بدأ ينعي لعمر ـ من قبل ذلك نفسه:

روى الامام مسلم ـ في صحيحه ـ من خطبة له ـ يوم جمعة أنه قال:

« أني رأيت كأن ديكا نقرني ثلاث نقرات، واني لا أراه الا حضور أجلي »[١].

قال جويرية بن قدامة: « فما عاش تلك الجمعة حتى طعن... »[٢].

ثم كان من دعائه: « اللهم لا تجعل قتلي بيد رجل يصلي لك سجدة واحدة يحاجني بها عندك يوم القيامة... »[٣].

وتوالت الحوادث:

تقدم أبو لؤلؤة فيروز المجوسي يشكو الى عمر سيده المغيرة بن شعبة أنه أثقل عليه، وعمر يعلم أن أبا لؤلؤة حداد نقاش نجار، فقال له: ما خراجك بكثير من جنب ما تعمل... اتق الله وأحسن اليه[٤].

ومن نية عمر أن يلقي المغيرة ليخفف عنه، فانصرف ساخطا يقول: وسع الناس عدله غيري، وأضمر على قتله.

ثم رآه عمر ـ بعد ليال ـ فقال له: « ألم أحدث أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالريح؟ فالتفت اليه عابسا فقال: لاصنعن لك رحى يتحدث الناس بها فأقبل عمر على من معه فقال: توعدني العبد »[٥].

وانطلق أبو لؤلؤة ليصنع دويا الى يوم الدين، فصنع خنجرا مسموما ذا رأسين نصابه في وسطه، ثم مرت ليال عقب وعيده حتى كان فجر الاربعاء[٦] ست وعشرين

---

(١) انظر الخطبة بتمامها في البحث ص ١٩٥ و١٩٦.

(٢) ابن عساكر ـ تاريخ مدينة دمشق ٢٦١/١.

(٣) موطأ مالك ١٧/٢ ـ وراجع لابن حجر ـ المطالب العالية ٤٣/٤ حيث قال عن هذا الخبر: اسناد صحيح.

(٤) كلمة عمر هذه عن روايتين ساقها ابن حجر ـ بفتح الباري ٥٠/٧.

(٥) نفس المصدر ٥٠/٧.

(٦) هذا التحديد بالاربعاء له سند صحيح بمسند أحمد ١٩٢/١.

أو سبع وعشرين من ذي الحجة ـ تبعا لتمامه أو نقصانه، فكمن لعمر في زاوية من زوايا المسجد غلسا. واقبل عمر ـ في ازار أصفر قد رفع منه على صدره ـ فسوى بين الصفوف ثم استقبل فما أن كبر حتى طعنه ثلاث طعنات: في كتفه، وفي خاصرته، وتحت السرة، فخرقت الصفاق، وكانت القاتلة، فقال عمر:

دونكم الكلب فقد قتلني[1].

ورآه ابن ميمون قد وضع ملحفته الصفراء على جرحه وهو يقول: وكان أمر الله قدرا مقدورا[2].

وطار فيروز بالسكين في يده لا يمر بأحد الا ضربه فطعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة، ويدل خبر صحيح على أن حطان التميمي اليربوعي[3] هو الذي ألقى عليه برنسا، فشل حركته، فلما أدرك أنه مأخوذ نحر نفسه.

وكان الامر من السرعة حتى ان الصفوف الاخيرة بالمسجد ونواحيه لم تدر بالحادث فور وقوعه فلا يدرون الا أنهم فقدوا صوت عمر فقالوا: سبحان الله، بينما تناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه للصلاة، ثم غلبه النزف فسقط مغمى عليه[4] فاحتمله رهط الى بيته، وظل مغشيا عليه حتى أسفر، فلما أفاق سأل: أصلى الناس؟ قالوا: نعم[5].

«عن هشام بن عروة عن أبيه أن المسور بن مخرمة أخبره أنه دخل على عمر بن الخطاب من الليلة التي طعن فيها، فأيقظ عمر لصلاة الصبح، فقال عمر: نعم ولاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة، فصلى عمر، وجرحه يثعب دما»[6].

(١) وساق البخاري رواية ابن ميمون الذي شك في اللفظ فقال: فسمعته يقول: قتلني أو أكلني الكلب راجع صحيح البخاري ١٩/٥ ومابعدها.
(٢) طبقات ابن سعد ٣٤٨/٣ ـ وابن حجر ـ فتح الباري ٥٠/٩.
(٣) ابن حجر ـ فتح الباري ٥١/٧.
(٤) راجع صحيح مسلم ٤١/٣.
(٥) راجع ابن حجر ـ فتح الباري ٥١/٧.
(٦) موطأ مالك ٦٢/١.

قال ابن عمر : فتوضأ وصلى الصبح ، فقرأ في الاولى : والعصر ، وفي الثانية قل يأيها الكافرون... وتساند إلي وجرحه يثغب ، اني لا ضع اصبعي الوسطي فما تسد الفتق »[1].

... وحتى أفاق لم يكن يثبت قاتله... قال مبارك بن فضالة :

« فظن عمر أن له ذنبا الى الناس ، فدعا ابن عباس ، وكان يحبه ويدنيه فقال : أحب ان تعلم : عن ملأ من الناس كان هذا ؟ فخرج لا يمر بملأ من الناس الا وهم يبكون فكأنما فقدوا أبكار أولادهم » ، وجال ساعة يسأل : أعن ملأ منكم كان هذا ؟ فيقولون : معاذ الله ، ما علمنا ولا اطلعنا ، فأخبره ، قال ابن عباس : فرأيت البشر في وجهه[2].

ثم سأل عن قاتله ، فقيل له : أبو لِؤلؤة ، قال : الصنع ؟ قيل : نعم ، قال قاتله الله ، لقد امرت به معروفا ، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدعي الاسلام قد نهيتكم أن تجلبوا عليها[3] من علوجهم أحدا فعصيتموني[4].

قال ابن عمر : فقال عمر : أرسلوا الى الطبيب ينظر الى جرحي... فأرسلوا الى طبيب من العرب فسقاه نبيذا فشبه النبيذ بالدم حين خرج من الطعنة التي تحت السرة ، قال : فدعوت طبيبا آخر من الانصار فسقاه لبنا فخرج اللبن من الطعنة أبيض ، فقال : اعهد يا أمير المؤمنين ـ فقال عمر : صدقني ، ولو قال غير ذلك لكذبته.

وفي رواية ابن فضالة : فخرج مشاش اللبن من الجرحين فعرف أنه الموت ، فقال : الآن لو أن لي الدنيا كلها لافتديت به[5] من هول المطلع ، وما ذاك ـ والحمد لله ـ أن أكون رأيت الا خيرا[6].

---

(١) ابن حجر ـ فتح الباري ٥١/٧.

(٢) ابن حجر ـ فتح الباري ٥١/٧.

(٣) كذا ابن حجر ـ فتح الباري ٥١/٧.

(٤) كذا ابن حجر ـ فتح الباري ٥١/٧.

(٥) كذا ابن حجر ـ فتح الباري ٥١/٧.

(٦) كذا ابن حجر ـ فتح الباري ٥٢/١.

قال ابن جويرية: فدخل عليه الصحابة ثم أهل المدينة ثم أهل الشام ثم أهل العراق.
وفي رواية أبي رافع: فقالوا: لا بأس عليك ـ يا أمير المؤمنين ـ فقال: ان يكن القتل بأسا فقد قتلت[1].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما:
«أنا أول من أتى عمر ـ حين طعن ـ فقال:
احفظ عني ثلاثا، فاني أخاف ألا يدركني الناس: أما أنا فلم أقض في الكلالة قضاء، ولم أستخلف على الناس خليفة، وأنه من أدرك وفاتي من سبي العرب فهو حر من مال الله ـ عز وجل»[2] اهـ.

وأثنى شاب من الانصار على عمر فقال:
«أبشر ـ يا أمير المؤمنين ـ ببشرى الله: لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الاسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة.
قال: وددت أن ذلك كفاف، لا علي ولا لي.[3]».
فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما:

وان قلت ذلك، فجزاك الله خيرا، أليس قد دعا رسول الله ﷺ أن يعز الله بك الدين والمسلمين، اذ يخافون بمكة؟ فلما أسلمت كان اسلامك عزا، وظهر بك

---

(١) كذا ابن حجر ـ فتح الباري ٥٢/١ ـ ومن معاني البأس الخوف.
(٢) مسند أحمد ٢١٢/١ ـ وراجع نفس المصدر ٢٩٥/١ ـ ولتمام أمر الكلالة راجع من فصل الخطابة ص ١٩٦ من البحث، وفيها يقول: ثم اني لا أدع بعدي شيئا أهم عندي من الكلالة، وكانت تلك آخر خطبة له، ويود لو عاش أن يقضي فيها قال: واني ان اعش أقض فيها بقضية، يقضي بها من يقرأ القرآن، ومن لا يقرأ القرآن».
وكان يعمل ـ فيها ـ برأي أبي بكر ـ رضي الله عنهما.
«أخرج البيهقي عن أبي بكر أنه سئل عن الكلالة، فقال: اني سأقول فيها برأيي، فان يكن صوابا فمن الله، وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان، أراه ما خلا الولد والوالد. فلما استخلف عمر، قال: اني لاستحي أن أرد شيئا قاله أبو بكر ا هـ السيوطي. تاريخ الخلفاء ص ٩٤».
(٣) صحيح البخاري ٢٠/٥.

الاسلام، وهاجرت فكانت هجرتك فتحا، ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول الله ﷺ من قتال المشتركين، ثم قبض ـ وهو عنك راض ـ ووازرت الخليفة بعده على منهاج النبي ﷺ فضربت من أدبر بمن أقبل، ثم قبض الخليفة ـ وهو عنك راض، ثم وليت بخير ما ولي الناس: مصر الله بك الامصار، وجبابك الاموال، ونقى بك العدو، وأدخل بك على أهل بيت من سيوسعهم في دينهم وأرزاقهم، ثم ختم لك بالشهادة، فهنيئا لك!!

فقال: والله، ان المغرور من تغرونه... أتشهد لي ـ يا عبد الله ـ عند الله يوم القيامة؟ فقال: نعم، فقال: اللهم لك الحمد »[1].

ونادي عمر ولده عبد الله، فقال:

« يا عبد الله بن عمر، انظر ما علي من الدين!!.

فحسبوه، فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه. قال:

ان وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم، والا فسل في بني عدي بن كعب فان لم تف أموالهم فسل في قريش، ولا تعدهم الى غيرهم، فأدعني هذا المال. انطلق الى عائشة ـ أم المؤمنين ـ فقل:

يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فاني لست اليوم للمؤمنين أميرا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه...

... فلما اقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل اليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب ـ يا أمير المؤمنين ـ أذنت، قال: الحمد لله ما كان من شيء أهم الى من ذلك، فاذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم، فقل: يستأذن عمر ابن الخطاب، فان أذنت لي فأدخلوني، وان ردتني ردوني الى مقابر المسلمين »[2] اهـ.

وارتفع نقع وقلقلة زادا من ألمه.

---

(١) ابن حجر ـ فتح الباري ٥٣/٧.

(٢) صحيح البخاري ٢١/٥.

ففي اسناد صحيح عن المقدام بن معد يكرب « قال:

... لما أصيب عمر دخلت اليه حفصة فقالت: يا صاحب رسول الله، ويا صهر رسول الله، ويا أمير المؤمنين! فقال عمر لابن عمر: يا عبد الله، أجلسني - فلا صبر لي على ما أسمع، فأسنده الى صدره، فقال: اني أحرج عليك بما لي عليك من الحق أن تندبيني بعد مجلسك هذا فأما عينك فلن أملكها، إنه ليس من ميت يندب بما ليس فيه الا الملائكة تمقته »(١).

واستأذن الرجال، وكانوا قد تركوا المجلس لدخولها، فقامت فولجت مدخلا لهم(٢) قال ابن عباس:

« لما أصيب عمر سمعت صهيبا يبكي - وهو يقول: وا أخياه واصاحباه، فقال عمر: يا صهيب، أتبكي علي!؟ وقد قال رسول الله ﷺ: ان الميت ليعذب ببكاء أهله عليه... »(٣).

ولم يصرف عمر ما حم به من قضاء أن يأمر بمعروف وينهي عن منكر، وأن ينظر في أمر الخلافة. كان في آخر خطبة له قال: « فان عجل بي أمر فالخلافة شورىٰ بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض... »(٤).

لقد شغلته مسألة الخليفة بعده ثم ألحت عليه أكثر منذ نمي اليه - في حجة الاخير أن قائلا قال: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا... »(٥) وقرر عمر ألا يشير بواحد أو يعينه ورأى نفسه صاحب خيار في ذلك(٦) فمضى عليه.

---

(١) راجع لبيان صحة السند ابن حجر - فتح الباري ٥٤/٧ - ومصدر النص بطبقات ابن سعد ٣٦١/٣.
(٢) صحيح البخاري ٢١/٥.
(٣) مسند الشافعي ص٦٣.
(٤) صحيح مسلم ٨١/٢ وراجع مسند أحمد ١٩٢/١.
(٥) صحيح البخاري ٢٠٨/٨ - ٢١١.
(٦) راجع خبرا باسناد صحيح بمسند أحمد ٢٩٥/١.

وتذكر روايات احداها عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ في رسالة لها شفهية الى عمر مع عبد الله ولده ـ رضي الله عنهما ـ تقول:

« يا بني أبلغ عمر سلامي، وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملا، فاني أخشى عليهم الفتنة... »[1].

وأدى عبد الله الرسالة، وكان ذلك رأيه أيضا، ففي الرواية الثانية، قال لأبيه: استخلف، وتذكر ثالثة أن سعيد بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ قال له: « أما انك لو أشرت برجل من المسلمين لائتمنك الناس وقد فعل ذلك أبو بكر وائتمنه الناس »[2].

غير ان عمر مضى لا يريد أن يتحملها حيا وميتا، وترك الامر شورى في أولئك الستة، من العشرة المبشرين بالجنة، وكان قد بقي منهم ـ بعد عمر ـ سبعة أحدهم سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل، فاستثناه لقرابته، قال ابن حجر: وقد صرح بذلك المدايني في أسانيده، قال: فقال عمر: لا أرب لي في أموركم فأرغب فيها لأحد من اهلي »[3].

فكان الستة بعد سعيد ـ رضي الله عنه: « عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء.. »[4].

« ... وذكر المدايني أن عمر قال لهم: اذا اجتمع ثلاثة على رأي وثلاثة على رأي فحكموا عبد الله بن عمر فان لم ترضوا بحكمه فقدموا من معه عبد الرحمن بن عوف »[5].

ثم أطلق عمر وصيته للخليفة من بعده فأوصاه بالرعية جميعا: المهاجرين والانصار

---

(١) ابن قتيبة ـ الامامة والسياسة ص ٢٢ فما بعدها.
(٢) مسند أحمد ٢١٢/١.
(٣) ابن حجر ـ فتح الباري ٥٤/٧.
(٤) صحيح البخاري ٢٠/٥، ٢١.
(٥) ابن حجر ـ فتح الباري ٥٥/٧.

والاعراب، وأهل الذمة »[1].

وحدد لكل احتمال قد يقع ما يجب العمل فيه[2]، ثم أوصى صهيبا ان يصلي بالناس فترة الشورى[3].

وظل عمر متمتعا بوعي تام وذاكرة جيدة - في صحوه بعد طعنه - فقد أثار مع جالسيه ميراث الجدورايه فيه:

روى الدارمي بسنده: قال:

« كان عمر يقاسم بالجد مع الاخ والاخوين، فاذا زادوا أعطاه الثلث، وكان يعطيه مع الولد السدس »[4]

وروي عن مروان بن الحكم:

« أن عمر بن الخطاب - لما طعن - استشارهم في الجد، فقال: اني كنت رأيت في الجد رأيا، فان رأيتم أن تتبعوني فاتبعوه.

فقال له عثمان: ان نتبع رأيك فانه رشد، وان نتبع رأي الشيخ فلنعم ذو الرأي كان »[5].

جاء - في المطالب العالية - حديث صحيح - يذكر عن عمر - بعد طعنه أنه قال:

« ... يا عبد الله، ناولني الكتف، فلو أراد الله ان يمضي ما فيها امضاه. قال عبد الله: أنا أكفيك محوها! فقال: والله لا يمجوها احد غيري. فمحاها عمر بيده، وكان فيها فريضة الجد... »[6].

وتابع عمر أمر الشورى، فأمر أبا طلحة الانصاري أن يحرس - في خمسين من

---

(١) صحيح البخاري ٢١/٥ - ابن حجر - فتح الباري ٥٥/٧.

(٢) ابن حجر - فتح الباري ٥٥/٧.

(٣) ابن حجر - فتح الباري ٥٥/٧.

(٤) سنن الدارمي ٢٥٦/٢.

(٥) نفس المصدر ٢٥٦/٢.

(٦) ابن حجر - المطالب العالية ٤٥/٤.

قومه ـ مكان الشورى لا يدخل عليهم احد، وذلك قبل أن يموت بساعة[1]. وكان ـ رضي الله عنه ـ أوصى الى حفصة ـ رضي الله عنها [2].

ثم أسلم الروح بعد أن عاش اياما أربعة عقب طعنه، وانتهت حياته ـ رضي الله عنه بثلاث وستين سنة كانت عمره الوارد في الصحيح[3].

« وغسله ابنه عبد الله، وحمل على سرير رسول الله ﷺ وصلى عليه في مسجد رسول الله ﷺ وصلى بهم عليه صهيب وكبر أربعا، ونزل في قبره ابنه عبد الله وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف » [4].

ودفن بكرة الاحد أول المحرم من عام ٢٤ هـ[5].

روى الامام ابو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ عن حماد عن ابراهيم ـ قال:
« أخبرني من رأى قبر النبي ﷺ وقبر أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وقبر عمر ـ رضي الله عنه ـ مسنمة ناشزة[6] من الارض عليها فلق من مدر أبيض » [7].

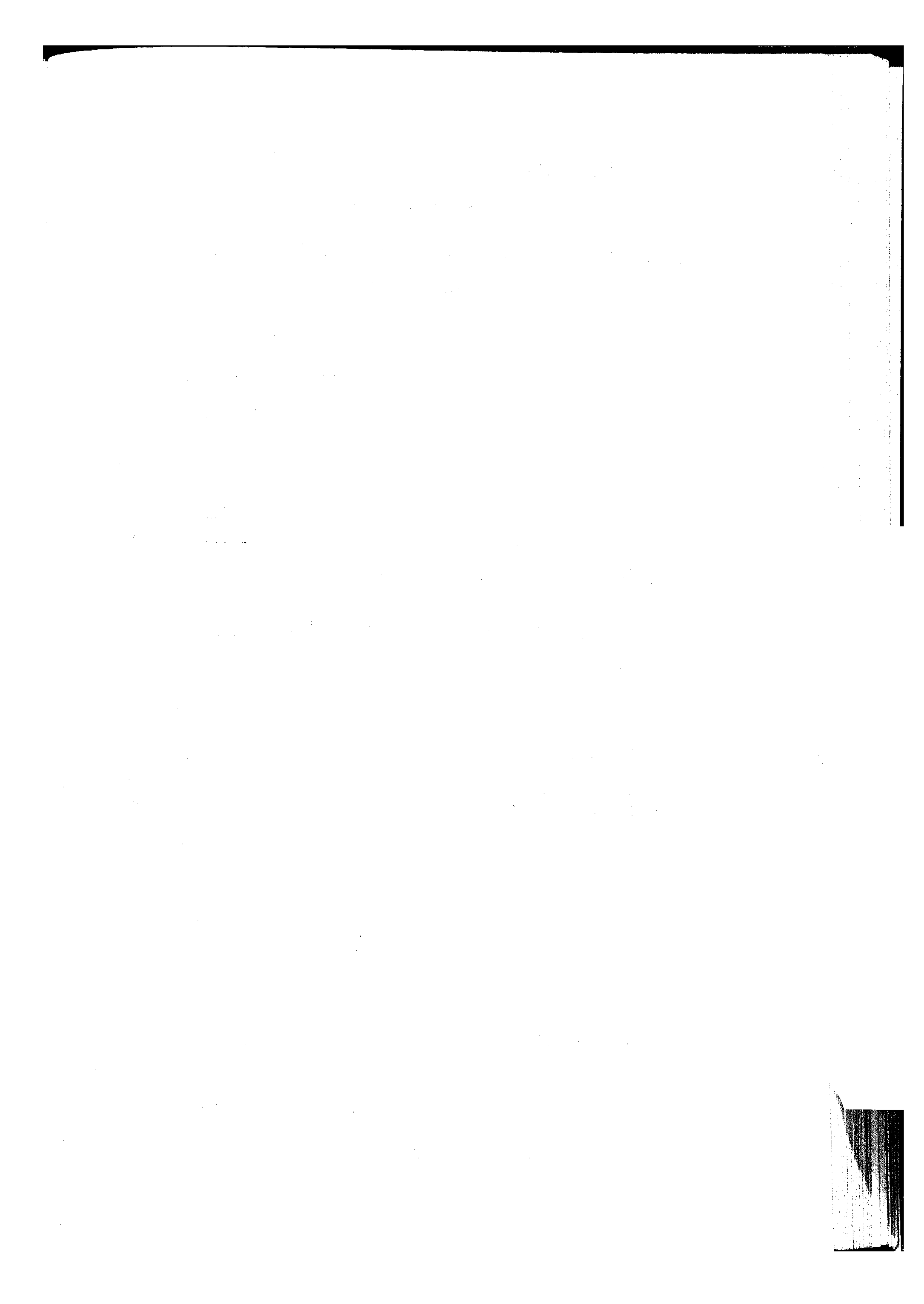
وفي رواية الخوارزمي عن الامام الاعظم ـ بالسند نفسه ـ قال ابراهيم:
« حدثني من رأى قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر مسنمة وعلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ مدر أبيض... » [8].

سكن عمر ـ أخير ـ الى صاحبيه: رسول الله ﷺ وأبي بكر ـ رضوان الله عليه ـ.

وعاشت ـ من بعده ـ سيرته تحكي عن رجل من أعظم الرجال، وعن حاكم فريد اللون نادر المثال. وانا لله وانا اليه راجعون.

---

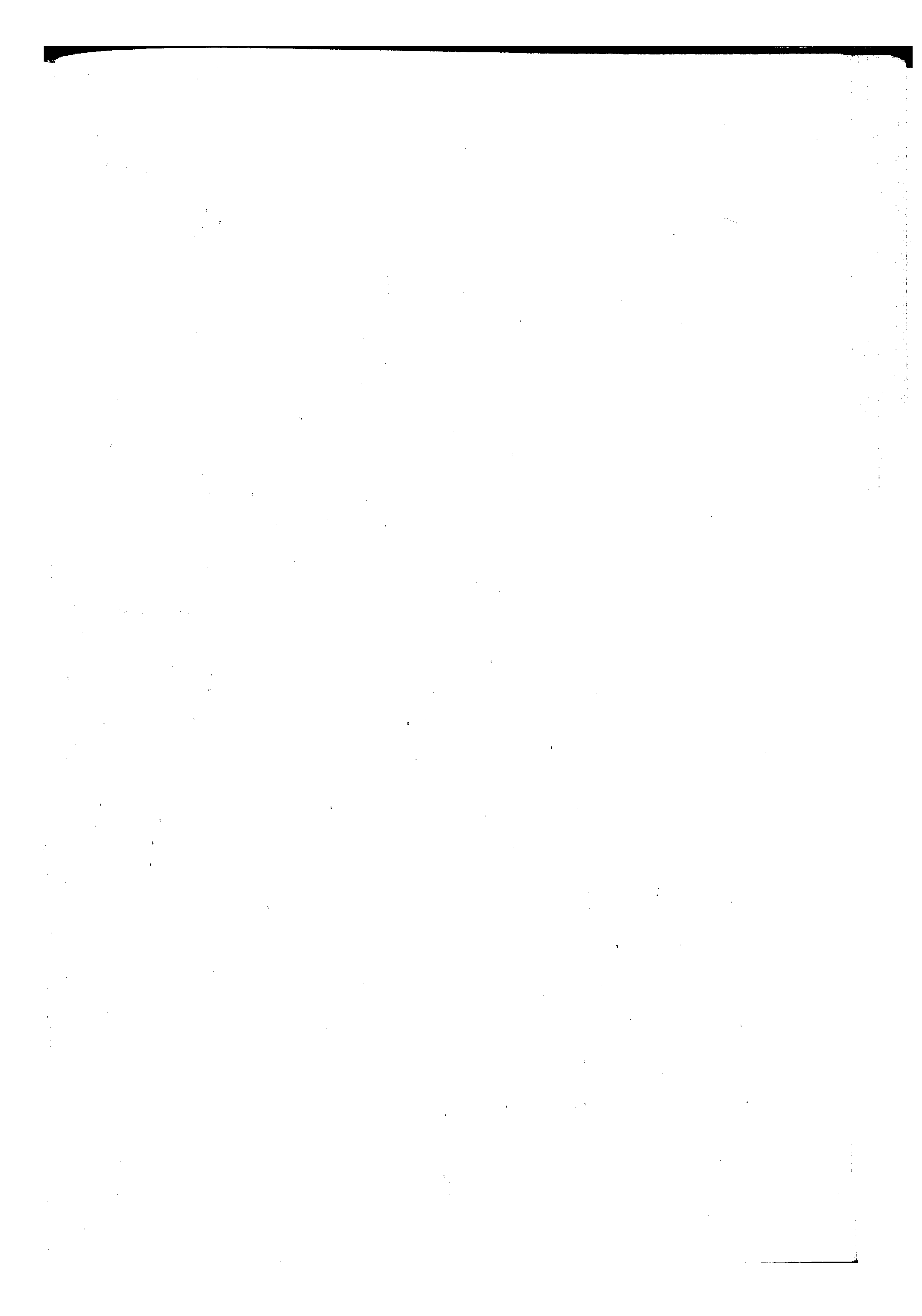
(١) طبقات ابن سعد ٣٦٤/٣.
(٢) سنن ابي داود ١٠٥/٢ و١٠٦.
(٣) صحيح مسلم ٨٧/٧، ٨٨ ـ أثار محمد الشيباني ص ٣٥.
(٤) الامام ابو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ـ تهذيب الاسماء واللغات ـ القسم الاول ١٣/٢.
(٥) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ١٣٦.
(٦) الاصل (ناشرة) والتصحيح من الامام الخوارزمي ـ جامع مسانيد الامام الاعظم ٤٥٦/١.
(٧) آثار الامام الشيباني ص ٤٨.
(٨) الخوارزمي ـ جامع مسانيد الامام الاعظم ٤٥٤/١.



الفصل الثاني

علم عمر ومصادره

الجهود الذاتية
عمر والقرآن
عمر والسنة
لعمر علم بآثار لأهل الكتاب
لعمر علم بالنسب
وعلم من القيافة
وعلم بالشعر
ولعمر علم بأحوال الجاهلية وصدر الاسلام
وعلم بجغرافية الدولة... والحساب.



الجهود الذاتية :

كان عمر - رضي الله عنه - واحدا من علماء قومه بما كان للقوم يومئذ من علم له معارفه التي تسلك بهم سبيل الخبرة بمجتمعهم: دينا وتاريخا وأدبا وغير ذلك، فكان لعمر علم بهذه المعارف حصله بجهد شخصي أهله للسداد في منزلته بين عشيرته وقومه.

ثم كان الاسلام، وأسلم عمر، فتزود من هذا المعين في حرص ونهل منه في شغف حتى صار اماما خليفة، له أثره العلمي فيما ترك الاسلام من علوم، وكان رسول الله ﷺ أول معلميه في الاسلام، قال - ﷺ :

« بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى اني لأرى الري يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فضلي، يعني عمر.

قالوا : فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم [1].

قال ابن حجر : والمراد بالعلم - هنا - العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ [2] ».

وتلك معرفة لا تتم لناشدها ما لم يكن راسخا في الأخذ بأسبابها وفي مقدمة ذلك عمق المعرفة باللغة وآدابها.

---

(١) صحيح البخاري ٤٥/٩ - وانظر صحيح مسلم ١١٢/٧.

(٢) ابن حجر - فتح الباري ٣٦/٧.

ولقد جمع بين رسول الله ﷺ وعمر حب وتقدير، والحب والتقدير ـ معا ـ عنصران لازمان للاتيان بخير النتائج العلمية.

كان عمر ـ بعد أبي بكر ـ واحدا من أحب الناس الى رسول الله ﷺ [1].

وأحب عمر رسول الله ﷺ كما يكون الحب من كمال الايمان، قال عبد الله بن هنشام ـ رضي الله عنه:

« .. كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب الي من كل شيء الا من نفسي، فقال له النبي ﷺ: لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك، فقال له عمر: فانه الآن، والله لأنت أحب الي من نفسي، فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر... [2].

واستأذنه ـ يوما ـ الى عمرة، فقال له ـ عليه الصلاة والسلام:
« ... لا تنسنا ـ يا أخي ـ من دعائك... [3].
قال عمر: ما أحب أن لي بها ما طلعت عليه الشمس لقوله: يا أخي [4] ».

مصادر علمه

كان لعمر وسائله الخاصة التي اكتسب بها علمه، وهي وسائل ـ بعد استعداده الذاتي ـ نجملها في ثلاث:

القراءة، والبحث عما لا يعرف، والتلقي من المختصين:
فعمر أحد المكيين الذين قرءوا وكتبوا، وذلك ـ في مجتمعه الأمي ـ دليل يعلن وحده عن شغفه بالعلم واستعداده ليكون واحدا من أولئك النزر اليسير الذين تخلصوا من أميتهم، وتبؤوا في مكة مكانة مرموقة.

---

(١) راجع صحيح البخاري ٦/٥.
(٢) صحيح البخاري ١٦١/٨.
(٣) سنن أبي داود ٣٤٤/١.
(٤) مسند أحمد ٢٤٠/١.

وعلى يد حرب بن أمية والد أبي سفيان تلقى عمر دروسه ومحى أميته [1].

ويبحث عمر عما لا يعرف ويسأل فيهتدي « عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب، وهو يقول: حملت على فرس عتيق في سبيل الله، وكان الرجل الذي هو عنده قد أضاعه، فأردت أن اشتريه منه، وظننت أنه بائعه برخص، فسألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: لا تشتره، وان أعطاكه بدرهم واحد، فان العائد في صدقته كالكلب يعود في قيئه [2] ».

ومجلس العلم أحد ثلاثة حببت اليه الحياة قال لولا أن أسير في سبيل الله، أو أضع جبيني لله في التراب أو أجالس أقواما يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب الثمر لأحببت أن اكون قد لحقت بالله [3].

ثم من العلم ما حصله عمر على ايدي شخصيات معروفة، كان منها في الجاهلية وكان منها في الاسلام، ومنه ما استقاه عمر من مصادر يصعب حصرها نظرا لطبيعتها العديدة، كما سنبين ذلك في محله، ويمكن أن نقول:

إن خير فترات عمر العلمية تنظيما وتلقيا هي فترة مصاحبته لرسول الله ﷺ فقد لازمه بمكة، ولما كان بالمدينة وسكن العوالي من ضواحيها، نظم لقاءه برسول الله ﷺ حتى لا يفوته علم من قرآن أو حديث، أو أمرٌ ألم بالمسلمين، قال عمر:

« كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد ـ وهي من عوالي المدينة ـ وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوما وأنزل يوما، فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، واذا نزل فعل مثل ذلك [4].

---

(١) ابن كثير ـ فضائل القرآن ص ١٥.

(٢) موطأ مالك ١/٢٦٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٩٠.

(٤) صحيح البخاري ١/١٥٨، وراجع صحيح الترمذي ١٢/٢١٠، ٢١٦.

والحديث يصور لنا ـ في صدق حرص عمر وجاره [1] على متابعة رسول الله ﷺ والأخذ عنه في استمرار محكم منظم، ولهذا الحرص كان رسول الله ﷺ مصدر علم لعمر، كما كان اسلامه وصحبته مصدري علم له بتاريخ الاسلام في هذا العصر:

١ ـ عمر والقرآن:

حفظ عمر القرآن كله [2] في الفترة التي بدأت باسلامه وانتهت بوفاة الرسول ﷺ وقد حفظه مع التنزيل الا ما سبق نزوله قبل اسلامه، فذلك مما جمعه جملة.

وقد أقرأه رسول الله ﷺ بعضه [3]، وحرص عمر على الرواية التي أقرأه بها رسول الله ﷺ [4] ـ وكان لعمر ـ أحيانا ـ شرف السبق الى سماع بعضه فور نزوله [5] وعني عمر بمراجعة محفوظة من الكتاب الكريم، وكان له من صحابة الرسول ﷺ من يقرئه كأبي موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهم [6]، لذلك كان من الحفظة المبرزين حتى كان قبيصة بن جابر ـ رضي الله عنه ـ يقدمه على غيره من القراء [7].

---

(١) من جار عمر هذا ـ رضي الله عنه؟ أهو عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري الخزرجي، أم أوس بن خولي ـ وكلاهما ممن آخى رسول الله ﷺ بينهم وبين عمر، هذان من ذكرا في هذا المقام، فأما الاول فلم يصاحب النقل دليل على أنه الذي كان يخلفه، وأما الثاني فمعلل بالأخوة، وهي مردودة بأنها لا تقتضي جوارا فضلا عن أن اخوة عمر ـ من هذا اللون عديدة، فالاقتصار على واحد مشكل. راجع لابن حجر ـ فتح الباري ١٦٧/١ ـ ولأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٨٨/١.

(٢) ابن كثير ـ فضائل القرآن ص ٢٩ ـ والسيوطي ـ الاتقان في علوم القرآن ٧٢/١.

(٣) صحيح البخاري ١٦٠/٣ ـ ٢٢٧/٦ ـ موطأ مالك ٢٠٦/١.

(٤) موطأ مالك ٢٠٦/١.

(٥) مسند احمد ٢٤٦/١.

(٦) ابن كثير ـ فضائل القرآن ص ٣٥، ٤٨ ـ وانظر للمحب الطبري ـ الرياض النضرة ٩٣/٢.

(٧) ابن الاثير ـ أسد الغابة ١٥٥/٤.

ولعمر بالقرآن صلات:

أ - فله في القرآن قراءات:

قرأ من الفاتحة: (غيرَ المغضوب عليهم) بنصب: غير - على الحال نقل هذه القراءة الامام جار الله الزمخشري عن عبد الله بن كثير بن عمرو بن هرمز الامام أبو معبد المكي الداري، لقي ابن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك وغيرهم [1].

وقرأ في البقرة: ﴿الله لا اله الا هو الحي القيام﴾ فيعال من قمت بالشيء اذا وليته [2].

ومن ابراهيم: ﴿وان كاد مكرهم لتزول منه الجبال﴾ [3].

ومن الجمعة: «اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا الى ذكر الله» [4].

وقرأ من الانشقاق: «لتركبن طبقا عن طبق...» [5] بفتح التحتية خطابا للانسان متصلا بقوله تعالى: ﴿يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه﴾.

وعمر أخذ هذه القراءات عن المصطفى ﷺ وقرأ بها معه بعض الصحابة [6].

ب - ولعمر الماما بأسباب النزول: [7]

---

(١) راجع للامام جار الله محمود بن عمر الزمخشري - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل (تفسير الزمخشري) ٥٦/١ - وانظر لدكتور عبد الصبور شاهين - القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ص٤٤٧ - وتفسير ابن كثير ٢٨/١.

(٢) صحيح البخاري ١٩٩/٦ - وراجع للزمخشري - الكشاف ٢٩١/١ - ولابن قتيبة - تفسير غريب القرآن ص ٧.

(٣) الزمخشري - الكشاف ١٨٥/٢ - تفسير ابن كثير ٥٤٢/٢.

(٤) الزمخشري - الكشاف ٢٣١/٣ - تفسير ابن كثير ٣٦٥/٤.

(٥) الزمخشري - الكشاف ٣٢٥/٣.

(٦) راجع تفسيري الزمخشري وابن كثير في الآيات محل استشهادنا في القراءات.

(٧) سبب النزول هو: الأمر الذي نزل بسببه قرآن أيام وقوعه، كذلك هو ما نزل قرآن متحدثا عنه أو مبينا لحكمه بسبب سؤال أو غيره، والسبب قد يتعدد، ومن القرآن ما نزل بلا سبب خاص، راجع للاستاذ أحمد أحمد علي - مذكرة علوم القرآن ص ٣٢، ٣٣.

ولا مبالغة ـ اذا قلنا : ان عمر كان على علم بكثير من أسباب التنزيل ، وبخاصة في الفترة الاسلامية من حياته ، ثم لشدة اتصاله بالتلقي عن رسول الله ﷺ ثم هوَ قد حفظ منه ما فاته ، فأن يلم بأسباب النزول والقرآن بكر التنزيل ، والحوادث لا تزال تترى وتردد فذلك أمر يسير .

ثم كان عمر سببا ـ في التنزيل لأكثر من آية ، بعضها متفق على مكيته [١] ، وبعضها مدني ، بل كان بعض الآيات يحظى من عمر بمعرفة زمانه ومكانه على وجه دقيق ، قال ـ عن الآية الكريمة ﴿ .. **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ..** ﴾[٢] : والله ، اني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ عشية عرفة في يوم الجمعة[٣] وفي رواية الامام البخاري :

« قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه ...[٤] » .

وهذا الالمام الدقيق نجده عند عمر في غير آية[٥] .

★ ★ ★

كذلك كان عمر ـ وحده أو مع غيره ـ سببا مباشرا في تنزيل هذه الآيات :

١) أحل لكم ليلة الصيام (٢ ـ ١٨٧ مدنية) .
٢) يسألونك عن الخمر والميسر (٢ ـ ٢١٩) .
٣) نساؤكم حرث لكم (٢ ـ ٢٢٣) .

راجع السيوطي ـ لباب النقول في أسباب النزول ص ٩٩ ـ ١٠٣ ـ ١٣٢ ـ ولأحمد أحمد علي
(١) مذكرة علوم القرآن ص ٥١ .
(٢) المائدة ـ الآية ٣ .
(٣) مسند أحمد ٢٣٧/١ .
(٤) صحيح البخاري ١٨/١ ـ انظر صحيح مسلم ٢٣٨/٨ .
(٥) راجع صحيح البخاري ١٦١/٥ (قد أفلح المؤمنون... الآيات) ـ ومسند أحمد ٢٤٦/١ ـ وتفسير ابن كثير ٣٨٦/٤ .

٤) ان تبدوا الصدقات (٢ - ٢٧١).
٥) يستفتونك قل الله يفتيكم (٤ - ١٧٦ مدنية)
٦) ونزعنا ما في صدورهم من غل (١٥ - ٤٧ مكية).
٧) يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (٤٩ - ٢ مدنية).
٨) وإذا رأيت ثَم رأيت نعيما وملكا كبيرا (٧٦ - ٢٠) مدنية[1].

* * *

وعمر - مع غيره - سبب غير مباشر في تنزيل الآيات:

١ - ولا تطرد الذين يدعون ربهم (٦ - ٥٢ مكية)
٢ - أو من كان ميتا فأحييناه (٦ - ١٢٢).
٣ - والذين يرمون أزواجهم (٢٤ - ٦ مدنية).
٤ - أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا (٣٥ - ٨) مكية[2].

كذلك عرف عمر أسبابا، وشارك في حوادث صاحبت أسبابا، وروي بعضها، أو حضرها دون مشاركة فيها، ونجد ذلك في تفسير الآيات.

١) اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا (٣ - ١٢٢ مدنية).
٢) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم (٤ - ٦٥ مدنية).
٣) يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم (٥ - ١١ مدنية).
٤) اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم (٨ - ٩ مدنية)
٥) يأيها النبي قل لأزواجك (٣٣ - ٢٨ مدنية).
٦) ليخرجن الأعز منها الأذل (٦٣ - ٨ مدنية).

---

(١) راجع - في الآيات حسب ترتيبها - السيوطي - لباب النقول ص ٢٥، ٢٦ - وللامام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي - أسباب النزول ص ٤٨، ٤٩ والسيوطي - لباب النقول ص ٣٥ - وصحيح الترمذي ٣٢٣/١ - والسيوطي - لباب النقول ص ٥٢، ٨٣، ١٣٢، ١٩٩.

(٢) انظر - في الآيات حسب ترتيبها: السيوطي - لباب النقول ص ٩٩، ١٠٣، ١٥٦، ١٨٥.

٧) قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم (٦٦ - ٢) مدنية[١].

وعلم من رسول الله ﷺ سبب نزول الآية الكريمة:

ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين (٩ - ١١٣) مدنية[٢] وهذا الجزء من أسباب النزول يبين لنا صلة عمر الوثيقة بفرع من علوم القرآن الكريم.

★ ★ ★

ج - وروى عمر تفسيرا

١) ففي تفسير قوله تعالى: ﴿**نساؤكم حرث لكم**﴾ - (٢ - ٢٢٣) رووا لعمر - في تحريم اتيان الدبر - عن رسول الله ﷺ:

«ان الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهن[٣]» ورواه النسائي موقوفا عن عمر «قال: لا تأتوا النساء في أدبارهن قال ابن كثير: والموقوف أصح[٤]».

٢) وفي تفسير قوله تعالى: ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة (٣ - ١٦١) روى الامام ابن حنبل - باسناد صحيح في تحريم الغلول - عن ابن عباس -

---

(١) راجع في الآيات حسب ترتيبها:
تفسير ابن كثير ٤٠٠/١
وللسيوطي - لباب النقول ص ٦٨ و٨٦ و١٠٥
صحيح الترمذي ٢١١/١١
وللسيوطي - لباب النقول ص ١٧٧
تفسير ابن الكثير ٣٧٠/٤، ٣٧٢
السيوطي - لباب النقول ص ٢٢٣

(٢) تفسير ابن كثير ٣٩٣/٢.

(٣) تفسير ابن كثير ٢٦٤/١

(٤) نفس المرجع ٢٦٤/١.

رضي الله عنهم، قال عمر: « ... لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: فلان شهيد، وفلان شهيد، حتى مروا برجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: كلا، اني رأيته يجر الى النار في عباءة غلها، اخرج - يا عمر - فناد في الناس: انه لا يدخل الجنة الا المؤمنون، فخرجت فناديت: انه لا يدخل الجنة الا المؤمنون...[1] ».

٣) ويساق حديث لعمر - في تفسير الآية: واللآتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن - (٤ - ١٢٢).

عن الاشعث بن قيس قال: ضفت عمر، فقال: يا أشعث، احفظ عني ثلاثا حفظتهن عن رسول الله ﷺ: لا تسأل الرجل فيم ضرب امرأته، ولا تنام الا على وضوء ونسيت الثالثة...[2] » وفي مسند أحمد: ولا تنم الا على وتر[3].

قال الشيخ أحمد محمد شاكر: اسناده ضعيف[4]، وقال ابن كثير: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه[5]، قال ابن حجر: ... وصححه الحاكم[6].

٤) وفي قوله تعالى: واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم - (٧ - ١٧٢) روي الامام مالك عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: **﴿واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين﴾** فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) مسند أحمد ٢٤٢/١ - وانظر نفس المرجع ٢٩٧/١.
(٢) الامام الحافظ سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي - مسند أبي داود الطيالسي ص ١٠.
(٣) مسند أحمد ٢٠٩/١.
(٤) راجع حاشية الخبر رقم ١٢٢ بمسند احمد ٢٠٩/١.
(٥) تفسير ابن كثير ٤٩٢/١.
(٦) ابن حجر - تهذيب التهذيب ٣٠٤/٦ ترجمة رقم ٥٩٢.

ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون.

فقال رجل: يا رسول الله، ففيم العمل؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله ربه الجنة، واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله ربه النار....»[1].

٥) وفي الآية الكريمة ﴿**ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ (١٠ - ٦٢) روى أبو داود - رضي الله عنه - أن عمر بن الخطاب قال:

«... قال النبي ﷺ: ان من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى».

قالوا: يارسول الله، تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فو الله ان وجوههم لنور، وانهم على نور، لا يخافون اذا خاف الناس، ولا يحزنون اذا حزن الناس، وقرأ الآية: ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون...[2] اهـ واسناده جيد[3].

٦) وفي قوله تعالى: ﴿**فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما أنزلت الى من خير فقير**﴾ (٢٨ - ٢٣) روى أبو بكر بن أبي شيبة - رضي الله عنه - أن عمر بن الخطاب قال:

ان موسى - عليه السلام - لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون، فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر، ولا يطيق رفعها الا عشرة،

---

(١) موطأ مالك ٩٢/٣، ٩٣ - وانظر بمسند أحمد - اسنادا صحيحا في هذا الخبر ٢٨٩/١.

(٢) سنن أبي داود ٢٥٨/٢.

(٣) تفسير ابن كثير ٤٢٣/٢.

رجال، فاذا هو بامرأتين تذودان، قال: ما خطبكما؟ فحدثتاه، فأتى الحجر فرفعه، ثم لم يستق الا ذنوبا واحدا حتى رويت الغنم. ا هـ اسناده صحيح[1]، وعنه في هذا الموطن اثر آخر[2].

٧) وفي قوله تعالى: ﴿**سيهزم الجمع ويولون الدبر**﴾ (٥٤ ـ ٤٥).

روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال:

« ... لما نزلت ﴿**سيهزم الجمع ويولون الدبر**﴾ قال عمر: أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع ـ وهو يقول: ﴿**سيهزم الجمع ويولون الدبر**﴾ فعرفت تأويلها يومئذ[3]. ا هـ.

وروى الأثر نفسه سعيد بن المسيب ـ رضي الله عنه[4]

٨) وفي ليلة القدر ـ روى الامام احمد ـ باسناد صحيح ـ قال عمر:

« قال رسول الله ﷺ: من كان منكم ملتمسا ليلة القدر فليلتمسها في العشر الأواخر وترا...[5] ».

★ ★ ★

د ـ وفسر عمر:

وقد يعلق على الآية يسمعها، أو يتمثل بها:

وينبغي ألا يفوتنا ـ ونحن بصدد تفسير عمر ـ أن القرآن عصر نزوله، وفي البيئة العربية الخالصة التي عاصرت هذا النزول ـ لايعاني سامعه معاناة

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٨٣/١.

(٢) نفس المرجع ٣٨٥/١.

(٣) تفسير ابن كثير ٢٦٦/٤.

(٤) الامام الجليل أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ـ معالم التنزيل (تفسير البغوي) ١٤٠/٨.

(٥) مسند أحمد ١٩٠/١، ٢٨٤.

لخلف في التأويل، فلا غرابة اذا وجدنا تفسير عمر عبارة مختصرة لا تستطرد ولا تستقصر، وتعطي المعنى في وضوح.

وله - في تفسيره - منهج:

فاذا جاوزنا آي القرآن التي يفسر بعضها بعضا، فان عمر اذا وجد لرسول الله ﷺ تفسيرا أخذ به، وكان هو الأفضل، كتفسيره قوله تعالى: (يتلونه حق تلاوته...)(٢ - ١٢١) بقوله: اذا مر بذكر الجنة سأل الله الجنة، واذا مر بذكر النار تعوذ بالله منها. وهذا المعنى مروي عن رسول الله ﷺ [١].

واذا لم يجد طلبه في مظانه عند بعض الصحابة مثل: ابن عباس، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ وغيرهم - رضي الله عنهم [٢].

اذا لم يجد أمسك أو اعتبر المحاولة تكلفا، قرأ: (وفاكهة وأبا ٨٠ - ٣١) فقال: فما الأب؟ ثم قال: هو التكلف.فما عليك ألا تدريه؟ [٣].

أورد الى علم الله، فقد رأى في الحروف في أول السور، مثل: «ألم» وغيرها أنها مما استأثر الله بعلمه [٤].

وكان - رضي الله عنه - يحتاط في الأخذ عن بعض من أسلم من التابعين من أهل الكتاب فيأخذ من كعب الأحبار - مثلا - ما اتفق وعلمه هو عن رسول الله، فعمر يقر من علمهم ما يصدقه العلم عن رسول الله ﷺ، فيقول لكعب:

«هاتها - يا كعب - فان جئت بها كما سمعت من رسول الله ﷺ - صدقناك، والا لم ننظر اليها... [٥]».

---

(١) انظر وتفسير ابن كثير ١/١٦٣، ١٦٤.

(٢) راجع - في ابن عباس - تفسير ابن كثير ٤/٥٦١، ٥٦٢ - وفي أبي بن كعب - نفس المرجع ١/٤٠ - وفي ابن مسعود - نفس المرجع ١/٣٠٧ - وفي معاذ بن جبل - نفس المرجع ١/٥٤١ وفي غيرهم نفس المرجع ٢/١٧٥.

(٣) تفسير ابن كثير ١/٥ - ٤/٣٧٣.

(٤) نفس المرجع ١/٣٥، ٣٦.

(٥) نفس المرجع ١/٥٤١.

وهذا يعني أنه كان يفحص الاسرائيليات.

فأما متشابه القرآن فقد وقف بجزم في وجه من أراد اثارة الفتنة به، وعاقب صبيغ [1] بن عسل، لذلك عقابا بليغا اذ كان متعنتا لا يصغي لعلم.

قدم صبيغ المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل اليه عمر، وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: عبد الله صبيغ، فتناول عرجونا فضربه، وقال: أنا عبد الله عمر فجعل يضربه حتى دمى رأسه، فقال: ياأمير المؤمنين، حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي [2].

قال عمر: سيأتي أناس يجادلـونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله [3].

ومن آثاره تفسير:

١) ﴿ **فأتوا بسورة من مثله ٢ ـ ٢٣** ﴾ يعني من مثل القرآن

٢) ﴿**ما ننسخ من آية أو ننسها ٢ ـ ١٠٦**﴾ أي نؤخرها.

٣) ﴿فاذا أفضتم من عرفات ٢/ ـ ١٩٨﴾، قال عمر: انا وجدنا الافاضة هي الايضاع اهـ.

٤) ﴿**وان عزموا الطلاق ٢ ـ ٢٢٧**﴾ ذهب عمر الى أن الطلاق يقع بمضي أربعة أشهر تطليقة.

٥) ﴿**من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ٢ ـ ٢٤٥**﴾ هو النفقة في سبيل الله [4].

٦) ﴿**أيود أحدكم أن تكون له جنه ٢ ـ ٢٦٦**﴾ تلا عمر الآية، ثم قال: هذا

---

(١) صبيغ ـ .. . عظيم، وقيل: بالتصغير. أبوه عسل ـ وقيل: سهل التميمي الحنظلي، راجع الزرقاني على موطأ مالك ٢٤/٣.

(٢) راجع سنن الدارمي ٥١/١ وانظر في توثيق الخبر تفسير ابن كثير ٢٣٢/٤.

(٣) سنن الدارمي ٤٧/١.

(٤) تفسير ابن كثير ٥٩/١ و١٥٠ و٢٤١ و٢٦٨ و٢٩٩ ـ ٣٠٧/٤.

مثل ضرب للانسان يعمل عملا صالحا حتى اذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون اليه عمل عمل السوء [1] اهـ.

٧) ﴿**فأثابكم غما بغم ٣ - ١٥٣**﴾ الغم الأول بسبب الهزيمة، والثاني حين قيل: قتل محمد ﷺ.

٨) ﴿**فاذا أحصن فان أتين بفاحشة ٤ - ٢٥**﴾ يرى عمر أن الاحصان هنا هو الاسلام.

٩) ﴿**يؤمنون بالجبت والطاغوت ٤ - ٥١**﴾ قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان [٢].

١٠) ﴿**أحل لكم صيد البحر وطعامه ٥ - ٩٦**﴾قال عمر: صيده ما اصطيد، وطعامه ما رمى به [٣].

١١) ﴿**ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ٦ - ١٢٥**﴾ سأل عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - رجلا من الاعراب من أهل البادية من مدلج عن الحرجة، فقال: هي الشجرة تكون بين الاشجار لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شيء.

فقال عمر - رضي الله عنه: كذلك قلب المنافقين لا يصل اليه شيء من الخير [٤].

١٢) ﴿**لمسجد أسس على التقوى من أول يوم ٩ - ١٠٨**﴾ هو مسجد النبي ﷺ.

١٣) ﴿**ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ١٤ - ٢٨**﴾ قال عمر: هم الأفجران من قريش: بنو المغيرة، وبنو أمية: فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم

---

(١) ابن حجر - فتح الباري ١٥١/٨ وأصله في صحيح البخاري ٣٩/٦ وانظر تفسير الطبري - ط دار المعارف الخبر (٦٠٩٥) ٥٤٥/٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٤١٧/١ و٤٧٦، ٥١٢.

(٣) انظر صحيح البخاري ١١٦/٧ - ولابن حجر - فتح الباري ٥٢٩/٩.

(٤) تفسير ابن كثير ١٧٥/٢ (الحرجة - بفتحات. انظر المادة بالقاموس المحيط).

بدر ، وأما بنو أمية فمنعوا الى حين[1] .

١٤) ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ٣٧ ـ ٢٢** ﴾ اخوانهم وأشباههم .

١٥) ﴿ **والذاريات ذروا ٥١ ـ ١** ﴾ هي الرياح

﴿ **فالجاريات يسرا .. ـ ٣** ﴾ هي السفن .

﴿ **فالمقسمات أمرا .. ـ ٤** ﴾ هي الملائكة[2] .

١٦) ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ٥٩ ـ ٦** ﴾ قرأ عمر بن الخطاب ﴿ **انما الصدقات للفقراء والمساكين** ـ حتى بلغ **عليم حكيم ٩ ـ ٦٠** ﴾ ثم قال ، هذه لهؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذي القربى ٨ ـ ٤١** ﴾ ثم قال : هذه لهؤلاء ، ثم قرأ : ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله ولرسول** ـ حتى بلغ ـ ... **والذين تبؤوا الدار والايمان ٥٩ ـ ٦ ، ٧ ، ٨** ﴾ .

ثم قال : استوعبت هذه للمسلمين عامة وليس أحد الا وله فيها حق[3] .

١٧) ﴿ **توبة نصوحا ٦٦ ـ ٨** ﴾ قال عمر : يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه[4]

★ ★ ★

ومن تعليقاته :

١ ـ سمع القارىء يتلو الآيتين : ﴿ **الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ٢ ـ ١٥٦ ، ١٥٧** ﴾ فقال : نعم العدلان ونعم العلاوة[5] .

٢ ـ وتلا القارىء : ﴿ **يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم ٨٢ ـ ٦** ﴾ فقال

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٣٩٠ ، ٥٣٨ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٤ ، ٢٣١ .

(٣) نفس المرجع ٤/٣٤٠ .

(٤) نفس المرجع ٤/٣٩١ .

(٥) صحيح البخاري ٢/١٠٥ .

عمر: الجهل [١].

ورأى - في سفر - راهبا - فتمثل بقوله تعالى:

﴿**عاملة ناصبة. تصلي نارا حامية ٨٨ - ٣، ٤**﴾ [٢].

★ ★ ★

هذا ما تيسر لي في جوانب أسهم بها عمر فأثرت بالدراسات القرآنية الى جانب عمله العظيم في جمع القرآن الذي ألمحنا اليه [٣].

★ ★ ★

هـ - ولم يخل الأمر من كذب على عمر - رضي الله عنه:

وشمل ذلك: أسباب النزول، والموافقات، والتفسير:

(١) فأما أسباب النزول.

أ - ففي قوله تعالى: ﴿**واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا..**﴾ (٢ - ١٤).

أخرج الواحدي والثعلبي من طريق محمد بن مروان، والسدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابي عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبي: انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء، فذهب فأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وما له لرسول الله، ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله، ثم أخذ بيد علي، فقال: مرحبا بابن عم رسول الله، وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٨١/٤.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٠٢/٤.

(٣) البحث ص ٥٦.

ثم افترقوا فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فاذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت، فأثنوا عليه خيرا.

فرجع المسلمون الى النبي ﷺ، وأخبروه بذلك، فنزلت هذه الآية[1] قال السيوطي:

هذا الاسناد واه جدا، فان السدي الصغير كذاب، وكذلك الكلبي، وأبو صالح ضعيف[2].

ب - وفي قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ (٥ - ٨٧) أخرج ابن عساكر - في تاريخه - من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رهط من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد ابن الأسود وسالم مولى أبي حذيفة. توافقوا أن يجبوا انفسهم، ويعتزلوا النساء، ولا يأكلوا لحما ولا دسما، ويلبسوا المسوح، ولا يأكلون من الطعام الا قوتا، وان يسيحوا في الأرض كهيئة الرهبان فنزلت»[3].

وقد علمنا من أمر السدي الصغير وابن الكلبي وأبي صالح ما تسقط به روايتهم .

★ ★ ★

٢) وأما الموافقات:

فبعض ما قيل فيها ليس له من خبر تقوم به حجة، فلا دليل يعد صحيحا

(١، ٢) السيوطي - لباب النقول ص ٧ - وراجع لأبي الحسني علي بن أحمد الواحدي النيسابوري - اسباب النزول ص ١٢.

(٣) السيوطي - أسباب النزول ص ٩٤، ٩٥ - وانظر للواحدي - أسباب النزول ص ١١٧ فثم أخرى ليس في سندها السدي الصغير ولا ابن الكلبي، وتذكر بدل (عمر) عبد الله بن عمر وهي بدورها في حاجة الى نظر.

على أن الآيات الست التالية وافقت رأيا لعمر، وهي:

أ ـ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث** (٢ ـ ١٨٧)

ب ـ **نساؤكم حرث لكم** (٢ ـ ٢٢٣)

ج ـ **فتبارك الله أحسن الخالقين** (٢٣ ـ ١٤)

د ـ **سبحانك هذا بهتان عظيم** (٢٤ ـ ١٦)

هـ ـ **ثلة من الأولين وثلة من الآخرين** (٥٦ ـ ٣٩ و ٤٠)

و ـ **سواء عليهم استغفرت لهم..** (٦٣ ـ ٦)[١].

ونحب أن نشير هنا الى أن موافقة القرآن لرأي بشر وقعت كذلك لغير عمر من رجال: كأبي بكر وسعد بن عبادة[٢]، ونساء: كأسماء بنت مرثد، وزوجة أبي أيوب الأنصاري[٣] رضي الله عنهم ـ غير أن عمر أشهرهم موافقة.

٣) وأما التفسير:

فقد تقدم لنا منهج عمر فيه[٤]

كذلك مر بنا موقفه الحازم مع من يلغط بالمتشابه عنتا واثارة للفتنة[٥] ثم عمر ـ بعد ذلك ـ يقف اذا أغلق عليه شيء، فلا يتحدث فيه من عنده، وذلك ما يوجبه العلم.

بين يدي هذا كله الى دراسة السند نرد الروايات الآتية لعدم صحتها ولما فيها من تفسير لا علم فيه ينتفع به، فمن ذلك ما قيل:

---

(١) راجع للمحب الطبري ـ الرياض النضرة ٢٦٥/١. وما بعدها ـ وللسيوطي تاريخ الخلفاء ص ١٢٢ ـ وقطف الثمر من كتابه (الحاوي) ٥/٢، ٦ وللامام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ابن الجوزي) ـ سيرة عمر بن الخطاب ص ١٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٨٨/٢، ٢٨٧.

(٣) نفس المرجع ٣٠٣/٣.

(٤) البحث ص ٩٨ و ٩٩.

(٥) البحث ص ٩٩ و ١٠٠.

أ ـ ان عمر صعد المنبر فقال:

« أيها الناس، هل سمع أحد رسول الله ﷺ يفسر حم عسق.

فوثب ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال: أنا، قال: حم: اسم من أسماء الله تعالى، قال: فعين؟ قال: عاين المولون يوم بدر، قال: فسين؟ قال: سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، قال: فقاف؟ فسكت. فقام أبو ذر ففسر ـ كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ وقال: قاف: قارعة من السماء تغشى الناس [١] ».

قال ابن كثير عنه: « اسناده ضعيف جدا ومنقطع [٢] » ا هـ ثم هـي - في سندها ـ أبو عبد الله الحسن بن يحيي الخشني، قال عنه ابن حبان: يروي عن الثقات ما لا أصل له [٣].

وهذه الرواية ـ في الموضوعات ـ مصحوبة بخلط آخر، وفيها وضاعان مقاتل بن سليمان وعنه نرح بن أبي مريم [٤].

ب ـ ونسب الى عمر أنه فسر (الفقراء) من قوله تعالى: **انما الصدقات للفقراء**. آلاية ٩ ـ ٦٠ فقال: هم أهل الكتاب.

روى ذلك أبو بكر العبسي في خبر (غريب جدا) وأبو بكر في حكم المجهول [٥] وانما ثبت عن عمر أنه قال:

---

(١) الخوارزمي ـ جامع مسانيد الامام الاعظم ٢١٤/١ ـ راجع تفسير ابن كثير ١٠٦/٤.

(٢) تفسير ابن كثير ١٠٦/٤.

(٣) أبو الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة ٥١/١ ترجمة رقم ٦٨.

(٤) نفس المرجع ٣٥٠/٢ ـ انظر بنفس المرجع جدول الوضاعين ١١٩/١، ١٢٢ الترجمتين ٣٦٢، ٢١.

(٥) تفسير ابن كثير ٣٦٤/٢.

« ليس الفقير الذي لا مال له، ولكن الفقير الأخلق الكسب »[1].

جـ - وفي قوله تعالى: **وإذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا**.. (٦٦ - ٣) زج باسم عمر في خبر لا يخلو من كذب، أورده البلاذري عن هشام بن السائب الكلبي - بسنده - الى ابن عباس - قال:

اسر الى حفصة أن أبا بكر ولي الأمر من بعده، وأن عمر وليه من بعد أبي بكر... الخ قال الدارقطني: هشام متروك، وقال غيره: ليس بثقة، وقال صاحب تنزيه الشريعة: هشام بن محمد بن السائب الكلبي الأخباري النسابة اتهم بالكذب. ا هـ[2].

★ ★ ★

ويلحق بهذه الموضوعات لون يتصل بالتفسير هو الترغيب في التلاوة فنسبوا الى عمر أنه روى:

د - « لما نزلت آية الكرسي قال رسول الله ﷺ لمعاوية: اكتبها، فقال: مالي بكتبها؟ فقال: لايقرؤها أحد الا كتب لك اجرها » والخبر موضوع وضعه الحسين بن يحي الحنائي، وعنه أحمد بن محمد بن نافع، أو أحدهما، قال ابن الجوزي: وضعه حسين واتهموا به أحمد[3]. ا هـ.

هـ - وأنه روى:

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٠٨/١٤ دار المعارف.

(٢) انظر لياقوت الحموي معجم الأدباء ٢٥٠/٧ - وللكناني - تنزيه الشريعة ١٢٣/١ (الترجمة رقم ١٢).

وللعلامة أبي المحاسن محمد بن خليل القاوقجي - اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع ص ٥٨ (في التعليق على كتاب الكلبي في التفسير).

الكناني - تنزيه الشريعة ٤/٢.

« من قرأ سورة الزخرف في ليلة كتب له براءة، ولأبيه براءة، ولأمه براءة من النار. ومن قرأ سورة الحجرات خرج من قبر - وهو يقرؤها حتى يدخل الجنة والناس في الحساب ».

وفي الخبر حاتم بن ميمون لا يحتج به.
ومحمد بن أحمد بن ابراهيم أبو الطيب المخرمي مجهول [1].

و - وزج باسم عمر في هذا الخبر الموضوع:

« ما كان رجل يجيء الى أبي بكر وعمر وعثمان يشكو اليهم هما أو غما أو ضيق صدر، أو كثرة دين الا قالوا له: عليك بقراءة انا أنزلناه في ليلة القدر... الخ.

والحديث منسوب الى علي - كرم الله وجهه، وفيه المخرمي هذا المجهول في الخبر قبله، والحسن بن علي أبو سعيد العدوي كذاب [2].

٢) عمر والسنة:

ولعمر علم من السنة المطهرة شمل أمورا عدة:
أ - روايته

وعلم عمر من السنة مصدره رسول الله ﷺ ثم جمع من الصحابة.

حرص عمر على الأخذ من رسول الله ﷺ ورتب، لذلك، الملازمة له - عليه الصلاة والسلام - بينه وبين جاره من بني أمية بن زيد، كما مر [3] فكان له من ذلك محصول.

---

(١) نفس المصدر ٣٠٦/١.
(٢) نفس المصدر ٣٠٤/١، ٣٠٦.
(٣) البحث ص ٨٩ و ٩٠.

وإذا جلس عمر الى رسول الله ﷺ لم يترك المجلس حتى ينفض، فهو واحد من الجمع القليل الذي لم يترك رسول الله ﷺ وهو يخطب حين قدمت عير الى المدينة [1].

وهو يجلس نشطا يستوضح ويستفهم، ويلقي - بين يدي رسول الله ﷺ بشؤون خاصة وعامة:

ففي - اسناد صحيح - أنه قال:

يا رسول الله، اني نذرت في الجاهلية أن أعتكف في المسجد الحرام ليلة؟ فقال له: فأوف بنذرك [2].

واستفهم عن رسول الله ﷺ في الفرس [3].

وسأل رسول الله ﷺ لولده عبد الله في طلاق زوجه وهي حائض، فقال له:

« مره فليراجعها فليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم ان شاء أمسكها بعد، وان شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء [4].

وقد يدفع ابنته أم المؤمنين حفصة فتسأل له رسول الله ﷺ فيما يريد [5].

وهذا اللون، وان كان خاصا، الا أنه أفاد المسلمين عامة. وهو يسأل رسول الله ﷺ عن صلاته على رأس المنافقين. عبد الله بن أبي بن سلول [6] وعن صلاته على زانية [7]، ويستفتيه فيما يحزب من أمر اختلف فيه المسلمون مثل: أي العمل أفضل بعد الاسلام؟... قال لهم عمر:

---

(١) صحيح مسلم ١٠/٣.
(٢) مسند أحمد ٢٦٥/١.
(٣) البحث ص ٨٩ - راجع بموطأ مالك ٢٦٦/١.
(٤) موطأ مالك ٩٦/٢ - راجع صحيح مسلم ١٧٩/٤.
(٥) تفسير ابن كثير ٥٦٤/١ (أمرها أن تسأل في الكلالة).
(٦) صحيح البخاري ٩٧/٣ - ٨٥/٦.
(٧) صحيح مسلم ١٢١/٥.

« اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته ﷺ فيما اختلفتم فيه[1].

حتى اذا قضي رسول الله ﷺ تشدد عمر في قبول الحديث ـ مما قد يجعل محصوله منه ـ من أفواه الناس ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ قليل.

ولسنا ندري ـ بالضبط مقدار محصوله ـ رضي الله عنه ـ من الحديث، لكن المروي عنه مضبوط. قال الحافظ السيوطي:

روى له عن النبي ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثا[2] وفي رواية: خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثا..[3].

اتفق الشيخان ـ في صحيحيهما ـ على ستة وعشرين منها، وانفرد البخاري بأربعة وثلاثين ومسلم بواحد وعشرين...[4].

وفي مسند عمر عند الامام أحمد ـ تسعة وثلاثمائة حديث، تبدأ برقم اثنين وثمانين، وتنتهي برقم تسعين وثلاثمائة، ليس فيها الا عشرون حديثا ضعيفة[5] أو موضوعة، وبقيتها صحاح.

ومسند عمر ـ عند الامام أحمد ـ رضي الله تعالى عنه ـ بعضه مكرر، وبعض منه رواه غير عمر.

وبقيتها مبثوث في مراجع الحديث.

---

(١) نفس المرجع ٣٦/٦.

(٢) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ١٠٩.

(٣) راجع للشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المالكي ـ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٤٠/١.

(٤) نفس المصدر ٤٠/١.

(٥) أرقامها: ٩٨ ـ ١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ١١٣ ـ ١١٥ ـ ١١٨ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٢٨ ـ ١٣٢ ـ ١٤٠ ـ ١٤٢ ـ ١٤٤ ـ ١٥١ ـ وللأول منها روايات تقويه وجميعها بالجزء الأول من مسند أحمد ـ دار المعارف.

وينبغي أن نسجل لعمر أنه وفق الى رواية أحاديث لها قيمتها الأولوية في الايمان والعمل والقضاء وغير ذلك:

عن عبد الله بن عمر قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال:

بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس الى النبي ﷺ فأسند ركبتيه الى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الاسلام، فقال رسول الله ﷺ: أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا، قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الايمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الاحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربتها؛ وأن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق، فلبثت مليا، ثم قال لي: يا عمر، أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم [1].

وحدث طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنهما - وقد رآه على هم، فسأله عن همه فقال طلحة: ..« سمعت رسول الله ﷺ يقول: اني لأعلم كلمة لا يقولها الرجل عند موته الا كانت نورا في صحيفته، أووجد لها روحا عند الموت، قال عمر: أنا أخبرك بها، هي الكلمة التي أراد بها عمه: شهادة أن لا اله الا الله، قال: فكأنما كشف عني الغطاء [2] ».

وروى في ذلك: « .. أشهد أن لا اله الا الله، وأني رسول الله، لا يأتي بهما عبد

---

[1]) صحيح مسلم ١/٢٨، ٢٩.

[2]) مسند أحمد ١/٢٦٤ وراجع بنفس المصدر ١/٢٣٦.

محق الا وقاه الله حر النار ...[1]».

وروى فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: انما الأعمال بالنيات، وانما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو الى امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه[2]..».

وروى في الشهداء، قال فضالة بن عبيد: «سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله فقتل، فذلك الذي ينظر الناس اليه هكذا، ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله ﷺ أو قلنسوة عمر. والثاني: رجل مؤمن لقي العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذاك في الدرجة الثانية، والثالث: رجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله عز وجل حتى قتل، قال: فذاك في الدرجة الثالثة، والرابع: رجل مؤمن أسرف على نفسه اسرافا كثيرا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة[3].

وروى: لا يقاد والد من ولده[4]

و... «الخال وارث من لا وارث له..»[5].

وصنف ما رواه عمر عن رسول الله ﷺ فكان: في القرآن ـ كما قدمنا[6].

وفي الايمان والعمل والقدر والسنة والعلم والذكر والدعاء.

وفي الطهارة والصلاة والجنائز، والزكاة، والصدقات، والصيام، والحج.

---

(١) السيد الشريف ابراهيم بن محمد بن كمال الدين الحسيني الحنفي الدمشقي البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ١/١٠٠.

(٢) صحيح البخاري ١/٤.

(٣) مسند أحمد ١/٢٢١.

(٤) نفس المصدر ١/٢١٩، ٢٢٠.

(٥) نفس المصدر ١/٢٣٧.

(٦) البحث ص ٩٥ وما بعدها.

وفي النكاح والطلاق والنسب، والفرائض والوصايا والاجتماع.
وفي المعاملات والحدود.
وفي اللباس والأطعمة والأشربة والذبائح.
وفي الأخلاق والزهد والرقاق والمناقب والفتن والقيامة... الخ.
وفي الهجرة والجهاد والغزوات.
وفي الخلافة والامارة والقضاء.[1].

وأخذت هذه الأحاديث مكانها في مختلف العلوم الاسلامية، ولا تزال رافدا يمد هذه العلوم.

وبما علم عمر من القرآن وتفسيره، ومن السنة وألوانها الى معرفته الموسعة بلسانه العربي صار في مقدمي الصحابة الفقهاء، وذا باع في المواريث خاصة[2].

ب ـ زياد عمر عن السنة:

كان عمر حريصا على السنة مطواعا لها، وكان لديه منها علم يطمئن اليه، أعني به هذا الذي سعى الى تحصيله بوسيلة فاصلة.

وكان ـ رضي الله عنه ـ يلتزمها، حتى التزم منها بعض ما ارتبط بسبب لم يعد له وجود، قال ـ رضي الله عنه ـ بشأن الرمل:

«فيم الرملان اليوم، والكشف عن المناكب، وقد أطأ الله الاسلام ونفى الكفر وأهله؟ مع ذلك، لا ندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ[3] ...».

ومع حرصه الشديد عليها لم يجمعها، مع أن فكرة الجمع لم تغرب عنه، فقد: «... أراد أن يكتب السنن واستشار ـ فيها ـ أصحاب رسول الله ﷺ فأشار اليه

---

(١) راجع الأبواب بفهرس مسند أحمد ٣٩٩/١ مقارنا بأرقام الحديث.
(٢) راجع مسند أحمد ١٩٠/١ ـ وسنن الدارمي ٢٧١/٢، وآثار محمد الشيباني ص ١٢٢.
(٣) سنن ابي داود ٤٣٦/١.

عامتهم بذلك، فلبث عمر شهرا يستخير الله تعالى في ذلك شاكا فيه ثم أصبح يوما ـ وقد عزم الله تعالى له، فقال:

اني ذكرت لكم من كتابة السنن ما قد علمتم، ثم تذكرت، فاذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا ـ مع كتاب الله ـ كتبا فاكبوا عليها وتركوا كتاب الله، واني ـ والله ـ لا ألبس كتاب الله بشيء، فترك كتاب السنن [1] » أي كتابتها.

وأخرج السلفي بسند صحيح عن ابن عمر عن عمر: أنه أراد أن يكتب السنن فاستخار الله شهرا... الحديث... [2].

واذا كان عمر لم يجمع السنة، وصدر في ذلك عن استخارة الله، فقد التزم منهجا محكما تتأدى به الرواية خير أداء تسلم به صحتها، ولنر الى أين سار في هذا الأمر؟.

قال أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه.

« .. كنا في مجلس عند أبي بن كعب، فأتى أبو موسى الأشعري مغضبا حتى وقف فقال: أنشدكم الله، هل سمع أحد منكم رسول الله ﷺ يقول: الاستئذان ثلاث، فان أذن لك، والا فارجع..؟

قال أبي: وما ذاك؟ قال: استأذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرات، فلم يؤذن لي فرجعت، ثم جئته اليوم، فدخلت عليه فأخبرته أني جئت أمس فسلمت ثلاثا، ثم انصرفت. قال: قد سمعناك، ونحن حينئذ على شغل، فلوما استأذنت حتى يؤذن لك؟ قال: استأذنت كما سمعت رسول الله ﷺ.

قال: فو الله لأوجعن ظهرك وبطنك أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا!!!

فقال أبي بن كعب: فو الله لا يقوم معك الا أحدثنا سنا، قم يا أبا سعيد، فقمت حتى أتيت عمر فقلت: قد سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ثم انطلق أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ فقال لعمر ـ معاتبا:

---

(١) السيوطي ـ تنوير الحوالك ـ المقدمة ٤/١.

السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ١٣٨.

سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك - يا ابن الخطاب فلا تكن عذابا على أصحاب رسول الله ﷺ !! .

قال عمر : سبحان الله ، انما سمعت شيئا فأحببت أن أتثبت .

وقال لأبي موسى : أما أني لم أتهمك ، ولكني خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ .. [١] .

وانطلق عمر - مرة - بعمرو بن أمية الضمري - رضي الله عنه - الى عائشة أم المؤمنين ليتحقق أيضا صحة رواية لعمرو [٢] .

ورفض امرا انفردت به فاطمة بنت قيس ، رضي الله عنها . قالت :

طلقني زوجي ثلاثا ، فلم يجعل لي رسول الله ﷺ سكنى ولا نفقة [٣] .

قال عمر : لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ بقول امرأة لا ندري : صدقت أم كذبت . المطلقة - ثلاثا - لها السكنى والنفقة [٤] .

قالت عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها :

ما لفاطمة خير أن تذكر هذا . تعني قولها : لا سكنى ولا نفقة [٥] اذا كان لعمر نهج في التثبت من الحديث ، فلم يقبل ما أسند الى رسول الله ﷺ دون نظر ، فرفض فيما انفرد ، وقبل في غيره بشهادة ، وان يعن ذلك شيئا ويدل عليه ، فهو خوفه من كثرة الرواية ، اذ هي - الا في القليل - مظنة التردي في الخطأ الى ما فيها من تهوين شأن الحذر ، ومن هنا سجن قوما أكثروا الرواية ، ومات وهم في سجنه [٦] ، وكان يقول :

---

(١) راجع لهذا الخبر صحيح مسلم ١٧٨/٦ ، ١٨٠ - موطأ مالك ١٤٣/٣ - صحيح الترمذي ١٦٣/١٠ صحيح البخاري ١٢٦/٩ .

(٢) مسند أبي داود الطيالسي ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٣) صحيح مسلم ٢٠٠/٤ - وساق مسلم أحاديث عدة لها ١٩٥/٤ وما بعدها .

(٤) انظر للامام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي - مسند أبي حنيفة برواية الحصكفي ص ٣٠ .

(٥) صحيح مسلم ٢٠٠/٤ .

(٦) سنن الدارمي ٧٣/١ - صحيح الترمذي ١٦٥/١٠ .

بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع [1] وذلك منه وقاية لحديث رسول الله ﷺ .

ثم هو من حيث المبدأ حريص على نشر العلم، باحث عنه، ذو مجالس فيه: قال لابن عباس: رضي الله عنهم:

« ... ما ظننت أن عندي من علم فسلني عنه، فان كنت أعلمه أخبرتك [2] وجاءته جدة تسأله نصيبها في ميراث يبدو أنها تنازعت فيه وأخرى، وارتفعتا الى عمر: فقال: « ...ما أدري، ما سمعت من رسول الله ﷺ فيها شيئا وسأسأل الناس... [3] ».

فحدثوه بحديث المغيرة بن شعبة، وكان حدث أبا بكر بأن رسول الله ﷺ أعطاها سدسا ـ فقال له أبو بكر: أيعلم ذاك أحد غيرك؟ فقال محمد بن مسلمة: صدق. فقال عمر:

« .. أيكما خلت به فلها السدس، فان اجتمعتما فهو بينكما... [3] ».

وجمع يوما من حضره من صحابة رسول الله ﷺ، وسألهم عن التكبير في الجنازة، وكان بعض الصحابة كبر فيها خمسا، ثم قال لهم:

« .. انظروا آخر جنازة كبر عليها النبي ﷺ فوجدوه قد كبر أربعا حتى قبض، قال عمر: فكبروا أربعا [4] ».

ولهذا ونحوه يقول الامام مسلم ـ رضي الله عنه:
« .. وكان يؤخذ بالآخر من قول رسول الله ﷺ .. [5] »
قال حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه:

---

(١) صحيح مسلم ٨/١.
(٢) صحيح مسلم ١٩٠/٤ ـ وصحيح البخاري ١٢٦/٩.
(٣) سنن الدارمي ٢٥٩/٢، ٢٦٠.
(٤) مسند أبي حنيفة ـ رواية الحصكفي ص ٢١.
(٥) صحيح مسلم ١٤١/٤.

كنا جلوسا عند عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة، قلت: أنا، كما قاله، قال: انك عليه ـ أو عليها ـ لجريء. قلت: فتنة الرجل في أهله... قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر.

قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، ان بينك وبينها بابا مغلقا.

قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر، قال: اذا لا يغلق أبدا.

قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟

قال: نعم كما أن دون الغد الليلة، اني حدثته بحديث ليس بالأغاليط ثم قال: ...الباب عمر (١)».

وحدثه الحارث بن عبد الله بن أوس ـ رضي الله عنهما ـ فقال:

سمعت النبي ﷺ يقول: من حج البيت أو اعتمر فليكن آخر عهده بالبيت، فقال عمر: خررت من يديك، هـذا عندك ولم تخبرنا (٢).

وبعد:

فانا نتساءل ـ بشأن جمع السنة ـ في هذه الآونة:

أكان عمر يمكنه جمع السنة بشرطه هذا؟

أم كان يتنازل عنه؟

فأما تنازله فلا سبيل اليه، ولو كان متنازلا لتنازل مع أبي موسى ـ وهو يعلم صدقه. وأما شرطه فهو منهجه، وهو يقتضي جمع من صحبوا رسول الله ﷺ في صعيد واحد، أو الاتصال بكل شاهد والبحث عنه لكل خبر ليخرج الحديث في الذروة من الصحة والكمال اللذين يريد عمر، وأنى ذلك والدولة قد بسطت كلتا يديها في الفتوح شرقا وغربا، وكثير من الصحابة في تلك الميادين لا يتمكن من التخلي عن موقعه.

---

(١) صحيح البخاري ١٤٠/١.

(٢) ابن الاثير ـ أسد الغابة ٢٠٣/٣.

وعندي أن هذا يفسر موقف عمر الوسط، فهو - وان لم يدون السنة، لم يطلق العنان لروايتها، فحذره الناس، ثم زادهم فلعن من سأل عما لم يكن[1]حتى لا يكون سبيل الى سفسطة أو بحث عن حديث لأمر معين، فانتهى الأمر - ابان حكمه - بتداول الصحيح عن ثقة، قال معاوية - رضي الله عنه: «اياكم والأحاديث الا حديثا كان في عهد عمر، فان عمر كان يخيف الناس[2]..».

ج - نقد عمر:

نقدت عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - عمر في روايتين رواهما عن رسول الله ﷺ.

١) الأولى - في حديث البكاء على الميت بصوت، وهو حديث ردده عمر بكثرة، خاصة بعد طعنه، فقال لصهيب - وقد رفع صوته بالبكاء والنداء: أتبكي علي؟. وقد قال رسول الله ﷺ: «ان الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه[3]».

والأمر كذلك حين عولت حفصة - قال: مهلا يابنية، ألم تعلمي أن رسول الله ﷺ - قال: ان الميت يعذب ببكاء أهله[4].

وحين قال له الطبيب: اعهد بكى القوم فقال عمر: لا تبكوا علينا، من كان باكيا فليخرج[5]... وروي الحديث، كذلك رواه حين مات أبو بكر ونيح عليه[6].

وكل أسانيد ذلك صحاح، ثم التكرار هذا قاطع بقوة في ايضاح فهم عمر، وبيان أن الميت المسلم داخل في نطاق الحديث، وها هو ذا عمر يشير به الى نفسه.

---

(١) مسند الدارمي ٤٧/١.
(٢) صحيح مسلم ٩٥/٣.
(٣) صحيح البخاري ١٠١/٢، وانظر صحيح مسلم ٤١/٣ ومسند احمد ٢٨٠/١ انظر البحث ص ٨٢.
(٤) صحيح مسلم ٤١/٣.
(٥) مسند أحمد ٢٨٢/١.
(٦) نفس المصدر ٣٠٠/١.

قال ابن عباس: فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة فقالت: يرحم الله عمر، لا، والله، ما حدث رسول الله ﷺ: ان الله يعذب المؤمن ببكاء أحد، ولكن قال: ان الله يزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه...

حسبكم القرآن: ولا تـزر وازرة وزر أخرى (١٧ ـ ١٥) (١).

وحدث أن روى عبد الله بن عمر الحديث، فلما بلغ عائشة الامر قالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن، أما انه لم يكذب، ولكنه نسي أو خطأ، انما مر رسول الله ﷺ على يهوديه يبكي عليها، فقال: انهم ليبكون عليها وانها لتعذب في قبرها (٢). ١٢٢ ا هـ.

لكن أبا موسى الأشعري روى في المعنى الذي حدث به عمر، قال أبو موسى قال رسول الله ﷺ: ما من ميت يموت فيقوم باكية فيقول: واجبلاه واسنداه، أو نحو ذلك، الا وكل به ملكان يلهزانه: أهكذا كنت؟ (٣).

وقال المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه: سمعت النبي ﷺ يقول: من نيح عليه يعذب بما نيح عليه (٤).

وهي معان تقوي ما ساقه السيوطي منسوبا الى أبي بكر ـ رضي الله عنه: ان الميت ينضح عليه الحميم ببكاء الحي (٥).

انه لا بد ـ في فقه هذه المسألة ـ أن نذكر ما كان عليه الأمر في الجاهلية ومنعه الاسلام. لقد كان الرجل في الجاهلية يحب أن يندب عليه اذا هالك بل كان يوصي بذلك:

---

(١) صحيح مسلم ٣/٤٣، ٤٤.

(٢) نفس المصدر ٣/٤٥.

(٣) صحيح الترمذي ٤/٢٢٥.

(٤) صحيح البخاري ٢/١٠٣.

(٥) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ٨٨.

كان لأبي جندب المشؤوم جار من خزاعة هو حاطم بن هاجر بن عبد مناف وقعت به بنو لحيان فقتلوه وامرأته واستاقوا ماله، وكان أبو جندب وجعا فلما أبل من مرضه قدم مكة، واستلم الركن ـ وقد شق وكشف عن استه فعرف من رآه انه أتى بشر ـ ثم مضى يقول:

اني امرء أبكـي على جـاريـه ... أبكـي على الكعبي والكعبيـه
ولـو هلكـت بكيـا عليـه ... كانا مكان الثوب من حقـويـه [1]

وأوصى طرفة بن العبد البكري ابنة أخيه بندبه والعويل عليه، قال:

فـان مت فـانعيني بما أنـا أهلـه ... وشقي على الجيب يـا ابنـة معبد
ولا تجعليني كـامـرىء ليس همـه ... كهمي، ولا يغني غنائي ومشهدي [2]

وحرم الاسلام ما كانت عليه الجاهلية من ذلك.
وفي الحديث الشريف:

« ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية [3] » وما نشك أن الميت ـ اذا أوصى بندبه والعويل عليه ـ فهو معذب بذلك. فأما ما ذرفت العين من ألم الفراق فلا شيء فيه قال ﷺ: ان الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا ـ وأشار الى لسانه أو يرحم[4].

وقد ترجم الامام البخاري للباب فقال ـ فقها منه.
باب قول النبي ﷺ: « يعذب الميت ببعض بكاء اهله عليه » اذا كان النوح من سنته لقول الله تعالى: **قوا أنفسكم وأهليكم نارا**، وقال النبي ﷺ: كلكم راع

---

(١) أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري ـ شرح أشعار الهذليين ٣٤٩/١.
(٢) أبو عبد الله الحسين بن احمد الزوزني ـ شرح المعلقات السبع ص ٧٣.
(٣) صحيح البخاري ١٠٣/٢.
(٤) صحيح البخاري ١٠٦/٢.

وكلكم مسؤول عن رعيته، فإذا لم يكن من سنته، فهو - كما قالت عائشة رضي الله عنها - لا تزر وازرة وزر أخرى [١].

★ ★ ★

وقد أثار موقفه من النفل بعد العصر ما أثار الحديث السابق، فان «علي بن أبي طالب سبح بعد العصر ركعتين - في طريق مكة - فرآه عمر فتغيظ عليه، ثم قال: أما والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ نهى عنها» [٢].

قال ابن عباس - رضي الله عنهما

شهد عندي رجال، مرضيون، فيهم عمر، وأرضاهم عندي عمر أن رسول الله ﷺ قال: لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس [٣].

قالت عائشة - رضي الله عنها:

وهم عمر انما نهى رسول الله ﷺ أن يتحرى طلوع الشمس وغروبها [٤].

وعنها: لم يدع رسول الله ﷺ الركعتين بعد العصر [٥].

وينتهي فقه هذه المسألة عند أم المؤمنين أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة القرشية المخزومية - رضي الله عنها - فقد أرسل ابن عباس وعبد الرحمن بن أزهر والمسور بن مخرمة - كريبا - رضي الله عنهم - الى عائشة، يسأل في هذا الأمر.

« قال كريب: فدخلت عليها وبلغتها ما أرسلوني به، فقالت: سل أم سلمة، فخرجت اليهم فأخبرتهم بقولها، فردوني الى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به الى عائشة. فقالت أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ ينهي عنها، ثم رأيته يصليها.

---

(١) صحيح البخاري ١٠٠/٢، وانظر فتح الباري لابن حجر ١٢٠/٣، ١٢١.
(٢) مسند احمد ١٩٨/١.
(٣) مسند أحمد ٢١٢/١، ٢١٣.
(٤) صحيح مسلم ٢١٠/٢.
(٥) نفس المرجع ٢١٠/٢.

أما حين صلاهما، فانه صلى العصر ثم دخل، وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار، فصلاهما، فأرسلت اليه الجارية، فقلت: قومي بجنبه، فقولي له: تقول أم سلمة: يارسول الله، اني أسمعك تنهي عن هاتين الركعتين وأراك تصليهما ـ فان أشار بيده فاستأخري عنه قال: ففعلت الجارية، فأشار بيده فاستأخرت عنه، فلما انصرف قال: يا بنت أبي أمية. سألت عن الركعتين بعد العصر، انه أتاني ناس من عبد القيس بالاسلام من قومهم، فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان [١].

وقد سئلت عائشة عن السجدتين اللتين كان يصليهما رسول الله ﷺ بعد العصر، فقالت:

« كان يصليهما قبل العصر، ثم انه شغل عنهما أو نسيهما فصلاهما بعد العصر، ثم أثبتهما، وكان اذا صلى صلاة أثبتها » [٢].

أثبتها، أي: داوم عليها [٢].

★ ★ ★

د ـ فقه عمر ومنهجه

ومسائل فقه عمر ليست موضوعا لهذا البحث، لكن مقدرته الفقهية تمثل عملا ذهنيا هو نتيجة صفات عدة تتصل اتصالا مباشرا بعمل الناقد، وبخاصة من حيث استيعابه لموضوع البحث وجزئياته واعمال النظر في كل منها، والبصيرة اللماحة الذكية التي تقود ذلك كله الى استنباط الحكم والقطع به.

ومن هنا كانت المقدرة الفقهية لعمر ذات اتصال وثيق بمقدرته النقدية في الأدب ـ بل ان الفصل بينهما عسير، فالشخصية مزاج متحد وليس انفصاما تتطاير أجزاؤه ليلحق كل منها بما يجانسه من أمور.

(١) صحيح مسلم ٢/٢١٠، ٢١١.

(٢) نفس المصدر ٢/٢١١ ـ وانظر للامام أبي عبد الله محمد بن خلفة الوشتاني الأبي المالكي ـ اكمال اكمال المعلم ٢/٤٤٠.

وعمر من مقدمي الصحابة الفقهاء، وقد سبقت شهادة رسول الله ﷺ له بالعلم [١].

وعلى كثرة ما أفتى عمر [٢] ـ رضي الله عنه، فلا أعلم ـ في حدود ما قرأت ـ أن فتاويه قد استقلت بكتاب جامع، كذلك الذي صنعه أبو بكر محمد بن موسى يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون فجمع فيه فتيا عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما، وأبو بكر ـ هذا ـ أحد أئمة الاسلام في العلم والحديث [٣].

ولعمر مدرسته الفقهية، روى أمرها ـ في نص نادر ـ الامام أبو حنيفة ـ بسنده ـ قال:

« تفقه من أصحاب النبي ﷺ ستة رهط: ثلاثة منهم يلقي بعضهم على بعض، وثلاثة يلقي بعضهم على بعض، فكان ابن مسعود وعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت يلقي بعضهم على بعض.

وكان علي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، وأبي بن كعب يلقي بعضهم على بعض [٤] ».

ثم لعمر منهج تبعه في فقهه وقضائه، يبدأ بالأخذ من كتاب الله وينتهي بالمشاورة مع أصحاب رسول الله ﷺ.

فاذا ورد الأمر:

فان كان في كتاب الله فقد قضي الكتاب، أو كان في السنة فقد قضت السنة وقد مر بنا قوله: لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ بقول امرأة [٥].

---

(١) انظر البحث ص ٨٧.

(٢) الامام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية اعلام الموقعين عن رب العالمين ١٢/١.

(٣) نفس المصدر ص ١٢.

(٤) الامام الجليل أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الأنصاري ـ كتاب الآثار ص ٢١٢ وانظر النص بأعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ١٥/١.
وانظر للامام محمد بن الحسن الشيباني ـ الآثار ص ١٤٥.

(٥) البحث ص ١١٤.

بينما المسلمون يتدربون على الرمي جاء سهم غرب الى غلام فقتله، وليس له الا خال كان الغلام في حجره، فكتب أبو عبيدة الى عمر: «الى من أدفع عقله؟ فكتب اليه عمر: ان رسول الله ﷺ كان يقول: الله ورسوله مولى من لا مولى له، والخال وارث من لا وارث له[1].

فان أعياه أن يجد في الكتاب والسنة نظر: هل كان لأبي بكر فيه قضاء؟ فان وجد أبا بكر قضي فيه بقضاء قضي به.

كان أبو بكر - رضي الله عنه - يقول في الكلالة: أراه ما خلا الولد والوالد «فلما استخلف عمر قال: اني لا ستحي أن أرد شيئا قاله أبو بكر[2]، فاذا لم يكن لأبي بكر قضاء دعا رؤس المسلمين، فاذا اجتمعوا على أمر قضي به.

حج عمر فأتاه أشراف أهل الشام، فقالوا: ياأمير المؤمنين، انا أصبنا من أموالنا رقيقا ودواب، فخذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها، وتكون لنا زكاة. فقال: هذا شيء لم يفعله اللذان كانا من قبلي، ولكن انتظروا حتى أسأل المسلمين[3].

وقد روى عمر، وروى حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ لم يأخذ عن الخيل والرقيق صدقة[4].

واستشار أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم علي - فقال علي: هو حسن ان لم يكن جزية راتبة يؤخذون بها من بعدك[5].

* * *

فاذا كان الرأي - والأمر فقه هذا الدين - كان في اجتهاده على حذر حاذر قال

---

(١) مسند أحمد ٢٩٥/١، ٢٩٦.

(٢) السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ٩٤ انظر البحث ٧٨.

(٣) مسند أحمد ١٨٩/١.

(٤) راجع مسند احمد ٢٠٤/١.

(٥) مسند أحمد ١٨٩/١.

عمر: ان الرأي انما كان من رسول الله ﷺ مصيبا ـ ان الله كان يريه، وانما هو منا الظن والتكلف وقال: السنة ما سنه الله ورسوله ﷺ، لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأمة.

ومن قوله: أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا ـ حين سئلوا ـ أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فاياكم واياهم.

وقال: اتهموا الرأي في الدين، فلقد رأيتني، واني لأرد رسول الله ﷺ برأيي، فأجتهد ولا آلو، وذلك يوم أبي جندل، والكتاب يكتب، وقال: اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: يكتب باسمك اللهم، فرضي رسول الله ﷺ وأبيت، فقال: يا عمر، تراني قد رضيت وتأبى؟ [١].

في هذا الاطار كان عمر يستخدم الرأي، فاذا اطمأن للرأي يراه أسنده لنفسه. كتب له كاتب: هذا ما رأى الله ورأى عمر، فقال: بئس ما قلت، قل: هذا ما رأى عمر، فان يكن صوابا فمن الله، وان يكن خطأ فمن عمر [٢].

وبدهي أنه يستخدم الرأي اذا أعوزه الدليل:

نشد الناس ـ يوما ـ قضاء رسول الله ﷺ في الجنين فقال: أذكر الله امرءا سمع من النبي ﷺ في الجنين شيئا. فقام حمل بن بدر بن النابغة فقال: كنت بين جاريتين لي ـ يعني ضرتين ـ فضربت احداهما الأخرى بمسطح، فألقت جنينا ميتا، فقضى فيه رسول الله ﷺ بغرة.

فقال: لو لم نسمع هذا لقضينا فيه بغير هذا

وفي رواية: ان كدنا أن نقضي في مثل هذا برأينا [٣].

---

(١) اعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ١/٥٤، ٥٥، ٥٦.

(٢) نفس المصدر ١/٥٤.

(٣) مسند الشافعي ص ٨٣، ١١٤.

وعمر لا يمنعه قضاء قضي به ثم رأى غيره خيرا منه أن يقضي بالذي هو خير، قال الحكم بن مسعود - رضي الله عنه:

أتينا عمر في المشركة فلم يشرك، ثم أتيناه العام القابل فشرك فقلنا له، فقال: تلك على ما قضيناه وهذه على ما قضينا [1].

والفاروق أول من قضى بالتشريك بين الاخوة الاشقاء والاخوة لأم.

★ ★ ★

هـ - الوضاعون

عرف الأدب اصطلاح «النحل» تعريفا لما اختلق كذبا من نص أدبي نسب الى غير صاحبه، وعرف المحدثون اصطلاح «الوضع» تعريفا لما اختلق من (خبر) نسب الى رسول الله ﷺ أو أحد صحابته الأكرمين - رضوان الله عليهم، وعمر لم ينج من (وضع) عليه. طلبنا لترويج أمر بين المسلمين، ينسبه الواضع لعمر لعلمه بما لعمر من منزلة في قلوبهم، فيحظى منهم بقبول الموضوع.

وتنوع الوضع على عمر فتناول ألوان أدبه المختلفة التي تعرض هذه الرسالة لدراستها.

من هنا أفرط [الموضوع] عموما في تصوير منزلة عمر: فالأمة الاسلامية خلقت من نوره، وسجل اسمه على كل شجرة في الجنة، ولم ينس المختلق العرش فذكر ان اسم عمر دون على العرش [2].

ويذكرنا ذلك بـ (تأليف) مقابل أفرط في الإساءة إلى عمر إفراطا مشينا نزع فيه صاحبه عن كراهية لعمر جعلته يكيل له التهم ويشوه أعماله [3].

(١) سنن الدارمي ١٢٤/١.
(٢) الكناني - تنزيه الشريعة ٣٣٧/١، ٣٥٠، ٣٥١.
(٣) راجع الجزء الثالث عشر من نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وانظر في مرجع ذلك واسبابه لمحب الدين

فاذا تجاوزنا عمر في شخصيته وجدنا وضعا آخر في:

أ ـ اخبار نسبت اليه على أنها أحاديث رواها عن رسول الله ﷺ.

ب ـ وأحاديث جعلت لعمر نفسه.

فمن النوع الأول قيل: انه روي عن رسول الله: كما لا ينفع مع الشرك شيء كذلك لا يضر مع الايمان شيء. وهو خبر موضوع [(١)].

ومن الثاني: «كنت أدخل على رسول الله ﷺ وهو وأبو بكر يتكلمان في علم التوحيد، فأجلس بينهما كأني زنجي لا أعلم ما يقولون [(٢)].

أو تصوير عمر يجادل أبا بكر في الحسنات والسيئات: هي من عند الله أم من عند أنفسنا، وهو موضوع باتفاق [(٣)].

كما نسب اليه بعض الضعيف [(٤)].

وهذا جدول أبجدي بأسماء الواضعين على عمر مرتبطا بكتاب: «أبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة» بيانا وتسهيلا للمتابعة:

الخطيب ـ الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الامامية الاثني عشرية ص ٧، ١٩، ٢٠، ٢١، وراجع للجاحظ.

(١) الكناني ـ تنزيه الشريعة ١٥٣/١

(٢) راجع ـ في بيان وضعه: للعلامة نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا على القاري ـ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى ص ٤٧٤ وللامام محمد بن علي الشوكاني ـ الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ص ٣٣٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٥٢٨/١.

(٤) نفس المصدر ٤٥٢/١.

رقم مسلسل	الواضع	الخبر أو مضمونه	الجزء والصفحة
١ ـ	أبان بن أبي عياش (متهم بالوضع)	أ ـ تفاخر الجنة والنار، وفخر الجنة بأنها زينت بأبي بكر وعمر	٣٤٧/١
		ب ـ لبني آدم خطايا يستغفر منها الاشتم أبي بكر وعمر.	٣٩٠/١
٢ ـ	أبان بن سفيان المقدسي (متهم)	النظر خلسة الى منزل قوم، وجزاء من فعله نار دائمة في قبره.	٢١٦/٢
٣ ـ	ابراهيم بن الحكم بن ظهير الكوفي	جناح هذه الأمة أبو بكر وعمر	٣٨٩/١
٤ ـ	ابراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي	ان لحوضي أربعة أركان الاول في يد أبي بكر والثاني في يد عمر... الخ	٤٠٦/١
٥ ـ	ابراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء	لما دخل عمر الشام سأله بلال أن يقر بالشام ففعل	١١٨/٢
٦ ـ	أحمد بن خالد الجويباري	نسب الى عمر أنه روى أن حضور مجلس علم خير من تشييع ألف جنازه معها من يشيعها	٢٥٣/١
		نسب الى عمر أنه روى مجيء التوبة يوم القيامة بأطيب ريح يشم المؤمن[1].	٢٨٢/٢
		ونسب اليه أنه روى دعاء وأورده تذوب له صفائح الحديد وتطعم الجائع الخ.	٣٢٠/٢

(١) في التنزيه «وروى اسماعيل بن يحيي التيمي نحوه واسماعيل كذاب» ٢٨٢/٢.

مسلسل	الواضع	الخبر أو مضمونه	الجزء والصفحة
٧	أحمد بن محمد بن غالب الباهلي غلام خليل	مخاصمة عمر لأربعين يهوديا ومشاجرته لهم	٣٢٢/١
٨	أحمد بن نصر الذارع	ان الله فرض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي..	٤٠٦/١
٩	أحمد بن يوسف المنبجي[1] (متهم)	خلقني الله من نوره وخلق أبا بكر من نوري وخلق عمر من نور أبي بكر وخلق أمتي من نور عمر.	٣٣٧/١
١٠	اسحق بن محمد بن اسحق السوسي (متهم)	فضل معاوية وخروجه يوم القيامة ببرداء مكتوب عليه كلمة التوحيد وأبي بكر وعمر.	٢١/٢
		فضل معاوية، وكيف تنشق الارض على الشاك في فضله مطوقا بالنار.	٢١/٢
١١	اسماعيل بن عبيد بن نافع البصري[2]	فضل عمر في السماء لا ينقضي الحديث فيه ولو استمر ٩٥٠ سنة	٣٤٦/١
١٢	أصبغ بن خليل المالكي	صلاة ابن مسعود خلف النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة ورفع اليد في الاحرام فقط	١٢٢/٢

(١) المنبجي لا (المسيحي) كما ورد خطأ في الطبع ٣٣٧/١ انظر - بنفس المصدر جدول الوضاعين ٣٥/١ ترجمة رقم ٢٣٤.

(٢) انظر جدول الوضاعين - بنفس المصدر ٣٩/١ ترجمة رقم ٢٩٥.

مسلسل	الواضع	الخبر أو مضمونه	الجزء والصفحة
١٣	أصرم بن حوشب (أبو هشام)	أنا الأول، وأبو بكر المصلي، وعمر التالي والناس بعدنا الاول فالاول	٣٤٩/١
١٤	بركة بن محمد الحلبي	دية المسلم واليهودي والنصراني كدية المسلم حتى عهد معاوية.. الخ	٢٣١/٢
١٥	برية بن محمد بن برية أبو القاسم البغدادي	فضل عمر في السماء لا ينتهي حديثه... الخ	٣٤٦/١
١٦	بشر بن الحسين الاصبهاني	من الذين نسبوا الى عمر أنه قال: لولا النساء لعبد الله حقا حقا.	٢٠٤/٢
١٧	جعفر بن محمد الانطاكي (متهم)	فضل معاوية، ودعوة الرسول ﷺ له بعد أن استشار ابا بكر وعمر في شيء فتوقفا.	١٦/٢
١٨	حسان بن غالب	فضل عمر في السماء والحديث فيه غير منقض.	٣٤٦/١
١٩	الحسن بن الحسين بن عاصم المسنجاني	عمر والنبي ﷺ ويهودي يهديه النبي ﷺ قميصا	٢٧٨/٢
٢٠	الحسين بن داود بن معاذ أبو علي البلخي	نسب الى عمر أنه روى دعاء وأورده ـ يذوب له الحديد ويسكن الماء الخ	٣٢٠/٢
٢١	الحسين بن عبد (أبو عبيد) الله الخطيب الابزاري	ابن عمر يروي فضائل علي ـ رضي الله عنهما.	٣٥٢/١

مسلسل	الواضع	الخبر أو مضمونه	الجزء والصفحة
٢٢	ـ داود بن المحبر	نسب الى عمر روايتين في فضل العقل.	٢١٣/١ ، ٢١٥
٢٣	ـ زكريا بن دويد بن محمد بن الاشعث[1]	المؤاخاة بن أبي بكر وعمر وتشبيهات عدة على لسان رسول الله ﷺ.	٣٤٨/١
٢٤	ـ زكريا بن يحيي بن حوثرة	تعضيد النبي ﷺ بعلي وأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهم.	٣٥٠/١
٢٥	ـ زياد بن ميمون الثقفي البصري الفاكهي	امتياز شهر رمضان بثلاث ليال غير ليلة القدر	١٦٠/٢
٢٦	ـ زيد بن الحواري العمي (متهم)	ممن نسبوا الى عمر أنه قال: لولا النساء لعبد الله حقا حقا.	٢٠٤/٢
٢٧	ـ سعيد بن ذي لعوة	قال سعيد هذا: انه رأى عمر بن الخطاب يشرب المسكر	٢٢٣/٢
٢٨	ـ سليمان بن شعيب (متهم)	أبو بكر وزيري، وعمر حبيبي. الخ	٣٦٩/١
٢٩	ـ سليمان بن عيسى السجزي[2]	نسب الى عمر رواية في العقل	٢١٣/١
٣٠	ـ سهل بن صغير	في السماء ثمانون ألف ملك يستغفرون لمن أحب أبا بكر وعمر... الخ	٣٤٨/١

(١) راجع جدول الوضاعين ـ نفس المصدر ٦٠/١ ترجمة رقم ٥

(٢) شريك داود بن المحبر في وضع كتاب العقل.

مسلسل	الواضع	الخبر أو مضمونه	الجزء والصفحة
٣١	سيف بن محمد (ابن أخت سفيان الثوري)[1]	قصر عمر في الجنة لؤلؤة ألف فرسخ في ألف فرسخ.. الخ	٤٠٦/٢
٣٢	الصقر بن عبد الرحمن بن مالك بن مغول	هذا عمر يا رسول الله قال بشره بالجنة وأخبره أنه الخليفة بعد أبي بكر.	٣٩١/١
٣٣	عباد بن كثير بن قيس الرملي الفلسطيني	قصة طويلة عن مريض كالفرخ ورد فيها ذكر عمر.	٣٥٢/٢
٣٤	عبد الرحمن بن عفان (أبو بكر الصوفي)	اسم عمر من الاسماء المكتوبة على (العرش)	٣٥١/١
٣٥	عبد الرحيم بن زيد بن الحواري	لولا النساء لعبد الله حقا حقا	٢٠٤/٢
٣٦	عبد المنعم بن ادريس	خبر طويل جدا يبدأ بنعي الرسول ﷺ وهبوط ملك الموت، وفيها عمر.	٣٢٧/١
٣٧	علي بن جميل الرقي	ما في الجنة شجرة الا مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر عمر	٣٥٠/١
٣٨	علي بن شيبان[2]	من شتم الصديق فانه زنديق ومن شتم عمر فمأواه سقر... الخ	٣٩٠/١
٣٩	علي بن عاصم	ان لحوضي أربعة أركان: الاول في يد أبي بكر والثاني في يد عمر... الخ	٤٠٦/١.

(١) انظر جدول الوضاعين ـ نفس المصدر ٦٦/١.

(٢) وأخذه عنه محمد بن يعقوب الطبري وكلاهما مجهول ـ تنزيه الشريعة ٣٩٠/١.

مسلسل	الواضع	الخبر أو مضمونه	الجزء والصفحة
٤٠	علي بن محمد بن عبد الله أبو احمد الحبيبي المروزي	نسب الى عمر أنه روى : أكثروا من الحمد لله فان لها عينين وجناحين تطير في الجنة تستغفر لقائلها	٣٣٥/٢
٤١	عمر بن ابراهيم بن خالد الكردي	أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب، وله شعاع كالشمس [1] الخ	٣٤٦/١
٤٢	عمر بن راشد	نسب الى عمر أنه روي : لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين... الخ	٢٨٦/٢
٤٣	عمر بن واصل (صوفي متهم)	خبر طويل فيه أن أبا بكر أسر لعلي بامارة عمر من بعده وموافقة علي على ذلك	٣٦٦/١
٤٤	عمرو بن أبي الأزهر العتكي [2]	تعضيد النبي ﷺ بأبي بكر وعمر وعلي... الخ.	٣٥٠/١
٤٥	ألقاسم بن بهرام بن عطاء أبو همدان (متهم)	مرض الحسن والحسين فقال عمر لعلي : أنذر لله ان عافى ولديك... الخ	٣٦٢/١.
٤٦	كادح بن رحمة الزاهد	أبو بكر وزيري والقائم في أمتي من بعدي وعمر حبيبي ينطق على لساني... الخ	٣٦٩/١

(١) راجع في ذلك أيضا اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ١٥٦/١ - ١٥٨، ١٨٨/٢.
(٢) هو شريك في هذا الخبر مع زكريا بن يحي بن حوثرة. انظر في جدولنا (زكريا).

مسلسل	الواضع	الخبر أو مضمونه	الجزء والصفحة
٤٧	ـ محمد بن ابراهيم (مجهول) [1]	خبر طويل في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ... الخ.	٣٩٣/١
٤٨	ـ محمد بن بنان الثقفي	يضع تفسيرا لسورة التين والزيتون يوزع فيه الآيات على كبار الصحابة وغيرهم	٢٨٦/١
٤٩	ـ محمد بن جعفر (متروك)	حدث عن ألف ألف جناح تحت كل منها ألف ألف وجه.. الخ تسبح لمحبي أبي بكر وعمر ... ألخ.	٣٧٠/١
٥٠	ـ محمد بن زكريا الغلابي البصري الاخباري	ان لحوضي أربعة أركان: الاول في يد أبي بكر والثاني في يد عمر	٤٠٦/١
٥١	ـ محمد بن عبد بن عامر السمرقندي	أوراق شجر الجنة مكتوب عليها كلمة التوحيد وابي بكر وعمر وعثمان.	٣٥٠/١
		من فضل عليا على أبي بكر وعمر وعثمان فقد رد ما قلته	٣٩٠/١
٥٢	ـ محمد بن فارس البلخي (مجهول)	نسب الى عمر رواية تعني أن كثرة الصيام والصلاة لا تبلغ الاستقامة ما دام الاثنان أحب من الواحد	٣١١/٢
٥٣	ـ محمد بن الوليد بن أبان القلانسي	دعاء: باركت لأصحابي في أبي بكر فلا تسلبه البركة.. واعز عمر ... الخ.	٩/٢

(١) يشاركه فيه أحمد بن زفر (مجهول أيضا).

رقم مسلسل	الواضع	الخبر أو مضمونه	الجزء والصفحة
٥٤	محمد بن يعقوب الطبري (مجهول)	من شتم الصديق فانه زنديق ومن شتم عمر فمأواه سقر... الخ	٣٩٠/١
٥٥	منصور بن عبد الله أبو علي الذهلي الخالدي الهروي	مثل أبي بكر مثل اللبن، ومثل عمر كالماء الزلال.. الخ	٣٨٩/١
٥٦	موسى بن ابراهيم بن بحر أبو عمران المروزي (متهم)	رواية منسوبة لعمر اذا أقبلت رايات ولد العباس من خراسان جاءوا بنعي الاسلام... الخ	١١/٢، ١٢
٥٧	موسى بن خلف (متروك)	خبر السفرجلة ذات الألف ألف ورقة... الخ حيث تسبح الملائكة لمحبي أبي بكر وعمر	٣٧٠/١
٥٨	ميسرة بن عبد ربه الفارسي ثم البصري	مبغضو أبي بكر وعمر يهود هذه الأمة، لعنة الله على مبغضيهما	٣٤٧/١
		نسب الى عمر أن روى: يصيح صائم يوم القيامة: اين الذين أكرموا الفقراء والمساكين.. فيجلسون على منابر... الخ	١٤٤/٢
٥٩	نصر بن مزاحم الكوفي	خبر زج فيه باسم عمر، في نهايته صحيفة لعلي يشهد عليها جبريل عليهم الصلاة والسلام.	٣٥٧/١
٦٠	يعقوب بن الجهم الحمصي (متهم)	من سب أبا بكر وعمر قتل ولا يستتاب ان الله خلقني وأبا بكر وعمر من تربة واحدة وفيها ندفن.	٣٤٩/١

رقم مسلسل	الواضع	الخبر أو مضمونه	الجزء والصفحة
٦١	أبو بكر الاشناني	وصية لعلي أن يحب أبا بكر وعمر ليدخل الجنة	٣٤٧/١
٦٢	أبو عتبة الخولاني	أول من يثاب على الاسلام بعدي أبو بكر وعمر ولو حدثتكم بثواب ما أعطى الله أبا بكر وعمر ما بلغت	٣٩١/١
٦٣	أبو الفتح البغدادي	مجلس غناء تسمع فيه عائشة لامرأة ثم يسمع النبي ﷺ ثم عمر - رضي الله عنه.	٢٢٣/٢
٦٤	ابن سمعان (متهم) ولعله ابراهيم ابن محمد بن يحيى، وأبو يحيى هو سمعان [1]	أسند الى عمر أنه روى: ان لكل شيء معدنا ومعدن التقوى قلوب العاقلين.	١٧٥/١

★ يضاف الى هؤلاء الوضاعون الذين سبق الحديث عنهم في الدراسات القرآنية. [2].

(١) انظر الجدول - نفس المصدر - ٣٤/١ ترجمة ٥٤.

(٢) البحث ص ١٠٢ وما بعدها.

٣) ولعمر علم بآثار لأهل الكتاب :

وأهل الكتاب الذين أعنيهم هم اليهود ، فليس في مراجعي دليل أو اشارة الى علاقة علمية بين عمر والنصارى بل هو دراسة منه لعقيدتهم.

ونرجح أن اقباله على قراءة ما قرأ من أسفارهم كان أكثر بالمدينة وان لم تظهر لي ـ بنفس المراجع ـ نقطة بداية لهذا الاقبال، على أنه لا يفوتنا أن مكة لم تكن على غرار المدينة في سكنى اليهود ، فقد كان لهم بالمدينة مستعمرات كتلك التي كانت لهم بـ « فدك » و « خيبر » وغيرها [١].

ونأخذ من خبر صحيح أن عمر تردد على مدارسهم بالمدينة وأنه استمع الى نصوص من أسفارهم يصدقها القرآن [٢]، كذلك نعلم من نص آخر انه قرأ في هذه الأسفار [٣]، ومن ثالث أنه كتب له منها [٤]، ثم كان يحضر مجالسه ـ أحيانا ـ يهود يتحدث اليهم ويتحدثون اليه [٥].

واذا كانت أسفارهم منها ما يصدقه القرآن كالنص:

« أنا الاول والآخر ولا اله غيري [٦] .. » فان منها ما يخالف القرآن خلافا جوهريا لا يقره القرآن بحال كمساسهم بمقام النبوة والأنبياء [٧]، ولذلك كان عمر شديد الحذر في الأخذ عنهم سريع الافحام لمن أراد منهم احراجه يزوده في ذلك علم من رسول الله ﷺ.

---

(١) راجع للاستاذ محمد مبروك نافع ـ تاريخ العرب: عصر ما قبل الاسلام ص ٢٠٧.

(٢) تفسير ابن كثير ١٣١/١.

(٣) سنن الدارمي ٩٥/١.

(٤) مسند أحمد ٤٧٠/٣ ، ٤٧١ المطبعة الميمنية سنة ١٣٠٦.

(٥) صحيح البخاري ٦٣/٦.

(٦) العهد القديم ـ أشعياء ٢٩/٣٣.

(٧) نفس المرجع ـ تكوين ٢٢/٩، ٢٥ ـ ٣٠/١٩، ٣٧ ـ خروج ٢/٣٢، ٤ صموئيل الثاني ١/١١، ١٧ ـ ملوك أول ٤/١١، ٩.

سأله يهودي: « ... أرأيت قوله تعالى: وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض ٣ - ١٣٣ فأين النار؟ قال عمر:

أرأيت النهار اذا جاء أليس يملأ السموات والأرض؟ قال: بلى، قال: فأين الليل؟ قال: في علم الله تعالى، قال عمر - رضي الله عنه: فكذلك النار حيث شاء الله تعالى[١].

ولقد مر بنا حديث عن مناظرتهم له[٢]، وآخر في كتابتهم كتبا أكبوا عليها وتركوا كتاب الله[٣] فهو على علم غير يسير بعقيدتهم وأعمالهم وأحوالهم، وقد حدث أن كان يصلي - خلف رسول الله ﷺ حتى اذا سلم، قام رجل سريعا - يتنفل... « ...فوثب اليه عمر فأخذ بمنكبه فهزه، ثم قال: اجلس فانه لم يهلك أهل الكتاب الا أنه لم يكن بين صلواتهم فصل.

فرفع النبي ﷺ بصره، فقال:
أصاب الله بك - يا ابن الخطاب »[٤] وفي الخبر بيان لما هو أولى.

ولقد يأتينا في هذا الباب أخبار على ألسنة من أسلم من اليهود - بعد وفاة رسول الله ﷺ تتحدث عن عمر وصفته في التوراة، ومقامه في الدين[٥] رأيت أن أتحفظ بشأنها، فان السبيل الى تحقيقها يلزمه متابعة هذه الأخبار في مصدرها الأصلي، وهذا ما لا سبيل اليه، اذ ليس العهد القديم هو التوراة.

على أي حال:

---

(١) الامام محمد بن الحسن الشيباني - الآثار ص ٦٦ - وانظر للخوارزمي - جامع مسانيد الامام الأعظم ١٤٢/١ راجع تفسير ابن كثير ٤٠٤/١.

(٢) البحث ص ١٣٨.

(٣) البحث ص ١١٢.

(٤) سنن أبي داود ٢٣١/١ - وانظر للسيوطي - تنوير الحوالك ٤/١.

(٥) راجع أخبار كعب الأحبار في هذا المقام للمحب الطبري - الرياض النضرة ٢٧٧/١ - ٨/٢، ٤٩، ٨٦، ٨٧.

فان عمر لم يسترسل طويلا في هذا الاطلاع، ولنا في ذلك حديث ساقه الدارمي - رضي الله عنه - ورواه الامام أحمد باسناد حسن، وابن حبان باسناد صحيح مروي الدارمي - بسنده:

«أن عمر بن الخطاب أتى رسول الله ﷺ بنسخة من التوراة فقال: يا رسول الله، هذه نسخة من التوراة، فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسول الله يتغير، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فنظر عمر الى وجه رسول الله ﷺ فقال: أعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله، رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا.

فقال رسول الله ﷺ:

والذي نفس محمد بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حيا وأدرك نبوتي لا تبعني...»[1]

زاد الامام أحمد - في روايتين:

«... انكم حظي من الامم وأنا حظكم من النبيين...»[2]

٤) ولعمر علم بالنسب:

ولعمر - رضي الله عنه - علم بالأنساب... «... أخذ ذلك عن الخطاب وكان كثيرا ما يقول: سمعت ذلك من الخطاب، ولم أسمع ذلك من الخطاب.

والخطاب بن نفيل، ونفيل هو ابن عبد العزى تنافر اليه عبد المطلب وحرب بن أمية، فنفر عبد المطلب، أي حكم لعبد المطلب..[3]».

---

(١) سنن الدارمي ٩٥/١ الخبر رقم ٤٤١ - راجع حاشيته بنفس الصفحة.

(٢) مسند أحمد ٤٧٠/٣، ٤٧١ - ٢٦٥/٤، ٢٦٦ المطبعة الميمنية سنة ١٣٠٦ وراجع في هذا الباب بمسند أبي داود ٢٣١/١ - ٢٨٦/٢، ٤٦٥.

(٣) الجاحظ - البيان والتبيين ٣٠٤/١.

ويعني ذلك أن هذا العلم كان وراثيا في العائلة من عهد جده نفيل ان لم يضرب في عروق البيت الى أصل بعيد.

وكان عمر يقول: «تعلموا النسب، ولا تكونوا كنبيط السواد، اذ سئل أحدهم عن أصله، قال: من قرية كذا وكذا ...[1]».

ويرى في ذلك فائدة القربى، ويلفت النظر الى الرحم فيقول: «ارووا ... من النسب ما تواصلون عليه، وتعرفون به، فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت ...[2]».

ولمعرفته بالأنساب كان يرى بني مرة بن عوف بن لؤي من قريش... يقول: «انا لنعرف فيهم الاشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع».

يعني عوف بن لؤي...

قال ابن اسحاق: وحدثني من لا أتهم أن عمر بن الخطاب قال لرجال من بني مرة: ان شئتم أن ترجعوا الى أنسابكم فارجعوا.

قال ابن اسحاق: وكان القوم اشرافا في غطفان...[3]».

وقد يدرك عمر بعض الأنساب المدخولة فيكتمها، كما يكتمها رواة هذا العصر النبوي الكريم، حدث الامام الشافعي - بسنده - الى عبيد الله بن أبي يزيد عن أبيه قال: «أرسل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الى شيخ من بني زهرة كان يسكن دارنا، فذهبت معه الى عمر، فسأله عن ولاد من ولاد الجاهلية فقال: أما الفراش فلفلان وأما النطفة فلفلان.

فقال عمر: يعني ابن الخطاب - رضي الله عنه: صدقت، ولكن رسول الله ﷺ قضى بالفراش...[4]».

---

(١) ابن عبد ربه - العقد الفريد ٣١٢/٣.

(٢) أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي - جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام ٣٧/١.

(٣) سيرة ابن هشام ٤١١/١، ٤١٢.

(٤) مسند الشافعي ص ٦٥.

وحديث الامام الشافعي يبين لنا أن عمر كان - من الأنساب - على دراسة موصولة. وذلك ما ينبغي أن نتوقعه:

أولاً: من الخطاب نفسه وريث السفارة الذي يعد ولده لشؤونها، وما من شك أن من أولى مهام السفير علمه بمن يرسل اليهم، فكان على الخطاب أن يعلم ولده نسب الأسرة العربية، فما يعلمه أيها تدفع به الحوادث الى ولده فيسفر اليها حماية لقومه، وابقاء على السلام بينه وبينهم؟.

ثانياً: من عمر الذي ينبغي أن يضيف الى مادته الجديد الذي آل اليه أمر القبائل من بعد والده فيكون في مستوى الحوادث المعاصرة، علما بالأحوال والرجال لذا كان يُدَارس فيها كما سيأتي.

فاذا أضفنا الى ذلك علمه بالقيافة والشعر، أمكن أن نقول: كان لعمر رواقد تمده بمعرفة الأنساب ومفاخرها ومسالبها.

وكان - في النسب - من يفوق عمر، فقد... «... كان أبو بكر - رحمه الله - أنسب هذه الأمة، ثم عمر، ثم جبير بن مطعم، ثم سعيد بن المسيب، ثم محمد بن سعيد بن المسيب...[1]».

وجبير أخذ النسب من أبي بكر[2]، وكان عمر يدارس جبيرا بعض الأحيان مادته يطابق في ذلك بين ما يعلمه وما يعلمه جبير[3]، وكان عمر يجلسه ويهدي له[4].

٥) ... وعلم من القيافة.

ويبدو أن نصيبه منه لم يكن قليلا، اذ نراه استخدمه في حكم بنسب، ولو كان على غير بصيرة به لكان مظنة الخطأ ومن ثم فاحتمال الظلم، وذلك... أن قوما يزعمون

---

(١) الجاحظ - البيان والتبيين ٣١٨/١.

(٢) راجع سيرة ابن هشام ١٢٦/١ - والسيوطي تاريخ الخلفاء ص ٤٣.

(٣) راجع سيرة ابن هشام ١٢٦/١.

(٤) راجع سيرة ابن هشام ١٢٦/١ - والجاحظ - البيان والتبيين ٢٠٤/١.

أنهم من قريش، أتوا عمر بن الخطاب ـ رحمه الله ـ وكان قائفا ليثبتهم في قريش فقال: اخرجوا بنا الى البقيع، فنظر الى أكفهم، ثم قال: اطرحوا العطف ـ واحدها عطاف ـ ثم أمرها فأقبلوا وأدبروا، ثم أقبل عليهم فقال: ليست بأكف قريش ولا شمائلها، فأعطاهم فيما هم منه ... [1].

وفي عبارته السابقة: انا لنعرف فيهم الأشباه[2]... دليل على تمكنه من ذلك. وفي القيافة ـ عموما ـ المام دقيق بالشبه وفروقه الفردية عموما وخصوصا، وقد يكون القائف من البراعة بحيث يتمكن من معرفة فروق تنفرد بها قبيلة عن أخرى كالذي نراه عند عمر.

ولهذا اللون من المعرفة بابه في علم النفس الحديث الذي تمكن من اعطاء النسب في الشبه ابتداء من والدي الطفل حتى اندماجه في الأسرة الانسانية [3].

ولقد تحفظ لنا المراجع علم عمر بالقيافة، ويذكر احداها أنه زجر رجلا من نجران وقال له: «مه فانا نقفوا الآثار...[4]» ولكن ـ ما بين يدي منها لم يرشد الى مصدر علم عمر بهذا اللون من المعرفة، على أن البيئة العربية عموما مصدر أولي لهذا اللون من العلم وما يليه مما يأتي:

٦)... وعلم بالشعر:

أ ـ ولعمر تقدير كبير للشعر، وتقويم لمنزلته، يقول ـ عنه ـ بيانا لمنزلته: «..» كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه...» [5].

---

(١) العلامة أبو العباس محمد بن يزيد «المبرد ـ الكامل في اللغة والأدب» ١٣/٢.

(٢) البحث ص ١٣٨.

(٣) راجع الدكتور حامد عبد السلام زهران ـ علم نفس النمو «الطفولة والمراهقة» ص ٧٥ ـ ٨٧ وعلم النفس الاجتماعي ص ٢٦٠ وانظر في القيافة للسيد محمود شكري الآلوسي البغدادي ـ بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب ٢٦١/٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٢٩٠/٣.

(٥) أبو عبد الله بن سلام الجمحي ـ طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين ص ١٧.

وذلك الذي كان، فقد كان الشعر أجمل ألوان الكلمة جميعا في نفوسهم، لا يختلفون في الطرب به، والحماس له.

ب - وعلم عمر به يرجع الى كثرة محفوظة منه، وثمة كلمة يتفق - فيها - الأصمعي والجاحظ - في هذا الشأن. يقول الأخير:

«... ما أبرم عمر بن الخطاب أمرا قط الا تمثل ببيت شعر...[1]» والامثلة على ذلك عديدة.

يروي الامام الشافعي - رضي الله عنه -: أن عمر كان يحرك في محسر ويقول:

اليك تغدو قلقا وضينها مخالفا دين النصارى دينها[2]

والبيت لواحد من نصارى نجران أسلم، وذهب يحج[3].

وقيل للأوسية - وهي امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب - رحمه الله: أي منظر أحسن؟ فقالت: قصور بيض في حدائق خضر، فأنشد عمر بن الخطاب لعدي بن زيد:

كدمى العاج في المحاريب أو كالبيض في الروض زهره مستنير[4].

---

(١) الجاحظ - الحيوان ٥٩٠/٥ - وراجع للامام جمال الذين أبي الفرج بن الجوزي - سيرة عمر بن الخطاب ص ١٨٦.

(٢) مسند الشافعي ص ١٢٢.

(٣) سيرة ابن هشام (٨/٥) وفيها أن البيت لولد رئيس نصراني من نجران كان معاصرا لرسول الله ﷺ لم يذكر اسمه، وفيها زيادة قال:

اليك تغدو قلقا وضينها معترضا - في بطنها - جنينها
مخالفا دين النصارى دينها

(٤) المبرد - الكامل في اللغة والادب ٤٨/٢.

وأمثال ذلك كثير كثير [1]

يعني هذا أن محفوظه من الشعر: قديمه ومعاصره كان طبعا له مما ينبىء عن حافظة مستوعبة لمخزونها مصنفة له، اذا كان على طرف لسانه منه ما يناسب وقائع يومه في بديهة حاضرة وحافظة سريعة، بل حفظ من الشعر ما صدر عن ضغينة للاسلام، فأسمع حسان بن ثابت - رضي الله عنه - ما قالت هند بنت عتبة ضد حمزة وضد المسلمين - رضي الله عنهم[2].

ووعي ما قاله بعض المرتدين، فذكر لأبي شجرة السلمي ما قاله - في خالد بن الوليد، ففر من بين يديه [3].

جـ - وطبيعي جدا لهذا الامتداد المبسوط للشعر في حافظة عمر أن تدور فيه بصيرته، ويكون له في نفسه مراتب يتفاوت معها اعجابه، وتلك مرحلة أدبية معروفة ومنها يقع للأديب اختياره للقمم الأدبية التي يفضلها، فكان عمر يفضل زهير بن أبي سلمى وعبدة بن الطبيب والنابغة وبعضا غيرهم[4].

د - وفي ضوء هذا البحث من حب عمر للشعر وكثرة محفوظه منه واعجابه. بقمم فيه نقول: ان عمر كان على شاعرية، لكنه لم يكن شاعرا.

فلعمر حساسيته بالقيمة الجمالية لنص شعري يتذوقه ويفطن لمواطن الجمال والقوة فيه ويبصر مطارح الالهام في روحه، وتلك هي الشاعرية التي أعني، فأما ما قيل. انه شاعر [5] فهذا ما لا أسلمه:

---

(١) راجع للقرشي - جمهرة أشعار العرب ٤١/١، ٦٨ - وللحصري - زهر الآداب ٤١/١، ولابن الجوزي - سيرة عمر بن الخطاب ص ١٨٥، ١٨٦.

(٢) راجع لأبي الفرج الأصبهاني - الاغاني ١٩٨/١٥.

(٣) نفس المصدر (حاشية) ٢٠٧/٦.

(٤) راجع للجاحظ - الحيوان ٤٦/٣ - وللقرشي - جمهرة أشعار العرب ٧٣/١ ولأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ٥٥/١، ٨١.

(٥) راجع لابن الجوزي - سيرة عمر بن الخطاب ص ١٨٦.

فعمر عاش ـ في قومه ـ كتابا مفتوحا لا يستتر منهم في شيء يكاد ألا تكون له حياة خاصة، دونه ودونهم فيها حجاب، ثم له فيهم مجالسه الادبية العديدة [1] وكانت ميدانا تتبارى فيه قرائح جلسائه بكل جيد رائع، فما روي ـ في خبر تقوم به حجة ـ أن عمر أنشد لنفسه فيها شيئا، ثم هو من بعد امام قومه لعشر سنين يقوم بهم في كل جمعة، ويحج بهم في كل عـام، أفلم يكن هذا وغيره مجالا طيبا يفسح لشعره ميدان القول فتكثر رواته الثقات فأخباره الصحاح؟

ثم لماذا لا يظهر له شعر الا منذ أسلم، ثم يصدر منه على فترات متباعدة.؟ أينسلخ نصف عمره، وفيه الشباب والهوى ومطارب اللذات فلا يقول الشعر حتى اذا أسلم يظهر له شعر فجأة وبلا مقدمات؟

ثم ليت الذي روي ـ منسوبا اليه ـ قول تتجلى فهي روعة الشعر، وسمو بيانه، وجمال خياله، لا هذا الرصف من الكلام الذي يمتاز بمناعة تحول بينه وبين مستوى هذا الفن من الجمال، ولا يرتفع الى أدنى درجات الشعر في عصر عمر.

نحل الناحل لعمر اثنين وعشرين بيتا، ولو أن هذه الأبيات لعمر حقا ثم سمت الى أرفع مراتب الشعر قوة وجمالا وعاطفة وخيالا، وزادت ثلاثة أضعافها بافتراض أن ثم ما لم أطلع عليه لما سلكت جميعا بعمر درب الشعراء، فكيف، وهي بهذه الدرجة من التهافت والوضع؟

ثم لماذا ينتقص من قيمة عمر بنسبة هذه الأبيات اليه؟

ان الذين تناولوا الشعر لدى عمر منهم أساتذة ضليعون في هذا الفن أعطوا كلمة فاصلة في أمره أو متحفظة.

وآخرون ليس لهم في هذا الميدان نصيب ساقوا شعرا لا يسلم لهم من وجه صحيح.

أ ـ ان النقاد الاوائل كابن قتيبة في الشعر والشعراء وابن سلام في طبقاته والجاحظ في البيان والحيوان والبخلاء والمحاسن والاضداد والرسائل، وأمثالهم

---

(١) البحث ٤٣٢.

لم يذكروا أن عمر كان شاعرا، ويروي المبرد في خبر عمر ومتمم بن نويرة في رثائه لأخيه مالك قول عمر لمتمم:

« لو كنت أقول الشعر - كما تقول - لرثيت أخي كما رثيت أخاك...[1] ».

ويرويها البلاذري: « لو كنت أحسن قول الشعر لرثيت أخي زيدا..[2] ».

وهذه رواية خبير، لم يعقب أحد عليها بنقض - وهي - فيما نحن بشأنه - فاصلة، ترد زعم من قال: ان عمر كان شاعرا.

روى محمد بن عمر فيما حدثه به عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون الذي حدثه عبد العزيز بن يعقوب الماجشون - خبر عمر مع متمم هذا، ثم « قال ابن جعفر فقلت - لابن أبي عون: أما كان عمر يقول الشعر؟ فقال: لا ولا بيتا واحدا[3] ». وجدير بالذكر أن ابن أبي عون معاصر لعمر، وقد توفي عام اثنين وثلاثين.

فاذا درجنا مع أساتذة الفن:

ب - وجدنا المفضل الضبي يسوق بيتا في وفاة النبي ﷺ في اطار من عبارة متحفظة، وذلك اذ يقول:

« ... ولم يبق أحد من أصحاب النبي ﷺ الا وقد قال الشعر وتمثل به، وذكر بيتا منسوبا لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ثم قال: وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه:

ما زلت مذ وضعوا فراش محمد كيما يمرض خائفا أتوجع[4] ..»

---

(١) المبرد - الكامل في اللغة والادب ٢/٣٠٠.

(٢) البلاذري - فتوح البلدان ص ١٠٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/٣٧٨ وانظر لابن حجر - تقريب التهذيب ١/٤٣٩.

(٤) القرشي - جمهرة أشعار العرب ١/٤١.

ففي اطار « قال الشعر وتمثل به « يبرز » الاحتمال » فلا تكون دليلا على أن عمر قال شعرا.

على أن شأن قائل هذا البيت الخائف المتوجع من رقدته ﷺ ألا يكون موته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مفاجأة عنيفة فوق طاقته يكاد لا يسلم ـ معها ـ بموته، ويذهل عن حتميته [١].

جـ ـ والأمر أوضح من ذلك عند ابن رشيق، قال:

« ... ومن شعر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وكان من أنقد أهل زمانه للشعر، وأنفذهم فيه معرفة ـ ويروي للأعور الشني:

فهون عليك، فان الأمور ... بكف الاله مقاديرها

فليس بآتيك منهيها ... ولا قاصر عنك مأمورها

ومن شعره أيضا ـ وقد لبس بردا جديدا فنظر الناس اليه ـ وقد روى لورقة بن نوفل:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الاله ويفنى المال والولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولاسليمان اذ تجري الرياح له ... والجن والانس فيما بينها ترد

حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من ورده يوما كما وردوا [٢]

في الحق ليس سهلا ـ وبخاصة عند من اهتم بالجمع فقط من الادباء ـ أن ينسب الى عمر شعرا فيكون عمر قائله، كما نسب اليه أبيات قيل: انه قالها يوم فتح مكة [٣]

---

(١) راجع صحيح البخاري ٨/٥، ٩.

(٢) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ٣٣/١، ٣٤.

(٣) راجع لأبي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني ـ زهر الآداب وثمر الألباب ٤٢/١.

انما ينبغي أن يكون عمر ـ قبل هذا كله ـ شاعرا يقرض الشعر، ويثبت النقد أن شعرا بعينه قاله عمر، ثم ننتهي من ذلك الى رواية موضوعة:

أ ـ سيق شعر نسب الى عمر في اطار قصة تنبو عن أوليات هذا الدين وعقيدته، لكنها على الرغم من ذلك تصور عمر مصدقا لأخبارها مرتاحا اليها، وهذا وحده ـ دليل اختلاق هذا الشعر، روى الطبري ـ فيما كان بعد تهديد أبي لؤلؤة لعمر ـ قال:

« ... فلما كان من الغد جاءه كعب الاحبار فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد فانك ميت في ثلاثة أيام، قال: وما يدريك؟ قال: أجده في كتاب الله ـ عز وجل ـ التوراة قال عمر: آلله، انك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا، ولكني أجد صفتك وحليتك وأنه قد فنى أجلك ـ قال: وعمر لا يحس وجعا ولا ألما ـ فلما كان من الغد جاءه كعب فقال: يا أمير المؤمنين، ذهب يوم وبقي يومان، قال: ثم جاءه من غد الغد فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة، وهي لك الى صبيحتها [1] ثم ساق قصة مقتله ثم ذكر أن كعبا دخل على عمر في الداخلين ـ بعد طعنه ـ قال: « .. ودخل في الناس كعب فلما نظر اليه عمر أنشأ يقول:

فأوعدني كعب ثلاثا أعدها	ولا شك أن القول ما قال لي كعب
وما بي حذار الموت اني لميت	ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب.. [2]

والرواية والشعر ـ معا ـ مردودان.

ففي الرواية اخبار تفصيلي دقيق عن غيب يستحيل أن يتأتى لأحد علم به، ثم هو ـ مسند ـ في غير براعة ـ الى مصدر شبه مجهول، أعني به التوراة مما يميل بي الى

(١) تاريخ الطبري ١٩١/٤.

(٢) تاريخ الطبري ١٩٢/٤، ١٩٣.

تبرئة كعب الأحبار منه، ثم عمر لم يمت بعد لقائه الأول بكعب بثلاثة أيام - على ما تحكي الرواية، بل عاش ستة أيام أو سبعة.

وان دين عمر ليبرأ من تصديق القول بأنه يموت بعد ثلاثة ليقول: « ولا شك أن القول ما قال لي كعب ».

وانما روى ابن اسحاق عن عمرو بن ميمون أن كعبا أتاه فقال: « ... ألم أقل لك انك لا تموت الا شهيدا، وانك تقول: من أين، واني في جزيرة العرب.. ».

أوردها ابن حجر، ولم يعقب عليها [1] وليس فيها جديد، فان رسول الله ﷺ أشار الى استشهاده [2].

واذا كان مضمون الخبر يحمل على تكذيبه. فقد بقيت اشارة الى رواته وهم:

١) سلم بن جنادة. وقد حدثه بالرواية:

٢) سليمان بن عبد العزيز عن أبيه:

٣) عبد العزيز بن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف... عن

٤) عبد الله بن جعفر عن أبيه

٥) جعفر بن المسورين مخرمة... عن

٦) المسور بن مخرمة [3] ».

ولا يتهم به الا الثالث عبد العزيز بن أبي ثابت - فلم يكن ثقة، وما كان حديثه بشيء، يشتم الناس ويطعن في أحسابهم، يروي المناكير عن المشاهير شديد الغلط.

وعن يحيى بن معين « .. ليس بثقة انما كان صاحب شعر.. [4] ».

---

(١) ابن حجر - فتح الباري ٥٢/٧ - وانظر طبقات ابن سعد ٣٤٠/٣.

(٢) البحث ٧٤.

(٣) راجع لبيان هذا السند بهذا الترتيب تاريخ الطبري ١٩٠/٤، ولابن حجر تهذيب التهذيب ١٢٨/٤، ١٢٩ - ٣٥٠/٦، ٣٥١ - ١٧١/٥، ١٧٣ ١٥١/١٠.

(٤) راجع لابن حجر - تهذيب التهذيب ٣٥٠/٦، ٣٥١.

وهذه العبارة الاخيرة في هذا المقام تحملني على اتهامه شخصيا بصناعة هذا الشعر. واختلاف الرواية كلها ونسبتها إلى من نسبت إليه.

ب - ولابن الاثير رواية لا تخلو من تحفظ قال «وروى سماك بن حرب عن ابن عباس أن عمر قال لابنه عبد الله:

خذ رأسي عن الوسادة فضعه في التراب لعل الله يرحمني، وويل لي وويل لأمي ان لم يرحمني الله عز وجل، فاذا أنامت فاغمض عيني واقصد في كفني، فانه ان كان لي عند الله خير أبدلني ما هو خير منه، وان كنت على غير ذلك سلبني فأسرع سلبي وأنشد:

ظلـوم لنفس غيــر أني مسلـــم أصلي الصلاة كلهـا وأصـــوم»[1]

وقال ابن عبد البر: «وروينا عن عمر - رحمه الله - أنه قال في حين احتضر ورأسه في حجر ابنه عبد الله: ظلوم لنفسي... البيت[2]» وابن عبد البر متقدم بأكثر من قرنين على ابن الاثير، وكلا الرجلين لم يقدم لنا رواية متصلة السند، وابن الاثير يستخدم لفظ (أنشد) وليس يعني الانشاد - على فرض وقوعه - أن عمر صاحب البيت فالانسان ينشد لنفسه ولغيره.

على أن هذا الخبر روي من أكثر من وجه وهو يخلو تماما من ذكر البيت، فروى محمد بن سعد فيه ثلاث روايات: احداها عن (عبد الله بن عامر بن ربيعة) والثانية (عن عثمان بن عفان) والثالثة عن (ابن أبي مليكة) رضي الله عنهم[3]. ونقل ابن حجر رواية المبارك وفيها عن ابن عباس: فوضعته حتى وضع لحيته وخده بالأرض فقال: ويلك عمر ان لم يغفر الله لك[4]» وتعقب ابن حجر بعض رواتها في المطالب:

---

(١) ابن الاثير - أسد الغابة ١٧٧/٤.

(٢) أبو عمر ويوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي - الاستيعاب في الأصحاب (شركة مع الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر) ٤٥٦/٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٣٦٠/٣، ٣٦١.

(٤) ابن حجر - فتح الباري ٥٤/٧.

ثمامة بن عبيدة أبو خليفة العبدي فقال: «تكلم فيه علي بن المديني وغيره، وسياق قصة عمر في الصحيحين ليه فيه غالب هذا المذكور[1]» وكذب ابن المديني ثمامة هذا صراحة[2]. وما نستطيع أن نقرر حكما ومصدره رواية كاذبة.

ثم نخلص بعد الى قصيدتين أوردهما الامام أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي

أولاهما: تحكي أمر عمر عقب وفاة رسول الله ﷺ، تقول القصيدة:

لعمري لقد أيقنت انك ميت ... ولكنما أبدي الذي قلته الجزع
وقلت: يغيب الوحي عنا لفقده ... كما غاب موسى، ثم يرجع كما رجع
وكان هو أي أن تطول حياته ... وليس لحي في بقاميت طمع
فلما كشفنا البرد عن حر وجهه ... إذا الامرُ بالْجَزْعِ الْمُرهَّبِ قَدْ وقَعْ
فلم تك لي عند المصيبة حيلة ... أرد بها أهل الشماتة والقذع
سوى آذن الله الذي في كتابه ... وما آذن الله العباد به يقع
وقد قلت من بعد المقالة قولة ... لها في حلوق الشامتين به بشع:
ألا انما كان النبي محمد ... الى أجل وافى به الوقت فانقطع
ندين على العلات منا بدينه ... ونعطي الذي أعطى ونمنع ما منع
ووليت محزونا بعين سخية ... أكفكف دمعي والفؤاد قد انصدع
وقلت ـ لعيني: كل دمع ذخرته ... فجودي به ان الشجي له دفع[3]

وثانيتهما: تحكي أمره مع اخته وضربه لها ثم اسلامه، رواها يونس بن بكير الشيباني عن ابن اسحاق، تقول القصيدة:

«الحمد لله ذي المن الذي وجبت ... له علينا أياد مالها غير

---

(١) ابن حجر ـ المطالب العالية ٤٦/٤.

(٢) راجع لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣٧٢/١ والكناني ـ تنزيه الشريعة ٤٣/١.

(٣) السهيلي ـ الروض الأنف ٥٨٧/٧.

وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا:	صدق الحديث نبي عنده الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى	ربي عشية قالوا: قد صبا عمر
وقد ندمت على ما كان من زلل	بظلمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة	والدمع من عينها عجلان يبتدر
أيقنت أن الذي تدعوه خالقها	فكاد تسبقني من عبرة درر
فقلت: أشهد أن الله خالقنا	وأن احمد فينا اليوم مشتهر
نبي صدق أتى بالحق من ثقة	وافي الأمانة ما في عوده خور [1]

وكلتا القصيدتين لم تعرف في عهد عمر - تماما كما خلت أية دراسة لأدب صدر الاسلام من الاشارة الى شاعرية عمر، وكلتاهما - أيضا - ليست على فصاحة العصر ولا جزالته وشدة أسره، وقد أضرب عن ذكرهما معا أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري مهذب السيرة النبوية لابن اسحاق، اذ كان رحمه الله - عليما بالشعر بصيرا بنقده، وحسبنا - في ذلك - ترداد النظر في تهذيبه [2].

وفي أولى القصيدتين فساد في العربية في البيت الثاني والسادس وتنافر في السابع

وفي الثانية منهما بداية غريبة عن العصر اذ لا تزال القصيدة في عصر عمر على سنة الجاهلية في البدء بالديار والأطلال كما هو معروف، ولو صحت لفصلت الخلاف في روايتي اسلامه، فأقصت منهما اختفاءه بستر الكعبة عند تعقبه النبي ﷺ [3].

والقصيدتان معا أشبه بصناعة القصاصين الذين أجازوا لأنفسهم ارتكاب هذه الامور للوصول الى قلوب الناس.

وبعد

---

(١) نفس المصدر ٢٧٧/٣.

(٢) راجع نقد ابن هشام بالسيرة النبوية ٢٦٢/١، ٢٦٣ - واقتصاره على الصحيح وحذف ما عداه ٢٩٧/١، ٢٩٨ - وبيان ما يختلف في أمره ٣٦٧/١ ٣٦٨.. الخ.

(٣) البحث ض ٤٩ وسيرة ابن هشام ٢٦٨/٣، ٢٦٩.

فليت عمر كان شاعرا ، فان الشعر لم ينقص من قدره ، وكان رائعا جدا أن يقول لنا هذا الناقد البصير شعرا في مستوى خبرته واحساسه وجمال الكلمة عنده ، لكن الواقع أنه لم يكن كذلك ، وحسبه ما قسم الله له ، ثم حسبه أيضا أن يبرأ من هذا النظم الذي يبرأ الشعر منه.

٧) ... ولعمر علم بأحوال الجاهلية وصدر الاسلام:

فان عمر قد قضى شطرا طويلا من حياته ، وهو على دين قومه . وهو دين العرب عامة الا أن قريشا كان لها فيه مذهب له طابع الشدة في ممارسة بعض الأمور ، فعرف القرشيون بـ « الحمس » وعرف العرب مقابلهم بـ « الحلة » وكانت شعائر الحمس الدينية - بوضعها المشدد - تكفل لهم امتيازا دينيا على سائر العرب ، فثياب الحمس - من بين ثياب العرب - هي وحدها التي يمكن أن ترتدي في الطواف[١] ، وكانوا - اذا حجوا - لا يقفون بعرفة ، لأن عرفة من (الحل) ويقفون بمزدلفة لأنها أرض (حرام) وهم أهل أرض حرام[٢] ، وكان عمر ممارسا لشعائر هذا الدين[٣] .

وجعلت قريش مذهبها مفتوحا لمن شاء من العرب أن يدخل فيه على أن يلتزم طوعا بممارسة الشعائر نفسها ، وكان الحمس يصهرون في دائرتهم دون الحلة[٤] .

وكان عمر على علم بأسرار هذه الوثنية جميعا كما كان على علم بدور الكاهن فيها[٥] ، وبلغ من حماسه لها أن امتشق الحسام طلبا للقضاء على رسول الله ﷺ وايقافا لنشاط دعوته[٦] .

---

(١) راجع صحيح البخاري ٢٠٠/٢.
(٢) راجع نفس المصدر ٢٠٠/٢.
(٣) راجع مسند أحمد ٢٦٥/١.
(٤) راجع لأبي الوليد محمد بن عبد الله احمد الازرقي - أخبار مكة شرفها الله ص ١٢٢.
(٥) راجع صحيح البخاري ٦١/٥.
(٦) سيرة ابن هشام ٢٦٦/٣.

وإذا أضفنا الى تراث البيئة ما تأهل له عمر عن ضرورة العيش وميراث الآباء أمكن أن نقول:

ان عمر واحد من أفراد قومه الذين كانوا يمعون الشؤون العربية وتاريخ أمته وعصره، وكانت أسفاره [1]، الى جانب الأسواق القومية الشهيرة التي لا يمكن أن تغيب عن عمر كـ «عكاظ» بين نخلة والطائف، و «مجنة» قرب مكة، و «ذي المجاز» قرب عرفة - كل كان مصدر معرفة بتاريخ العرب وما حدث بينها من وقائع ومفاخرات ومنافرات حيث يعرض ذلك كله في اطار آثار أدبية يتناولها كبار الأدباء بالنقد على مرأى ومسمع من ملأ القبائل وأعيانها مما جعل التاريخ العربي عرضا دائم الحركة لا ينسدل عليه ستار النسيان، وربما تطاير شرر الحوادث فكانت الحرب وكانت عكاظ - بالذات - سببا مباشرا في حروب أربعة سميت حروب الفجار [2].

واذا ألجأت ضرورة العيش عمر الى التجارة، فان واجب الآباء أعده للسفارة [3] ولا بد أنه كان سفيرا ناجحا، إذ نجد من بين أعماله في الجاهلية خلفا تم بينه وبين واقد اليربوعي، ولا بد ايضا بحكم تقاليد البيئة التجارية وتأمين سبلها الا يكون هذا الحلف الأول والاخير.

وفي بيت الخطاب أعد عمر اعدادا خاصا يكون به مسؤولا عن تصفية الخلاف اذا وقع حادث بين قريش وغيرها من القبائل، أو وقع خلاف بين بطونها هي كما تقدم [4] فهو (سفير) قومه المسؤول مباشرة عن مصالحهم القومية في هذا الجانب.

وسفارة هذا العصر كانت تقوم على قواعد من السلوك والأخلاق، كانت - في ذاتها - رصيد التنسيق الذي بدأ يأخذ وضعا علميا منذ بداية القرن الثالث عشر [5].

---

(١) راجع للمحب الطبري - الرياض النضرة ٨٦/٢ - ولسعيد الأفغاني - أسواق العرب ص ٢٦.

(٢) راجع لدكتور محمد محمد مصطفى النجار - تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٦٠.

(٣) النووي - تهذيب الاسماء واللغات القسم الاول ٣/٢ - السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ١٠٨ - راجع البحث ص ٢٥.

(٤) البحث ص ١٩ و ١٣٩.

(٥) راجع لمحمد حسني عمر بك - القانون الدبلوماسي ص ١، ٨١.

وتقتضي هذه القواعد ـ وقد أقرت بعد ولا تزال ـ أن يكون السفير :

كيسا رصيناً متزنا طويل الأناة هادىء الطبع حسن السيرة أمينا صادقا أرفع من الدنايا ، كتوما ذكيا طلق اللسان سريع البديهة حلو الحديث ملما بتفصيل قضاياه ، حازما في مرونة ، سليم الذوق دقيق الحس ملما بالشؤون الأدبية .

وبالضرورة لا يكون بينه وبين من يرسل اليهم عداء شخصي. ثم ينبغي أن يكون محبا لألوان من الرياضة .

وعمر ـ رضي الله عنه ـ لا يفتقر الى شيء من ذلك [١] ، ولو أننا نظرنا الى طبيعة الناقد الأدبي لوجدنا أنه ينبغي أن يتمتع ببعض هذه الصفات ، ولذلك كان عمر من أبرز النقاد في قومه [٢] .

ويظهر نضجه السياسي في هذا الجانب في رجائه الى رسول الله ﷺ ألا يرسله سفيرا الى قريش في « الحديبية » وانما دفعه الى ذلك خبرته بالسفارة والهدف منها ، ولم

---

(١) راجع لمطابقة هذه الصفات في عمر ما يأتي :

أ ـ بصفة شاملة لياقوت الرومي ـ معجم الأدباء ٦٩/٦ .

ب ـ وتفصيلا لكل صفة حسب ترتيبها :

صحيح البخاري في (صاحب الظبي) ٢٠٦/٨ .

صحيح مسلم (صادق بار راشد) ١٥٢/٥ .

ولأبي يوسف ـ الآثار ص ٤٧ ، ٢١٥ .

مسند الشافعي (في أمانته) ص ١٢٦ ، ١٢٧

موطأ مالك (ترفعه عن الدنايا) ١٥٩/٣ .

مسند أحمد (في كتمانه) ٢٨٢/١ الخبر رقم ٢٩٣ .

صحيح البخاري (في بديهته) ١٨٤/٣ ـ وموطأ مالك (سحيم والزق) ١٩/٢ ـ صحيح مسلم (في طلاقة لسانه وحلو حديثه) ١٧٨/٤

صحيح البخاري (دقة المامه بقضاياه) ٨٠/٥ ، ٨١ .

صحيح البخاري ٦٠/١ ـ مسند احمد ٢١٢/١ (في حزمه ومرونته)

سيرة ابن هشام (السفير لا يكون على عداء شخصي مع من يرسل اليهم) ٤٥٩/٦ مسند الشافعي (في حبه لألوان من الرياضة) ص ٤١ .

(٢) البحث ص ١٤٦ .

يكن لينجح سفيرا وبينه وبين القوم ترة، فقال: يارسول الله، إني أخاف وقد أقره رسول الله ﷺ وأخذ بمشورته فأرسل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فنجحت السفارة اذ لم يكن بين عثمان وبينهم عداء [1].

وما تقدم لنا من حصيلة لعمر في النسب والشعر الى اعداده للسفارة يجعل من عمر خبيرا بالشؤون على علم وافر عظيم بها.

ولا نبالغ - وعمر من المسلمين المتقدين، وقد صحب رسول الله ﷺ وحرص على صحبته والتعلم منه، ولم يتخلف عنه غزوة [2] - اذا اعتبرناه حجة في التاريخ الحربي للاسلام، فقد كان ملازما لرسول الله ﷺ ثم وزيرا لأبي بكر وساعده الأيمن [3]، ثم خليفة بسط كلتا يديه على الفرس والروم فدحرهما - معا - في المنطقة، فهو اما مشارك في المسؤولية واما رأس فيها.

ثم هو ضلع في الاقتصاد الاسلامي الذي حظي على يديه بتطبيق شامل ضرورة كثرة المسائل وتجدد اتساع رقعة الخلافة [4] الى ما كان له من مدرسة فقهية [5].

وما نفتقده من مصادر علم لعمر في بعض ما ذكرنا كالشعر والقيافة فان البيئة - ولا شك - مصدر عطاء لا ينكر، كما كان عمر غير بعيد عن محافل القوم الأدبية، وكان له فيها مجال [6].

٨)... وعلم بجغرافية الدولة... والحساب

---

(١) سيرة ابن هشام ٤٥٩/٦.

(٢) السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ١١٦.

(٣) راجع لابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق ٤٢٧/١، ٤٣٣.

(٤) راجع لأبي عبيد الاموال ص ٤٤، ٥٥، ٧٠، ٨١، ١١٠، ١٣٧، ٣٩٢ وليحيي بن آدم القرشي - الخراج ص ٤٣، ١١٨، ١٣٨.
ولأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم - الخراج ص ١١١، ١٣٤.

(٥) البحث ص ١٢٢.

(٦) راجع للجاحظ - البيان والتبيين ١٩٥/٢.

كان من واجب عمر - رضي الله عنه - أن يعلم بشؤون الدولة من حيث أرضها ونتاجها، ومن حيث ثغراتها وحصونها، ثم من حيث رجالها عددا وخبرة، فلم يقصر في ذلك بل كان يأمر القائد أن يكتب له عن الموقع الذي هو فيه ليصفه له كأنه ينظر اليه ويقول: واجعلني من أمركم على الجلية [١].

واذا علمنا أن عمر واجه ثلاث جبهات حربية مرة واحدة في فارس والشام ومصر، وانه كان عليه تأمين خطوط إمدادها وسلامة جيوشها، ودراسة مكان القوة والضعف في مواقفها وما يقتضيه هذا من نقل جيش من جبهة الى أخرى في قرار سريع [٢] علمنا مدى معرفته برقعة دولته، ولقد بلغ من حذقه معرفة جغرافية هذا البلدان سهولها وجبالها أنه هو الذي تولى - وهو بالمدينة إحكام الحصار على الهرمزان الذي كانت تطارده جيوش المسلمين في فارس وكلما هزمته في ناحية فر الى أخرى واستعد لحربهم، فما كان من عمر الا ان واجهه بثلاثة جيوش في ثلاثة مواقع حرك اليها قواته بسرعة أضاعت على الهرمزان - في موطنه الذي يعرفه - كل فرصة للنجاة فسقط في أيدي المسلمين أسيرا [٣].

ولم يكن علم عمر بالحساب هينا، ويكفينا - دليلا على ذلك - علمه بتوزيع الميراث، وكان به جد خبير حتى لو دق فأوجب الكسر وكسر الكسر، وقد ارتحل الى الشام خاصة بعد الطاعون الذي قضى على الوارث وبعض من ورث وانتشر الاحفاد والوراث واختلط الامر فعالج عمر هذه المواريث وقسمها [٤].

وقد نظم عمر الناس وأحصاهم فكان لهم العطاء، وكان من بعض البلدان الخراج،

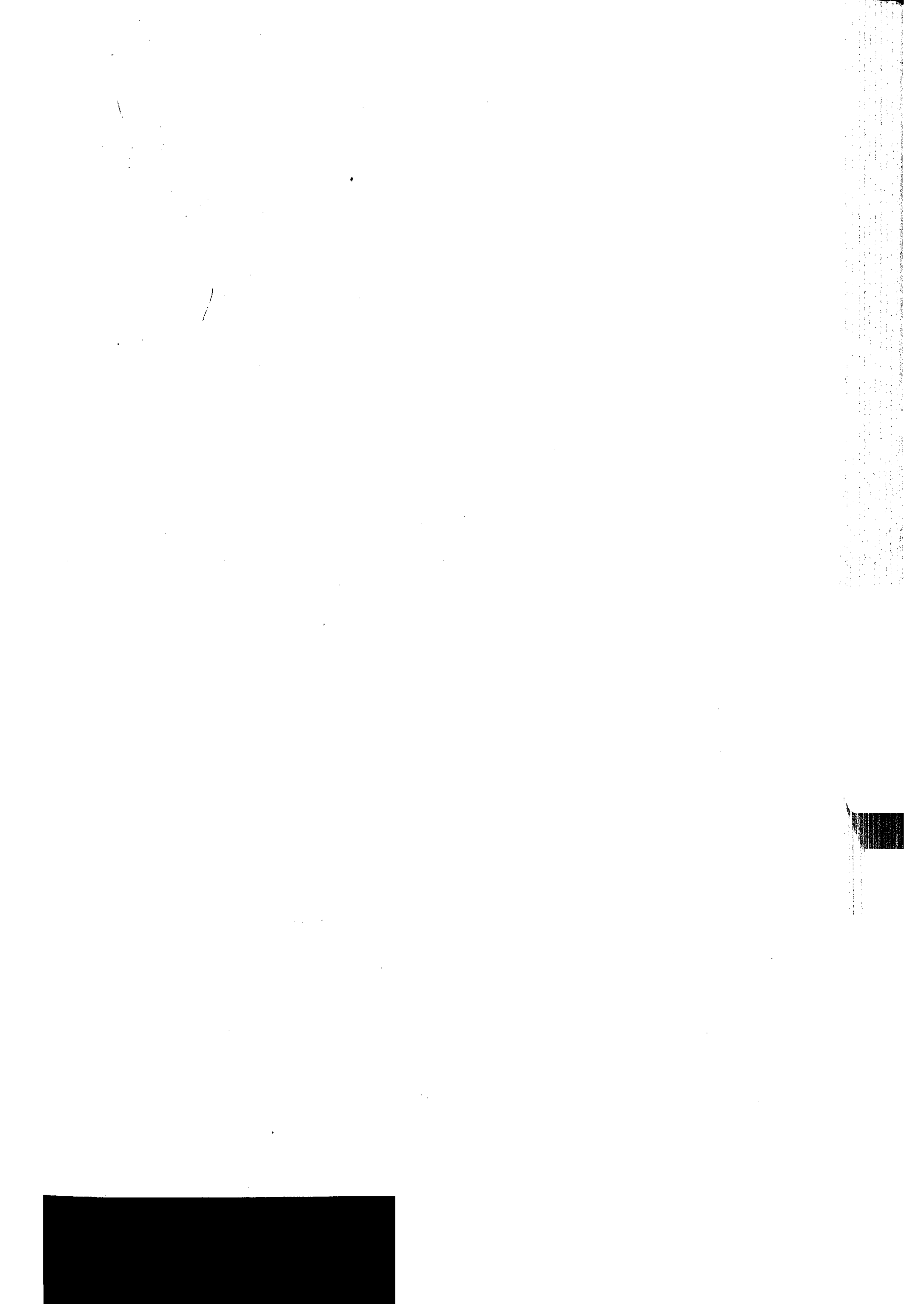
---

(١) تاريخ الطبري ٤٩١/٣.
(٢) نفس المرجع ٤٩٠/٣.
(٣) نفس المرجع ٨٤/٤، ٨٥.
(٤) تاريخ الطبري ٦٥/٤.

فكان علمه بالحساب سندا له في هذه الميادين، وتمدنا كتب الخراج والأموال على اختلافها بخبرته في هذا اللون من المعرفة.

رحمه الله رحمة واسعة.

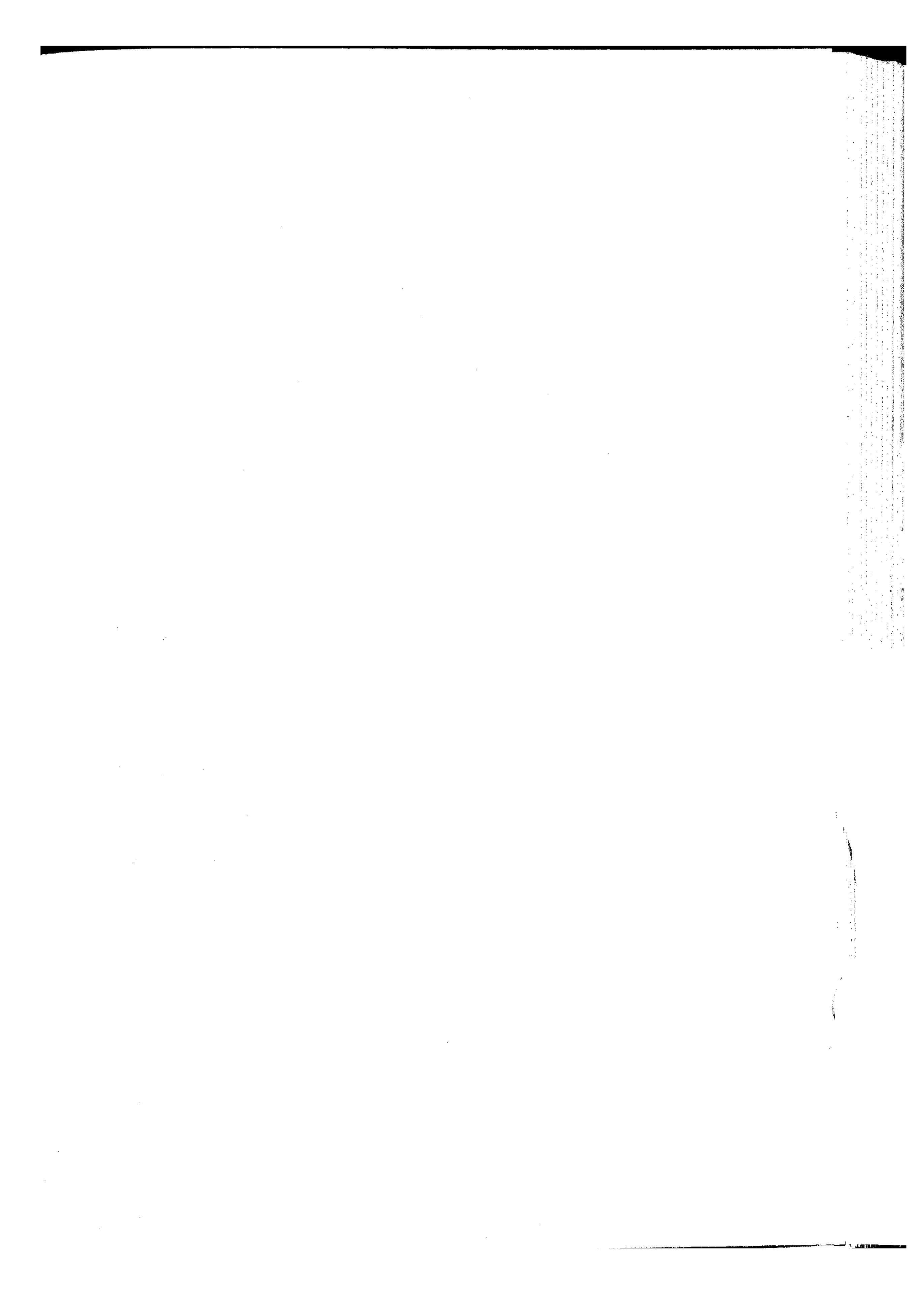
★ ★ ★



الباب الثاني

أدَبُ عُمَر

خطب عمر
وصايا عمر
رسائل عمر
عهود عمر
حكمة عمر
عمر الناقد



الفصل الأول

خطب عمر

الخطابة في الجاهلية
الخطابة في الاسلام
خطبة عمر
أسلوب عمر في الخطبة
أغراض خطبة عمر
عرض ودراسة
نماذج محققة



الخطابة في الجاهلية:

لم تخل قبيلة عربية من نظام اجتماعي يصون وحدتها، ويكفل ترابط عشائرها وبطونها، وتنشأ على تقاليده بيوتها وأسرها، بل كان نظام القبيلة يعني بشؤونها الخارجية عنايته بشؤونها الداخلية، فهو يقضي بـ «الخلع» على من يخرج على قانونها من أبنائها، ويضع أسس علاقاتها الخارجية مع القبائل الاخرى بـ «حلف» أو «جوار» وما اليهما من عهود، ويعلن الحرب أو ينادي بالسلام.

وكانت الخطابة - وهي التي لا تزال تستميل الجماهير وتقودهم الى الرأي بحسن الاقناع والتأثير من خلال الكلمة البليغة من أهم دعائم التعبير عن هذا النظام وإرساء قواعده، على أن ما تناهي إلينا من الخطابة الجاهلية لا يوفى بدراسة كاملة عنها، وإن أعطى شيئا من ملامحها، فهم: يستخدمونها في المناسبات الاجتماعية كالزواج والتهاني والتعازي والنصح والارشاد.

ثم هي لسان التعبير في الوفادة الى الملوك والامراء، والسفارة بين القبائل وتأمين السبل وحراسة التجارة.

كذلك كانت لسان مقالهم في المفاخرة والمنافرة، والنداء للثأر، وإعلان الحرب، أو الحض على السلام، وما إلى ذلك من أغراض [1].

(١) راجع للدكتور حسن جاد حسن، ودكتور خفاجة، ودكتور عبد الحميد المسلوت - الادب العربي - بين الجاهلية والاسلام ص ٩٤ - ولدكتور شوقي ضيف - الفن ومذاهبه في النشر العربي ص ٢٧ ط سابعة دار المعارف بمصر.

لقد كان للخطابة شأنها العظيم في هذا المجتمع حتى تقدمت الشعر، ويرى الدكتور شوقي ضيف أنها لم تتقدم الشعر بسبب كثرة الشعراء، أو تكسبهم بالشعر فحسب، بل أيضا لوفائها في ميادين ليس للشعر كبير عمل فيها، كالوفادة على الملوك ومقام الاملاك والزواج، ثم انها كثيرا ما كانت تكون في سادتهم فتقترن بها الحكمة والسيادة والشرف[1].

وكانت الحرية التي تمتع بها العربي في هذا المجتمع من أهم عوامل نشاطها، ولمنزلة الخطابة عندهم دارت على ألسنتهم أوصاف عدة للخطيب، نلمح منها مختلف الميزات التي كانوا يجلونها فيه، فهو لسن لـوذعي مصقع مدره[2]، وهي تشير الى فصاحته وبلاغته وظرفه وحدة فؤاده، وتفننه في مذاهب القول، ثم الى سيادته وشرفه ودفاعه عن قومه.

وما بأيدينا من خطب الجاهلية قليل، ومنها مالا يرقى إليه الشك[3]، ويمكن أن ندرس - في ضوء هذا القليل - خصائص هذه الخطابة:

ففيها نداء - أغلب الظن أنها كانت تبدأ به في بعض ألوانها مثل: «أيها الناس»، و«يابَني» و«يا معاشر» مضافا الى المخاطبين[4]، ثم تفصل بـ «أما بعد» ثم تتوالى في

---

(١) راجع للدكتور شوقي ضيف - نفس المصدر ص ٢٨، ٢٩.

(٢) نفس المرجع ص ٣٦، ٣٧.

(٣) من ذلك خطبة قيس بن ساعدة، وقد رواها رسول الله ﷺ ورويت عنه باسناد - يقول عنه الجاحظ: تعجز عنه الاماني، وتنقطع دونه الآمال. ا هـ. - البيان والنبيين ٥٢/١ وهذا حق، فقد درس العلامة الكناني في تنزيه الشريعة ٢٤١/١ - ٢٤٣ - أكثر من اسناد فيها، ثم انتهى الى طريق - في الزهد لابن حنبل ص ٣٥٥: مرسل قوى الاسناد، فقويت فيه الطرق بعضها ببعض، وهي خطبة بدأها قس بقوله:
أيها الناس، اجتمعوا، اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات... الخ ومن ذلك جزء روته أسماء بنت أبي بكر الصديق من خطبة زيد بن عمرو بن نفيل صحيح البخاري ٥٠/٥ وفيها يقول - وهو قائم مسند ظهره للكعبة: يا معاشر قريش، والله ما منكم على دين ابراهيم غيري... الخ.

(٤) لم أعثر - فيما اطلعت عليه - ببداية لخطبة بين يدي ملك أو أمير لنرى: كيف تبدأ. الباحث.

جمل قاصر تمتاز بالجزالة والفصاحة وحرارة العاطفة، والانفعال الصادق بها، وكثيراً ما يلازم السجع فواصلها ويلاحظ عليها ضعف الربط، والتماسك بين الجمل، وان كانت تؤدي معانيها في صدق بألفاظ تكون تارة سهلة لينة وأخرى غريبة موحشة[1].

★ ★ ★

الخطابة في الاسلام:

ثم جاء الاسلام، وهو دين، فكانت الخطابة ـ لسان دعوته، نسخ بها حمق الجاهلية، وأنهى أمر الوثنية وأقام الدين خالصا لله، ونبذ العصبية والعداوة وأرسى المساواة والأخوة فقضى بذلك على ما كان عند القوم من مفاخرة ومنافرة ودعوة إلى شن غارة أو أخذ بثأر، وما إلى ذلك من أغراض أرثت العداوة والبغضاء في مجتمع الجزيرة قبل الاسلام، وانتهى ـ بذلك ـ دور الخطابة في إثارة هذه الامور وأمثالها. وكان على الخطابة الاسلامية أن تؤدي:

رسالة الدعوة الى الاسلام، فتشرح عقيدته، وتبين صحتها، وتدعو الناس الى اعتناقها، وتفند ما في المجتمع من عقائد الوثنية، وتبين ضررها، وتدعو الى نبذها.

ثم تبين أحكام هذا الدين التي شرعها الله لعباده، وتدعو إلى آدابه السامية التي كانت سببا مباشرا في القضاء على الجاهلية بما فيها من رعونة وحمق وعصبية وعداوة وثأر ونهب وغارة.

وتحث على الجهاد لنشر هذا الدين في ارجاء الأرض والاستشهاد في سبيل الله وترسم سياسة الحكم وتبينها للناس.

وهكذا كانت الخطابة لسان الاسلام الذي اضطلع بأكبر عمل في نشر هذ الدين...

---

(١) راجع للدكتور حسن جاد وزميليه ـ الأدب العربي بين الجاهلية والاسلام ص ٩٥ - ٢ ـ وللدكتور شوقي ضيف ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٣٥، ٦٣.

ومن هذه الاغراض يمكننا أن نتبين موضوعات الخطابة وألوانها تلك الخطابة التي توجها الاسلام بلون جعله شعيرة كخطبة الجمعة والعيدين وما اليهما من خطب ارتبطت بشعائر دينية كالاستسقاء وتبصير الحجيج بما يؤدون من اعمال الحج فارتبطت الخطابة بالاسلام رباطا مقدسا الى يوم الدين.

ثم كان ما تمتع به المواطن في الاسلام من ممارسة حقه في الحرية والامن والعدل، ليس سببا من أسباب انتشار الخطابة فحسب، بل كان في ذاته سببا في أضافة اكثر من غرض الى ما تقدم كالتعبير عن رأي، أو الحديث عن مظلمة، فنمت الخطابة في لسان الداعية كما نمت في لسان الحاكم وأفراد الناس.

ولقد كان لما حظيت به الخطابة الاسلامية من مكانة أثر عظيم في بقاء الكثير من مادتها محفوظا، ولا غرو فقد اشتملت على حديث رسول الله ﷺ وحديث الخلفاء من بعده وكثير من قادتهم وعمالهم، وبهذه الميزة التي لم تتوفر للخطابة في عهدها الجاهلي ـ أمكننا دراسة خصائص الخطابة الاسلامية شكلا ومضمونا، بداية ونهاية وما بين البداية والنهاية.

فبدأت بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله. وقد ينضم ـ الى ذلـك ـ الصلاة والسلام على الرسول الامين محمد ﷺ والشهادتان، فالفصل بـ «أما بعد» ثم نداء المخاطبين ـ ثم يلج الخطيب الى موضوعه، حتى اذا انتهى ختم باستغفار أو دعاء أو سلام [(١)].

وهي ـ في ذلك ـ لا تستعين بخلابة أو بهرجة أو تشدق ومواربة، بل تأخذ سمتها لى قضاياها بالحجة الساطعة والبرهان المصيب، ولها ـ في ذلك ـ من القرآن الكريم والحديث الشريف ـ عضد قادر.

وأما أسلوبها [(٢)] «في هذا العصر فهو الاسلوب الفطري الذي يساوق الطبع ويوائم السليقة، ولا يعتسف في لفظ أو فكر أو خيال، فهو لين هادىء، أو ثائر عاصف على

(١) راجع للجاحظ ـ البيان والتبيين ٦/٢، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ولدكتور حسن جاد وزميليه ـ الادب العربي بين الجاهلية والاسلام ص ٢٧٣.

(٢) نفس المرجع للدكتور حسن جاد وزميليه ص ٢٧٣، ٢٧٤.

حسب المقتضيات ووفقا للاحوال مع وضوح اللفظ وسهولة الاسلوب والانسجام التـام فـي بناء الكلمات، وترك السجع المرذول، وهجر الوحشي والبعد عن التكلف والايجاز في موضع الايجاز، والاطناب فيما يستدعي الاطناب والاكثار ... ».

★ ★ ★

خطبة عمر:

وخطب عمر نموذج حي من هذه الخطابة الاسلامية التي قدمنا شيئا من معالمها، والتي لا يتميز فيها فرد عن آخر من أعلام هذا العصر المبارك حتى خلافة علي ـ رضي الله عنه ـ الا بما يكون بين الناس من فروق فردية تتجلى في طريقة التفكير والتصوير والتعبير، أو ما تسميه « بالاسلوب ».

ونبدأ بدراسة لالفاظه ـ رضي الله عنه.

الفاظ الخطبة:

اذا استثنينا من خطب عمر بضعة ألفاظ لها دلالتها الشرعية، وبضعة ألفاظ كانت لها دلالتها المتداولة في عصر عمر ـ أمكن أن نقول: أن الفاظ عمر في خطبه سهلة الادراك، سريعة الاداء لما تحمل من معان جيدة التركيب، لا تنافر بين حروفها رصينة محكمة، ثم هي قوية قاطعة اذا سيقت لبيان حكم، وادعة آسرة في مقام خشيته لله واحساسه بالتزام الأمانة: وهذان نموذجان لها في المقامين:

أ ـ قال عبد الله بن عمر: [1].. لما ولي عمر بن الخطاب ـ خطب الناس ـ فقال: ان رسول الله ﷺ أذن لنا في المتعة ثلاثا، ثم حرمها، والله لا أعلم أحدا يتمتع ـ وهو محصن ـ الا رجمته بالحجارة الا أن يأتيني بأربعة يشهدون أن

(١) الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه) ـ سنن ابن ماجه ٣٠٩/١ و٣١٠ ـ المطبعة العلمية ١٣١٣ هـ.

رسول الله أحلها بعد اذ حرمها».

« ...[1] ولا أجد رجلا من المسلمين متمتعا الا جلدته مائة جلدة الا أن يأتيني بأربعة شهداء أن رسول الله ﷺ أحلها بعد اذ حرمها...».

ب - ولما أتاه فتح القادسية:

« ...[2] قام[3] - في الناس - فقرأ عليهم الفتح - وقال:

إني حريض على ألا أدع[4] حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض فإذا عجز ذلك عنا تآسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف، ولوددت انكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيه لكم، ولست معلمكم الا بالعمل.

اني - والله - ما[5] أنا بملك فأستعبدكم، وانما[6] أنا عبد الله، عرض علي الأمانة، فان أبيتها - ورددتها عليكم، واتبعتكم حتى تشبعوا في بيوتكم وترووا - سعدت[7] وان أنا حملتها واستتبعتكم الى بيتي شقيت[8]، ففرحت قليلا وحزنت طويلا، و[9] بقيت لا أقال، ولا أرد فاستعتب».

وينبغي أن أسجل لهذه الالفاظ ملاحظة هي بها حقيقة، فان لهذه الالفاظ مقدرتها على ان تبث في نفوسنا انفعالات عمر المختلفة فتوحي الينا بها كاملة مشعة في نفوسنا حتى لتشاركه في التجربة والاحساس بها، ولا نشك - للمرة الثانية - أن اخلاص

---

(١) انظر لتتمة النص بهذا الجزء - للشيخ علاء الدين على المتقي البرهاني - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٢٩٣/٨».

(٢) النص بتاريخ الطبري ٥٨٤/٣ - ورواه ابن كثير - البداية والنهاية ٤٦/٧ نرمز له بالحرف (ب).

(٣) ب: يقال: ان عمر قرأ هذه البشارة على الناس فوق المنبر - رضي الله عنهم.

(٤) ب: أرى.

(٥) ب: لست بملك.

(٦) ب: ولكني عبد الله.

(٧) ب: سعدت بكم.

(٨) ب: شقيت بكم.

(٩) ب: فبقيت.

عمر كان النبع الذي يصدر عنه فيحمل لنا طابع الشفافية الصادقة بين نفسه ولفظه، وهذه الحقيقة هي أجمل درجة في الصدق الفني.

فأما ما نجده من ألفاظ قد تغرب على السماع في عصرنا، فعلى الرغم من أن عصرنا ليس له الحكم عليها، فان عمر استعملها لأنها:

أ ـ اللفظ الذي يؤدي المعنى المقصود، والا استطرد الى اطناب مخل، ولنأخذ مثلا لذلك كلمته في خطبته التي أعلن فيها عن عزمه على اجلاء يهود خيبر: «... وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه [1]».

ب ـ أو مثل مطلوب للعبارة، جاء ـ في خطبته عن المهر:

«وان الرجل ليغلي بصدقه أمرأته حتى تكون لها عداوة في نفسه وحتى يقول: كلفت لك علق القربة.

قال (الراوي): وكنت غلاما عربيا مولدا لم أدر ما علق القربة [2]» لكن الكلمة ليست غريبة على العربي الصريح.

ثم ان عمر ـ من قبل ذلك وبعده ـ لا يترك اللفظ صلدا بغير عطاء، وانما يسوقه في اطار كفيل باظهار معناه، يدلنا على ذلك لفظ (تفشغ) في النص التالي:

«... [3] زحف للمسلمين زحف [4] لم يزحف لهم مثله، فجاء الخبر الى عمر

---

(١) البحث ص ١٧٥ و ١٧٦.

(٢) البحث ص ٢٣٩.

(٣) ابو عبيد القاسم بن سلام الهروي ـ الاموال ص ٣٢٠ ـ راجع ايضا تاريخ الطبري ١٢٣/٤ ونرمز له بالحرف (ب) ـ ولابن كثير ـ البداية والنهاية ١٠٧/٧ ونرمز له بالحرف (ج).

(٤) هو زحف فارس في (نهاوند) راجع ب ج.

فجمع[1] المسلمين، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم أخبرهم[2] به، ثم قال:

تكلموا وأوجزوا، ولا تطنبوا[3] فتفشغ بنا الامور، فلا ندري بأيها ناخذ...»
لقد أصبح لفظ (تفشغ) في السياق معلوم المعنى، فإن السامع لن يفهم منه الا أنه اتساع الامور وانتشاره، وهو نفس المعنى اللغوي[4].

وان الفاظا تخلو - في جملتها - من الغريب، وتنساب في يسر وسهولة لتؤدي أفكار صاحبها، وما فاضت به من معان في انطلاق لا تترصده، عثرات حصر، ولا تعوقه ضحالة عي - لهي ألفاظ تسجل لعمر تمكنه في اللغة، ومطاوعتها له.



أسلوب عمر:

كان ولا بد أن نتعرض في الخطبة لدراسة الاسلوب، وفي الحق ليس لعمر أسلوب في الخطبة يختلف عنه في الوصية أو الرسالة أو غيرهما، فالاسلوب وصاحبه...، فان بدا جديدا في لون فانما هو امتداد لا انشاء.

والاسلوب - وهو طريقة التفكير والتصوير والتعبير[5] - يتضح بجلاء في - الاديب - بتمام دراسته داخليا وخارجيا، أعني ابتداء من الفكرة في نفسه الى انطلاقه بها عبر لفظ له خصائصه التصويرية.

---

(١) ب: فاجتمع الناس ووافاه سعد فتفاءل إلى سعد بن مالك وقام على المنبر خطيبا. ج: فنودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وكان أول من دخل لذلك سعد بن أبي وقاص، فتفاءل عمر أيضا بسعد، فصعد عمر المنبر حتى اجتمع الناس فقال:

(٢) ب: فأخبر الناس بالخبر واستشارهم وقال: هذا يوم له ما بعده من الأيام الا وإني قد هممت بأمر واني عارضه عليكم فاسمعوه، ثم أخبروني وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم.

(٣) ج: ألا واني قد هممت بأمر فاسمعوا وأجيبوا وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم.

(٤) ب: ولا تكثروا ولا تطيلوا فتفشغ بكم الامور، ويلتوي عليكم الرأي... الخ.

(٥) الاستاد احمد الشايب - الاسلوب ص ٣٨ ط ثالثة نشر وطبع مكتبة النهضة المصرية.

ومن هنا أقول: ان الفكرة ـ في نفس عمر ـ ملتزمة؛ فان صاحبها عمر ليس مشجعا لمذهب لا حدود فيه ولا قيود، ففكرته لها طابع من صفاته، وصفاته التي تعنينا في ميدان الاسلوب تبدو في التزامه الطبعي بالقيم الاسلامية من الحق والقوة والامانة وحب الخير... الخ. ولا مفر لأي فكرة في نفس عمر ـ سوف يعبر عنها في شؤونه ـ من ان تنضج في دائرة هذه القيم، وتنطلق داعية بها، والا لم تكن لعمر.

تلك ـ اذا ـ أفكار عمر المبثوثة في أدبه، وهو أدب ـ فيما بين يدي ـ اسلامي كله.

فاذا تكلم عمر انطلق اسلوبه صادق التعبير، قوي التأثير سهلا مسترسلا يحمل أفكاره للناس في وضوح تصوره سهولة ألفاظه وبلاغتها مقتصدا في ألوان البيان، بلا ابتذال أو اغراب، لا يخلو من لون فني ولا يتقيد به، وزخرفه منه محدود رغبة عن التكلف والتئاما بالطبع، وقد تتكرر فيه الفكرة لاهميتها تكرارا لا يخلو من جدة، ويندر أن يقتبس ـ في تصويره ـ شعرا.

تلك ملامح أسلوب عمر العامة في كل ضروب أدبه، وللخطبة ـ بعد ـ طابعها الاسلامي بدءا ونهاية.

فما كرر عمر فيه الفكرة ـ في أكثر من خطبة. « وظيفة عماله وحدودها ». كتب ـ الى عماله ليوافوه بموسم الحج، فلما حضروه:

« ...[1] قام فقال: يأيها الناس. اني بعثت عمالي هؤلاء ولاة بالحق عليكم، ولا أستعملهم ليصيبوا من ابشاركم ولا من دمائكم ولا من أموالكم ».

وخطب فذكر الفكرة نفسها في الجابية من أرض الشام فقال: « ...[2] أيها الناس، إني أشهدكم على امراء الأمصار، إني لم أبعثهم إلا ليفقهوا الناس في دينهم، ويقسموا عليهم فيئهم، ويحكموا بينهم، فإن أشكل عليهم شيء رفعوه الي ».

---

(١) البحث ص ٢٤٤.
(٢) البحث ص ٢٢٨.

وردد الفكرة نفسها على منبر رسول الله ﷺ بالمدينة فقال: « ... [1] اللهم أني أشهدك على أمراء الأمصار، وأني إنما بعثتهم عليهم ليعدلوا عليهم وليعلموا الناس دينهم، وسنة نبيهم ﷺ ويقسموا فيهم فيئهم... الخ ».

★ ★ ★

وعبارات عمر الفنية لها طرافتها في إبراز المعنى، وإبداعها في حلية اللفظ مما يكسبها صباحة رونق وروعة أداء.

وتلك عبارات من خطبه تشير الى ذلك:

.. [2] اللهم قد ضرع الصغير، ورق الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى »..

« ... [3] ان بعض الطمع فقر، وان بعض اليأس غنى، وانكم تجمعون مالا تأكلون، وتأملون مالا تدركون.. ».

« ... [4] أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تكفوا أمر دنياكم ».

« ... [5] انه ليس من حلم أحب الى الله ولا أعم نفعا من حلم إمام ورفقه وليس من جهل أبغض الى الله وأعم ضررا من جهل إمام وخرقه ».

« ... [6] من أسرع الى الهجرة أسرع اليه العطاء، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء، فلا يلومن رجل الا مناخ راحلته... ».

---

(١) البحث ص ١٩٧ وانظر ـ مثالا آخر لما كرره (اني قد بقيت فيكم بعد صاحبي) ص ٢١٦، ٢٣٣ ـ وثالثا: « ان الطمع فقر وأن اليأس غنى » ص ٢٢٦، ٢٣٠.

(٢) انظر خطبته في الاستسقاء ص ١٧٤.

(٣) البحث ص ٢٣٩.

(٤) البحث ص ١٨١

(٥) البحث ص ١٨٠

(٦) البحث ص ٢٣٣.

« ...[1] من أظهر منكم خيرا ظننا به خيرا وأحببناه عليه، ومن أظهر منكم لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه ».

★ ★ ★

ونلاحظ أن عمر لم يضمن خطبه التي بين أيدينا شعرا، ولا حكمة جاهلية على الرغم من اتساع محفوظه من الشعر وعلمه بالجاهلية، فهل كره عمر التضمين منهما؟

ساق ابن الجوزي رواية « .. [2] عن معاذ بن جبل عن أبيه[3] قال: قلما خطبنا عمر بن الخطاب - رضوان الله عليه - الا قال:

ان شرخ الشباب والشعر الاسـ ود ما لم يعاص كان جنونا [4]

والنص لا يوحي الينا بكثرة انشاد عمر للشعر في خطبه، بل ربما دلنا على عكس ذلك حيث بين أن هذا البيت هو الوحيد الذي قلما تركه عمر.

على أي حال ليس من المصادفة البحتة أن يخلو كل ما عثرت عليه من خطب عمر من هذا الضرب أو ذاك. بينما لا يخلو من الذكر الحكيم وحديث الرسول الأمين ﷺ.

★ ★ ★

بين البداية والختام:

خطب عمر التي بين أيدينا إسلامية، تبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ذكر رسوله ﷺ

---

(١) البحث ص ٢٤١.

(٢) ابن الجوزي - سيرة عمر بن الخطاب ص ١٦٢.

(٣) في قوله: عن أبيه إشكال ويبدو - وهذا ما أرجحه - أن خطأ وقع في النسخ، فان جبل بن عمرو بن أوس الجشمي - والد معاذ - رضي الله عنه - لا يعرف له إسلام، ولا ذكر له في صحابة رسول الله ﷺ. وانما الرواية - فيما أرى عن ولد من أبناء معاذ بن جبل عن أبيه.

(٤) البيت لحسان بن ثابت - رضي الله عنه - وهو صدر أبيات من ديوانه، قافية النون وبعده:

ما التصابي على المشيب وقد قلـ ـبت من ذاك أظهرا وبطونا

انظر ديوان حسان بن ثابت ص ٢٥٢ - نشر دار صادر بيروت بلا تاريخ.

- وقد أكثر الرواة ذكر ذلك[1] في مقدمة رواياتهم. كما نجد نصا لمقدمة رواها ابن عبد ربه - لعمر، وفيها حَمْدُ الله والصلاة والسلام على نبيه ﷺ[2]، وفَصَلَ بـ « أما بعد »[3].

وأكثر ما تكون لازمة النداء - فيما بين يدي من خطبه: « أيها الناس »[4] وقل « يا معشر المسلمين »[5] و « أيها الرعاء »[6].

وختم - اجمالا - بالدعاء - قال ابن عبد ربه:

(...[7] وكان آخر كلام عمر الذي - اذا تكلم به - عرف أنه فرغ من خطبته: اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني على غرة، ولا تجعلني من الغافلين ».

ولعل ابن عبد ربه يقصد أكثر ختامه، اذ نجد له ختاما يقوله:
« ...[8] أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ».

★ ★ ★

اغراض خطبة عمر:

قبل الحديث عن أغراض خطبة عمر نذكر - اجمالا - أن الخطبة كانت لونين: خطبة في شعيرة، وخطبة في غير شعيرة كانت تلقى بسبب حادث يلم بالمسلمين فينادي في الناس: « الصلاة جامعة » ثم يخطبهم الامام في الامر، ثم يكون البحث فيه، وقد

(١) البحث ص ١٧٠ و ١٧٤ و ١٨٠.
(٢) البحث ص ١٩٩.
(٣) البحث ص ١٨٠.
(٤) البحث ص ١٨٠ - ١٨١.
(٥) البحث ص ١٧٨.
(٦) البحث ص ١٨٠.
(٧) ابن عبد ربه - العقد الفريد ٦٦/٤.
(٨) المحب الطبري - الرياض النضرة ٥/٢.

خطب عمر اللونين: فخطب الناس في شعائر دينهم، وخطبهم في أمور دنياهم وسياسة دولتهم فمما خطب فيه لشعيرة خطبته في الاستسقاء، وكانت في العام الثامن عشر [1]:

« ... [2] حمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه، ثم قال [3]: أيها الناس، استغفروا ربكم انه كان غفارا، اللهم اني استغفرك وأتوب اليك. اللهم انا نتقرب [4] اليك بعم نبيك، وبقية آبائه وكبار [5] رجاله، فانك تقول - وقولك الحق واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا (١٨ - ٨٢) فحفظتهما لصلاح ابيهما، فاحفظ - اللهم - نبيك في عمه [6].

اللهم اغفر لنا انك كنت غفارا، اللهم أنت الراعي، لا تهمل الضالة، ولا تدع الكسيرة بمضيعة، اللهم قد ضرع الصغير، ورق الكبير، وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون».

ومما خطب فيه عمر - لغير شعيرة - خطبته التي اعلن فيها عن عزمه طرد اليهود من خيبر فقد تجمع لعمر أكثر من سبب [7] يقتضي طردهم، قال الامام البخاري:

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٩٦/٤.

(٢) ابن عبد ربه - العقد الفريد ٦٤/٤ - ولها روايات: (ب) ابن الاثير - الكامل في التاريخ ٣٩٠/٢ (ج) صحيح البخاري (كلمة يسيرة عنها ٣٤/٢ (د) رواية لابن حجر - بفتح الباري ٤١٣/٢.

(٣) افتتاحها في ب: اللهم عجزت عنا أنصارنا، وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة الا بك، اللهم فاسقنا وأحي العباد والبلاد.

(٤) ج: اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا.
د: ان رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا - ايها الناس - برسول الله ﷺ في عمه واتخذوه وسلية الى الله.

(٥) ب: وكبر رجاله.

(٦) ب: في عمه، فقد دلونا به اليك مستشفعين مستغفرين.

(٧) من ذلك: تثبته من قوله رسول الله ﷺ «لا يجتمع بجزيرة العرب دينان»، ثم كثرة الخدم بأيدي المسلمين وقوتهم على العمل بالارض، وقد استظهر ابن حجر هذين السببين بحجة، راجع له - فتح الباري ٢٤٠/٥، وثالث الاسباب ما ذكره عمر في خطبته ورابع تشير له رواية الامام أحمد في المسند ١٩٣/١، وهو عدوانهم على جماعة من الانصار - رضي الله عنهم - قبل عدوانهم على ابن عمر.

« ... [١] لما فدع [٢] أهلُ خيبر عبد الله بن عمر [٣] قام عمر خطيبا فقال: [٤]

ان رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر [٥] على أموالهم، وقال: نقركم ما أقركم الله.

وان [٦] عبد الله بن عمر خرج الى ما له هناك فعدي عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه [٧]، وليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت أجلاءهم».

وفي البحث من اللونين كثير [٨].

يمكن - وقد عرفنا - لوني خطبة عمر أن نعرض لاغراضها - في ضوء ما بيدي من خطبه، فمن أغراضها:

أ - التعليم:

فقد كان لعمر - رضي الله عنه - زاده من المعرفة الإسلامية علما وفقها، فعلم

---

(١) نص الخطبة بصحيح البخاري ٢٥٢/٣، وللخطبة روايتان:
(ب) مسند أحمد ١٩٣/١. (ج) سنن أبي داود ١٤١/٢.

(٢) الفدع: زوال المفصل، وقال الاصمعي: هو زيغ في الكف بينها وبين الساعد وفي الرجل بينها وبين الساق. ابن حجر - فتح الباري ٢٤٠/٥.

(٣) في ب: «عن عبد الله بن عمر قال: خرجت أنا والزبير والمقداد بن الاسود الى أموالنا بخيبر نتعهدها، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا، قال: فعدي على تحت الليل وأنا نائم على فراشي ففدعت يداي من مرفقي، فلما اصبحت استصرخ على صاحباي فأتياني فسألاني عمن صنع هذا بك؟ قلت: لا أدري، قال: فأصلحا من يدي ثم قدموا بي على عمر فقال: هذا عمل يهود ثم قام في الناس خطيبا...

(٤) ب، ج: أيها الناس، ان رسول الله ﷺ ... الخ.

(٥) ب، ج: عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم اذا شئنا.
زاد ج: ومن كان له مال فليلحق به، فاني مخرج يهود. فأخرجهم.

(٦) ب: وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم مع عدوتهم على النصارى قبله.

(٧) ب: لا نشك انهم أصحابهم ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به، فاني مخرج يهود فأخرجهم.

(٨) راجع رواية الحسن في منهجه في الخلافة ص ١٨٠ وطلبه قاتلا ص ١٨٠.

الناس في خطبته من ذلك.

قال علقمة بن وقاص: « ...[1] سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على المنبر ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: انما الاعمال بالنيات، وانما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو الى امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه».

وعند عبد الرحمن بن عبد القاري ـ رضي الله عنه « ..[2] أنه سمع عمر بن الخطاب ـ وهو على المنبر ـ يعلم الناس التشهد، يقول:

قولوا: التحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات الصلوات لله، السلام عليك أيها النبي، ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا اله الا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله».

ومثل ذلك تعليمه في سجود التلاوة ومناسك الحج »[3].

ويبدو أنه كان ـ في هذا اللون ـ يقصد الى اداء الأمانة فيما حمل من علم، ورأى من الاحوال ما يقتضي اعلانه والنفع به.

ب ـ التنظيم في شؤون الدولة:

فنرى من خطبه حضا على إصلاح عام يعلن عن الإثابة عليه، وبعضها ينهي عن الاحتكار طمعا في ارتفاع السعر، وبعضها يستدرك حالة اجتماعية قد تستفحل فتنتهي بما لا تحمد عقباه:

روى أبو عبيد ـ بسنده ـ إلى عبد الله بن عمر:«[4] قال: كان عمر بن الخطاب يخطب على هذا المنبر، يقول:

---

(١) صحيح البخاري ٢/١ ـ وراجع نفس المصدر ٢٩/٩.
(٢) موطأ مالك ١١٣/١.
(٣) البحث ٢٠٢ ـ ٢٣١.
(٤) أبو عبيد الهروي ـ الأموال ص ٣٦٨.

يأيها الناس، من أحيا أرضا ميتة فهي له.
وذلك أن رجالا كانوا يحتجرون من الارض ما لا يعمرون».

ولأهمية القضية وصلتها بالعمران وسد حاجة الناس كتب فيها الى عماله، قال ابن حجر: «[1] كتب عمر بن الخطاب: من أحيا مواتا من الارض فهو أحق به» يستمد في ذلك من رسول الله ﷺ القائل: «[2] من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق».

ونادى في الحكرة فقال:

«...[3] لا حكرة في سوقنا، لا يعمد رجال بأيديهم فضول من أذهاب - الى رزق من رزق الله نزل بساحتنا فيحتكر ومنه علينا[4]، ولكن ايما جالب جلب على عمود كبده في الشتاء والصيف فذلك ضيف عمر، فليبع كيف شاء[5] وليمسك كيف شاء الله».

ومما استدرك فيه عمر لحالة اجتماعية قد تستفحل قضية «أمهات الاولاد».

١ - ففي الآثار... «[6] أنه كان ينادي على منبر رسول الله ﷺ في بيع أمهات الاولاد: أنه حرام، إذا ولدت الأمة لسيدها عتقت، وليس عليها بعد ذلك رق».

٢ - «...[7] يا معشر المسلمين، إن الله قد أفاء عليكم من بلاد الأعاجم.

من نسائهم وأولادهم ما لم يفيء على رسول الله ﷺ ولا على أبي بكر،

---

(١) ابن حجر - فتح الباري ١٦/٥.
(٢) صحيح البخاري ١٤٠/٣.
(٣) موطأ مالك ١٤٨/٢ - وانظر شرح الزرقاني على الموطأ ٢٩٩/٣.
(٤) في الموطأ بشرح الزرقاني: فيحتكرونه علينا الى أن يغلو السعر.
(٥) بنفس المصدر: كيف شاء الله.
(٦) الامام محمد بن الحسن الشيباني - الآثار ص ١١٥.
(٧) الشيخ علاء الدين الهندي - كنز العمال ٢٩٢/٨.

وقد عرفت أن رجالا يسلمون [١] بالنساء ، وأيما رجُل ولدت له امرأة من نساء العجم ★ ، فلا تبيعوا أمهات اولادكم فانكم ـ ان فعلتم ـ أوشك الرجل أن يطأ حريمه وهو لا يشعر ».

٣ ـ « ...[٢] ما بال رجال يطئون ولائدهم ثم يعزلوهن [٣] ، لا تأتيني وليدة يعترف سيدها أن قد ألم بها الا ألحقت به ولدها فاعزلوا بعد ذلك أو اتركوا ».

جـ ـ اعلان الانباء السياسية ، والحوادث الاجتماعية :

ونقصد بالانباء السياسية ما يكون من نبأ يمس سياسة الدولة وسيادتها العليا أو يكون في السكوت عنه تعريض المجتمع لهزات هدامة ، أو يكون في التعريف به اعلان عن منهج الحاكم ، وحق الرعية ، وما شابه ذلك مما يكون ذا أثر مباشر على أي مواطن .

فألقي بعد توليه الخلافة ـ كلمة أعلنت واجبه نحو الامة وحقه عليها ، وخطب فُأعلن عن عزمه على طرد اليهود من خيبر [٤] ، وخطب يحذر من ترشيح أحد للخلافة عن غير مشورة من المسلمين [٥] ... الخ .

وهذا اللون من خطبه يقدم لنا الدليل على مسؤولية عمر أمام الامة ، وايمانه بهذا المبدأ من حقوقها عليه ، فهو ـ من أجل ذلك ـ يحيطها علما به ، فتتم مشاركتها له ، فلا يكون انعزال منها ولا استبداد منه :

خطب يعلن منهجه في الخلافة :

« ... [٦] عن الحسن قال :

---

(١) كذا ـ وأحسبه تصحيف صوابه : يلمون . ★ كذا

(٢) موطأ مالك ٢١٦/٢ ـ وله رواية أخرى نرمز لها بالحرف (ب) بمسند الشافعي ص ٧٠ .

(٣) الاولى : ثم يعزلونهن ، وفي ب : ثم يعزلون .

(٤) البحث ص ١٧٥ و ١٧٦ .

(٥) البحث ص ١٨٥ .

(٦) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ٢٧٤/٣ ـ راجع اول الخطب في النماذج المحققة ص ٢١٥ .

فيما نظن أن أول خطبة خطبها عمر، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فَقد ابتليت بكم وابتليتم بي، وخلفت فيكم بعد صاحبي، فمن[1] كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا، ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة والأمانة فمن يحسن نزده حسنا ومن يسيء نعاقبه، ويغفر الله لنا ولكم...».

ومن هذا اللون ما رواه أبو أسامة الهذلي قال:

«...[2] خطب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال:

أيها الناس، ان لنا عليكم حق النصيحة بالغيب، والمعونة على الخير، أيها الرعاء، انه ليس من حلم أحب الى الله ولا أعم نفعا من حلم إمام ورفقه، وليس من جهل أبغض الى الله، وأعم ضررا من جهل امام وخرته، وانه من يأخذ بالعافية فيما بين ظهرانية يعط العافية من فوقه».

ومما خطب فيه عمر من الحوادث الاجتماعية هذا الموضوع[3]:

كان بكر بن الشداخ[4] - رضي الله عنه - آخى - في الله - مجاهدا خرج يغزو، وأوصى بكرا على أهله فذهب بكر يوما ليتفقد أهل أخيه، فوجد لديهم يهوديا فقتله، فرفع اليهود الأمر الى عمر»...[5] فأعظم ذلك عمر.

كذا بالاصل.

(٢) أبو يوسف - الخراج ص ١٣.

(٣) راجع للموضوع - ابن الاثير - أسد الغابة ٢٤٠/١.

(٤) جاء التصريح باسمه - بنفس المرجع - وهو أنصاري كما سيأتي هنا في (ج).

(٥) النص لابن الاثير - اسد الغابة ٢٤٠/١، وله روايات نرمز لها على التوالي:

(ب) ابن قتيبة - عيون الاخبار م ١١٦/٤.

(ج) الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية - أخبار النساء ص ٧٤ وفيه (أن رجلا من الانصار غزا فأوصى ابن عم له بأهله).

(د) ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - المحاسن والاضداد ص ١٦٩.

وفي هذه المصادر تقديم وتأخير في عرض الحادث - وأوفاها ترتيبا للحوادث ابن الاثير، لذا صدرت به.

وخرج[1] وصعد المنبر وقال:

أفيما ولأني الله واستخلفني تقتل الرجال؟ أذكر[2] الله رجلا كان عنده علم الا أعلمني! فقام اليه بكر بن الشداخ، فقال: أنابه: فقال: الله أكبر، بؤت بدمه، فهات المخرج: فقال: يلي، خرج فلان غازيا، ووكلني بأهله، فجئت الى بابه، فوجدت هذا اليهودي في منزله ـ وهو يقول:

وأشعث غره الإسلام مني ... خلوت بعرسه ليل[3] التمام
أبيت على ترائبها ويمسي[4] ... على قود[5] الأعنة والحزام
كأن مجامع الربلات منها ... فئام ينهضون[6] الى فئام

قال:[7] فصدق عمر قوله، وأبطل دمه...».

د ـ الوعظ والارشاد:

وفي هذا الباب أمر ونهي ورغب ورهب وحذر وأنذر، فحذر من الخوض في

---

(١) ب: فنادى عمر في الناس: الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر بحمد الله وأثنى عليه ثم قال:
ج: فصعد المنبر وخطب.
د: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال:

(٢) ب: أنشد الله ـ رجلا علم من هذا القتيل علما الا أخبرني به فقام الشاب فأنشده الشعر وأخبره خبره.
ج: عزمت عليكم ان كان الرجل الذي قتل حاضرا ويسمع كلامي فليقم، فقال: نعم ـ يا أمير المؤمنين ـ فقال: أبعده الله، ما كان من خبره؟ فأخبره وأنشده الابيات.
د: انشد الله رجلا كان عنده من هذا علم الا قام، فقام الرجل فحدثه.

(٣) جـ: بدر التمام.

(٤) ب د: ويضحي.
ج: ويغدو.

(٥) ب ج د: على جرداء لاحقة الحزام.

(٦) ج: ينتمين. د: قد جمعن... والفئام: الجماعة من الناس.

(٧) اختطفت العبارة عقب الابيات، ففي ب: فقال عمر: لا يقطع الله يدك وهدر دمه، وفي ج: فقال: أضربت عنقه؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين فقال: أبعده الله فقد هدر دمه.
وفي د: فقال: أحسنت أحسنت.

المعصية، ودعا الى اصلاح السرائر، والعمل للآخرة، واتقاء الفتنة بالبعد عن مظانها، ورغب في السلوك الحسن، ودعا اليه.

روى ابن كثير أن عمر «...[1] خطب بالجابية خطبة طويلة بليغة، منها: أيها الناس، أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تكفوا امر دنياكم، واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حي، ولا بينه وبين الله هوادة، فمن اراد احب (طريق)[2] وجه الجنة فليلزم الجماعة: فان الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، ولا يخلون أحدكم بأمرأة، فان الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته ومساءته سيئته فهو مؤمن».

ومن هذا اللون خطبته:

«...[3] أيها الناس:

اياكم والبطنة من الطعام، فانها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسد مورثة للسقم.

وان الله ـ عز وجل ـ يبغض الحبر السمين، ولكن عليكم بالقصد في قوتكم، فانه أدنى من الاصلاح، وأبعد من السرف، وأقوى على عبادة الله ـ عز وجل...».

يمكننا ـ اذا ـ أن نقول:

ان التعليم والتنظيم واعلان الانباء السياسية والحوادث الاجتماعية والوعظ والارشاد. كل ذلك كان اغراضا رئيسية في خطب عمر.

فكانت خطبة عمر:

إشباعا لحاجة الجمهور لارتباطها المباشر بشؤونه ومشاكله، واشباعا لحاجة الحكم الاسلامي، وما يقتضيه هذا الحكم من اعلام الرعية ببعض الشؤون لتكون ـ من حقائق الامور ـ على بينة، وتجاوب مع الحاكم شورى وإدارة.

---

(١) اسماعيل بن كثير القرشي ـ البداية والنهاية ٥٦/٧ ـ انظر خطبة الجابية ص ٢٢٦.

(٢) كذا بالمرجع، وهي مقحمة من الناسخ للشرح.

(٣) ابن الجوزي ـ سيرة عمر بن الخاطب ص ١٥٦.

واشباعا لحاجة عمر الحاكم نفسه، تلك الحاجة المنطلقة من احاسيسه الشخصية في وجوب توجيه الناس وفقا لكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وتأكيدا لذاته بأنه أدى الامانة.

لقد نجح عمر في «مسؤولية الحكم» نجاحه في مسؤولية الكلمة أو مسؤولية الأديب، فكما أشبع حاجة الأمانة وحاجة وحاجة الحكم في تناسق عظيم؛ أشبع حاجة الكلمة بالتوفر على تقدير مسؤوليتها كاملة في انتاجه الأدبي كله [1].

★ ★ ★

(١) راجع ملامح المسؤولية الأدبية البحث ص ١٦٧.

عرض ودراسة:

قد يكون بين أيدينا نصوص من خطب عمر الطوال وخطبه القصار، وبعض المقتطفات غير أن هذه النصوص تدعونا إلى ان نأخذ - في الاعتبار - عند دراستها أمرين:

فهذه النصوص جميعا ليست كل خطب عمر، فان عمر دامت خلافته عشر سنوات كان - فيها - إمام الأمة وخطيب الجمعة، ولن تقل خطبه - بحال - في هذه الفترة عن أربعمائة خطبة، فاذا أضيف - لذلك - أن خطبة عمر ليست قاصرة على الجمعة، وانما خطب في شعائر أخر كالعيدين والحج والاستقساء، وخطب - في غير الشعائر - مما اقتضته ظروف الحكم وشؤون الاجتماع - كان ذلك يعني أن ما بأيدينا انما هو نزر يسير من خطبه.

ثم هذا النزر اليسير لا يمثل أي نصوصه - مهما طال - خطبة تامة كاملة من البداية حتى النهاية.

واذا كان كلا الامرين طابعا لازما لهذه النصوص فعلى الناقد أن توافق أحكامه ميدان دراسته - وما دام الميدان محدودا، فقد يتخلى الصواب عن الاحكام الكلية الشاملة:

ولقد مر - بنا - أكثر من مثال لمقتطف من خطب عمر، بعضه في شعيرة وبعضه في غيرها، وهو - في بعضها - محقق.

ونقدم - هنا - خطبة (جمعة) بشطريها محققة لتكون في مقدمة هذا العرض نبراسا هاديا فيما نطلبه من دراسة.

والله أرجو سداد الخطأ والصواب.

★ ★ ★

« خطب ينهي عن اتخاذ خليفة دون مشورة المؤمنين »

خطب عمر بالمدينة - يوم الجمعة التي أعقبت مرجعه من آخر حجة حجها سنة ثلاث وعشرين، وكان قد نمي إليه - أثناء أداء المناسك - أن قائلا قال: « لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا ».

فهم أن يلقي كلمته في الحجيج لكن عبد الرحمن بن عوف أدركه فأشار عليه أن يؤخر كلمته الى أن يعود إلى المدينة حتى يكون بعيدا عن رعاع الجماهير ويخلص الى علماء الناس وأشرافهم - في المدينة - فيحملون كلمته محملها الصحيح.

فقال عمر: أما والله - إن شاء الله - لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة [1]. اهـ.

وكانت الجمعة

« ... [2] فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون [3] قام فأثنى على الله بما هو

(١) راجع صحيح البخاري ٢٠٨/٨، ٢٠٩ - وابن حجر - فتح الباري ١٣٠/١٢.

(٢) صحيح البخاري ٣٠٩/٨. وللخطبة روايات عدة نرمز لها ومصادرها على التوالي.

(ب) روايات ابن حجر بفتح الباري ١٣٠/١٢.

(ج) مسند أحمد ٣٢٥/١.

(د) تاريخ الطبري ٢٠٤/٢.

وهذه المصادر الثلاثة أوعبت كالبخاري، بينما أوردت المصادر التالية الجزء الخاص برجم الزاني المحصن، وهي:

(هـ) صحيح مسلم ١١٦/٥.

(و) الجامع الصحيح (صحيح الترمذي) ٢٠٤/٦.

(ز) سنن ابي داود ٤٥٦/٢.

(ح) سنن ابن ماجه ٨٥٣/٢.

(ط) موطأ مالك ٤٢/٣.

أهله [1] ثم قال:

أما بعد، فاني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها [2]، لا أدري: لعلها بين يدي أجلي [3]، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته [4]، ومن خشي ألا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علي [5].

ان الله بعث محمدا ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب [6] فكان مما انزل الله آية الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها [7].

= (ي) مسند الشافعي ص ١١١.

(ك) سنن الدارمي ٩٩/٢.

وتناولت بعض المصادر أجزاء منها لم تروها على أنها خطبة وانما استمدت منها - كتاريخ - راجع لابن عبد ربه - العقد الفريد ٢٥٨/٤ - وابن الجوزي - سيرة عمر بن الخطاب ص ٤٢. ونكتفي بالمقارنة فيما تقدم من أصول. الباحث. (٣) ج: المؤذن.

(١) د: فلما جلس عمر على المنبر أذن المؤذنون، فلما قضى المؤذن أذانه قام عمر فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

(٢) ج: أما بعد، أيها الناس، فاني قائل مقالة.

د: أما بعد: فاني أريد أن أقول مقالة قد قدر أن أقولها.

(٣) لا أدري... العبارة ليست في د.

(٤) ج: فمن وعاها وعقلها.

د: من وعاها وعقلها وحفظها فليحدث بها حيث تنتهي... الخ.

(٥) ج: ومن لم يعها فلا أحل له أن يكذب علي.

د: ومن لم يعها فاني لا أحل.

(٦) ج: ان الله - تبارك وتعالى -.

د: ان الله - عز وجل - بعث محمدا بالحق.

هـ - قال عمر بن الخطاب - وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ: ان الله قد بعث محمدا.

ك: ان الله - تعالى - بعث.

(٧) ب، و، ز: فكان فيما.

ج، ز: وكان مما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها.

د، و: وكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله الله، ورجمنا بعده.

هـ: فكان مما انزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها.

ك: وكان فيما أنزل آية الرجم فقرأناها ووعيناها وعقلناها.

رجم[1] رسول الله ﷺ ورجمنا[2] بعده، فأخشى ـ ان طال بالناس زمان ـ أن يقول قائل[3]: (والله ما نجد اية الرجم في كتاب الله[4]) فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله[5].

والرجم ـ في كتاب الله ـ حق على من زنى اذا أحصن من الرجال والنساء[6] اذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف[7].

---

(١) ب: وان ناسا يقولون: ما بال الرجم، وانما في كتاب الله الجلد، ألا قد رجم رسول الله ﷺ.
ج، ز، ك: ورجم.
د، هـ، و: فرجم.

(٢) ز: من بعده.

(٣) ب: واني خائف. و: اني خائف أن يطول بالناس زمان فيقول،
ز: واني خشيت.
ح: لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل.
ط: ... ثم قدم المدينة فخطب الناس فقال:
ايها الناس قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة الا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا ـ وضرب باحدى يديه على الاخرى ـ ثم قال: اياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، يقول قائل:
ك: أن يقول القائل.

(٤) ج، ك: لا نجد آية الرجم. د: والله ما نجد الرجم
هـ: ما نجد الرجم و: لا نجد الرجم ز: ما نجد آية الرجم.
ح: ما أجد الرجم.
ط: لا نجد حدين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا.

(٥) ج: وقد أنزلها الله. ح: فريضة من فرائض الله.

ج: فالرجم. هـ: وان الرجم. ،و: ألا وان الرجم حق على من زنى اذ أحصن.
ز: الرجم حق على من زنى من الرجال والنساء اذا كان محصنا.
ح: ألا وان الرجم حق اذا أحصن الرجل.
ي: الرجم في كتاب الله حق على من زنى من الرجال والنساء اذا احصن.

(٧) ب: أوكان الحمل. ج: البينة أو الحبل.
و: وقامت البينة، وكان حبل، أو اعتراف.

ثم[1] انا كنا نقرأ ـ فيما نقرأ من كتاب الله ـ ان لا ترغبوا عن آبائكم، فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو ان كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم[1].

ألا[2] ثم ان رسول الله ﷺ قال:

لا تطروني كما أطرى عيسى بن مريم[3]، وقولوا: عبد الله ورسوله.

ثم انه بلغني[4] أن قائلا منكم يقول: والله لو مات عمر[5] بايعت فلانا. فلا يغترن أمرؤ[6] أن يقول: انما كانت بيعة[7] أبي بكر فلتة وتمت.

ألا وإنها قد كانت كذلك[8] ولكن[9] وقى الله شرها، وليس منكم[10]. من تقطع الاعناق[11] ليه مثل أبي بكر.

= ز: أو كان حمل أو اعتراف، وايم الله، لولا أن يقول الناس: زاد عمر في كتاب الله ـ عز وجل ـ لكتبتها.

ح: وقامت البينة أو كان حمل أو اعتراف، وقد قرأتها:

(الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة) رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده.

ط: ورجمنا، والذي نفسي بيده، لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى لكتبتها: الشيخ والشيخة فارجموهما البتة، فانا قد قرأناها (كذا دون ذكر: اذا زنيا. الباحث).

ك: اذا قامت عليه البينة.

والعبارة: «والرجم في كتاب الله ـ الى ـ الاعتراف» ليست في (د) لا هي ولا مضمونها.

(١) ج: ألا وانا قد كنا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فان كفرا أن ترغبوا عن آبائكم.
د: وقد كنا نقول: لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم.

(٢) ج: الاوان.

(٣) ج: عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ فانما أنا عبد الله فقولوا: عبد الله ورسوله.

(٤) ج: وقد بلغني.

(٥) ج: يقول: لو قد مات. د: يقول: لو قد مات أمير المؤمنين.

(٦) د: فلا يغـرن امرءا.

(٧) ج، د: ان بيعة أبي بكر كانت فلتة.

(٨) ج: فلتة، الا وانها كانت. د: فلتة فقد كانت.

(٩) ج: الا وان الله ـ عز وجل ـ د: غير أن الله.

(١٠) ج: وليس فيكم اليوم.

(١١) د: اليه الاعناق.

من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع [١] هو ولا الذي بايعه تغرة [٢] أن يقتلا.

وانه [٣] كان من خبرنا [٤] حين توفي الله نبيه ﷺ الا أن[٥] الانصار خالفونا. واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير [٦] ومن معهما.

واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت ـ لابي بكر: يا أبا بكر [٧]، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار [٨]، فانطلقنا نريدهم [٩]، فلما دنونا منهم، لقينا منهم

(١) ب: فلا يتابع... ولا الذي تابعه.

(٢) تغرة أن يقتلا، قال ابن حجر: حذرا من القتل، وهو مصدر من أغررته نغريرا أو تغرة، والمعنى: أن من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه، وعرضها للقتل ب ١٣٣/١٢.
والعبارة: من بايع ـ الى ـ يقتلا ليست في ج ولا في د.

(٣) ج: الا وانه كان. د: وانه كان.

(٤) ب: خيرنا.
قال ابن حجر: والضمير لابي بكر، وعلى هذا فيقرأ ان الانصار الكسر ا هـ ب ١٣٣/١٢.

(٥) الا مثبتة عن النسخة اليونينية المقروءة على الحافظ شرف الدين ابي الحسين علي بن محمد بن أحمد اليونيني ـ رضي الله عنه ـ وصدرت بها نسخة مطابع الشعب ـ القاهرة ١٣٧٨ وليست في نسخة المطبعة البهية الصادرة سنة ١٢٩٩ بمصر راجع بها ١٥٥/٤ وليست بالنسخة المصحوبة بشرح ابن حجر ـ فتح الباري ط أولي بالمطبعة الكبرى الميرية سنة ١٣٠١ راجع بها ١٣٣/١٢.
ج: توفي رسول الله ﷺ أن عليا والزبير، ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ وتخلفت عنا الانصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة.
د: توفى الله نبيه ﷺ أن عليا والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة، وتخلفت عنا الانصار بأسرها.

(٦) ب: رواية: العباس بدل الزبير.

(٧) ب: فبينما نحن في منزل رسول الله ﷺ اذا برجل ينادي ـ من وراء الجدار: اخرج الي يا ابن الخطاب، فقلت: إليك عني فإني مشغول قال: اخرج إلي، فإنه قد حدث أمر، إن الأنصار اجتمعوا فأدركوهم قبل ان يحدثوا امرا يكون بينكم فيه حرب: فقلت ـ لابي بكر ـ انطلق.
ج: فقلت له: يا أبا بكر.* د: فقلت ـ لابي بكر: انطلق.

(٨) ج: اخواننا من الانصار.

(٩) ب: نريدهم فلقينا أبو عبيدة بن الجراح، فأخذ أبو بكر بيده يمشي بيني وبينه
ج: نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان. د: نؤمهم فلقينا رجلان صالحان.

رجلان صالحان[١] ، فذكرا ما تمالي[٢] عليه القوم[٣] ، فقالا : أين تريدون ـ يا معشر المهاجرين ؟ .

فقلنا : نريد اخواننا هؤلاء من الانصار ، فقالا[٤] : لا عليكم ألا تقربوهم اقضوا أمركم[٥] ، فقلت :[٦] والله لنأتينهم .

فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة[٧] ، فاذا رجل مزمل بين ظهرانيهم[٨] فقلت : من هذا[٩] ؟ فقالوا : هذا سعد[١٠] بن عبادة ، فقلت : ما له[١١] ؟ قالوا يوعك[١٢] .

فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال[١٣] أما بعد ،

---

(١) ب : رجلا صدق . د : صالحان قد شهدا بدرا .

(الباحث : الرجلان : عويمر بن ساعدة ، ومعن بن عدي . خبر صحيح ج ٣٢٧/١) .

(٢) نسخة البخاري ب : تمالا .

(٣) ج : فذكرا لنا الذي صنع القوم (وليست العبارة في د) .

(٤) قالا : فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم .

(٥) ب : أمهلوا حتى تقضوا امركم . (قال ابن حجر : ويؤخذ من هذا أن الأنصار كلها لم تجتمع على سعد ابن عبادة ب ١٣٣/١٢) .

ج : امركم ـ يا معشر المهاجرين .

(٦) د : فقلنا .

(٧) ج : حتى جئناهم . د : قال : فأتيناهم ـ وهم مجتمعون ـ في سقيفة بني ساعدة .

(٨) ج : فاذا هم مجتمعون ، واذا بين ظهرانيهم رجل مزمل .

د : قال : واذا بين اظهرهم رجل مزمل .

(٩) د : قال : قلت : من هذا ؟

(١٠) ج : فقالوا : سعد د : قالوا : سعد :

(١١) د : ما شأنه ؟

(١٢) ب : سعد وجع يوعك . ج ، د : وجع .

(١٣) (يستظهر ابن حجر أن خطيبهم هو ثابت بن قيس بن شماس ، لانه يدعى خطيب الانصار ، قال : فالذي يظهر أنه هو ب ١٣٤/١٢) .

ج : قام خطيبهم ... وقال د : فقام رجل منهم فحمد الله وقال :

فنحن أنصار الله[1]، وكتيبة الاسلام. وأنتم - معشر المهاجرين - رهط[2]، وقد دفت دافة من قومكم [3]، فاذا [4] هم يـريـدون أن يختـزلـونـا مـن أصلنـا، وأن يحضنونا[5] من الأمر.

فلما سكت أردت أن اتكلم، وكنت[6] زورت مقالة أعجبتني، أريد ان اقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت[7] أداري منه بعض الحد[8]، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه[9] فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني

---

(١) ج: الله - عز وجل.
د: فنحن الانصار وكتيبة الاسلام.

(٢) ب: معاشر ج: يا معشر المهاجرين - رهط منا.
د: يا معشر قريش - رهط نبينا.

(٣) الدافة: القوم يسيرون جماعة سيرا ليس بالشديد، قال ابن حجر، دفت دافة من قومكم يريد: انكم قوم طرأة غرباء أقبلتم من مكة الينا، ثم أنتم تريدون أن تستأثروا علينا... قال: وانما عرض بذلك بأبي بكر وعمر ومن حضر معهما. راجع ب ١٣٤/١٢.
ج: دافة منكم يريدون أن يخزلونا من أصلنا ويحضنونا.
د: وقد دفت الينا من قومكم دافة.

(٤) د: قال (أي عمر): فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من اصلنا ويغصبون الامر، وقد كنت زورت... الخ.
ح: وقد دفت دافة من قومكم قال عمر: فاذا هم يريدون... الخ
(قال ابن حجر - عقب سياق رواية ابن ماجه المرموز اليها بالحرف (ح): قوله قال عمر خطأ والصواب أنه كله كلام الانصار، ويدل له قول عمر: فلما سكت أ هـ ب ١٣٤/١٢).

(٥) حضنه أو أحتضنه عن الامر، اخرجه في ناحية عنه واستبد به انظر ب ١٣٤/١٢ وفي ب روايات: يختصونا... يخصونا (بمعنى الاقتطاع والاستئصال)... يختصون بالامر أو يستأثرون بالامر دوننا.
قال بابن حجر: والروايات كلها متفقة على ان قوله: فاذا هم... الخ بقية كلام خطيب الانصار.

(٦) بنسخة البخاري شرح فتح الباري و ج: قد زورت ب: رويت.
د، وقد كنت زورت في نفسي مقالة أقدمها بين.

(٧) ج، د: وقد كنت.

(٨) ج: بعض الحد، وهو كان احلم مني وأوقر، فقال أبو بكر: على رسلك... الخ
د: بعض الحد، وكان هو أوقر مني واحلم، فلما أردت أن اتكلم قال: على رسلك.

(٩) د: أعصيه، فقام فحمد الله وأثنى عليه.

وأوقر[1]، والله ما ترك[2] من كلمة أعجبتني في تزويري الا قال[3] - في بديهته[4] - مثلها، أو أفضل منها حتى سكت، فقال[5]:

ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل[6]، ولن يعرف هذا الامر الا لهذا الحي من قريش[7]، هم أوسط العرب نسبا ودارا[8]، وقد رضيت لكم هذين الرجلين[9]، فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح - وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها[10].

كان[11] - والله - أن أقدم فتضرب عنقي - لا يقربني ذلك من اثم[12] - أحب

---

(١) في صحيح البخاري رواية اخرى ٨/٥ وفيها: فتكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس.
ج: وكان أعلم مني وأوقر.

(٢) د: فما ترك شيئا كنت زورت في نفسي أن أتكلم به لو تكلمت الا قد جاء به أو احسن منه.

(٣) ب: رويتي.

(٤) ج: الا قالها في بديهته وأفضل حتى سكت.

(٥) ج: فقال: أما بعد، فما ذكرتم.
د: وقال: أما بعد، يا معشر الأنصار، فانكم لا تذكرون منكم فضلا الا وأنتم له أهل.

(٦) ب: فأنتم له أهل، انا - والله - يا معشر الانصار ما ننكر فضلكم ولا بلاءكم في الاسلام، ولا حقكم الواجب علينا.

(٧) ب: قد عرفتم أن هذا الحي من قريش بمنزلة من العرب ليس بها غيرهم وان العرب لا تجتمع الا على رجل منهم، فاتقوا الله، لا تصدعوا الاسلام ولاتكونوا اول من أحدث في الاسلام.
ج: ولم تعرف العرب هذا الامر.
د: وان العرب لا تعرف هذا الامر.

(٨) صحيح البخاري ٨/٥: وأعربهم أحسابا.
د: دارا ونسبا.

(٩) ب: هذين الرجلين، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح.

(١٠) ح: هذين الرجلين، أيهما شئتم وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة فلم أكره مما قال غيرها.
د: ولكن قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين... واني - والله - ما كرهت من كلامه شيئا غير هذه الكلمة.

(١١) ج: وكان.
د: ان كنت لاقدم فتضرب.

(١٢) ج: إلى إثم.
د: فما لا يقربني إلى إثم.

الى من أن أتأمر [١] على قوم فيهم أبو بكر، اللهم الا أن تسول الى نفسي ـ عند الموت ـ شيئا لا أجده الآن [٢].

فقال قائل من الأنصار [٣]: «أنا جذيلها المحكك [٤] وعذيقها المرجب [٥] منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش» [٦]، فكثر اللغط، وارتفعت الاصوات [٧] حتى فرقت من الاختلاف، فقلت [٨]: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده [١٠] فبايعته وبايعه المهاجرون،

(١) د: أؤمر.

(٢) اللهم الا ـ الجملة ليست في ج ولا في د.

(٣) هو الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح الخزرجي. صحيح البخاري ٨/٥ مسند أحمد ٣٢٧/١ وانظر في الترجمة فتح الباري ٢٤/٧.

(٤) جذيلها المحكك: ـ معجم العين أو مهملها مصغرا: عود ينصب للابل الجرباء لتحتك فيه أراد أنه يستشفي برأيه.
راجع القاموس المحيط مادتي ج د ل ـ ج ذ ل وفتح الباري ٢٤/٧.

(٥) عذيقها المرجب: التصغير جائز أن يكون في عذق ـ بفتح أوله أو كسره وسكون ثانية العذق ـ بالفتح: النخلة بجملها، وترجيبها أن يبني تحتها بناء تعتمد عليه، وبالكسر: القنوا منها أي الكباسة، وهي العذق الكبير، وترجيبها ضم أعذاقها الى سعفاتها وشدها بالخوص لئلا تنفضها الريح. ومن الترجيب ايضاً: وضع الشوك حولها لئلا يصل اليها آكل.
والمراد: رجلها المرجو. راجع القاموس المحيط في المواد: ع ذ ق: ق ن و: ك ب س.

(٦) يلي ذلك حديث للحباب ولابي بكر في روايات لا تروي خطبة عمر انما تروي من احداث السقيفة ما يعوزنا معه الدليل اذا أثبتناها في خطبة عمر راجع صحيح البخاري ٨/٥ وفتح الباري ٢٤/٧ ـ ١٣٥/١٢.

(٧) د: قال: فارتفعت الاصوات وكثر اللغط.

(٨) ب: خفت ـ ورواية أخرى: أشفقنا الاختلاف.
ج: خشيت. د: فلما أشفقت.

(٩) ب: قلت: يا معشر الانصار إن أولي الناس بنبي الله ثاني اثنين اذ هما في الغار، ثم أخذت بيده.
رواية أخرى: يا معشر الانصار، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يؤم بالناس، فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر فقالوا: نعوذ بالله ان تقدم أبا بكر (وسنده حسن)
د: قلت: لابي بكر: ابسط يدك أبايعك.

(١٠) ب: ثم أخذت بيده، وبدرني رجل من الانصار فضرب على يده قبل أن اضرب على يده ثم ضربت على يده فتتابع الناس.
(هذا الرجل السابق عمر هو بشير بن سعد والد النعمان ـ فتح الباري ١٣٦/٢).

ثم بايعته[1] الانصار.

ونزونا[2] على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد[3] بن عبادة فقلت: قتل الله سعد[4] بن عبادة.

قال[5] عمر: وانا - والله - ما وجدنا[6]، فيما حضرنا من أمر[7]، أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا - ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة - أن يبايعوا[8] رجلا منهم بعدنا:

فاما[9] بايعناهم على مالا[10] نرضى.
واما[11] نخالفهم فيكون[12] فساد.

---

(١) ج: بايعه. د: وبايعه.
(٢) د: ثم نزونا على سعد حتى قال قائلهم.
(٣) ج: سعدا.
(٤) ج، د: سعدا.
(٥) ج: وقال عمر: أما - والله... الخ.
وفي د: الحديث موصول بلا ذكر قال عمر.
(٦) د: ما وجدنا أمرا هو أقوى... الخ.
(٧) ج: فيما حضرنا أمرا.
(٨) ج، د: أن يحدثوا بعدنا بيعة.
(٩) ج: فاما أن نبايعهم د: فاما أن نتابعهم.
(١٠) بنسخة البخاري التي شرحها ابن حجر - في الفتح: على ما نرضى.
ساق ابن حجر رواية جاء فيها (على مالا نرضى) قال: وهو الوجه وبقية الكلام ترشد الى ذلك. ا هـ.
وفي ج: على مالا نرضى.
وكذلك في النسخة اليونينية من البخاري التي أخذنا منها الخطبة.
وفي د: على ما نرضى ا هـ والامر فيه - الآن - واضح.
(١١) ج: وأما أن د: أو نخالفهم.
(١٢) ج: فيه فساد.
وبكلمة: فساد ينتهي النص في د.

فمن [1] بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو، ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا . ا هـ .

(وهذه هي الخطبة الثانية [2] لهذا اليوم، روى معدان بن طلحة:) « ... [3] ان عمر بن الخطاب ـ خطب [4] يوم الجمعة ـ فذكر نبي الله ﷺ وذكر أبا بكر، فقال:

اني رأيت [5] كأن ديكا نقرني ثلاث [6] نقرات [7]، واني لا أراه الا حضور أجلي، وان أقواما [8] يأمرونني أن أستخلف، وان الله لم يكن ليضيع دينه، ولا خلافته، ولا

---

(١) ج: فمن بايع اميرا عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له، ولا بيعة للذي بايعه، تغرة أن يقتلا . ا هـ .

(٢) لا شك أن الخطبة التي تقدمت هي الاولى، وأمر ذلك واضح، وقد نص ـ صراحة فيها أنها في يوم الجمعة الذي أعقب مرجعه من آخر حجة له، وهذا ما يدعونا الى أن نقرر أن هذه الخطبة، أعني التي رواها معدان بن طلحة ـ هي الثانية لشعيرة الجمعة من هذا اليوم، لانها:
بعد تقرير صحتها ثمر ورواية الامام مسلم لها، كما سيأتي، ووجود خمس روايات صحاح لها بمسند الامام أحمد، سنتبينها قريبا= نجد الامام أحمد رضي الله عنه ـ يقول ـ بسنده عنها عقب احدى رواياتها الصحيحة:
« فخطب الناس يوم الجمعة وأصيب يوم الاربعاء » مسند أحمد ١٩٣/١ ولم يتوفر لعمر عقب مرجعه من الحج الا جمعة واحدة كان فيها صحيحا معافى، هي تلك التي خطب فيها، اما الجمعة التالية لها فكانت عقب طعنه بيومين، وهو لم يغادر فيها فراشه، كذلك لم يكن قد طعن بعد حين القى هذه الخطبة، وكانت ـ كما هو منصوص بها ـ يوم الجمعة، فهي الثانية اذا . « الباحث ».

(٣) صحيح مسلم ٨١/٢ ـ ولها روايات خمس بمسند أحمد نرمز لها على التوالي: (ب) ١٩٢/١ (ج) ٢٣١/١ (د) ٢٣٥/١ (هـ) ٣٠٢/١ (و) ٣٠٩/١ . ز: رواية بمسند الطيالسي ص ١١ .

(٤) ب: قام على المنبر يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله هـ : قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه .

(٥) ب: رأيت رؤيا لا أراها الا لحضور أجلي، رأيت كأن ديكا نقرني نقرتين
ز : اني رأيت في المنام .

(٦) د هـ: نقرني نقرتين .
و : كأن ديكا أحمر نقرني نقرة أو نقرتين ـ شعبة الشاك .

(٧) ب: وذكر لي أنه ديك أحمر فقصصتها على أسماء بنت عميس امرأة ابي بكر فقالت: يقتلك رجل من العجم .

(٨) ب، الناس هـ: ناسا ز: قوما

الذي [١] بعث به نبيه ﷺ فان [٢] عجل بي امر فالخلافة [٣] شورى بين هؤلاء [٤] الستة الذين توفي [٥] رسول الله ﷺ وهو عنهم راض [٦] .

واني قد علمت أن اقواما يطعنون [٧] في هذا الامر، أنا ضربتهم [٨] بيدي هذه على الاسلام [٩]، فان فعلوا ذلك فأولئك أعداء الله الكفرة [١٠] الضلال.

ثم [١١] اني لا أدع بعدي شيئا أهم عندي من الكلالة.

ما راجعت [١٢] رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ لي في شيء [١٣] ما أغلظ لي في، حتى طعن بأصبعه في صدري [١٤] فقال: (يا عمر، ألا تكفيك

---

(١) ب: دينه وخلافته التي بعث بها.
د ز: دينه ولا خلافته والذي بعث به.
هـ: خلافته ودينه ولا الذي بعث به.

(٢) ب: وان يعجل.

(٣) فان الشورى في هؤلاء ز: فالخلافة بين هؤلاء.

(٤) هـ ز: هؤلاء الرهط الستة.

(٥) ز: فارقوا.

(٦) ب: راض... فمن بايعتم منهم فاسمعوا له وأطيعوا
هـ: فأيهم بايعتم له... الخ.

(٧) ب: وإني أعلم أن أناسا سيطعنون.
هـ: وقد عرفت أن رجالا سيطعنون.

(٨) ب: قاتلتهم.
هـ: واني قاتلتهم.

(٩) هـ: ... هذه الاسلام.

(١٠) ب: الكفار والضلال.

(١١) ب: وايم الله ما أترك فيما عهد الي ربي فاستخلفني شيئا أهم الي من الكلالة.
هـ: واني ـ والله ـ ما أدع شيئا هو أهم.

(١٢) ج: ما سألت رسول الله ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة: هـ: ولقد سألت نبي الله عنها ز: وما نازعت.

(١٣) ب ز: في شيء منذ صحبته د: في شيء منذ صاحبته.

(١٤) هـ: في صدري أو جنبي ز: ضرب بيده قبل صدري.

آية الصيف التي في آخر سورة النساء [١]) . وإني ـ ان أعش ـ أقضي فيها بقضية [٢] ، يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن .

اللهم [٣] إني أشهدك على أمراء الأمصار ، وأني إنما بعثتهم [٤] عليهم ليعدلوا عليهم ، وليعلموا الناس دينهم ، وسنة نبيهم ﷺ ويقسموا فيهم فيئهم [٥] ، ويرفعوا الى ما أشكل [٦] عليهم من أمرهم .

ثم انكم [٧] ـ ايها الناس ـ تأكلون شجرتين ، لا أراهما : الا خبيثتين : هذا البصل والثوم [٨] ، لقد [٩] رأيت رسول الله ﷺ اذا وجد [١٠] ريحهما من الرجل في المسجد امر به فأخرج الى البقيع ، فمن أكلهما [١١] فليمتهما طبخا » ا هـ .



(١) ب : التي نزلت في آخر سورة النساء .
هـ : تكفيك الآية التي نزلت في الصيف التي في آخر سورة النساء .
ز : انما تكفيك آية الصيف التي أنزلت في سورة النساء .

(٢) ب : بقضاء يعلمه من يقرأ .
هـ : أقضي فيها قضية لا يختلف فيها أحد يقرأ القرآن ... الخ .

(٣) ب : وإني أشهد الله على أمراء الامصار .

(٤) ب : بعثتهم ليعلموا الناس دينهم ويبينوا لهم سنة نبيهم .
هـ : يعلمون الناس دينهم وسنة نبيهم .

(٥) د : فيئهم ويعدلوا عليهم هـ : ويقسمون فيهم فيئهم ويعدلون عليهم .

(٦) ب : ما عمي عليهم هـ : وما أشكل عليهم يرفعونه الي .

(٧) هـ : ثم قال ، أيها الناس .

(٨) ب : هذا الثوم والبصل .

(٩) ب : وايم الله ، لقد كنت أرى نبي الله ﷺ ... الخ .
هـ : لقد كنت أرى الرجل على عهد رسول الله ﷺ يوجد ريحه منه فيؤخذ بيده ...

(١٠) ب : يجد ريحها من الرجل فيأمر به فيؤخذ بيده فيخرج به من المسجد حتى يؤتى به البقيع .
د : أمر به فأخذ بيده فأخرج .

(١١) ب هـ : اكلها لا بد .

١ - نلاحظ - في مقدمة هذا العرض - أن عمر خطيب غير محترف، فخطبه - رضي الله عنه لم تصدر عن حرفة، ولم يكتبها صاحبها قبل القائها أوبعده ليحتفظ بها كما حدث في بعض الامم [١]، وان كان قد كتب بمضمون بعضها فانما كتب به لما فيه من مصلحة الرعية شأن « الارض الموات » التي خطب في أمرها ثم كتب به الى الآفاق [٢].

واذا كان عمر لم يكتب خطبه فاننا لم نفقد « لفظ عمر » فنحن مع هذا اللفظ أو أقرب جدا اليه، وبخاصة فيما روي في الصحاح والمسانيد، دليلنا على ذلك هذه الخطبة وغيرها من الخطب التي قدمت تحقيقا لنصوصها [٣] فأما الروايات - في غير هذه المصادر، فليس بلازم أن نبالغ في الحيطة أو ندعي - بغير دليل - أن اللفظ ليس لعمر ما لم يتبين لنا نحل أو وضع.

٢ - معظم هذه الخطب يفقد مقدمته، فالمقدمة - على أهميتها جاوزها اكثر الرواة مكتفين بالإشارة الى مطلعها دون مضمونها:

بمثل: حمد الله وأثنى عليه [٤].

ومثل: حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلي على رسوله ﷺ، ونحوهما [٣].

وهذا القدر - على أي حال - دليل على أن خطبة عمر لم تكن بتراء ولا شوهاء [٦]،

---

(١) راجع ل: « س م باورا » - الادب اليوناني القديم ص ١٣٣ و١٣٨ ترجمة محمد علي زيد.
راجع ل: « ج. ف. دبسون » خطباء اليونان ص ٢٦ و٢٨ و٣٩ ترجمة أمين سلامة.
راجع ل: « ج. و. د ف: « تاريخ الأدب الروماني ٣٤٦/١ و٣٤٧ و٣٥٢، ٣٥٣.

(٢) البحث ١٧٨.

(٣) البحث ١٨٥ - إلى ١٩٨ وانظر النماذج المحققة ٢١٥.

(٤) البحث ص ١٧٠ - ١٨٠

(٥) البحث ص ١٧٤ - ١٨٥ - ١٨٦: وانظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٢٦، وانظر الخطبة ص ٢٢٨.

(٦) راجع في البتراء والشوهاء للجاحظ - البيان والتبيين ٦/٢.

غير أنه يمكن أن نقول: ان مقدمة عمر كانت تتضمن شيئا بعد حمد الله والثناء عليه، وذكر نبيه ﷺ فان بعض الرواة، بعد ذكر ما تقدم يقول: « وذكر أبا بكر فاستغفر له [١] ».

وآخر يقول:

« ثم ذكر الناس بالله ـ عز وجل ـ واليوم الآخر » [٢].

ويذكر ابن عبد ربه ـ مقدمة لعمر ـ قبل أن يخلص منها إلى موضوعه الذي بداه بقوله: « أيها الناس » وفي هذه المقدمة يقول عمر:

« ... [٣] الحمد لله الذي أعزنا بالاسلام وأكرمنا بالايمان، ورحمنا بنبيه ﷺ فهدانا به من الضلالة، وجمعنا به من الشتات، والف بين قلوبنا، ونصرنا على عدونا ومكن لنا في البلاد وجعلنا به أخوانا متحابين، فاحمدوا الله على هذه النعمة، واسألوه المزيد فيها والشكر عليها، فان الله قد صدقكم الوعد بالنصر على من خالفكم، واياكم والعمل بالمعاصي وكفر النعمة، فقلما كفر قوم بنعمة ولم ينزعوا الى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط عليهم عدوهم ».

ففي هذه المقدمة دعوة الى شكر النعمة وتبصير بسبب بقائها، وسبب ضياعها وتحذير من المعصية واشارة الى الاقلاع عنها، وعلاقة ذلك كله بالنصر على الاعداء، فهي مقدمة غنية بالفكرة التي يمكن أن تكون استهلالا لموضوعه.

ونجد مقدمة أخرى كانت استهلالا بارعا لموضوعه على الرغم من قصرها:

كان « الاسيفع » من جهينة ... » ... [٤] يشتري الرواحل فيغلي بها، ثم يسرع السير

(١) انظر الحاشية رقم ٤ ص ٢٢٦.
(٢) البحث ص ٢٢٣.
(٣) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٦٣/٤.
(٤) موطأ مالك ٢٣٦/٢ ـ وليها روايات.
ب: شرح الزرقاني على موطأ مالك ٧٥/٤ و ٧٦.
ج: ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٣٦٧/٢.

فيسبق الحاج فأفلس، فرفع امره الى عمر بن الخطاب.

([1] فقام عمر على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:
لايغرنكم صيام رجل ولا صلاته، ولكن انظروا إلى صدقه إذا حدث، والى أمانته إذا اؤتمن، وإلى ورعه إذا استغني ثم قال).

أما بعد:

ايها الناس، فإن[2] الأسيفع - أسيفع جهينة رضي من دينه وأمانته بأن[3] يقال: سبق الحاج، ألا وإنه قد دان[4] معرضا فأصبح قد رين به، فمن كان عليه[5] دين فليأتنا بالغداة نقسم ماله[6] بينهم، واياكم والدين، فان أوله هم وآخره حرب[7].

وهكذا نجد لعمر مقدمة قبل أن يخلص الى موضوعه بكلمة فاصله بقوله: «أما بعد».

٣ - واذا تركنا المقدمة الى الموضوع، فان - بين أيدينا، كما قلت - مقتطفات من خطبه، وخطبا قصارا وأخرى طوالا:

فأما المقتطفات فمن العسير تحديد موضوع الخطبة فيها، فغالبا ما يقتصر الامام الراوي لها على ذكر موطن الاستشهاد من الخطبة، وقد يكون حديثا، أو نصا في تحريم شيء، فهو لا يتعدى موطن الاستشهاد الى غيره، فلا ندري: هل النص من خطبة طويلة أو قصيرة، وهل سيق في خطبة شعيرة أو لمواجهة حادث اجتماعي، وبالتالي: لا يمكن الحكم على موضوع الخطبة ومدى وحدته.

---

(١) ما بين القوسين المعقوفين من: ب.
(٢) من هنا تبدأ الرواية ج، وفيها: ألا إن الأسيفع.
(٣) ج: أن يقال.
(٤) ج: ادان.
(٥) ج: له عنده شيء.
(٦) ج: نقسم له ما له بين غرومائه.
(٧) ج: حزن.

وليس الامر كذلك في قصار الخطب، وعلى وجه التحديد الخطب الواردة في غير الشعيرة، وهي خطب قصيرة بطبيعتها، ولدينا منها نماذج عدة أغلبها قاصر تماما على موضوع واحد لا يتعداه إلى غيره كخطبته في اجلاء يهود خيبر[1]، وخطبته في قتيل المدينة[2]، وخطبته في الأسيفع[3]، ومثلها خطبته في عزل شرحبيل بن حسنة، عامله على جند الاردن وخراجها، فقد قال له شرحبيل:

« ...[4] أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكني أريد رجلا أقوى من رجل، قال: نعم، فاعذرني من الناس، لا تدركني هجنة!! فقام في الناس فقال:

أيها الناس، اني - والله - ما عزلت شرحبيل عن سخطة، ولكني اردت رجالا أقوى من رجل».

وفي ضوء ما بأيدينا من هذه الخطب يمكن أن نقول:

أنها، غالبا - ما تتضمن موضوعا واحدا هو الداعي اليها، له أفكاره يلقيها عمر في وضوح، كما مر بنا، ثم تنتهي فينتهي الموضوع.

فاذا تجاوزنا هذا الخطب الى ما بأيدينا من خطب الشعيرة، فاننا نجد خطبة واحدة منها لم تحو شيئا بعد موضوعها، وأعني بها خطبته في الاستسقاء[5] وهي خطبة لم تحدث في حكم عمر كله الا مرة واحدة في عام الرمادة[6]، وهي بطبيعة مقامها لا تتحمل سوى موضوعها، اذ تقتضي التوبة والخضوع والتذلل والاستغفار لله والتضرع بين يديه وطلب السقيا في أثناء ذلك ولا تتحمل بعد شيئا غير هذا.

---

(١) البحث ص ١٧٥.

(٢) البحث ص ١٨٠ - ١٨١.

(٣) البحث ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٤) تاريخ الطبري ٦٤/٤، ٦٥.

(٥) البحث ص ١٧٤.

(٦) انظر الخطبة ص ١٧٤ - وراجع تاريخ الطبري ٩٦/٤ وما بعدها - ولابن الاثير الكامل في التاريخ ٥٥٥/٢ - ولابن كثير - البداية والنهاية ٩٠/٧.

فأما طوال الخطب، وهي خطب شعائر غالبا، لدينا بعضا منها [1]، فنجدها تتضمن اكثر من موضوع، وقد يسيطر على بعضها أهم موضوع فيها كما رأينا في آخر خطبة له على منبر رسول الله ﷺ [2] وخطبته ـ في ذلك ـ كالقصيدة في عصره قد يكون وضع عنوان شامل لها يحتاج الى شيء من النظر وليس يعني ذلك أنه لا رابط بينها، فاننا ينبغي أن نضع في الاعتبار أن ما بين ايدينا ـ حتى من هذه الطوال ـ ليس تام الحلقات، يشير الى ذلك أسلوب الراوي نفسه الذي نجده فجأة تصدر منه مثل هذه العبارة «ثم قال» ونحوها [3] عقب جزء من الخطبة ينقلنا بعدها الى حديث آخر في الخطبة نفسها مما يجعل افتراض أن أحد الموضوعين السابق واللاحق بينهما فكرة يمكن أن تصل هذا اللاحق بذاك السابق فيتم تسلسل الافكار وترابطها في إطار موضوع عام، على أن جمال الخطبة ـ أي خطبة ـ وروعتها ليسا مرتبطين بوحدة موضوعية [4] وانما بأداء ما اقتضاه مقامها وما بلغ بهِ من اقناع وتأثير.

وفي دراستنا لـ «موضوع خطبة عمر» نشير إلى أمر ذي أهمية، فكثيرا ما فرض على عمر موضوع خارجي فجأة، فنجد عمر يتناوله ويمضي فيه حتى ينتهي ثم يستأنف موضوعه، من ذلك:

أ ـ علم تبرز مناسبته حيث يتم الانتفاع به:

ذكر ربيعة بن عبد الله بن الهدير التيمي أن «[5] عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قرأ يوم الجمعة ـ على المنبر ـ بسورة النحل، حتى اذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس حتى اذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها، حتى اذا جاء السجدة قال:

---

(١) البحث ص ١٨٥ ـ وخطبة الجابية ص ٢٢٦ ـ وخطبته ص ٢٣٤.

(٢) البحث ص ١٨٥.

(٣) انظر البحث ص ٢٢٣.

(٤) راجع للدكتور عبد الرحمن عثمان ـ مذاهب النقد وقضاياه ص ١٨٩ ـ ١٩٢ ط أولي عام ١٩٧٥/١٣٩٥ مطابع الاعلانات الشرقية.

(٥) صحيح البخاري ٥٢/٢.

يأيها الناس، إنما نمر بالسجود، فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا اثم عليه ولم يسجد عمر - رضي الله عنه».

ب - رأي يعارض عمر يلقيه صاحبه، فيتجاذبان الحديث فيكون لعمر أو عليه

«[1] عن ناشرة بن سمي اليزني قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول - يوم الجابية - وهو يخطب:

إني أعتذر إليكم من خالد بن الوليد، اني أمرته أن يحبس هذا المال على المهاجرين فأعطاه ذا البأس، وذا الشرف، وذا اللسان، فنزعته وأثبت أبا عبيدة بن الجراح.

فقام أبو عمرو بن حفص، فقال: والله ما عدلت[2] يا عمر[3]، لقد نزعت عاملا استعمله رسول الله ﷺ وغمدت سيفا سله[4] رسول الله ﷺ ووضعت لواء نصبه[5] رسول الله ﷺ[6] فقال عمر:

انك[7] قريب القرابة، حديث السن، مغضب[8] في ابن عمك».

وردت عليه امرأة قراره في مهور النساء، فرجع عنه علنا فوق المنبر[9].

جـ - امر يراه عمر مخالفا للسنة فيعلق عليه، قال أبو هريرة - رضي الله عنه:

«[10] بينما عمر بن الخطاب يخطب الناس يوم الجمعة، اذ دخل عثمان بن عفان

---

(١) ابن الاثير - اسد الغابة ٦٦/١ - ولها رواية أخرى (ب) بنفس المصدر ٢٢٨/٦.

(٢) ب: والله ما أعذرت.

(٣) ب: يا عمر بن الخطاب.

(٤) ب: سله الله.

(٥) ب: عقده.

(٦) بعده في ب: ولقد قطعت الرحم وحسدت ابن العم.

(٧) ب: اما انك.

(٨) ب: معصب.

(٩) البحث ص ٢٣٩.

(١٠) صحيح مسلم ٣/٣.

ـ فعرض به عمر فقال: ما بال رجال يتأخرون بعد النداء، فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، ما زدت ـ حين سمعت النداء ـ أن توضأت، ثم أقبلت، فقال عمر: والوضوء أيضا، ألم تسمعوا رسول الله ﷺ يقول: اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل».

د ـ تذكرة واجبا عليه لنفس من رعاياه.

فقد خلف جندب بن عمرو بن حممه الدوسي ابنته (أم أبان) عند عمر، وانطلق مجاهدا الى الشام، وقال له: يا أمير المؤمنين ان وجدت لها كفئا فزوجه بها ثم استشهد»...[1] فان عمر على المنبر يوما يكلم الناس ـ في بعض الامر ـ اذ خطر على قلبه ذكرها فقال:

من له في الجميلة الحسيبة بنت جندب؟ وليعلم امرؤ من هو؟ فقام عثمان فقال: أنا، يا أمير المؤمنين، فقال: أنت لعمر الله، كم سقت لها؟ قال: كذا وكذا، قال: قد زوجتكها معجلة، فانها معدة...».

هـ ـ شكوى ترفع اليه..

فقد رحل نصراني الى عمر بشكوى ضد زياد بن حدير ـ رضي الله عنه ـ وكان عامل عمر بالعراق يعشر التاجرين فأخذ من النصراني حين مر بالفرات فلما رجع أراد أن يأخذ منه « ...[2] فرحل الرجل الى عمر بن الخطاب فوجده بمكة يخطب الناس... قال: فقلت له: يا أمير المؤمنين، إني رجل نصراني، صررت على زياد بن حدير فأخذ مني، ثم انطلقت فبعت سلعتي، ثم أراد أن يأخذ مني، قال: ليس له ذلك، ليس له عليك في مالك، في السنة الا مرة واحدة. ثم نزل فكتب اليه في».

و ـ وحدوث احدى كراماته، قال عبد الله بن عمر:

«[3] بينما عمر يخطب جعل ينادي: يا سارية الجبل... ثلاثا.

---

(١) ابو الفرج الاصبهاني ـ الاغاني ٣٨٣/١.

(٢) ابو يوسف ـ الخراج ص ١٤٧.

(٣) السيوطي ـ تاريخ الخلفاء ص ١٢٥.

قال ابن حجر ـ عن اسناده: ... وهو اسناد حسن».

وهذه الامور الطارئة كثيرة ـ كما رأينا ـ في خطبه ـ وأنها ـ في ذاتها ـ لحجة لقوة العارضة عند عمر فسرعة البديهة وطلاقة اللسان، ولو لم يكن عمر ـ رضي الله عنه ـ راسخ القدم في هذا الفن لأمكن أن تكون أدنى هذه الأمور حجر عثرة ينوء به، فينقطع له خطابه، ويرتج به الكلام ويفسد عليه المقام.

★ ★ ★

٤ ـ واذ قد ناقشنا موضوع عمر من حيث كونه واحدا أو أكثر، داخليا أو خارجيا، نعرض لعلاجه لموضوعه:

أ ـ معنا من النصوص مالا نتردد في الحكم بارتجاله ككلمته في شرحبيل بن حسنة [١] وكلمته في ابنة جندب التي تذكرها فجأة على المنبر [٢].

ب ـ ومن موضوعاته ما روى له، وأعده وأخبر هو نفسه بذلك فقال ـ في خطبته الاخيرة على منبر رسول الله ﷺ:

«[٣] وكنت زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر»

وفي روايات ابن حجر: وكتب رويت [٤]... الخ.

قال ابن حجر: من الرواية ضد البديهة [٥].

جـ ـ ومنها ما كان يجهده، وهو خطبة النكاح، قال عمر:

---

(١) البحث ص ٢٠١.
(٢) البحث ص ٢٠٤.
(٣) البحث ص ١٩١.
(٤) البحث ص ١٩١ حاشية رقم ٦.
(٥) ابن حجر ـ فتح الباري ١٣٤/١٢.

« ... [1] ما يتصعدني كلام كما تتصعدني خطبة النكاح ».

فلماذا كانت تشق عليه؟ مع أنه بريء من الحبسة وغيرها من عيوب الفكر واللسان مما ينقطع به الكلام ويفسد به المقام في أي خطبة، ولو لم يحدث هو نفسه بهذه العبارة ما علم احد بتصعدها له لعدم انقطاعه فيها، والنص على ذلك خير شاهد اذ هو لا ينفي عن عمر أداءه لهذه الخطبة، وانما يثبت معاناته لها، ولا عي عند عمر فتمكنه من اللغة ومطاوعتها له أمر مقرر معروف ولا حصر في توارد أفكاره فهو يؤدي المقام بما اقتضى الحال.

ومناقشة هذا الامر ينبغي أن يلازمها كل هذه الامور بخاصة العلم بأدائه لهذه الخطبة وعدم عيه أو حصره، وأي تفسير ينتهي بعي أو حصر مرفوض، لانه دعوى لاسند لها.

وعندما سئل ابن المقفع عن قول عمر هذا أجاب: فقال:

« [2] ما أعرفه إلا ان يكون أراد قرب الوجوه من الوجوه، ونظر الحداق من قرب في اجواف الحداق، ولأنه ـ اذا كان جالساً معهم ـ كانوا كأنهم نظراء وأكفاء، فاذا علا المنبر صاروا سوقة ورعية ».

ونقل الجاحظ تفسيرا آخر لقول عمر فقال:

« [3] وقد ذهب ذاهبون الى أن تأويل قول عمر يرجع الى أن الخطيب لا يجد بدا من تزكية الخاطب، فلعله أن يمدحه بما ليس فيه فيكون قد قال زوراً وغر القوم من صاحبه ».

ونشعر بعدم قبول الجاحظ لتفسير القوم من تعقيبه التالي عليه:

« [4] ولعمري أن هذا التأويل ليجوز اذا كان الخطيب موقوفا على الخطابة، فأما عمر

(١ ـ ٢) الجاحظ ـ البيان والتبيين ١١٧/١.
(٣ ـ ٤) الجاحظ ـ البيان والتبيين ١١٧/١.

ابن الخطاب ـ رحمه الله ـ وأشباهه من الائمة الراشدين فلم يكونوا ليتكلفوا ذلك الا فيمن يستحق المدح ».

ثم نرى الجاحظ ـ في موطن آخر من البيان والتبيين ـ يعقب على مدح ابي مسمار العكلي لمن سماه عامرا:

لله در عـــــامـــــر اذا نطـــــق في حفل إملاك وفي تلك الحلق.[1] .. الخ

فيقول: « [1] « وانما ذكر خطب الاملاك، لأنهم يذكرون أنه يعرض للخطيب فيها من الحصر أكثر مما يعرض لصاحب المنبر، ولذلك قال عمر بن الخطاب ـ رحمه الله: ما يتصعدني كلام كما تتصعدني خطبة النكاح ».

فجعل الجاحظ كلمة عمر دليلا على قلة عروض الحصر لخطيب المنبر وكثرته لخطيب بلا منبر، واذا كلمة الجاحظ نفسها ان لم ترد « التصعد » الى « الحصر » لا تنفي أن يكون تصعد عمر مرجعه الحصر، ولهذا نرد كلمة الجاحظ لانها قد تنتهي بعمر الى مالا دليل عليه، ونرد معها ما احتمل معناها من تفسير ابن المقفع في شطر عبارته الاخير حيث يقول: « ولأنه ـ اذا كان جالسا معهم ـ كانوا كأنهم نظراء وأكفاء، فاذا علا المنبر صاروا سوقة ورعية ... ».

وعندي أن تصعد هذه الخطبة لعمر مرده أحاسيس نفسية متجاوبة تماما مع جانب من علمه ووجهة فقهية.

فان زهد عمر ـ في ذاته ـ يدعوه الى ايثار البعد عن حفل قوم كهذا دفعا للحرج عنهم.

ثم كان عمر أميل الى تحقيق الكفاءة بين الزوجين، وقال ـ في ذلك:

« [2] لأمنعن النساء الا من الاكفاء ».

---

(١) نفس المرجع ١٣٤/١.

(٢) المبرد ـ الكامل في اللغة والادب ٢٧٨/١.

« قال[1] : وكان عمر لا يجيز نكاحا في عام سنة يقول: لعل الضيعة تحملهم على أن ينكحوا غير الاكفاء » ولقد علمنا مدى خبرته بالانساب [2] مما يجعله أوعب في العلم بالكفاءة من غيره من المدعويين، وأقدر.

فاذا أضفنا الى ذلك ـ ما افترضه الناس في هذا المقام من اطراء ومديح لكان في الامر ما تنوء به نفس عمر، فاذا لبي الدعوة وجب عليه أن يقود لفظه بأناة وبصيرة، ودقة يجتاز بها كل محرجات ضميره ويصل الى ما يرضاه له دينه وترضاه له مرؤته.

فليست المشكلة اذا في خطبة النكاح، ولا في أفكارها أو ألفاظها، وانما المشكلة فيما يقوم في نفس عمر بشأنها من عوامل نفسية تؤذنه بالضيق وأي منا لا يضيق بتكليف تأباه روحه وتنفر منه طبيعته.

وخطبة الرسول ﷺ في هذا تتفق تماما مع روح عمر وتتجاوز كل محرجات ضميره، روى الامام أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ عن القاسم عن ابيه عن عبد الله ـ رضي الله عنه قال:

« علمنا [3] رسول الله ﷺ خطبة الحاجة ـ يعني النكاح: أن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، من يهدى[4] الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد ان لا اله الا الله، ونشهد ان محمدا عبده ورسوله، يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ».

---

(١) ابن ابي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ١٣٧/٣.
(٢) البحث ص١ ١٣٨.
(٣) الحصكفي ـ مسند الامام ابي حنيفة ص ٢٧.
(٤) كذا وأحسبه خطأ مطبعيا أو سهوا من الناسخ.

٥ - وكان عمر مقنعا لمستمعيه جذابا لهم، وانا لندرك ذلك من استباق اصحاب رسول الله ﷺ الى منبره، قال ابن عباس - رضي الله عنهما:

« [١] لما كان يوم الجمعة عجلنا الرواح حين زاغت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا الى ركن المنبر فجلست حوله تمس ركبتي ركبته فلم أنشب ان خرج عمر بن الخطاب ».

لقد كان عمر فصيحا بليغا، وهو - الى هذه الفصاحة والبلاغة - يقدم الفكرة مصحوبة بالدليل، بل قد يسوق لها الدليل إثر الدليل كما رأينا - في كلمته عند عزمه على إخراج اليهود من خيبر، ففيها يقول:

« ... [٢] وقد وعَدَوْا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه - كما بلغكم - مع عدوتهم على الانصار قبله، لا نشك أنهم أصحابهم، ليس لنا هناك عدو غيرهم من كان له مال فليلحق به، فاني مخرج يهود ».

وأدلته من القوة في مستوى قضاياها من الخطورة، تتوالى في بداهة غير مردودة، فنراها واضحة في أحقية أبي بكر الصديق بالخلافة يوم السقيفة - حين توالى الخطباء من مهاجرين وأنصار، فرشح ابو بكر لها أحد رجلين: عمر أو أبي عبيدة عامر بن الجراح - رضي الله عنهم، فخطب عمر من فوره فقال:

([٣] معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا، أنت أحقنا بهذا الامر، وأقدمنا صحبة لرسول الله ﷺ وأفضل منا في المال، وأنت أفضل المهاجرين، وثاني اثنين، وخليفته على الصلاة، والصلاة أفضل أركان دين الاسلام، فمن ذا ينبغي أن يتقدمك، ويتولى هذا الامر عنك؟ أبسط يدك أبايعك ...).

---

(١) صحيح البخاري ٢٠٩/٨.
(٢) البحث ص ١٧٥.
(٣) ابن قتيبة - الامامة والسياسة ص ١٦.

فساق عمر في كلمته من الادلة مالا سبيل الى ردها، وكان لها تأثيرها في الاقناع الحاسم حتى ان يد بشير بن سعد الإنصاري - رضي الله عنه - سبقت يد عمر وكانت أسرع منها في مبايعة الصديق - رضي الله عنهم [1].

ولم يك عمر من ذلك اللون من الخطباء الذين يتملق سامعيه ولسنا نلمس ذلك في نصوص خطبه، بل نجد - عكس ذلك - حديث يطلب من جمهوره التفكير والنظر في الامور نظرا ينتهي الى صدق الحكم، يقول:

« [2] لا يغرنكم صيام رجل ولا صلاته، ولكن انظروا: الى صدقه اذا حدث والى أمانته اذا اؤتمن، والى ورعه اذا استغنى».

وعندي أن الاقناع الذي تمتع به عمر في نفوس مستمعيه مرجعه دينه ثم فطرته النقية؛ فهو بدينه ثم فطرته يلتزم الحق والعدل، ويسوق قضاياه في ضوء المنطق السليم مبتعدا بها عن التناقض والغموض، وتلك سبل الاقناع النظيف [3].

واذا اضفنا الى وضوح افكاره وصدورها عن دين وأمانة، علم هذا الجمهور بأن أفكار عمر مطروحة - مع ذلك - لنقاش مفتوح يكون لعمر أو عليه، علمنا أن عمر وصل بعنصر الاقناع الى القمة.

٦ - تندر - في مراجعي لعمر - خطبة التأبين، والمحفوظ مما ألقاه على قبر الصديق - رضي الله عنهما - لا تأبين فيه، بل هو في سياسة عمر وعمله كخليفة [4]، ونعى عمر النعمان على المنبر [5]، ويبدو أنه كان مجرد نعي لم يصحب بتأبين، غير أن هناك إشارات عابرة لكلمات لعمر يمكن ان نعتبرها تأبينا:

---

(١) نفس المصدر ص ١٦. راجع البحث ص ١٩٣ حاشية رقم ١١.

(٢) البحث ص ١٩٩.

(٣) راجع للدكتور عبد الرحمن عثمان - مذاهب النقد وقضاياه ص ١٩٣.

(٤) راجع خطبته برواية الحسن ص ١٨٠ حاشية رقم ٢ د ص ٢٠٨.

(٥) راجع لابن الاثير - اسد الغابة ٣٤٣/٥ - ولابي يوسف - الخراج ص ٣٥.

أ ـ منها في ـ عويم بن ساعدة رضي الله عنه، وكان ممن شهد العقبات الثلاث وشهد غزوات رسول الله ﷺ جميعا ـ قال عمر ـ على قبره:

« [1] لا يستطيع أحد من أهل الارض أن يقول: انه خير من صاحب هذا القبر، ما نصب رسول الله ﷺ راية الا وعويم تحت ظلها ».

ب ـ وكان عتبة بن غزوان ـ رضي الله عنه ـ من أكبر قواد عمر الذين وطأوا له فارس، استأذن عمر في الحج فأذن له، ثم « [2] استعفاه فأبى أن يعفيه، وعزم عليه ليرجعن الى عمله، فدعا الله، ثم انصرف، فمات في (بطن نخلة) فدفن، وبلغ عمر، فمر به زائراً لقبره، وقال: أنا قتلتك، لولا أنه أجل معلوم وكتاب مرقوم.

وأثنى عليه بفضله ».

ويبدو لي أن التأبين كان قليلا عند عمر ان لم يكن نادراً، ولا يقدم ـ اذا يقدم ـ عليه الا اذا توفر له احساسه بأنه لن يقول الا حقا. كما رأينا في تأبينه لعويم بن ساعدة ـ رضي الله عنه ـ والاضاق به ونفر منه.

ويستأنس لهذا بنهيه ـ رضي الله عنه ـ أن يقال ـ فيمن مات:

« [3] استأثر الله بفلان، بل يقال: مات فلان ».

وشتان بين العبارتين، ففي الأولى ـ التي لا يريدها عمر ـ مجاملة تزكي على الله أحد عباده، وتجعله صفوة يختارها الله، بينما لا تزيد الثانية عن تقرير الواقع: مات فلان.

---

(١) ابن الاثير ـ اسد الغابة ٣١٦/٤.

(٢) تاريخ الطبري ٨٢/٤ ـ وراجع لابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٥٣٩/٢ ولابن كثير ـ البداية والنهاية ٨٥/٧.

(٣) الجاحظ ـ الحيوان ٣٣٥/١.

وهكذا نلمح ضيق عمر ونفوره من المدح، بل ومن كل موقف درج الناس فيه أن يجعلوه للثناء وتعداد المآثر، فأما اذا خلا الامر - بيقين عما يحرج سلامة صدره وبراءة يقينه فلا بأس أن يؤمن؛ او يخطب في الحاجة، ولا يكون ذلك منه الا نادراً، قال - رضي الله عنه: «[1] المدح ذبح».

وإن ما رأيناه من نفسية عمر إزاء «المدح» في كلا الأمرين: الإملاك والتأبين ليكشف لنا عن جانب له أهميته في شخصية عمر الأدبية الفنية، فاذا هو الإنسان الذي لا يتكلم إلا صادقا، ولا يقول إلا ما يعتقد.

★ ★ ★

٧ - ولم يخل الامر من وضع على عمر ونحل عليه في الخطبة ايضا، قيل: انه «[2]... قرأ يوما على المنبر: جنات عدن يدخلونها (١٦ - ٣١) ثم قال: هل تدرون: ما جنات عدن؟ قصر في الجنة له خمسة آلاف باب، على كل باب عشرون الفا من الحور العين لا يدخله إلا نبي.

(وأشار الى قبر النبي ﷺ).
أو صديق (وأشار إلى أبي بكر).
أو شهيد، وأني لعمر بالشهادة، ثم قال:

إن الذي اخرجني من حنتمة بنت هشام بن المغيرة أخت ابي جهل، قادر أن يسوقها».

والوضع فيها ظاهر، فأي ضرورة تدفع عمر لذكر أبي جهل ونسبه إلى امه؟! وما كان ذلك عادة القوم في خطبهم، كما حوت كذبا صراحا، فصحيح أن حنتمة أم عمر لكنها بنت (هاشم) وليست بنت (هشام) ولا هي أخت أبي جهل، وإن كان هاشم

---

(١) ابن قتيبة - عيون الاخبار ٢٧٥/١.
(٢) المحب الطبري - الرياض النضرة ١٠/٢.

أخا هشام وان كانا ـ معا ـ ولدي المغيرة، فأبو جهل بن هشام فهو ابن عمها وليس أخاها [1].

وما سيق في هذه الكلمة من التعريف بجنة عدن وما ذكر فيها جاء في خبر منسوب الى عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ نقله الامام الطبري [2] وسنده في حاجة الى مراجعة.

٨ ـ ووهم العتبي ـ رحمه الله ـ عندما نسب أول خطبة لابي بكر ـ بعد مبايعته بالخلافة ـ الى عمر، وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، عن هذه الخطبة: « [3]... ويقدم قول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في أول خطبة خطبها حدثنا العتبي قال ـ ولم أر أقل منها في اللفظ ولا أكثر في المعنى: حمد الله وأثنى عليه ـ وهو أهله ـ وصلي على نبيه محمد ﷺ ثم قال: ايها الناس، انه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا اضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه. ثم نزل ».

وانما الخطبة لابي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ ولازال على ذلك رواة الادب والنقاد قديما وحديثا، وقد تعقب الخبر المبرد نفسه فقال: « [4] وقد روينا هذه الخطبة التي عزاها الى عمر بن الخطاب عن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ وهو الصحيح » [5] ذكر الاخفش عن علي بن سليمان هذه الخطبة فقال: الصحيح عندي أنها لابي بكر » وأوردها لابي بكر ابن قتيبة [6]، وابن عبد ربه [7] والطبري [8]، وابن الاثير [9]

---

(١) راجع لابن حزم الاندلسي ـ جمهرة أنساب العرب ص ١٤٤ ـ ولابن الاثير ـ اسد الغابة ١٤٥/٤ والبحث ص ٢١.

(٢) تفسير الطبري ٨٣/١٣ (طبع دار المعارف بمصر).

(٣) (٤) ابو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ـ الكامل في اللغة والادب ٨/١.

(٥) ابو علي الحسن بن رشيق ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ٢٥٦/١.

(٦) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار ٢٣٢/٢.

(٧) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٥٩/٤.

(٨) تاريخ الطبري ٢١٠/٣.

(٩) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٣٣٢/٢.

ـ وذكرها لأبي بكر ـ بأكثر من رواية المحب الطبري [1] والمحدثون على ذلك [2].
فهي لأبي بكر، وهو صاحبها.

---

1) المحب الطبري ـ الرياض النضرة ٢١٧/١ و ٢٣٠ و ٢٣١.
2) أحمد زكي صفوت ـ جمهرة خطب العرب ١٨٠/١.

نماذج محققة من خطب عمر
رضي الله عنه

خطبته في بدء خلافته

« [١] خطب عمر ـ في الليلة التي دفن فيها أبو بكر فقال [٢] :

ان الله تعالى ـ نهج سبيله ، وكفانا برسوله ، فلم يبق الا الدعاء والاقتداء ، الحمد [٣]

---

(١) ابن ابي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ١٠٠/٣ ـ وللنص رواية أخرى .
(ب) ابن الجوزي ـ سيرة عمر بن الخطاب ص ١٤٧ تماثل روايته ، ثم نصوص أخرى تناولت منه .
(ج) ابن سعد ـ الطبقات الكبرى ٢٧٤/٣ .
(د) نفس المصدر ٢٧٥/٣ .
(هـ) تاريخ الطبري ٤٣٣/٣ .
(و) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٤٢٧/٢ .
(ز) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٦٥/٤ (نسخة بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، والابياري) .
(ح) نفس المصدر ١٣٢/٤ (نسخة تحقيق محمد سعيد العريان) ط أولي مطبعة مصطفى محمد .

(٢) ب : عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : كان اول خطبة خطبها عمر ـ الليلة التي دفن فيها أبو بكر ـ رضوان الله عليهما ـ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ج : عن الحسن قال : فيما نظن أن أول خطبة خطبها عمر حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فقد ابتليت بكم ... الخ .
د : حميد بن هلال قال ، أخبرنا من شهد وفاة أبي بكر الصديق ، فلما فرغ عمر من دفنه نفض يده عن تراب قبره ثم قام خطيباً مكانه فقال :
ان الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم ... الخ .
و : وتوفي ابو بكر فلما دفن صعد عمر بن الخطاب فخطب الناس ثم قال : انما مثل ... الخ .
ب : فالحمد .

لله الذي ابتلاني[1] بكم وابتلاكم بن وأبقاني[2] فيكم بعد صاحبي[3]، وأعوذ بالله أن أزل أو أضل فأعادي له وليا، أو أوالي له عدوا.

ألا اني وصاحبي كنفر ثلاثة قفلوا من طيبة[4]، فأخذ أحدهم مهلة الى داره وقراره فسلك أرضا مضيئة متشابهة الاعلام[5] فلم يزل عن الطريق[6] ولم يحرم[7] السبيل حتى اسلمه الى أهله[8].

ثم تلاه الآخر فسلك سبيله واتبع أثره فأفضى اليه[9] ولقي صاحبه ثم تلاهما[10] الثالث فان سلك سبيلها واتبع أثرهما أفضى اليهما[11] ولاقاهما، وان زل - يمينا أو شمالا - لم يجامعهما أبدا.

---

(١) ج: أما بعد فقد ابتليت بكم وابتليتم بي .
د: ان الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم.

(٢) ج: وابتليتم بي وخلفت.
د: وأبقاني.

(٣) ب: بعد صاحبي كنفر ثلاثة (بسقوط ما بين كلمتي صاحبي المكررة بالنص) ويبدو النصان ج، د مختصرين عقب قوله: بعد صاحبي، ففي:
ج: فمن كان بحضرتنا بأشرناه بأنفسنا، ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة والامانة، فمن يحسن نزده حسْنا، ومن يسيء نعاقبه ويغفر الله لنا ولكم ا هـ.
(كذا: فمن كان بحضرتنا ... ومهما غاب عنا ... الباحث).
وفي د: فو الله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني ولا يتغيب عني فآلو فيه عن الجزء والامانة، ولئن احسنوا لأحسنن إليهم ولئن أساءوا لأنكلن بهم ا هـ.
(الجزء بزنة القلب - بالمعجم الوسيط في المادة: ما لفلان جزء: ما له كفاية ا هـ).

(٤) ب: كنفر ثلاثة اغتربوا الطية.
(الطيه: بكسر ففتح - الجهة، والناحية البعيدة، والحاجة والنية انظر المادة بالعجم الوسيط).

(٥) ب: ارضا مضلة متشابهة الاسباب والاعلام.

(٦) ب: فلم يزل على السبيل.

(٧) ب: ولم يخرم عنه (يخرم: بابه ضرب بمعنى عدل).

(٨) ب: الى أهله فأفضى اليهم سالما.

(٩) ب: اليه سالما ولقي.

(١٠) ب: ثم تلاه.

(١١) ب: اليهما سالما.

ألا [١] وان العرب جمل أنف قد [٢] أعطيت خطامه، الا واني [٣] حامله على المحجة [٤] ومستعين بالله عليه.

ألا واني داع فأمنوا: اللهم اني شحيح فسخني، اللهم اني غليظ فليني، اللهم اني ضعيف فقوني، اللهم اوجب لي [٥] بموالاتك وموالاة أوليائك ولايتك ومعونتك وأبرئني من الافات بمعاداة أعدائك.

وتوفني مع الابرار، ولا تحشرني في زمرة الاشقياء، اللهم لاتكثر لي من الدنيا فأطغى، ولا تقلل لي فأشقى، فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى» ا هـ.

وذكر ابن عبد ربه هذا الدعاء جملة فقال:

« [٦] وخطب اذ ولي الخلافة، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

« [٧] يأيها الناس، اني داع فأمنوا: اللهم اني غليظ فليني لاهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة، وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق، من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم.

اللهم أني شحيح فسخني في نوائب المعروف قصد من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة، واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة.

اللهم ارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين.

---

(١) ب: ألا ان.

هـ و: انما مثل العرب مثل جمل آنف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده.

(٢) ب: (فلا أعطيت) كذا وهو خطأ في نسخ أو طبع.

(٣) ه: وأما أنا فورب الكعبة لاحملنهم على الطريق.

و: وأما أنا فورب الكعبة لاحملنكم على الطريق.

(٤) ب: المحجة مستعين بالله.

(٥) من هنا الي بمعاداة اعدائك خطأ مطبعي مكرر في ب، ثم تنتهي لديها الخطبة. ثم أورد ابن الجوزي باقيها بخطبة أخرى حوت أخطاء أيضا في غير عناية بالنصوص.

(٦) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٦٥/٤.

(٧) ح :ايها الناس.

اللهم اني كثير الغفلة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال وذكر الموت في كل حين.

اللهم اني ضعيف عند [1] العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها [2]، والقوة عليها بالنية الحسنة التي لا تكون الا بعزتك وتوفيقك.

اللهم ثبتني باليقين والبر والتقوى، وذكر المقام بين يديك، والحياء منك وارزقني الخشوع، فيما يرضيك عني، والمحاسبة لنفسي، وصلاح [3] النيات والحذر من الشبهات.

اللهم ارزقني التفكر [4] والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت، انك على كل شيء قدير».

---

(١) ح: عن.

(٢) ح: النشاط والقوة عليها.

(٣) ح: واصلاح الساعات.

(٤) ح: التفكير.

خطبته في اليوم التالي للسقيفة لإتمام المبايعة للصديق ـ رضي الله عنه

روى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه:

« ...[١] سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر[٢]، وذلك الغد من يوم توفي النبي ﷺ[٣] فتشهد ـ وأبو بكر صامت لا يتكلم قال:[٤].

(أما بعد[٥]: فاني قلت لكم أمس مقالة[٦]، وانها لم تكن كما قلت[٧] والله، لما وجدت الذي قلت في كتاب الله، ولا في عهد عهده رسول الله ﷺ ولكن) كنت

---

(١) صحيح البخاري ١٠٠/٩.
وأورد ابن حجر عليه روايات بفتح الباري ١٧٩/١٣ نرمز لها بالحرف (ب) وأوردها أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري بتاريخه ٢١٠/٣ نرمز له بالحرف (ج).

(٢) هو منبر المسجد النبوي كما سيأتي في الحاشية التالية، وفي ج: جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل ابي بكر.

(٣) قال ابن حجر: هذا الذي حكاه انس انه شاهده وسمعه كان بعد عقد البيعة لابي بكر في سقيفة بني ساعدة... فكانهم لما أنهوا الأمر هناك وحصلت المبايعة لابي بكر جاءوا الى المسجد النبوي، فتشاغلوا بأمر النبي ﷺ ثم ذكر عمر لمن لم يحضر عقد البيعة في سقيفة بني ساعدة ما وقع هناك، ثم دعاهم الى مبايعة ابي بكر. ا هـ.

(٤) ج: فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال.

(٥) ما بين القوسين من (ب).

(٦) هي كلمته التي قالها بعد وفاة رسول الله ﷺ ان النبي ﷺ لم يمت، راجع (ب) ١٧٩/١٣.

(٧) ج: قلت لكم بالامس مقالة ما كانت الا عن رأيي، وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهدا عهده الى رسول الله ﷺ.

أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا [١] ـ يريد بذلك أن يكون آخرهم [٢] ـ فان يك محمد ﷺ قد مات (فاختار [٣] الله لرسوله الذي يبقي على الذي عندكم) فان الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به بما هدى الله محمدا ﷺ [٤] وان أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين، فانه أولى المسلمين بأموركم فقوموا فبايعوه».

★ ★ ★

---

(١) ب: ولكن رجوت أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبر أمرنا ـ بتشديد الموحدة.
وفي (ب) أيضا رواية أخرى: حتى يكون رسول الله ﷺ ـ آخرنا.
ج: ولكني قد كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا حتى يكون آخرنا.

(٢) تفسير من الرواي.

(٣) ما بين القوسين من (ب).

(٤) في ب: وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسولكم فخذوا به تهتدوا كما هدى الله به رسوله ﷺ.
ورواية أخرى: وهدى الله به محمدا فاعتصموا به تهتدوا.
في ج: وان الله قد ابقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله، فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له.

خطبته في اعلان استسلام (فارس)

عندما سقطت حصون فارس، وفر (يزد جرد) الى فرغانة) بُعِثَ بالفتح الى عمر » ... [١] فقام عمر على المنبر، وقرىء الكتاب بين يديه ـ ثم قال عمر [٢] :

ان الله بعث محمدا بالهدى [٣]، ووعد على اتباعه من عاجل الثواب وآجله خير الدنيا والآخرة فقال: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٩ ـ ٣٣، ٦١ ـ ٩) فالحمد لله الذي أنجز وعده ونصر عبده [٤].

ألا وان الله قد اهلك ملك المجوسية [٥]، وفرق شملهم، فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضير [٦] بمسلم، ألا وان الله قد اورثكم ارضهم وديارهم وأموالهم

---

(١) ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٢٩/٧ ـ ولها روايتان:
(ب) تاريخ الطبري ١٧٣/٤ (ج) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ١٩/٣ .

(٢) ب: جمع الناس وخطبهم، وأمر بكتاب الفتح فقرىء عليهم فقال في خطبته.
ج: جمع الناس وخطبهم، وقرأ عليهم كتاب الفتح، وحمد الله في خطبته.
على انجاز وعده، ثم قال: الا وان ملك المجوسية قد هلك فليسوا يملكون.. الخ.

(٣) ب: ان الله تبارك وتعالى ـ ذكر رسوله ﷺ وما بعثه به من الهدى.

(٤) ب: جنده.

(٥) ب: ألا وان الله قد أهلك ملك المجوسية.

(٦) ب، ج: يضر بمسلم.

وأبناءهم لينظر: كيف تعملون[1]؟ فقوموا في أمره - على وجل[2] - يوف لكم بعهده ويؤتكم وعده، ولا تغيروا[3] فيستبدل قوما غيركم، فاني لا أخاف على هذه الامة أن تؤتى الا من قبلكم».

(١) يليها في ب: ألا، وان المصرين من مسالحها اليوم كأنتم والمصرين فيما مضى من البعد، وقد وغلوا في البلاد، والله بالغ أمره ومنجز وعده، ومتبع آخر ذلك أوله.

(٢) ب: رجل.

(٣) ب: ولا تبدلوا ولا تغيروا فيستبدل الله بكم غيركم.

ج: فلا تبدلوا فيستبدل الله بكم غيركم.

وخطب فذكر الحقوق والواجبات

« ... [١] عن عروة بن الزبير أن عمر - رضي الله تعالى عنه - خطب، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر الناس بالله - عز وجل - واليوم الآخر: ثم قال:

يأيها [٢] الناس، اني قد [٣] وليت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم، ما توليت ذلك منكم، ولكفي عمر - مهما محزنا - انتظار موافقة [٤] الحساب بأخذ حقوقكم: كيف آخذها؟ ووضعها أين أضعها؟ وبالسير فيكم: كيف أسير؟! فربي المستعان فان عمر أصبح [٥] لا يثق بقوة ولا حيلة - ان لم يتداركه الله [٦] - عز وجل - برحمته وعونه [٧] وتأييده، ثم خطب فقال:

انْ الله - عز وجل - قد [٧] ولاني أمركم، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم،

---

(١) تاريخ الطبري ٢١٤/٤ - وللنص رواية أخرى نرمزْ لها بالحرف (ب) أثبتها عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة المجلد الثالث ص ١٢٤ - ونسخه عن الطبري أقدم. الباحث.

(٢) ب: خطبة خطب بها - حين ولي الخلافة - وهي بعد حمد الله والثناء عليه وعلى رسوله - ايها الناس.

(٣) ب: اني وليت.

(٤) ب: ولكفي عمر مجزي العطاء موافقة.

(٥) ب: لم يصبح يثق.

(٦) ب: الله برحمته.

(٧ - ٧) ب: وعونه - ايها الناس، ان الله قد ولاني... الخ.

واني أسأل[1] الله أن يعينني عليه، وأن يحرسني عنده كما حرسني عند غيره، وأن يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمر به، واني[2] امرؤ مسلم وعبد ضعيف الا ما أعان الله - عز وجل - ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئا ان شاء الله.

انما العظمة لله - عز وجل - وليس[3] للعباد منها شيء، فلا يقولن أحد منكم[4]: ان عمر تغير منذ ولي.

[5] أعقل الحق من نفسي وأتقدم، وأبين لكم أمري، فأيما رجل كانت له حاجة، أو ظلم مظلمة، أو عتب علينا في خلق، فليؤذني، فانما أنا رجل منكم.

فعليكم بتقوى الله في سركم وعلانيتكم وحرماتكم وأعراضكم، وأعطوا الحق من أنفسكم، ولا يحمل بعضكم بعضا على ان[6] تحاكموا الي، فانه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة.

وأنا حبيب الى صلاحكم عزيز على عتبكم[7]، وأنتم أناس عامتكم حضر في بلاد الله، وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع الا ما جاء الله به اليه، وان الله - عز وجل - قد

= الباحث: هذا الاتصال في رواية ابن ابي الحديد دليل على اتصال الخطبة، بينما الفصل القائم بتاريخ الطبري في عبارة: (ثم خطب فقال) قد يوهم بأن ثم خطبتين لكن رواية ابن ابي الحديد توافق مضمون النص في كونه خطبة واحدة لتعلقه بأمر واحد هو بيان ولاية عمر وواجبه فيها وواجب رعيته وحقه وحقوقهم.

(١) ب: أنفع مالكم وأسأل الله.

(٢) ب: فاني.

(٣) ب: لله وليس.

(٤) ب: أحدكم.

(٥) ب: واني أعقل.

(٦) ب: علي ألا تحاكموا.

(٧) ب: عنتكم.

وعدكم كرامة كثيرة[1] ، وأنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه ، ومطلع على ما يحضرني[2] بنفسي ـ ان شاء الله ـ لا أكله الى أحد ، ولا أستطيـع ما بعد منه الا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة ، ولست أجعل أمانتي الى احد سواهم ـ ان شاء الله ».

---

(١) ب : كبيرة

(٢) ب : ما يحضرني .

خطبته بالجابية

« ...[1] عن رجاء بن حيوة، عن ابن مخرمة[2] قال: اني لتحت منبر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بالجابية[3] ـ حين قام في الناس، فحمد الله، وأثنى عليه[4]، ثم قال[5]:

أيها الناس، اقرؤا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله[6] انه

---

(١) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار م ٥٤/١.
وللخطبة رواية نرمز لها بالحرف (ب) لابي يوسف ـ الخراج ص ١٢٧ ـ وثالثة نرمز لها بالحرف (ج) للعلامة علاء الدين الهندي البرهاني ـ كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ٢٠٧/٨.
وجزء من صدرها نرمز له بالحرف (د) أورده ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٦٢/٤ ثم أجزاء منها نرمز لها على التوالي:
(هـ) مسند أحمد ٢٠٤/١ و٢٠٥ و٢٣٠ ـ ونعين الفروق برقمها ان شاء الله.
(و) مسند الشافعي ص ٨٤.
(ز) مسند الطيالسي ص ٧.
(ح) ابن كثير ـ البداية والنهاية ٥٦/٧.
وبعض اجزائها كرره عمر لاهميته، نشير إليه في موضعه بما كرر معه.

(٢) هو المسور بن مخرمة ـ رضي الله عنه ـ راجع ابن قتيبة ـ عيون الاخبار م/٥٤/١.

(٣) ج: مدخله في الشام بالجابية.

(٤) ب: طلحة بن معدان العمري قال: خطبنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فحمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على النبي ﷺ، وذكر أبا بكر فاستغفر له.

(٥) ج: فقال: تعلموا القرآن... الخ.

(٦) اقرءوا القرآن ـ الى ـ اهله ـ ليست في (ب).

لن [1] يبلغ ذو حق ـ في حقه ـ أن يطاع في معصية الله [2].

ألا انه لن يبعد من رزق الله، ولن يقرب من أجل أن يقول المرء حقا وأن يذكر بعظيم [3]، ألا واني ما وجدت صلاح ما ولاني الله الا بثلاث:

أداء الامانة، والاخذ بالقوة، والحكم بما أنزل الله.

ألا واني ما وجدت صلاح هذا المال الا بثلاث [4]:

أن يؤخذ من [5] حق، ويعطي في حق، ويمنع من باطل.

ألا وانما [6] أنا في مالكم هذا كوالي اليتيم: ان استغنيت استعففت [7] وان افتقرت أكلت بالمعروف تقرم البهمة (الاعرابية [8]: القضم لا الخضم) [9] ولكم علي أيها الناس ـ خصال أذكرها لكم فخذوني بها:

= د: تعلموا القرآن واعملوا به تكونوا من أهله.

وهذه العبارة: (اقرؤا القرآن) الى (أكلت بالمعروف) ذكرها في خطبة له بالمدينة وبها عظة فقال اقرءوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الاكبر يوم تعرضون على الله لا تخفي منكم خافية... الخ راجع المحب الطبري ـ الرياض النضرة ٨٩/٢.

(١) ب: لم.

ج: فانه لم يبلغ منزلة ذي حق أن يطاع في معصية الله.

د: انه لم يبلغ حق مخلوق أن يطاع في معصية الخالق.

(٢) ب: في معصية الله، واني لاجد هذا المال.

(٣) ج: واعلموا أنه لا يقرب من أجل، ولا يبعد من رزق الله قول بحق وتذكير عظيم واعلموا أن بين العبد وبين رزقه حجابا، فان صبر أتاه رزقه، وان اقتحم هتك الحجاب، ولم يدرك فوق رزقه.

(٤) ب: واني لأجد هذا المال يصلحه الا خلال ثلاث.

(٥) ب: بالحق... في الحق... من الباطل.

(٦) ب: وانما أنا ومالكم كولي اليتيم.

د: واني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والى اليتيم.

(٧) د: عففت.

(٨) ما بين القوسين ( ) من: د: والتقرم: الاكل أكلا ضعيفا، والقضم الاكل بأطراف الاسنان، والخضم: الاكل بأقصى الاضراس.

(٩) الى هنا ينتهي النص وفيه ما اتفق مضمونه ـ على تفاوت من زيادة ونقص ـ بين ابن قتيبة والي=

لكم علي ألا اجتبي شيئا من خراجكم، ولا مما أفاء الله عليكم الا من وجهه.
ولكم علي اذا وقع في يدي الا يخرج مني الا في حقه
ولكم علي أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم ـ ان شاء الله ـ وأسد ثغوركم.
ولكن علي ألا ألقيكم في المهالك، ولا أجمركم[1] في ثغوركم.

وقد اقترب منكم زمان قليل الامناء كثير القراء قليل الفقهاء كثير الامل، يعمل فيه أقوام للاخرة يطلبون به دنيا عريضة تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب ألا كل من أدرك ذلك منكم فليتق الله وليصبر.

يأيها الناس:
ان الله عظم حقه فوق حق خلقه، فقال ـ فيما عظم من حقه:
﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ (٣ ـ ٨٠).

ألا واني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بكم، فأدروا على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتذلوهم، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا عليهم، وقاتلوا بهم الكفار طاقتهم، فان رأيتم بهم كلالة فكفوا عن ذلك، فان ذلك أبلغ في قتال عدوكم.

أيها الناس:
اني أشهدكم على أمراء الامصار، اني لم ابعثهم الا ليفقهوا الناس في دينهم ويقسموا عليهم فيئهم، ويحكموا بينهم، فان أشكل عليهم شيء رفعوه الي»[2].

[3] وأدبوا الخيل وانتضلوا، ودعوا التنعم وزي العجم، وانتعلوا، وتسوكوا

= يوسف، وعلاء الدين البرهاني، وابن عبد ربه.

(١) تجمير الجيوش: جمعهم بالثغور وحبسهم عن العود الى أهلهم ـ انظر ب ٢٤٣.

(٢) انتهى ص ب.

(٣) بداية النص الذي انفردت به (ج) ونلاحظ فيه أن عمر ينبه القوم ـ وهم بالشام الى ما ينبغي الاعراض عنه من أعمال النصارى.

وتمعددوا، واياكم وأخلاق العجم[1] ومجاورة الجبارين[2]، وأن يرفع بين ظهرانيكم صليب[3]، وأن تجلسوا على مائدة يدار عليها الخمر، وتدخلوا الحمام بغير ازار وتدعو نساءكم يدخلن الحمامات، فان ذلك لا يحل[4] واياكم أن تكسبوا من عقد الاعاجم بعد نزولكم في بلادهم ما يحبسكم في أرضهم، فانكم توشكون أن ترجعوا الى بلادكم.

واياكم والصغار أن تجعلوه في رقابكم، وعليكم بأموال العرب الماشية تنزلون بها حيث نزلتم.

واعلموا أن الاشربة تصنع من ثلاثة من الزبيب والعسل والتمر فما عتق منها فهو خمر لا يحل.

---

(١) بمسند أحمد ٢٨٥/١: «اتزروا وارتدوا وألقوا الخفاف والسراويلات وألقوا الركب، وانزوا نزوا، وعليكم بالمعدية (يريد خشونة العيش تشبها بمعد بن عدنان) وارموا الاغراض وذروا التنعم وزي العجم واياكم والحرير فان رسول الله ﷺ قد نهى عنه، وقال: لا تلبسوا من الحرير الا ما كان هكذا، وأشار رسول الله ﷺ بأصبعيه -.

وفي صحيح الترمذي ٢٢٤/٧ و٢٢٥ عن سويد بن غفلة عن عمر أنه خطب بالجابية فقال: نهى نبي الله ﷺ عن الحرير الا موضع اصبعين أو ثلاث أو أربع. ا هـ. حديث حسن صحيح.

ويدل صحيح البخاري ١٩٣/٧ وصحيح مسلم ١٤٠/٦ و١٤١ أن عمر كتب بذلك النهي عن الحرير - ايضا - الى قواته بأذربيجان.

(٢) للجاحظ في البيان والتبيين ١٩٢/٣: أدبوا الخيل، وتسوكوا، واقعدوا في الشمس، ولا تجاورنكم الخنازير ا هـ. والعبارة الاخيرة أقرب الى الصواب وذلك لما نعوده النصارى من أكل الخنزير.

(٣) نفس المصدر للجاحظ: ولا يرفعن فيكم صليب.

(٤) بمسند أحمد ١٢٤/١.

يأيها الناس، اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدن مائدة يدار عليها بالخمر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام الا بازار، ومن كان تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تدخل الحمام.

وللجاحظ بالمرجع السابق ١٩٢/٣:

«ولا يحل لمؤمن أن يدخل الحمام الا بمئزر، ولا لامرأة الا من سقم، فان عائشة حدثتني قالت، - خليلي - على مفرشي هذا: اذا وضعت المرأة خمارها في غير بيت زوجها هتكت مابينها و[illegible] الله...».

واعلموا أن الله لا يزكي ثلاثة نفر، ولا ينظر اليهم، ولا يقربهم يوم القيامة ولهم عذاب اليم:

رجل اعطي امامه صفقة يريد بها الدنيا، فان اصابها وفى له، وان لم يصبها لم يف له.

ورجل خرج بسلعة - بعد العصر - يحلف بالله لقد أعطى بها كذا وكذا فأشتريت لقوله.

[1] وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر.

ولا يحل لك أن تهجر أخاك فوق ثلاثة أيام، ومن أتى ساحرا أو كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ [2].

وروى منها الامام أحمد بسنده:

« [3] عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب خطب بالجابية فقال:

قام فينا رسول الله ﷺ مقامي فيكم - فقال استوصوا بأصحابي خيرا [4]، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يفشو الكذب حتى الن الرجل ليبتدىء بالشهادة قبل

---

(١) كذا ولم يذكر الثالث. فيبدو أن مضمون هذه العبارة هو الثالث.

(٢) انتهى نص ج.

(٣) مسند أحمد ٢٠٤/١ و٢٠٥ - وهو المشار اليه بـ (هـ) وهذا الجزء له رواية أخرى بمسند أحمد، وثالثة بمسند الشافعي، ورابعة بمسند الطيالسي وخامسة لابن كثير بالبداية والنهاية.
راجع الرموز هـ و ز ح بالحاشية رقم ١ ص ٢٢٦.

(٤) هـ ٢٣٠/١: خطب عمر الناس بالجابية فقال:
ان رسول الله ﷺ قام في مثل مقامي هذا فقال: أحسنوا الى أصحابي ثم الذين يلونهم...
و: قام بالجابية خطيبا فقال: ان رسول الله ﷺ قام فينا كقيامي فيكم فقال، أكرموا أصحابي ثم الذين يلونهم... الخ.
ز: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي فيكم فقال: أكرموا أصحابي... الخ.

أن يسألها[1] فمن أراد منكم بحبحة الجنة فليلزم الجماعة[2]، فان الشيطان مع الواحد[3] وهو من الاثنين أبعد.

[4] لا يخلون أحدكم بأمرأة، فان الشيطان ثالثهما[5].

ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن[6]. ا هـ.

وهذا الجزء الذي رواه الامام ابن حنبل روى نظيره ابن كثير القرشي، وقد تقدم[7].

من خطبه في تعليم الحجيج الشعائر
في بيان أماكن الاحرام

«[8] .. أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ عن حماد عن ابراهيم عن الاسود ابن يزيد أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ خطب الناس فقال:

من أراد منكم الحج فلا يحرمن الا من الميقات، والمواقيت التي وقتها نبيكم ﷺ

---

(١) هـ ١/٢٣٠/ ثم يجيء قوم يحلف أحدهم على اليمين قبل أن يستحلف عليها، ويشهد على الشهادة قبل أن يستشهد.
و: ثم يظهر الكذب حتى ان الرجل ليحلف ولا يستحلف ويشهد ولا يستشهد.
ز: .. حتى يحلف الرجل ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد.

(٢) هـ ١/٢٣٠: فمن أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة.
و: ألا فمن سرّه أن يسكن بحبوحة الجنة.
ز: فمن أراد بحبوحة الجنة.

(٣) و: فان الشيطان مع الفذ.

(٤) هـ ١، ٢٣٠: و. ز.: ولا

(٥) هـ ١، ٢٣٠: ز: فان ثالثها الشيطان.

(٦) هـ /٢٣٠: ومن كان منكم تسره حسنته وتسؤوه سيئته فهو مؤمن.

(٧) ص ١٨١.

(٨) مسند أبي حنيفة برواية الحصكفي ص ٢٤.

لأهل المدينة ـ ومن مر بها من غير أهلها : ذو الحليفة ، ولاهل الشام ـ ومن مر بها من غير أهلها ـ الجحفة ، ولأهل نجد ـ ومن مر بها من غير أهلها ـ قرن ، ولأهل اليمن ـ ومن مر بها من غير أهلها ـ يلملم ، ولأهل العراق ـ ولسائر الناس ـ ذات عرق .

وفي العمل عند دخول مكة

« [١]... عن وهب بن الاجدع قال سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول : اذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا ، وصلوا عند المقام ركعتين ، ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع تكبيرات بين حمد الله وثناء عليه ، وصلاة على النبي ﷺ ومسألة لنفسك ، وعلى المروة مثل ذلك .

اسناد حسن جيد قوي » .

وعن يوم عرفة

« [٢]... شهاب بن عباد البصري عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : هذا يوم عرفة ، هذا يوم الحج الاكبر ، فلا يصومنّه أحد » .

العمل بمنى

« [٣]... عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب خطب الناس بعرفة وعلمهم أمر الحج وقال لهم : اذا جئتم منى فمن رمى الجمرة([٤] ثم حلق أو قصر ونحر هديا ان كان معه) فقد حل له ما حرم على الحاج الا النساء والطيب ، لا يمس أحد نساء ولا طيبا

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/٥/٣ .

(٢) نفس المرجع ٣٣٤/٢ .

(٣) موطأ مالك ٣٦١/١ . ولها رواية أخرى (ب) بنفس الصفحة .

(٤) ما بين القوسين من :ب .

حتى يطوف بالبيت.

... في الافاضة

« [1]... عن الاسود وعلقمة انهما دفعا مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: أيها الناس، عليكم بالسكينة، فإن البرليس بايضاع[2] الابل، ولا ايجاف[3] الخيل ».

وداع البيت آخر النسك

« [4]... عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب قال:
لا يصدرن أحد من الحاج حتى يطوف[5] بالبيت، فإن آخر النسك الطواف بالبيت ».

وخطب
في الاختصاص العلمي
وفي المال

« [6]... حمد الله وأثنى عليه، ثم قال[7]:

---

(١) آثار أبي يوسف ص ٩٣.
(٢) ايضاع الابل: حملها على العدو السريع مادة و ض ع القاموس المحيط.
(٣) ايجاف الخيل: ضرب من سيرها: مادة و ج ف القاموس المحيط.
(٤) موطأ مالك بشرح الزرقاني ٣٠٩/٢ و ٣١٠.
وله رواية أخرى (ب) بمسند الشافعي ص ٤٥.
(٥) ب: حتى يكون أخر عهده بالبيت.
(٦) ابن عبد ربه - العقد الفريد ٦٢/٤، وللخطبة روايتان:
(ب) الهروي - الاموال ص ٢٨٥ - و (ج) لابن الجوزي - سيرة عمر بن الخطاب ص ٨٧.
(٧) ب: ... موسى بن علي بن رياح عن أبيه أن عمر بن الخطاب خطب الناس بالجابية فقال: من اراد أن يسأل. الخ - (ج): ... موسى بن علي عن أبيه... الخ النص (ب).

أيها الناس. من أراد ان يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد ان يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فان الله جعلني له خازنا وقاسما:

اني بادىء [1] بأزوج رسول الله ﷺ فمعطيهن، ثم المهاجرين الاولين [2] الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم: أنا وأصحابي، ثم بالانصار [3] الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم.

ثم [4] من أسرع الى الهجرة أسرع اليه [5] العطاء، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ [6] عنه العطاء، فلا يلومن رجل الا مناخ راحلته [7].

اني قد بقيت فيكم بعد صاحبي، فابتليت بكم وابتليتم بي، وإني لن يحضرني من أموركم شيء فاكله الى غير أهل الجزء والأمانة، فلئن أحسنوا لأحسنن إليهم ولئن أساءوا لأنكلن بهم».

عظة

«[8] عن عثمان بن عطاء الكلاعي عن أبيه قال: [9] خطب عمر الناس فحمد الله

---

(١) ب: باد ج: واني بادىء بأزواج النبي ﷺ ومعطيهن.

(٢) ب: ثم المهاجرين الاولين، ثم أنا باد بأصحابي، أخرجنا من مكة من ديارنا وأموالنا: ج: ثم المهاجرين الاولين أنا وأصحابي... الخ نص ب.

(٣) ج: ثم الانصار.

(٤) ب ج: ثم قال: فمن أسرع.

(٥) ب ج: به.

(٦) ج: ابطىء به.

(٧) الى (راحلته) ينتهي النص في ب و ج.

(٨) أبو يوسف ـ الخراج ص ١٣ ـ وللنص رواية أخرى نرمز لها بالحرف (ب) لابن الجوزي ـ سيرة عمر بن الخطاب ص ١٥٩ ـ والاول أقدم لوفاة صاحبه عام ١٨٢ هـ. والاخير أحدث لوفاة صاحبه عام ٥٩٧ ـ ويشترك النصان الى قوله: ولا نبالي على من كان الحق. ثم يختلفان.

(٩) ب: «... عن عدي بن سهيل الانصاري قال: قام عمر في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال:

وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فاني أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى ويهلك[1] ما سواه، الذي بطاعته ينتفع اولياؤه وبمعصيته يضر أعداؤه[2]، فانه ليس لهالك هلك معذرة في تعمد[3] ضلالة حسبها هدى، ولا في ترك[4] حق حسبه ضلالة (قد ثبتت[5] الحجة وانقطع العذر، ولا حجة لأحد على الله ـ عز وجل ـ) وان أحق ما تعهد الراعي من رعيته تعهدهم[6] بالذي لله ـ (عز وجل) عليهم في وظائف دينهم الذي هداهم الله له[7].

وانما علينا أن نأمركم بما[8] أمركم الله به من طاعته، وأن ننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته، وان نقيم أمر الله في قريب الناس وبعيدهم[9] ولا نبالي على من كان[10] الحق (ليتعلم الجاهل، ويتعظ المفرط وليقتدي المقتدي).

ألا وان الله فرض الصلاة وجعل لها شروطا، فمن شروطها:
الوضوء والخشوع والركوع والسجود.

واعلموا ـ أيها الناس ـ أن الطمع فقر وأن اليأس غنى، وفي العزلة راحة من خلطاء السوء.

واعلموا أنه من لم يرض عن الله فيما كره من قضائه لم يؤد اليه ـ فيما يجب ـ كنه شكره.

---

(١) ب: ويفني.
(٢) ب: والذي بطاعته ينفع أولياه، ويضر بمعصيته أعداه.
(٣) ب: عذر في بعض.
(٤) ب: ولا ترك.
(٥) ما بين الاقواس (   ) من: ب.
(٦) ب: الا ان أحق ما تعاهد الراعي رعيته أن يتعاهدهم.
(٧) ب: به.
(٨) ب: بالذي أمركم الله من طاعته.
(٩) ب: وبعيدهم لا نبالي.
(١٠) ب: مال.

واعلموا أن لله عبادا يميتون الباطل بهجرة ويحيون الحق بذكره: رغبوا فرغبوا، ورهبوا فرهبوا، ان خافوا فلا يأمنوا، أبصروا من اليقين ما لم يعاينوا فخلصوا بما لم يزايلوا.

أخلصهم الخوف فهجروا ما ينقطع عنهم لما يبقى عليهم، الحياة عليهم نعمة والموت لهم كرامة.[1].

[2] وقد علمت أن أقواما منهم من يقول بما أمر به، وفعله متول عن ذلك، وأن أقواما يتمنون - في أنفسهم - ويقولون: نحن نصلي مع المصلين، ونجاهد مع المجاهدين، وننتحل الهجرة ونقاتل العدو. وكل ذلك يفعله أقوام لا يحتملونه بحقه؛ فان الايمان ليس بالتمني، ولكنه بالحقائق، فمن قام على الفرائض، وسدد نيته وخشيته فذلكم الناجي، ومن ازداد اجتهادا وجد عند الله مزيدا.

وان الجهاد سنام العمل، وانما المهاجرون الذين يعجرون السيئات ومن يأتي بها.

ويقول اقوام: جاهدوا[3]. وانما الجهاد في سبيل الله اجتناب المحارم مع مجاهدة العدو. وان الامر جد فجدوا. وقد تقاتل أقوام لا يريدون غير الاجر، وآخرون لا يريدون غير الذكر، وان الله - عز وجل - رضي منكم باليسير - وأثابكم على اليسير بالكثير.

الوظائف الوظائف: أدوها تؤدكم الى الجنة.
السنة السنة: اكرموها تنجكم من البدعة.

تعلموا ولا تعجزوا، فانه من عجز تكلف، وان شرار الامور محدثاتها، وان الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في الضلالة[4]، فافهموا ما توعظون به، فان

---

(١) انتهى نص أبي يوسف في الخراج.

(٢) هذه الزيادة من: ب.

(٣) كذا. والمعنى - والله أعلم - انهم جاهدوا.

(٤) كذا.

الحريب [1] من حرب دينه.

وان السعيد من وعظ بغيره، وان الشقي من شقي في بطن أمه. وعليكم بالسمع والطاعة، فان الله قضى لهما بالعز، واياكم والمعصية والتفرق فان الله قضى لهما بالذل.

وان للناس نفرة عن سلطانهم، فعائذ بالله أن تدركني.

★ ★ ★

وخطب ينهي عن الاغلاء في المهور

« [2] عن أبي العجفاء السلمي، قال [3]: سمعت عمر [4] يقول:

ألا لا تغلوا [5] صدق [6] النساء، الا لا تغلوا صدق النساء، فانها [7] لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى [8] عند الله [9] ـ كان [10] أولاكم [11] بها النبي [12] ﷺ ما

---

(١) حربه ـ كطلبه ـ سلبه فهو محروب وحريب مادة ح ر ب القاموس المحيط.

(٢) مسند أحمد ٢٧٧/١.

وللخطبة روايتان أخريان لدى الامام أحمد هما الرواية (ب) بالمسند ٢٧٩/١ و(ج) بالمسند ٣٠١/١ ـ وبسنن ابن ماجه الرواية (د) ٦٠٧/١ ـ وبسنن النسائي الرواية (هـ) ١١٧/٦ ـ وبالجامع الصحيح (سنن الترمذي الرواية (و) ٤١٣/٣ ـ وبسنن ابي داود الرواية (ز) ٤٨٥/١ ـ وبسنن الدارمي الرواية (ح) ٦٥/٢ ـ وبسند الطيالسي الرواية (ط) ص ١٢.

(٣) د هـ و: قال عمر بن الخطاب: ز: خطبنا عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: ط: خطب عمر فقال:

(٤) ح: سمعت عمر بن الخطاب ـ يخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(٥) د و ز: لا تغالوا.

(٦) د ط: صداق و: صدقة.

(٧) هـ: فانه لو كان.

(٨) ج: أو تقوى في الآخرة ط: وتقوى عند الله.

(٩) هـ: عند الله ـ عز وجل.

(١٠) ج و: لكان.

(١١) د: أولاكم وأحقكم.

(١٢) د ط: محمد ﷺ ح: رسول الله ﷺ.

أصدق [1] رسول الله ﷺ امرأة من نسائه، ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر [2] من ثنتي عشرة أوقية.

وان الرجل ليبتلي [3] بصدقة امرأته - وقال مرة: وان الرجل ليغلي بصدقة امرأته حتى تكون [4] لها عداوة في نفسه، وحتى يقول: كلفت اليك [5] علق القربة [6].

قال: وكنت غلاما عربيا مولدا لم أدر: ما علق القربة؟ قال: وأخرى تقولونها - لمن قتل في مغازيكم ومات: قتل فلان شهيدا، ومات فلان شهيدا، ولعله أن يكون قد أوقر عجز دابته أو دف [7] راحلته ذهبا أو ورقا [8] يلتمس التجارة.

لا تقولوا ذاكم، ولكن قولوا - كما قال النبي - أو كما قال محمد ﷺ:

من قتل أو مات في سبيل الله فهو في الجنة». اهـ.



---

(1) ج: ما أنكح شيئا من بناته ولا نسائه - و: ما علمت رسول الله ﷺ نكح شيئا من نسائه ولا أنكح شيئا من بناته.

(2) ج: فوق اثنتي.
ح: فوق ثنتي.

(3) د: ليثقل صدقه امرأته هـ :ليغلي بصدقة ح: ليغالي بصداق.

(4) ح: حتى يبقى لها في نفسه عداوة ط: حتى يكون قد اوّه لها.

(5) هـ: لكم ح: لك.

(6) د ح ط: علق القربة أو عرق القربة. اهـ (قال الزمخشري: جشمت اليك عرق القربة أو علق القربة.
هذا مثل تضربه العرب في الشدة والتعب - راجع مسند احمد شرح احمد محمد شاكر ٢٧٨/١ حاشية رقم ٣٨٥ - طبع دار المعارف ١٣٧٣ - ١٩٥٤.
وانظر لابي الفضل أحمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم النيسابوري الميداني مجمع الامثال ١٦٧/١ المثل رقم ٨٧٧ (جشمت اليك عرق القربة) أي تكلفت لك ولاجلك امرا صعبا شديدا، و ١٥٠/٢ المثل رقم ٣٠٧٥.
(كلفت اليك علق القربة) ويروي عرق القربة. اهـ.

(7) دف الراحلة - بفتح الدال - جانب كورها - انظر مسند أحمد ٢٧٨/١.

(8) ج: وفضة يبتغي.

« [1] ثم نزل فاعترضته أمرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين: نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم؟ قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأي ذلك؟ فقالت: أما سمعت الله يقول: وآتيتم احداهن قنطارا (٤ ـ ٢٠) الآية قال: اللهم غفرا، كل الناس أفقه من عمر، ثم رجع فركب المنبر فقال:

ايها الناس، اني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب.

قال أبو يعلى: وأظنه قال: فمن طابت نفسه أن يفعل ».

وخطب يعظ

« [2]... وخطب ـ ايضا ـ فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ [3]:

أيها الناس. ان بعض الطمع [4] فقر، وان بعض اليأس غنى، وانكم تجمعون مالا تأكلون، وتأملون مالا تدركون، وأنتم مؤجلون في دار غرور.

[5] كنتم على عهد رسول الله ﷺ [6] تؤخذون بالوحي: فمن [7] أسر شيئا أخذ بسريرته، ومن أعلن شيئا أخذ بعلانيته، فأظهروا لنا أحسن [8] اخلاقكم، والله أعلم

---

(١) هذا الجزء عن تفسير ابن كثير عن الحافظ أبي يعلى بسنده الى مسروق وقال: اسناده جيد قوي. انظر المرجع ٤٦٧/١.

(٢) تاريخ الطبري ٢٥١/٤ ـ وللنص رواية أخرى نرمز لها بالحرف (ب).
رواها عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة المجلد الثالث ص ١٢٥.

(٣) ب: وخطب عمر مرة أخرى فقال ـ بعد حمد الله والصلاة على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله.

(٤) ب: ان الطمع فقر.

(٥) ب: وقد كنتم.

(٦) ب: صلى الله عليه وآله.

(٧) ب: ومن أسر.

(٨) ب: حسن.

بالسرائر، فانه من أظهر شيئا [١] ـ وزعم أن سريرته حسنة ـ لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به [٢] حسنا.

واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق، فانفقوا خيرا لانفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

أيها الناس، أطيبوا مثواكم وأصلحوا أموركم، واتقوا الله بكم، ولا تلبسوا نساءكم القباطي، فانه إن لم يشف فانه يصف.

ايها الناس، اني لوددت أن أنجوا كفافا لا لي ولا علي، واني لارجو ـ ان عمرت فيكم يسيرا أو كثيرا ـ أن أعمل بالحق فيكم [٣] ان شاء الله، وألا يبقى أحد من المسلمين ـ وان كان في بيته ـ الا أتاه حقه ونصيبه من مال الله، ولا [٤] يعمل اليه نفسه، ولم ينصب اليه يوما [٥].

وأصلحوا [٦] أموالكم التي رزقكم الله، ولقليل [٧] في رفق خير من كثير في عنف، والقتل [٨] حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه».

---

(١) ب: فانه من أظهر لنا قبيحا.
(٢) به حسنا. سقطت من ب.
(٣) ب: أن أعمل فيكم بالحق.
(٤) ب: وان لم يعمل.
(٥) ب: بدنه.
(٦) ب: فأصلحوا.
(٧) ب: فقليل.
(٨) ب: واعلموا أن القتل... الخ.

خطب في العمل والنية والعمال

« ...[1] عن أبي فراس قال: خطبنا عمر بن الخطاب فقال:

يأيها الناس، الا انا انما كنا نعرفكم اذ بين ظهرينا النبي ﷺ وإذ ينزل الوحي، واذ ينبئنا الله من أخباركم، وقد انقطع الوحي. وإنما نعرفكم بما نقول لكم[2]: من أظهر منكم خيرا ظننا به خيرا واحببناه عليه، ومن أظهر منكم لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه[3]، سرائركم بينكم وبين ربكم.

---

(١) مسند أحمد ٢٧٨/١ و ٢٧٩ ـ وللخطبة روايات نرمز لها على الترتيب:

(ب) سنن ابي داود ٤٩٠/٢.

(ج) العلامة علاء الدين الهندي البرهاني ـ كنز العمال ٢٠٩/٨.

(د) تاريخ الطبري ٢٠٤/٤.

(هـ) ابن الجوزي ـ سيرة عمر بن الخطاب ص ٨٢.

(و) الجاحظ ـ البيان والتبيين ١٣٨/٣.

(ز) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٦٣/٤ و ٦٤.

(ح) أبو يوسف ـ الخراج ص ١١٦.

وبعض هذه المراجع: و، ز قدم الفقرة التالية الخاصة بقراءة القرآن على الفقرة الاولى في رواية أحمد ـ رضي الله عنه ـ والروايتين: ج، هـ. ولم يذكر (العمال)، وبعضها اقتصر على أن يذكر من الخطبة الجزء الخاص بالعمال وحديث عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهم ـ كما في: ب، د، ح.

(٢) ج، هـ: .. ألا انما كنا نعرفكم اذ بين ظهرانينا النبي ﷺ ... ألا وان النبي ﷺ قد انطلق وانقطع الوحي... الخ.

هـ: ألا وانما نقول بما نعرفكم نقول لكم. (الباحث: يبدو أن في العبارة اضطرابا من ناسخ، وفي نصه زيادة ليست في الاصول الاخرى).

و: ... فانما كنا نعرفكم اذ الوحي ينزل، واذا النبي ﷺ بين اظهرنا، فقد رفع الوحي، وذهب النبي عليه السلام، فانما أعرفكم بما أقول لكم.

ز: ألا انما كنا نعرفكم اذ يتنزل الوحي، واذ رسول الله بين أظهرنا ينبئنا من أخباركم فقد انقطع الوحي، وذهب النبي، فانما نعرفكم بالقول.

(٣) و: فمن أظهر لنا خيرا ظننا به خيرا وأثنينا عليه.

ز: ألا من رأينا منه خيرا.

ج، هـ: ومن أظهر لنا شرا.

=

[1] ألا انه قد أتى على حين، وأنا أحسب أن من قرأ القرآن يريد الله وما عنده [2]، فقد خيل الي بآخرة ألا ان رجالا قد قرءوه يريدون به ما عند الناس [3]، فأيدوا الله بقراءتكم، وأريدوه بأعمالكم [4].

ألا اني - والله - ما أرسل عمالي اليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم [5]، ولكن أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل [6] به شيء سوى ذلك فليرفعه

= و: ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه، اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها، فانها طلعة، وانكم الا تقدعوها تنزع بكم الى شر غاية، ان هذا الحق ثقيل مرىء، وان الباطل خفيف وبيء، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة، ورب نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا. ا هـ. نص الجاحظ.

ز: ومن رأينا منه شرا.

(١) هذه الفقرة صدر الخطبة في و، ز مصدرة بـ «يأيها الناس».

(٢) هـ: ... وأنا أحسب من قرأ.

و: انه أتى على حين وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن انه انما يريد به الله وما عنده.

ز: انه قد أتى على زمان وأنا أرى أن قوما يقرءون القرآن يريدون به الله - عز وجل - وما عنده.

(٣) ج، هـ: فقد خيل لي بآخرة أن رجالا قد قرءوه يريدون... الخ.

و: ألا وقد خيل الى أن أقواما يقرءون القرآن يريدون... الخ.

ز: فخيل الي أن قوما قرءوه يريدون به الناس والدنيا.

(٤) ج: فأريدوا الله بقراءته... الخ.

و: ألا فأريدوا الله بقراءتكم... الخ.

ز: ألا فأريدوا الله بأعمالكم.

(٥) ب: عن أبي فراس قال: خطبنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: اني لم أبعث عمالي ليضربوا... الخ.

ج، هـ: ألا واني والله - ما أرسل... الخ.

د: عن أبي فراس قال: خطب عمر بن الخطاب - فقال: يأيها الناس، اني - والله - ما أرسل اليكم عمالا ليضربوا... الخ.

ز: ألا واني انما أبعث عمالي ليعلموكم دينكم وسننكم، ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم.

(٦) ب: ... ولا ليأخذوا أموالكم فمن فعل به ذلك فليرفعه الى أقصه منه.

ز: ... ألا من رأبه شيء من ذلك فليرفعه الي.

الي، فو [1] الذي نفسي بيده اذا لا قصنه منه.

فوثب عمرو بن العاص فقال:

يا أمير المؤمنين، أو رأيت ان كان رجل من المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته، آئنك لمقتصه منه [2] ؟!.

قال: اي، والذي نفس عمر بيده، اذن لا قصنه منه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه [3].

الا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم.

وتنفرد رواية القاضي أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم بواقعة حال تستحق معها أن تذكر بمفردها، لاسيما وأنها أقدم هذه الروايات لوفاة صاحبها عام اثنين وثمانين ومائة من الهجرة. قال:

« [4] حدثني عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء قال: كتب عمر ـ رضي الله عنه ـ الى عماله أن يوافوه بالموسم، فوافوه، فقام فقال:

---

(١) د: فو الذي نفس عمر بيده لأقصنه منه.

ز: فو الذي نفسي بيده لأقصنكم منه.

(٢) ب: قال عمرو بن العاص: لو أن رجلا أدب بعض رعيته أتقصه منه؟

وليس في ج ذكر لامر عمرو بن العاص

د: ... يا أمير المؤمنين، أرأيتك ان كان رجل من امراء المسلمين على رعية فادب بعض رعيته، انك لتقصه منه ؟!.

ه: ... أفرأيت... انك لتقصنه منه.

ز: فقام عمر بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيت ان بعثت عاملا من عمالك فأدب رجلا من رعيتك، فضربه، أتقصه منه؟

(٣) ب: اي، والذي نفسي بيده، الا أقصه، وقد رأيت رسول الله ﷺ أقص من نفسه.

د:... وكيف لا أقصه منه ـ وقد رأيت... الخ.

في هـ خطأ مطبعي جعل العبارة هكذا: اذا لاقصنه منه أنا لا أقص منه وقد رأيت وصحتها أن تكون =

يأيها الناس:

اني بعثت عمالي هؤلاء ولاة بالحق عليكم، ولم أستعملهم ليصيبوا من أبشاركم ولا من دمائكم، ولا من أموالكم، فمن كانت له مظلمة عند أحد فليقم.

قال: فما قام من الناس يومئذ الا رجل واحد، فقال:

يا أمير المؤمنين، عاملك ضربني مائة سوط، فقال عمر: أتضربه مائة سوط؟ قم فاستقدمنه.

فقام اليه عمرو بن العاص فقال له: يا أمير المؤمنين - انك - ان تفتح هذا على عمالك، كبر عليهم، وكانت سنة يأخذ بها من بعدك.

فقال عمر: ألا أقيده منه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقيد من نفسه؟! قم فاستقد.

فقال عمرو: دعنا - اذا - فلنرضه قال، فقال: دونكم.

قال: فارضوه بأن اشتريت منه بمائتي دينار، كل سوط بدينارين.

= كما في د: اذا لاقصنه منه، وكيف لا أقص منه... الخ.

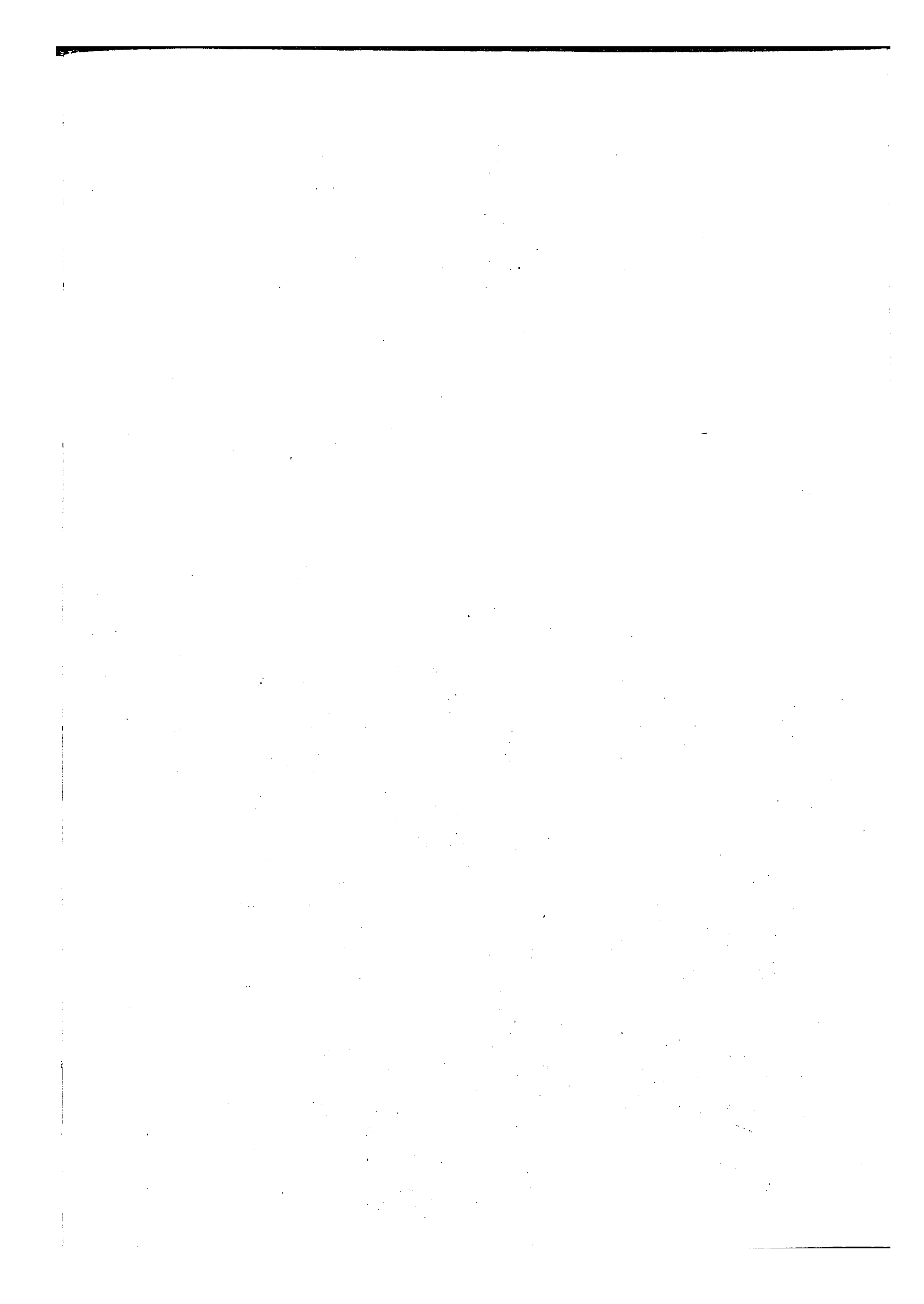
ز: نعم، والذي نفس عمر بيده، لأقصنه منه، فقد رأيت... الخ.

(٤) أبو يوسف - الخراج ص ١١٥ و١١٦.

الفصل الثاني

وصايا عمر

الوصية في الجاهلية والاسلام
وصية عمر
ألفاظ الوصية وأسلوبها
أغراض الوصية
مع الوصية عرضا ودراسة
نماذج محققة من وصايا عمر



الوصية في الجاهلية والاسلام

تعتبر الوصية رافدا من روافد الأدب العربي من وقت مبكر، وهي ـ مذ وعتها الرواية الادبية، ونقلتها للأجيال من عهدها الجاهلي القديم غنية العطاء بالحكمة والمثل والتجربة، هادفة في تناولها لمختلف ألوان النشاط الانساني للفرد والاسرة والجماعة على كل حال من أحوال الحياة في شؤونها المتعددة، فأوصى الرجل ولده، وأوصت الأم ابنتها، وأوصى الرئيس عشيرته... وهكذا.

وكانت الوصية ـ في هذا العهد العتيق ـ نبيلة تدعو الى الحفاظ على كرم الخلق وحسن المعاشرة، وصلة الرحم، وخفض الجناح للعشيرة، وطلب المال في عزة، وبذله في مروءة... الخ.

ودعت الى إجلال أهل الرأي والكفاءة، والاستعانة بأهل الدربة والمعرفة وحضت على الحكمة وكتمان السر، ومصاحبة الاخيار والبعد عن السفهاء.

ونفرت من الغدر، وحطت من العجب، وحقرت الحاسد، وغضت باللئيم وزهت بالكريم.

وأشارت في المصاهرة ـ الى الزواج بالجميلة الكاملة ذات العقل الوافر والجوا الحاضر، والى الزواج بالكفء، رفيع الحسب متين النسب

وسيقت الوصية الى الأهل والأقارب والاصدقاء والناس.

وصيغت شعرا ونثرا موجزة الجملة، واضحة المعنى، مفعمة بحرارة الصدق لا ينقصها ارشاد ولا توجيه، توضح العثرات، وتضرب الامثال بالحوادث المنوطة بظروف القوم والبيئة [1].

فلما كان الاسلام أخذت الوصية صبغة انسانية عامة متجاوزة اطار القبيلة جامعة للمبادىء الانسانية الرفيعة.

ثم حض الاسلام على لونها المالي:

ففي الكتاب العزيز:

« كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية ٢ ـ ١٨ وفي حديث المصطفى ﷺ:

« [2] ما حق امرىء مسلم، له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين، الا ووصيته مكتوبة عنده ».

وصية عمر:

وصايا عمر التي بين يدي هذا الفصل ـ جميعا ـ اسلامية، فلم اعثر ـ في مراجعي ـ على وصية له في الجاهلية، بينما وصاياه الاسلامية كثيرة، بثها ـ رضي الله عنه ـ في حديثه وخطبه ورسائله، وهي كثيرة الى درجة لا نكون معها مغالين، اذا قلنا: ان أدب عمر هو أدب الوصية، فعمر حريص على المسلمين، زائد عن الرعية مشغول بالخير لها أكثر منها لنفسها وأكثر منه لنفسه فليس غريبا ألا يفوته ـ في هذه الوصايا ـ النصح للأمة أفرادا وجماعات، تدفعه الى ذلك مشاعر طيبة من رحمته لها، وواجبه نحوها، وبصيرته في أمورها.

وعلى كثرة وصاياه لازلنا نفقد منها ـ بالضرورة ـ ما لم يدونه الرواة أو دونوه وفاتني العثور عليه.

---

(١) راجع لأبي حاتم السجستاني ـ المعمرون والوصايا ص ١١٩ ـ ١٤٥.

(٢) صحيح البخاري ٢/٤.

كذلك ينبغي التحفظ في اعتبار بعضها هو كل الوصية، فقد نفقد من الوصية ما فقدناه في الخطبة من « بعض المضمون » أو « بداية » أو « نهاية » أو « مقام حال ».

ألفاظ الوصية وأسلوبها:

وألفاظه ـ رضي الله عنه ـ في الوصية هي ألفاظه في الخطبة، وهي ألفاظه في غير الخطبة والوصية، وكثيرا ما تكون ـ في الوصية ـ في اطار جملة قصيرة.

وهي ألفاظ فصيحة بليغة لا تنافر بين حروفها ولا حوشية، ذات سهولة تنفر من الغريب، وبساطة تنبو عن المعاظلة والتعقيد، سريعة في تصوير المعنى لا يتخلف عنها وضوح المراد، ولا قوة الاداء.

ثم هي ـ في جانبها النفسي ـ غير منفصلة عن اخلاص صاحبها، وصدق أحاسيسه، لم تفقدها القوة روح الرحمة ودعتها، حافظة مع وضوحها لمتانة الأسر ولحمة الاحكام، وصدق التصوير.

والأمر ـ كذلك ـ في أسلوبه، لم يختلف في الوصية عنه في الخطبة[1]، فهو هنا بنفس ملامحة ثمة، مفعم بعواطف صاحبه، يبدو فيه اقتباسه من القرآن والسنة في موضعه اذ يسلكه عمر في انسياب يمتزج بالجملة موافقا لاتجاه تركيبها دون فصل باشارة الى قائلة ـ ما لم يدع للنص عليه داع ـ فلا يدركه إلا عالم بمصدره.

ثم نجد فيه ـ هنا ـ شيئا من ازدواج الجمل، وميل بحكم طابع الوصية الى التحليل ـ أحيانا ـ في بسط واستقصاء يبين أهمية ما يوصي به ويدلل عليه، ثم شأنه ـ في الشعر ـ شأن الخطبة.

نلمح هذه الخصائص في النماذج التالية.

قال حيوة بن شريح: « ..[2] كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ اذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم، ثم قال عند عقد الألوية:

---

(١) راجع الاسلوب في فصل الخطبة ص ١٧٠.

(٢) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار ١٠٧/١.

بسم الله، وعلى عون الله، وامضوا بتأييد الله بالنصر، وبلزوم الحق والصبر، فقاتلوا ـ في سبيل الله ـ من كفر بالله، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين.

لا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهوره ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليداً، وتوقوا قتلهم اذا التقي الزحفان، وعند حمة النهضات، وفي شن الغارات، ولا تغلوا عند الغنائم، ونزهوا الجهاد عن غرض الدنيا، وأبشروا بالرياح في البيع الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم».

وهكذا تبدو الوصية من خلال جمل قصار، لا اسراف في زخرفها ولا التزام، تستعين بالقرآن وتقتبس منه، وهي ـ هنا ـ تضع الجندي أمام واجبه مباشرة مؤدية مرادها في قوة وجزالة وجمال، محذرة أن تطغي نشوة النصر على عدل الاسلام ورحمته.

وفي الوصية التالية نجد تحليل عمر ـ رضي الله عنه ـ واستقصاءه لاحوال النفس حين تتخلى عن الوقار:

أوصى الأحنف بن قيس ـ رضي الله عنه ـ فقال:
«... [1]يا أحنف، من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.

ووصيته للأحنف هذه تدلنا ـ بيقين يشدنا اليه هذا التحليل ـ أن محسنات عمر فيها تابعة لتصوير مراده، فلا كلفة فيها، اذ هو يتابع زلات النفس من درجة فما دونها غير منصرف الى تزيين أسلوب أو ترصيعه، فأسلوب عمر وظيفته تصوير أفكار صاحبه والتدليل عليها في وضوح تتبعه هذه المحسنات بلا كلفة فتارة هي بارزة، وأخرى تكاد لا تكون فاذا الأسلوب يصور الافكار وأدلتها:

---

(١) أسامة بن منقذ ـ لباب الآداب ص ١٧ ـ ابن الجوزي ـ سيرة عمر بن الخطاب ص ١٥٥ ـ ابن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ٩٣/٣ واللفظ واحد في الثلاثة.

كان سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ على صدقات هوازن ـ منذ ولاه أبو بكر، حتى اذا اشتعلت حرب العراق استقدمه عمر ـ عن مشورة ـ فولاه اياها ... [1] وأوصاه فقال [2]:

« يا سعد سعد [3] بني وهيب، لا [4] يغرنك ـ من الله ـ أن قيل: خال رسول الله ﷺ وصاحب [5] رسول الله، فان الله ـ عز وجل ـ لا يمحو السيء بالسيء، ولكنه [6] يمحو السيء بالحسن، [7] فان الله ليس بينه وبين أحد نسب الا طاعته [8] فالناس [9] شريفهم ووضيعهم ـ في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويدركون ما عنده [10] بالطاعة.

فانظر الأمر الذي رأيت النبي [11] ﷺ عليه [12] منذ بعث الى أن فارقنا فالزمه فانه الأمر.

هذه عظتي اياك، ان تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين ».

---

(١) تاريخ الطبري ٤٨٣/٣ ـ وهي من وصايا العام الرابع عشر راجع نفس المصدر ٤٨٢/٣ : ٤٨٣.

(٢) ولها روايتان: (ب) ـ لابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٤٥١/٢، و (ج) لابن كثير ـ البداية والنهاية ٣٥/٧، ٣٦.

(٣) ج: يا سعد بن وهيب.

(٤) ب: ووصاه وقال: لا يغرنك.

(٥) ج: وصاحبه.

(٦) ج: ولكن يمحو.

(٧) ب: وليس بين الله وبين أحد نسب الا طاعته
ج: وان الله... الخ.

(٨) ج: بطاعته.

(٩) فالناس في ذات الله سواء.

(١٠) ج: ما عند الله.

(١١) ب، ج: رسول الله.

(١٢) ب: يلزمه فالزمه، ووصاه بالصبر
ج: منذ بعث الى أن فارقنا عليه.

عراض الوصية:

أوصى عمر ـ رضي الله عنه ـ قواده وعماله، وأوصى الرعية، كذلك أوصى أفراد نها ـ في خاصة أنفسهم ـ منهم الرجل ومنهم المرأة[1]، وتسفر وصاياه عن حرص شديد لى أمن الرعية وسلامتها وتوفير حاجتها وتسديد خطا أولى الأمر فيها. ويمكن بيان غراض وصيته ـ رضي الله عنه ـ في ضوء ما بين يدي منها ـ فيما يأتي:

١) ارشاد عماله، والنصح لقواده ورعيته... ثم من يكون خليفة من بعده:

أ ـ فأرشد عماله بتبصيرهم بواجباتهم وبحقوق الرعية، وذلك بلفت أنظارهم الى محاسبة النفس، وتجنب جنوحها الى الكبر الذي تغري به السلطة، والى رفع الحجاب دون رعاياهم وما الى ذلك مما يقيم الحق، وينشر العدل، ويسعد الرعية جاء ـ في كتاب له ـ لأحد عماله:

« ...[1] حاسب نفسك من الرخاء قبل حسابك[2] في الشدة، فانه من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة ـ عاد مرجعه الى الرضا والغبطة، ومن ألهته حياته، وشغفته[3] أهواؤه عاد أمره الى الندامة والحسرة، فتذكر ما توعظ به لكيما تنتهي عما تنهي عنه، وتكون عند التذكرة[4] والوعظ من أولي النهي... ».

وكان «[5] اذا استعمل رجلا قال له:
ان العمل كبر فانظر: كيف تخرج منه؟
وحذرهم الحجاب والظلم، فكان
«[6] يوصي عماله فيقول:

---

(١) المحب الطبري ـ الرياض النضرة ٨٣/٢ ـ ولها رواية أخرى (ب) لابن الجوزي ـ سيرة عمر بن الخطاب ص ١١٣.

(٢) ب: حساب الشدة.

(٣) ب: وشغلته.

(٤) ب: التذكره من أولي النهي.

(٥) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٣٢١/٢.

(٦) حسن السندوبي ـ رسائل الجاحظ ص ١٥٦.

اياكم والحجاب، واظهروا بالبراز[1]، وخذوا الذي لكم، وأعطوا الذي عليكم، فان امرءا ظلم حقه مضض[2] حتى يغدو به مع الغادين».

ب - ومن هذا اللون توجيههم في القضاء وتطبيق الأحكام دون افراط أو تفريط والنصح لقواده بما ينبغي أن يكونوا عليه من خير صفات الجند حرصا ويقظة وتعاونا وأمانة، ثم علما بـ «دستور الحرب» الاسلامي:

انتدب عمر - لحرب فارس - أبا عبيد بن مسعود الثقفي فولاه القيادة ومعه من الصحابة[3]: سعد بن عبيد الانصاري وسليط بن قيس - رضي الله عنهم ثم أوصاه فقال:

«... [4] اسمع من أصحاب النبي ﷺ وأشركهم في الأمر[5] ولا تجتهد[6] مسرعا[7] حتى تتبين، فانها الحرب، والحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة والكف...

... [8] انه لم[9] يمنعني أن أؤمر سليطا الا سرعته الى الحرب، وفي التسرع الى

---

(١) البراز: القضاء الواسع، والمراد: عدم الحجاب.

(٢) مضض: بزنة قلم: وجع المصيبة، أخبر بالمصدر مبالغة أو على تقدير مضاف الباحث.

(٣) راجع لابن حجر - الاصابة ٢٨/٢، ٧٠.

(٤) النص بتاريخ الطبري من وصايا العام الثالث عشر ٤٤٥/٣ - وله روايتان: (ب) لابن الاثير - الكامل في التاريخ ٤٣٣/٢، (ج) لابن خلدون بقية الجزء الثاني ص ٨٨.

(٥) ب: واشركهم في الأمر، ولم يمنعني أن أؤمر سليطا... الخ.

(٦) بأصول الطبري - روايتان: ولا تجتهر، ولا تجبين انظر تاريخ الطبري ٤٤٥/٣.

(٧) ج: بل اتئد.

(٨) يذكر الطبري هنا رواية اخرى لهذا الجزء من الوصية، بينما تتصل الوصية بلا راو في الكامل لابن الاثير.

(٩) ب: ولم يمنعني.

الحرب ضياع الاعن[1] بيان[2]، والله ـ لولا سرعته ـ لأمرته.. ثم قال له قبل أن يرتحل.

... [3] انك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية [4]، تقدم على قوم قد جرءوا [5] على الشر فعلموه، وتناسوا الخير فجهلوه، فانظر كيف تكون؟.

واخزن [6] لسانك ولا تفشين سرك، فان صاحب السر ما ضبطه [7] متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه، واذا ضيعه كان بمضيعة».

وألقي عليهم «دستور الحرب» الاسلامي:

«... [8] عن سليمان بن بريدة أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان ـ اذا اجتمع اليه جيش، من أهل الايمان، بعث عليهم رجلا من أهل الفقه والعلم، فاجتمع اليه جيش، فبعث عليهم سلمة بن قيس، فقال:

سر باسم الله، تقاتل [9] ـ في سبيل الله ـ من كفر بالله، فاذا لقيتم عدوكم[10] من المشركين فادعوهم الى ثلاث خصال:

---

(١) ب: ضياع الاعراب ـ وهو تصحيف يدل عليه الاصل لابن الاثير الموجود بالحاشية: رقم ٢ ونصها: (الاعربيان) حيث وقعت النون التالية للعين في شكل راء.

(٢) ب: ضياع الاعراب، فانه لا يصلحها الا الرجل المكيث.

(٣) النص بتاريخ الطبري ٤٥٤/٣ ـ وله روايتان: (ب) لابن الاثير الكامل في التاريخ ٤٣٧/٢ و(ج) لابن خلدون: بقية الجزء الثاني ص ٨٩.

(٤) ج: والخيانة والخزي.

(٥) ب: تجرءوا.

(٦) ب، ج: واحرز لسانك.

(٧) ب: ما يضبطه.

(٨) أبو يوسف ـ الخراج ص ١٩٣ ـ ولها روايتان: (ب) بتاريخ الطبري ١٨٦/٤، (ج) لابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٤٨/٣ ـ والنص ج مختصر.

(٩) ب، ج: قاتل.

(١٠) ج: فاذا لقيتم عدوكم فادعوهم الى الاسلام.

ادعوهم الى الاسلام، فان أسلموا فاختاروا دارهم فعليهم ـ في أموالهم ـ الزكاة [١]، وليس لهم في فيء [٢] المسلمين نصيب، وان اختاروا أن يكونوا معكم [٣] فلهم مثل الذي لكم وعليهم مثل الذي عليكم.

فان [٤] أبوا فادعوهم الى اعطاء [٥] الجزية، فانه أقروا بالجزية [٦] فقاتلوا عدوهم من ورائهم، وفرغوهم لخراجهم، ولا تكلفوهم فوق طاقتهم.

فان أبوا فقاتلوهم [٧]، فان الله ناصركم عليهم، وان [٨] تحصنوا منكم في الحصن [٩] فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله [١٠] ورسوله فلا تنزلوهم على حكم الله [١١] ولا حكم رسوله، فانكم لا تدرون: ما حكم الله [١٢] وحكم رسوله فيهم؟ وان سألوكم أن [١٣] تنزلوهم على ذمة الله وذمة رسوله فلا تعطوهم ذمة الله وذمة رسوله، وأعطوهم ذمم أنفسكم، فان قاتلوكم [١٤] فلا تغدروا [١٥] ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ....».

---

(١) ج: فان أجابوا وأقاموا بدارهم فعليهم الزكاة.

(٢) ج: وليس لهم من الفيء نصيب.

(٣) ج: وان ساروا معكم فلهم... الخ.

(٤) ج: وان.

(٥) ب: فادعوهم الى الخراج.
ج: فادعوهم الى الجزية.

(٦) ب: بالخراج
ج: فان أجابوا فاقبلوا منهم، وان أبوا فقاتلوهم... الخ.

(٧) ج: فقاتلوهم، وان تحصنوا منكم وسألوكم أن ينزلوا على حكم الله ورسوله أو ذمة الله ورسوله فلا تجيبوهم.

(٨) ب: فان.

(٩) ب: حصن

(١٠) ب: وحكم رسوله.

(١١) العبارة: (ولا حكم رسوله) لم تثبت في ب.

(١٢) ب: الله ورسوله فيهم.
ج: فانكم لا تدرون: اتصيبون حكم الله ورسوله وذمتها أم لا.

(١٣) ب: أن ينزلوا.

(١٤) فان قاتلوكم فلا تغلوا.

(١٥) خ: ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليدا، ولا تمثلوا.

جـ - وأوصى رعيته فنصح لها في دينها ودنياها وشأن حياتها كله، فمن ذلك قوله:

« [1] تعلموا العلم - وتعلموا - للعلم - السكينة والحلم، وتواضعوا لمن تعلمون، وليتواضع لكم من تعلمون، ولا تكونوا من جبابرة العلماء، ولا يقوم علمكم مع جهلكم ».

« ... [2] علموا أولادكم العوم والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا، ورووهم ما يجعل من الشعر » وقال:

« [3] من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده،[4] وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك[5] ما يغلبك عليه ولا تظنن[6] بكلمة خرجت من امرىء[7] مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير مخرجا[8] وعليك باخوان الصدق فكس في اكتسابهم[9]، فانهم زينة[10] في الرخاء، عدة[11] في البلاء.

---

(١) الامام أحمد بن حنبل - كتاب الزهد ص ١٢٠.

(٢) المبرد - الكامل في اللغة والادب ١/١٥٥.

(٣) أسامه بن منقذ - لباب الأداب - باب الوصايا ص ١٢ ولها روايتان:

ب) لابن الجوزي - سيرة عمر بن الخطاب ص ١٥٥ مع ملاحظة أن بعضها مفرق في اكثر من موضع ص ١٥٥، ١٥٦ (ج) ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة ٣/٩٤.

(٤) ج: ضع

(٥) ب، ج: يأتيك منهُ.

(٦) ب، ج، ولا تظن.

(٧) ب، ج أخيك المسلم.

(٨) ب: محملا، وما كافأت به من عصا الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

ج: محملا.

(٩) ب: فكثر. ج: وكيس أكياسهم.

(١٠) ب: زين.

(١١) ب: وعدة عند عظيم البلاء ج: وعدة عند البلاء.

ولا تهاون [1] في الحلف بالله [2] فيهينك، وعليك بالصدق ولو قتلك ولا تعتز الى من لا يغنيك [3]، واعتزل عدوك، واحذر [4] صديقك الا الأمين [5] والأمين [6] من خشي الله تعالى.

ولا تصحب الفاجر فتتعلم [7] من فجوره، ولا تطلعه [8] على سرك فيفضحك.

وتخشع عند القبور، وآخ الاخوان على قدر التقوى، ولا تستعن على حاجتك من لا يحب نجاحها لك.

[9] وشاور ـ في أمرك ـ الذين يخافون الله ـ عز وجل »

وفي الوصايا المحققة وصيته في الشورى، والخليفة من بعده[10].

★ ★ ★

٢) وفي الجانب المالي:

أوصى عمر ـ في مال له ـ الى حفصة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها.

روى أبو داود ـ في سننه ـ بسنده ـ عن ابن وهب قال:

---

(١) ج: ولاتهانن.

(٢) ب: فيهتك اد سترك.
ج: فيهينك الله.

(٣) ج: ولا تعترض بمالا يعنيك.

(٤) ج: وتحفظ من خليلك.

(٥) ب: الا الامين، فان الامين من القوم لا يعاد له أي شيء.
ج: الا الأمين: فان الأمين من الناس لا يعاد له شيء.

(٦) في رواية أخرى في ب: ولا أمين الا من يخشى الله عز وجل.

(٧) رواية أخرى في ب: ولا تمش مع الفاجر فيعلمك. ج: فيعلمك.

(٨) رواية أخرى في ب: ولا تفش اليه سرك ج: ولا تفش عليه سرك، واستشر في أمرك أهل التقوى، وكفى بك عيبا أن يبدو لك من أخيك ما يخفى عليك في نفسك، وان تؤذي جليسك بما تأتي مثله.

(٩) رواية أخرى في ب: واستشر ـ في أمرك ـ الذين يخشون الله ـ عز وجل.
وبرواية ثالثة في ب: ولا تشاور في أمرك الا الذين يخشون الله ـ عز وجل.

(١٠) انظر الوصية الاخيرة من الوصايا المحققة ص ٢٦٨.

« [1] أخبرني الليث عن يحيى بن سعيد - عن صدقة عمر بن الخطاب قال: نسخها لي عبد الحميد بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب:... .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى[2] به عبد الله عمر أمير المؤمنين - ان حدث به حدث، أن ثمغا [3]، وصرمة[4] بن الأكوع، والعبد الذي فيه[5].

والمائة سهم التي بخيبر[6]، ورقيقه الذي فيه، والمائة التي أطعمها[7] محمد ﷺ بالوادي[8]، تليه حفصة ما عاشت، ثم يليه ذو الرأي من أهلها:

ألا يباع ولا يشتري، ينفقه حيث رأى من السائل والمحروم، وذي القربى.

ولا حرج على من وليه ان أكل أو آكل أو اشترى [9] رقيقا منه ».

---

(١) سنن أبي داود - ١٠٥/٢، ١٠٦ - ولهذه الوصية نسخة اخرى - بنفس المصدر تسبق هذه مباشرة ١٠٥/٢، نشير لها بالحرف (ب) وهذه أوفى منها، قال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي في شرحه: عون المعبود - شرح السنن أبي داود » ٨٤/٨.

(نسخ عبد الحميد ليحيى بن سعيد كلا الكتابين) ونرمز لروايات عون المعبود في شرح الوصية بالحرف (ج).

(٢) ب: ما كتب عبد الله عمر في ثمغ... الخ.

(٣) ثمغ - بفتح فسكون، وحكي المنذري - فيها - فتح الميم: أرض تلقاء المدينة، كانت نخلا أصابها عمر - رضي الله عنه - من يهود بني حارثة بتصرف عن « عون المعبود ».

صرمة - بكسر فسكون ففتح - هو، وثمغ، مالان لعمر بالمدينة، وقيل المراد بالصرمة - في حديث عمر: القطعة الخفيفة من الخل ومن الابل ا هـ بتصرف عن « عون المعبود » وعلى الاخير تثبت الالف في (ابن).

(٥) أي الذي في ثمغ للعمل فيها « عن عون المعبود بتصرف ».

(٦) ج: عن عبد الله بن عمر: جاء عمر فقال: يارسول الله، اني اصبت مالا لم أصب مالا مثله قط، كان لي مائة رأس فاشتريت بها مائة سهم من خيبر من أهلها.

(٧) ج: عند عمر بن شبة... « والمائة وسق التي أطعمني النبي ﷺ فانها مع ثمغ على سننه الذي أمرت به ».

(٨) في عون المعبود: « المراد بالوادي يشبه أن يكون وادي القرى... وهو واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى ».

ب: وان شاء ولي ثمغ اشترى من ثمره رقيقا لعمله.

وكتب معيقيب، وشهد عبد الله بن الأرقم. ا هـ.

مع الوصية عرضا ودراسة:

تحدثنا وصايا عمر عن حرصه الشديد على الرعية، وتعليمها، وحماية حقوقها وممارسته للاسلام تشريعا وتطبيقا، وملاحقته - من أجل ذلك - عما له وقواده بوصاياه.

وقد أثمرت وصاياه فكان الفتح الامين في الجبهات الحربية، ثم العدل المكين في الرعية، فما طمع شريف في حيف، ولا يئس ضعيف من عدل.

ولقد أخلص من دراستي لوصاياه - رضي الله عنه - الى بضعة ملاحظات أجملها فيما يأتي:

أ - أنه - رضي الله عنه - يصدر - في وصاياه - عما رضيه الله لعباده من كل ما هو أصيل كريم، فيستمد من كتاب الله ومن تعاليم رسوله، وما رضيه الله ورسوله للمؤمنين، لذا كانت وصاياه متفقة مع كل ما هو انساني نبيل صلح عليه أمر هذا العالم من قديم.

فهو يصدر عن كتاب الله حين يقول لولده: « [1] اتق الله يقك وأقرض الله يجزك واشكره يزدك » وهذه المعاني بارزة في كتابه عز وجل.

ووصيته التي أملى فيها « دستور الحرب » الاسلامي[2] - وصية اسلامية خالصة يصدر عمر - في أكثر مضمونها، بل وفي غالب لفظها - عن وصية لرسول الله ﷺ رواها الامام أبو حنيفة[3]، ثم تبعه في تسجيلها لرسول الله ﷺ الامامان: مسلم والترمذي[4] - رضي الله عنهما، ومسلم أوعب، روى مسلم - بسنده - قال:

« [5] كان رسول الله ﷺ . اذا أمر اميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال:

---

(١) ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة ٩٣/٣.

(٢) البحث ص ٢٥٥.

(٣) الحصكفي - مسند ابي حنيفة ص ٣٣.

(٤) صحيح الترمذي ١١٨/٧.

(٥) صحيح مسلم ١٣٩/٥، ١٤٠.

اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلو ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا.

واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم:

ثم ادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم الى التحول [1] عن دارهم الى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم ـ ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فان أبوا أن يتحولوا عنها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين.

فان هم أبو فسلهم الجزية، فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فان هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.

واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فانكم ـ ان تخفروا [2] ذممكم وذمم اصحابكم ـ أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله.

واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فانك لا تدري: أتصيب حكم الله فيهم أم لا».

ووصية رسول الله ﷺ هذه لأهميتها ـ في بابها وجدنا منها في وصية لأبي بكر ـ رضي الله عنه [3].

---

(١) أي الانتقال من دار الكفر الى دار الايمان، وكانت الهجرة اذ ذاك واجبة راجع هامش صحيح مسلم ١٤٠/٥.

(٢) الاخفار: نقض العهد قال النووي: الذمة هنا العهد. نفس المصدر ١٤٠/٥.

(٣) راجع موطأ مالك ٦/٢، ٧.

ثم يوصي بما هو حق، اذ يقول:

« [1] عليك باخوان الصدق فكس في اكتسابهم فانهم زينة في الرخاء عدة في البلاء.

... ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك فيفضحك» وقوله لقائده أبي عبيد الثقفي:

« ... [2] واخزن لسانك ولا تفشين سرك، فان صاحب السر ما ضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه، واذا ضيعه كان بمضيعة» وقوله للاحنف:

« ... [3] يا أحنف، من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به».

فالوصية باختيار اخوان الصدق والمحافظة عليهم، ومجانبة الفاجرين، وحفظ اللسان وكتمان السر وتجنب الهذر، وأمثال ذلك من الوصايا حق نجده في الكتاب والسنة، ولا يخرج عليه حكماء البشر من قديم، وظهر انطباعه في ألوان شتى من فن القول: حكمة ومثالا ووصية.

وفي التراث الجاهلي ـ من ذلك ضروب، فقد ورد في صدق الاخوة: « حميم المرء واصله [4] » أي ناصره ومعينه.

ونفر الحارث بن كعب من الغادر الفاجر، فقال:

« [5] ما صافحت يميني يمين غادر، ولا قنعت لنفسي بخلة فاجر».

ومنها في السر:

---

(١) البحث ص ٢٥٧.

(٢) البحث ص ٢٥٥.

(٣) البحث ص ٢٥٠.

(٤) الميداني ـ مجمع الامثال ١٩٩/١.

(٥) ابن ابي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ١٥٤/٤.

صدرك أوسع لسرك « و » أملك الناس لنفسه أكتمهم لسره [١] ».

وفيمن اكثر المزاح والهذر:

« المزاحة تذهب المهابة »، « من أكثر أهجر » [٢].

وفي الادب المصري القديم ألوان من هذه الوصاية [٣]، فان مضمونها حقيق بتقدير الانسان، أيا كان.

لذلك نقول: ان عمر أوصى ـ حين أوصى ـ بما هو حق وعدل وخير وجمال.



ب ـ وصية عمر ـ كأي وصية ـ تحمل أحد طابعين: اما التحذير من شيء لما فيه من مكروه وفساد فتحض على نبذه، واما الاقبال عليه لما فيه من صلاح فتحث على عمله:

أوصى أبا موسى الاشعري محذرا من الزيغ فكتب له:

« ... [٤] اما بعد:

---

(١) الميداني ـ مجمع الامثال ٣٩٦/١ ـ ٢٨٧/٢.

(٢) نفس المصدر ٢٨٧/٢، ٢٩٧.

(٣) ذكر الاستاذ محرم كمال في كتابه « الحكم والامثال والنصائح عند المصريين القدماء » طبع دار القلم بالقاهرة عام ٦٢ ـ في النصائح المترجمة عن نصوص مصرية قديمة، قول (آني) لولده (جنس حتب)
« ابتعد عن الرجل الشرير، ولا تتخذ منه صديقا، وتخير إخوانك بعد أن تبلوهم وتتحقق من صدقهم واستقامتهم، وتجنب من كان سيء السيرة (ص ٩١).
وفي الفصل الحادي والعشرين من تعاليم (آمنمو بي) الى ولده:
« لا تفض بسرك لانسان، ولا تذع أقوالك لآخرين، ان الرجل الذي يحتفظ بأخباره في قرارة نفسه خير من الذي يفشيها فيصيبه الضرر » ص ١٢٣ ويقول (آني) المتقدم لولده:
لا تكثر من الكلام، فالصمت خير لك، ولذلك فلا تتحدث، ولا تكن ثرثارا وكن ـ قبل كل شيء ـ حريصا في كلامك، اذ أن هلاك المرء في لسانه ص ٨٩.

(٤) أبو يوسف ـ الخراج ص ١٤، ١٥ ـ وللوصية مصدران آخران (ب) للمحب الطبري ـ الرياض النضرة ٨٣/٢ ـ ج لابن الجوزي ـ سيرة عمر بن الخطاب ص ١١٢.

فان أسعد الرعاة من سعدت به رعيته، وان اشقى الرعاة من شقيت به رعيته[1]، واياك[2] أت تزيغ فتزيغ عمالك، فيكون مثلك[3] عند الله مثل البهيمة نظرت الى خضرة من الارض فرتعت[4] فيها تبتغي بذلك السمن وانما حتفها في سمنها، والسلام».

وأوصى عتبة بن غزوان ـ وقد وجهه الى البصرة، فقال له:

«...[5] سر على بركة الله، واتق الله ما استطعت، واحكم بالعدل وصل الصلاة لوقتها، وأكثر من ذكر الله...».

وأسجل ـ هنا ـ سمات ثلاثا بدت لي خلال دراستي لوصايا عمر

أولاها: أن وصايا عمر يلزمها طابع «الامكان» فهي في طاقة الموصي وليس فيها ما ينوء به.

ثانيتها: دلالتها على خبرة عمر بطبيعة النفس البشرية، وحاجتها الدائمة الى التربص بها حتى لا تفسدها سلطة، أو تبطرها نعمة، او تنحرف بها ثقة مفرطة الى استبداد، فَأَنَفِ من المشاورة، وكما حذر الانسان من نفسه حذره أيضا من طرح الثقة في غير أهلها.

أوصى عتبة بن غزوان ـ وقد وجهه الى البصرة، فقال له:

«...[6] واتق الله فيما وليت، واياك أن تنازعك نفسك الى كبر يفسد عليك اخوتك، وقد صحبت رسول الله ﷺ فعززت به بعد الذلة، وقويت به بعد الضعف

---

(١) ب: واشقاهم من شقيت ج: أشقى الرعاة عند الله.

(٢) ج: اياك أن ترتع فترتع.

(٣) ج: مثلك عند ذلك.

(٤) ب: ورعت.

(٥) من وصايا العام الرابع عشر ـ والنص بتاريخ الطبري ٥٩٠/٣ ـ وأشار ابن كثير اليها في ـ البداية والنهاية ٤٧/٧.

(٦) راجع الوصية كاملة ـ في الوصايا المحققة ص ٢٧٣.

حتى صرت أميرا مسلطا وملكا مطاعا، تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك، فيا لها نعمة ان لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك على من دونك...».

وقال - في الثقة بالآخرين - في ايجابية لا تلغيها: «...[1] واحذر صديقك الا الأمين، والأمين من خشي الله تعالى...».

هكذا يشير عمر الى بيت الداء ويضع الدواء، ويبرز الخطأ ويرشد الى الصواب.

ثالثها: مساعدة الموصي - ما أمكن - بتقديم ما يساعده على العمل بالوصية، وتحقيق الانتفاع بها:

هاجر عمر صحبة عياش بن أبي ربيعة، فلما نزلا المدينة، جاء الى عياش أخواه لأمه وابنا عمه: أبو جهل والحارث ابنا هشام، وكان يعلمان شدة بر عياش لوالدته، فأتياه من قبل ذلك، فحدثاه بأن أمه قد نذرت ألا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراه، فرق لها، وأدرك عمر الشرك فقال له: «...[2] يا عياش، انه - والله - ان يريد القوم الا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فو الله لو قد آذى أمك القمل لا متشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت.

قال عمر: فقال: أبر قسم أمي، ولي هنالك مال فآخذه

قال: فقلت: والله - انك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما.

قال: فأبى عليّ الا أن يخرج معهما، فلما أبى الا ذلك... قلت له: أما اذ قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه، فانها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها، فان رابك من القوم ريب فانج عليها».

---

(١) البحث ص ٢٥٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١٧٠/٤

وعمي سعيد بن يربوع القرشي المخزومي ـ رضي الله عنه« [1] » ايام عمر بن الخطاب فأتاه عمر يعزيه بذهاب بصره، وقال:

لا تـدع الجمعة ولا الجماعة في مسجد رسول الله ﷺ قال: ليس لي قائد.

فبعث اليه عمر بقائد من السبي...».

جـ ـ بعض الوصايا ينبغي الاحتياط الشديد في قبول نسبته الى عمر، من ذلك:

١) وصية تروي أن عمر «...[2] نظر الى ابنه عبد الله ـ فقال: أي بنـي، أي والد كنت لك؟ قال: خير والد، قال: فأقسمت عليك بحقي لما احتملتني حتى تلصق خدي بالأرض حتى أموت كما يموت العبد، فقال عبد الله: ان ذلك ليشتد علي يا أبتاه! قال: ثم قال: قم، فلا تراجعني. قال: فقام فاحتمله حتى ألصق خده بالأرض، ثم قال: يا عبد الله، أقسمت عليك بحق الله وحق عمر ـ اذا مت فدفنتني ـ لما لم تغسل رأسك حتى تبيع من رباع آل عمر بثمانين ألفا فتضعها في بيت مال المسلمين...».

وهذه الوصية ذات مضمون يبرأ منه عمر، وان سيق الى جانب «الدين» رغبة في تقرير حصوله. ونترك الدين؛ فانه من حيث هو حق، لكن ليس (في الصحيح) أنه كان مدينا لبيت مال المسلمين [3] حتى الشيعة أنفسهم يقرون بذلك [انظر شرح نهج البلاغة ٥٨/٣] ★.

وبعد: ففي النص قسم بحق عمر، ما كان ليكون، فهو من قبيل الحلف بالأبوة، وقد نهى رسول الله ﷺ عمر عنه وقد سمعه يحلف بـ «الخطاب» فقال له:

---

(١) ابن الاثير ـ أسد الغابة ٤٠١/٢.
(٢) ابن حجر ـ المطالب العالية ٦٤/٤.
(٣) صحيح البخاري ٢١/٥.
★ جل من لا يسهو سبحانه: فإن ابن حجر الذي ضعف في المطالب العالية هذه الرواية، واتضح لنا من المتابعة، وجود كاذب فيها ذكرها في الفتح ولم ينبه لها. «[illegible]».

« ...[1] ان الله ـ عز وجل ـ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، قال عمر: فو الله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها ولا تكلمت بها ذاكرا ولا آثرا ».

ونظير حلفه بأبيه حلفه بحقه على ولده فهو حلف بالأبوة لا يكون من عمر على الرغم مما للأبوة من حق عظيم، فالله أعلى وأجل وأعظم.

وفي النص دعوى الى جاهلية أخرى حيث يقول: لما لم تغسل رأسك حتى تبيع... الخ » وانما كان ذلك قبل أن يعرف العرب الاسلام يحثون أنفسهم على الاخذ بالثأر بامتناعهم عن غسل الرأس[2] وغيره حتى ينالوا ثأرهم، وعمر أحرص الناس على الاسلام وأشدهم استمساكا بدين الله وتخلصا من الجاهلية.

واذا تركنا المضمون الى سند الوصية وجدنا فيه (ثمامة بن عبيدة أبا خليفة العبدي) وهو ضعيف، بل كذبه ابن المديني صراحة كما مر[3].

ثم اطلعت على الوصية في « الزهد » للامام ابن حنبل ـ رضي الله عنه ـ بصيغة أخرى:

« ...[4] عن ابن عمر قال: أوصاني عمر بن الخطاب فقال: اذا وضعتني في لحدي فأفض بخدي الى الأرض حتى لا يكون بين خدي وبين الارض شيء ».

وقد تكون هذه الوصية أقرب الى القبول، لكنها بدورها لم ترد في الصحيح[5].

٢) روى صاحب الطبقات قال: « أخبرنا[6] محمد بن عمر قال: أخبرنا ربيعة بن عثمان أن عمر بن الخطاب أوصى أن تقر عماله سنة، فأقرهم عثمان سنة.

---

(١) مسند أحمد ٢٠٤/١.

(٢) راجع لابن قتيبة ـ الشعر والشعراء ٥٢/١، ٥٨ نشر وتوزيع دار الثقافة ببيروت ١٩٦٤.

(٣) راجع لابن حجر ـ الطالب العالية ٦٤/٤ ـ وللكناني ـ تنزيه الشريعة ٤٣/١ والبحث ص ١٥٠.

(٤) الامام أحمد بن حنبل ـ كتاب الزهد ص ١٢٠.

(٥) راجع صحيح البخاري ٢٠/٥ وما بعدها.

(٦) طبقات ابن سعد ٣٥٩/٣.

وهذه الوصية تنافي ما نعلمه عن عمر من ضنه بطرح الثقة كاملة مطلقة في واحد من عماله، بل جميعهم، الى ملازمته لبث العيون من حولهم مراقبة لأعمالهم ومتابعة لسلوكهم، وما أكثر ما عزل من عماله. كذلك وجدناه يرفض أن يعين خليفة بعده، وقال كلمته المعروفة: « [١] أكره أن أتحملها حيا وميتا ».

فكيف يتحمل من هذا حاله مسؤولية هذه الوصية بين يدي ربه، وهو القائل: « [٢] وددت أن ذلك [٣] كفاف لا علي ولا لي ».

ثم وجدت لابن الجوزي الرواية التالية ذكرها في معرض مقتل عمر ووصاياه قال: « [٤] عن الشعبي - رحمه الله قال: كتب عمر - رضوان الله عليه - في وصيته: ألا يقر لي عامل أكثر من سنة ».

وهي صيغة مناقضة لابن سعد، لكنها أيضا لا تغري بالقبول، فبأي حق يمنع عمر الناس من العمل؟ وقد كان عماله أقطاب فقه وجهاد، والدين في حاجة الى أمثالهم في كل وقت. كل ذلك يدفعني الى انكار الوصيتين، وليس - في الصحيح - منهما شيء.

٣) وأرى - أيضا - أنه ليس ثم ما يدعو عمر - رضي الله عنه - الى أن يوصي: ألا تخرج خلفه امرأة، وألا يتبع بنار [٥]، ونحو ذلك مما نهي عنه الاسلام: والعصر عصر النبوة، والاسلام غض وأصحاب رسول الله ﷺ أحرص على اتباعه، ولم يثبت عن عمر في هذا الشأن الا نهيه عن الصياح [٦].

---

(١) ابن حجر - فتح الباري ٥٥/٧.
(٢) صحيح البخاري ٢٠/٥.
(٣) اشارة الى عمله - رضي الله عنه - حين عظموه له بعد طعنه تبشيرا له بالجنة الباحث.
(٤) ابن الجوزي - سيرة عمر بن الخطاب ص ١٩٧.
(٥) طبقات ابن سعد ٣٥٩/٣، ٣٦٧.
(٦) البحث ص ٧٩ - ٨٠.

نماذج محققة من وصايا عمر
ـ رضي الله عنه ـ

١) وصيته « لـ » « هني »[١] عامله على حمى « الربذة »[٢] « [٣] مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ استعمل مولى له يدعى هنيا على الحمى ، فقال[٤] :

يا هني[٥] ، اضمم[٦] جناحك عن الناس[٧] ، واتق دعوة[٨] المظلوم ، فان[٩] دعوة

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري ـ عن هني: « مصغر بغير همز وقد يهمز ، وهذا المولى لم أر من ذكره في الصحابة مع ادراكه .. و... آل هني ينتسبون في همدان، وهم موالي آل عمر... ا هـ فتح الباري ١٢٢/٦ .

(٢) هو حمي الربذة في نص رواية أبي عبيد في الأموال ـ انظر هنا الحاشية رقم (٤).

(٣) موطأ مالك ١٦١/٣ ـ وللوصية مصادر اخر:

ب) صحيح البخاري ٨٧/٤ (ج) روايات ابن حجر بفتح الباري ١٢٢/٦

د) مسند الامام الشافعي ص ١٢٤ (هـ) أبو عبيد الهروي ـ الاموال ص ٣٧٦ .

و) المحب الطبري ـ الرياض النضرة ٧٩/٢ .

(٤) هـ: زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر ـ وهو يقول لهني ـ حين استعمله على حمى الربذة ـ. و: عن أسلم أن عمر استعمل مولى له على الصدقة يدعى هنيئا .

(٥) هـ، و: يا هنيء .

(٦) و: ضم .

(٧) ب: عن المسلمين ج: جناحك للناس .

(٨) ب: دعوة المسلمين

(٩) هـ، و: فانها مجابة .

المظلوم مجابة[١] ، وأدخل رب الصريمة والغنيمة[٢] ، واياي[٣] ونعم ابن عفان[٤] وابن عوف.

فانهما ـ ان تهلك[٥] ماشيتهما ـ يرجعان الى المدينة الى زرع ونخل[٦] وان رب الصريمة والغنيمة[٧] ـ ان تهلك ماشيته[٨] ـ يأتيني ببنيه[٩] ، فيقول[١٠]: يا أمير المؤمنين، يا أمير المؤمنين[١١]!! أفتاركهم[١٢] أنا ، لا أبالك ، فالماء والكلأ أيسر علي من الذهب والورق[١٣].

وايم الله ، انهم ليرون أن[١٤] قد ظلمتهم ، انها لبلادهم[١٥] ومياههم قاتلوا عليها في

---

(١) ب : مستجابة.

(٢) ب ، و : ورب الغنيمة.

(٣) د : واياك هـ : ودعني من نعم.

(٤) ب : نعم ابن عوف ونعم ابن عفان.
هـ : نعم ابن عفان ونعم ابن عوف.

(٥) هـ : هلكت.
هـ : رجعا الى نخل وزرع.

(٦) يرجعا الى نخل وزرع
و : يرجعان الى زرع ونخل.

(٧) ب : ورب الغنيمة.

(٨) ب ، و : ما شيتهما.

(٩) ج : ببيته.

(١٠) هـ : وان هذا المسكين ، ان هلكت ماشيته جاء يصرخ.

(١١) في ب ، هـ ، و غير مكررة.

(١٢) (أفتاركهم أنا) ليست في : هـ ـ و : أفتاركه أنا.

(١٣) هـ : أفا لكلأ أهون على أم غرم الذهب والورق ، وانها لارضهم... الخ
و : أيسر على من الذهب والفضة.

(١٤) ب : أني و : أنا قد ظلمناهم.

(١٥) لبلادهم فقاتلوا... الخ هـ : وانها لأرضهم. و : وانها لبلادهم.

الجاهلية، وأسلموا عليها في الاسلام [١]، والذي نفسي بيده [٢] لولا المال [٣] الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم [٤] من بلادهم شبرا».

٢) وصيته لسعد بن أبي وقاص حين سرحه الى حرب العراق.

تقدم - في البحث - وصية عمر لسعد - رضي الله عنهما - حين استقدمه من هوازن وولاه حرب العراق [٥]، وهذه وصيته له حين سرحه، قال ابن جرير الطبري: « ... [٦] ولما أراد أن يسرحه دعاه فقال:

اني قد وليتك حرب العراق، فاحفظ وصيتي، فانك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه الا الحق، فعود نفسك ومن معك الخير، واستفتح به، وأعلم أن لكل عادة

---

(١) هـ: في الاسلام، وانهم ليرون أنا نظامهم.

(٢) (والذي نفسي بيده) لم تثبت في هـ و: والله.

(٣) هـ: ولولا النعم التي يحمل عليها في سبيل الله ما حميت على الناس شيئا من بلادهم أبدا و: لولا أن المال.

(٤) و: ما حميت على الناس من بلادهم شيئا

حاشية: روى أبو عبيد - في الأموال ص ٣٧٧ - بسنده - قال:

«أتى أعرابي عمر، فقال يا أمير المؤمنين، بلادنا، قاتلنا عليها في الجاهلية وأسلمنا عليها في الاسلام، علام تحميها؟

فأطرق عمر، وجعل ينفخ ويفتل شاربه، وكان اذا كربه أمر فتل شاربه ونفخ، فلما رأى الاعرابي ما به جعل يردده ذلك عليه، فقال عمر:

المال مال الله والعباد عباد الله، والله لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حميت من الارض شبرا في شبرا. ا هـ.

راجع - لهذه الحاشية أيضا طبقات ابن سعد ٣٢٦/٣ حيث يتصل سندها كما رأى أبو عبيد رحمه الله.

(٥) البحث ص ٢٥١.

(٦) تاريخ الطبري ٤٨٣/٣ *ولها رواية (ب) لابن كثير - البداية والنهاية ٣٦/٧ - وأشار لها ابن الاثير بالكامل في التاريخ ٤٥١/٢ فقال: «ووصاه بالصبر وسرحه فيمن اجتمع اليه من نفر المسلمين ا هـ».

عتادا، فعتاد الخير الصبر، فالصبر [١] على ما أصابك أو نابك [٢]، يجتمع [٣] لك خشية الله.

واعلم أن لخشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته واجتناب معصيته وانما اطاعه [٤] من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وعصاه [٥] من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة.

وللقلوب حقائق ينشئها الله انشاء، منها السر ومنها العلانية، فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه في الحق سواء، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه، وبمحبة الناس [٦]، فلا تزهد في التحبب فان النبيين قد سألوا محبتهم، وان الله اذا أحب عبدا حببه، واذا أبغض عبدا بغضه، فاعتبر منزلتك عند الله [٧] ـ تعالى ـ بمنزلتك عند الناس».

٣) وصية له في القضاء

روى الجاحظ عن حفص بن صالح الازدي عن عامر الشعبي قال « [٨] كتب عمر الى معاوية:

---

(١) في ب اختصار قال: ولما أراد فراقه قال له:
انك ستقدم على أمر شديد فالصبر الصبر على ما أصابك.

(٢) ب: ونابك.

(٣) كذا ـ.

(٤) ب: وانما طاعة:

(٥) ب: وانما عصيان.

(٦) ب: وبمحبة الناس، ومن محبة الناس.

(٧) ب: عند الله بمنزلتك.

(٨) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٤٦/٢ ـ ولها مصادر أخر: (ب) أبو يوسف الخراج ص ١١٧ (ج) المحب الطبري ـ الرياض النضرة ٨٠/٢ ـ (د) ابن الجوزي ـ سيرة عمر بن الخطاب ص ١١٣ (هـ) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٨٤/١ (و) ابن ابي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ٩٣/٣ (ز) نفس المصدر ١١٩/٣.
وأوفاها بالنص والخصلل الخمس رواية الجاحظ، بينما سجلت المصادر ب ج د أربع خصال منها مع نصها على أنها خمس ـ وفي هـ: الخصال الخمس دون النص على العدد.
وينفرد ابن أبي الحديد في النص (و) على ثلاث ـ وفي النص (ز) على التحديد بأربع وجعل النصر

أما بعد[١] ، فاني كتبت اليك بكتاب[٢] في القضاء[٣] لم آلك ونفسي فيه خيرا الزم خمس خصال[٤] يسلم لك دينك وتأخذ[٥] بأفضل حظك[٦]:

اذا تقدم اليك خصمان[٧] فعليك بالبينة[٨] العادلة أو اليمين[٩] القاطعة[١٠] وأدن[١١] الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه[١٢]، وتعهد[١٣] الغريب فانك ـ ان لم تتعهده ـ ترك

= (و) مستقلا ، بينما النص (ز) متصلا برسائل أخر تخالف الروايات السابقة مجتمعة.
ونص الجاحظ والنصان (هو) موجهة الى معاوية ـ رضي الله عنه ـ والنصوص: (ب ج د) موجهة الى أبي عبيدة بن الجراح ـ رضي الله عنه ـ وينفرد النص (ز) وهو ـ متداخل، كما قلت ـ بتوجيهه الى أبي موسى ـ وقد يدل ذلك اجمالا على ان الكتاب ارسل الى كل من قام لعمر بالقضاء.

(١) العبارة: «أما بعد ـ الى ـ بأفضل حظك» لم تثبت في كل من: هـ و
(٢) ج: كتابا.
(٣) «في القضاء» لم تثبت الا في رواية الجاحظ
(٤) ب، ج: خلال.
ز: الزم أربع خصال.
(٥) ب، ج، د: وتحظ
ز: وتحيط كذا
(٦) ب: حظيك.
(٧) ب، ج، د: اذا حضرك الخصمان ـ هـ: الخصمان ـ ز: اذا حضر الخصمان.
(٨) ب، ج، د، ز بالبينات العدول.
(٩) ب، ج، د، ز: والايمان القاطعة.
(١٠) ب، ج، د، ز: ثم.
(١١) هـ: وادناء و: اياك والاحتجاب دون الناس، وائذن للضعيف وهي أول الرسالة في: و، ز: ائذن للضعيف.
(١٢) ب: حتى تبسط لسانه ويجترىء قلبه
جـ: حتى ينبسط لسانه ويجري قلبه
د، و، ز: حتى ينبسط لسانه ويجترىء قلبه.
(١٣) ج، د، هـ، ز: وتعاهد.

حقه ورجع الى أهله [1]، وانما ضيع حقه من لم يرفق به [2].

وآس بينهم في لحظك وطرفك [3]، وعليك بالصلح [4] بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء».

٤) وصيته لعتبة بن غزوان حين وجهه الى البصرة

قال عبد الملك بن عمير:

«...[5] ان عمر قال لعتبة بن غزوان، اذ وجهه الى البصرة:

يا عتبة، اني[6] استعملتك على أرض الهند [7]، وهي حومة من حومة

---

(١) ب، ج، د: فانه - اذا طال حبسه ترك حاجته وانصرف الى أهله

هـ: فانك - ان لم تتعاهده - سقط حقه ورجع الى أهله

و: فانه - اذا طال حبسه ودام أذنه - ضعف قلبه وترك حقه انتهى «و».

ز: فانه - اذا طال حبسه - ترك حاجته وانصرف إلى أهله

(٢) ب: وان الذي أبطل من لم يرفع به رأسا. كذا وتبدو أوضح في: ج.

ج: وانما الذي أبطل حقه من لم يرفع به رأسا

د: واذا الذي أبطل حقه من لم يرفع به راسا والعبارة لم تثبت في: ز.

(٣) «وآس بين الناس في لحظك وطرفك» لم تثبت في كل من: ب، ج، د، ز.

(٤) ب: واحرص على الصلح ما لم يستبن لك القضاء والسلام

ج: واحرص على الصلح ما لم يتبين لك القضا والسلام عليك

د، ز: واحرص على الصلح ما لم يبن لك القضاء والسلام.

وفي: ز: والسلام عليك.

(٥) تاريخ الطبري ٥٩٣/٣ - ولها مصادر: (ب) لابن الاثير - الكامل في التاريخ ٤٨٦/٢ (ج) لابن كثير - البداية والنهاية ٤٨/٧ (د) لابن عبد ربه - العقد الفريد ١٥١/٣. والمصدران الاولان يدلان على مشافهة عمر عتبة بها، والاخيران جعلاها كتابا، وبدأت في الثلاثة الاولى بقوله: ياعتبة... الخ - فأما المصدر الاخير فقد اقتصر على جزء منها بدأه بقوله «أما بعد» عقب قوله: كتب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة.

(٦) ب: اني قد.

(٧) أطلق على البصرة أرض الهند لأنها كانت مفتاحا اليها وقتئذ: راجع المصادر الثلاثة الاولى. الباحث وانظر (فرج الهند) في الأبلة ثغر البصرة البحث ص ٢٨٨ حاشية (٨) فصل الرسالة.

العدو، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها، [١]. وأن يعينك عليها، وقد كتبت الى العلاء بن الحضرمي ان [٢] يمدك بعرفجة بن هرثمة، وهو ذو مجاهدة العدو ومكايدته [٣]، فاذا قدم عليك فاستشره [٤] وقربه.

وادع الى الله، فمن أجابك فاقبل منه، ومن أبى فالجزية [٥] عن صغار وذلة، والا فالسيف في غير هوادة.

واتق الله - فيما وليت، واياك أن تنازعك نفسك الى كبر [٦] يفسد عليك أخوتك [٧]، وقد صحبت رسول الله ﷺ فعززت به بعد [٨] الذلة، وقويت [٩] به بعد الضعف، حتى [١٠] صرت أميرا مسلطا وملكا مطاعا: تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع [١١] أمرك، فيا لها نعمة ان [١٢] لم ترفعك [١٣] فوق قدرك، وتبطرك [١٤] على من دونك.

---

(١) ب: ما حولها ويعينك

(٢) ج: العلاء بن الحضرمي يمدك.

(٣) ب: ذو مجاهدة ومكايدة للعدو - ولم تثبت جملة: وهو ذو مجاهدة في ج.

(٤) ب: فاستشره وادع الى الله الخ..

(٥) ب: فالجزية والا فالسيف، واتق الله فيما وليت.

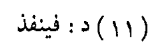
(٦) ب: كبر مما يفسد (ج) كبر فتفسد.

(٧) ج: آخرتك.

(٨) ج: فعززت بعد الذلة.

(٩) ج: وقويت بعد.

(١٠) بداية (د) قال: أما بعد، فقد أصبحت أميرا تقول فيسمع منك.



(١١) د: فينفذ



(١٢) ج: اذا لم

(١٣) ج: ترق

(١٤) ج: وتبطر علي. د: وتطغك.

(١) احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية [٢] ، ولهي [٣] أخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك [٤] فتسقط سقطة تصير [٥] بها الى جهنم، أعيذك بالله ونفسي من ذلك.

ان الناس أسرعوا الى الله حين [٦] رفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله ولا ترد الدنيا، واتق مصارع الظالمين [٧] .

٥) وصيته بالشورى والرعية

بعد أن طعن عمر - رضي الله عنه - وأذن للناس فدخلوا عليه: « ... [٨]

قالوا:

أوص [٩] - يا أمير المؤمنين، استخلف!! قال:

---

(١) ب: واحتفظ د: فاحترس.

(٢) د: أشد من احتراسك من المصيبة.

(٣) ج: هي. وهذه الجملة الى (وتخدعك) لم تثبت في د.

(٤) د: واياك ان تسقط.

(٥) ج: فتصير. د: سقطة لالعالها - أي لا اقالة لها - وتعثر عثرة لا تقالها والسلام.

(٦) ب، ج: حتى (ويبدو صواب المعنى معها دونه في رواية الطبري). الباحث.

(٧) يلي ذلك في ب:

انطلق أنت ومن معك حتى اذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم فأقيموا. ا هـ.

ونفس العبارة أفردها الطبري في حديث من عمر لعتبة حين وجهه الى البصرة أيضا راجع تاريخ الطبري ٥٩١/٣.

(٨) صحيح البخاري ٢٠/٥، ٢١ - وللوصية مصادر أخر:

(٩) ب: روايات ابن حجر بفتح الباري ٥٤/٧ (ج) مسند أحمد ٣١٠/١.

(د) يحيى بن آدم القرشي - الخراج ص ٧١ - (هـ) أبو يوسف - الخراج ص ١٢٥ (و) أبو عبيد الهروي - الاموال ص ١٦٨ (ز) ابن الجوزي سيرة عمر بن الخطاب ص ١٨٨ (حـ) تاريخ الطبري ١٩٢/٤ - (ط) ابن الاثير الكامل في التاريخ ٥١/٣ (ي) ابن الاثير - أسد الغابة ٥٩٢/٣ - ١٧٧/٤ بلفظ واحد والاول أتم.

ج: عن جويرية بن قدامة: ... ثم أذن لأهل العراق قَدَ خَلْتُ فيمن دخل، قال: فكان كلما دخل عليه قوم أثنوا عليه وبكوا قال: فلما دخلنا عليه قال - وقد عصب بطنه بعمامة سوداء، والدم يسيل - قال: فقلنا أوصنا، قال: وما سأله الوصية أحد غيرنا، فقال: عليكم بكتاب الله فانكم لن تضلوا ما =

ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرهط، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

فسمي عليا وعثمان والزبير[١] وطلحة وسعدا وعبد الرحمن[٢] وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء كهيئة[٣] التعزية له. فان أصابت الامرة[٤] سعدا[٥] فذاك[٦]، والا فليستعن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، وقال:

أوصى[٧] الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف[٨] لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم.

واوصيه[٩] بالأنصار خير الذين تبؤوا الدار والايمان[١٠] من قبلهم أن يقبل من محسنهم، وأن يعفي[١١] من مسيئهم.

وأوصيه[١٢] بأهل الأمصار خيرا، فانهم رده الاسلام، وجباة المال وغيظ العدو،

= اتبعتموه.

(١) ز: وطلحة والزبير.

(٢) ز: وعبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنهم.

(٣) في ب: عن الكرماني: (كهيئة التعزية له) من كلام الراوي لامن كلام عمر.

(٤) ب: ... الامارة.

(٥) ب: زاد المدايني: وما أظن أن يلي هذا الأمر الا علي أو عثمان، فان ولي عثمان فرجل فيه لين، وان ولي علي فستختلف عليه الناس، وان ولي سعد، والا فليستعن به الوالي.

(٦) ز، ي: فهو ذاك.

(٧) ج: أوصيكم بالمهاجرين فان الناس سيكثرون ويقلون.

(٨) ي: أن يعرف حقهم.

(٩) ج: وأوصيكم بالأنصار فانهم شعب الاسلام الذي لجيء اليه ح، ط: وأوصي الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تبؤوا الدار والايمان أن يحسن الى محسنهم.

(١٠) ز: والايمان أن يقبل.

(١١) زح: وأن يعفو. ط: ويعفو ي: وأن يغضي.

(١٢) د: أوصي الخليفة من بعدي بأهل الأمصار خيرا، فانهم جباة المال، وغيظ العدو، ورده المسلمين، وأن يقسم بينهم فيؤهم بالعدل.

وألا [1] يؤخذ منهم الا فضلهم عن رضاهم.

وأوصيه [2] بالأعراب خيرا فانهم أصل ومادة الاسلام أن يؤخذ [3] من حواشي [4] أموالهم [5] وترد على فقرائهم.

وأوصيه [6] بذمة الله وذمة رسوله ﷺ [7] أن يوفي لهم بعهدهم [8]، وأن يقاتل من ورائهم، ولا [9] يكلفوا الا [10] طاقتهم.

---

(١) د: وألا يحمل من عندهم فضل الا بطيب أنفسهم.

(٢) ج: وأوصيكم بالأعراب، فانهم أصلكم ومادتكم.
ح: وأوصى الخليفة من بعدي بالعرب فانها مادة الاسلام
ط: وأوصى الخليفة بالعرب، فانهم مادة الاسلام.

(٣) ز، ي: أن يأخذ.

(٤) ح، ط: صدقاتهم حقها فيوضع في فقرائهم.

(٥) ز: أملاكهم، ويرد.

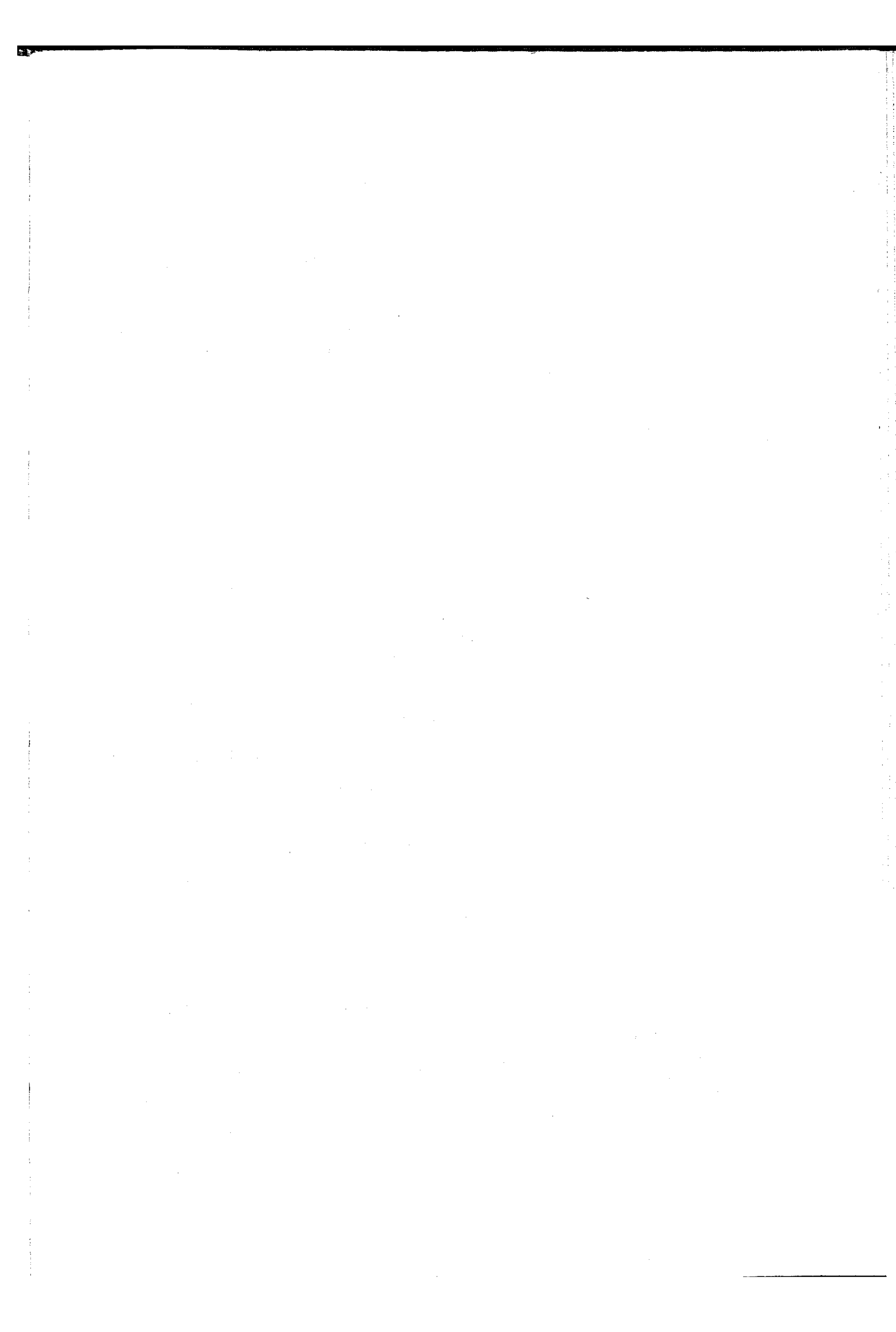
(٦) ج: وأوصيكم بأهل ذمتكم، فانهم عهد نبيكم، ورزق عيالكم، قوموا عني.
هـ: أوصي - ح: وأوصى
هـ، ح: الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ.
ط: وأوصى الخليفة بذمة رسول الله ﷺ.

(٧) و: ... وسلم - خيرا.

(٨) (أن يوفي لهم بعهدهم) لم تثبت في: و
ح: أن يوفي لهم بعهدهم، اللهم هل بلغت! تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الرحة.
ط: أن يوفي لهم بعهدهم، اللهم هل بلغت. لقد تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة.

(٩) و: وألا

(١٠) هـ، و: فوق.



الفصل الثالث

رسائل عمر

الرسائل في الجاهلية
الرسائل في الاسلام
رسائل عمر من الرواية الى التدوين
بين يدي أغراض رسائل عمر
أغراض رسائل عمر
ألفاظ الرسالة وأسلوبها
عرض ودراسة
نماذج لرسائل محققة

الرسائل في الجاهلية:

تداول العرب ـ في الجاهلية ـ الرسائل التجارية والسياسية، وكتبوا العقود والمواثيق [1]، فاذا جاوزنا ألوان النثر هذه الى الرسائل الأدبية المحبرة ـ وهي غير ما يتبادله الناس من رسائل في شؤون ضرورية لا تحبير فيها ولا تنميق ـ وجدناها من النثر الفني الذي سلم بوجوده في الجاهلية أدباؤنا القدامى وكثير من المحدثين [2]، وأنكر ـ أن يكون ـ بعض الدارسين في العصر الحديث [3]، واحتاط البعض فلم يمض أحد الرأيين، وان مال إلى النفي [4].

وعندي أن طبيعة ما قدموا من تعريف للنثر الفني لا ينتهي بنا الى نفي وجوده، كذلك لا يرجح لديّ التوقف في اثباته، فثمة اجماع بين التعاريف المختلفة على مضمون

---

(١) راجع لدكتور شوقي ضيف ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ١٩
ولدكتور عمر فروخ ـ تاريخ الأدب العربي ـ الأدب القديم من مطلع الجاهلية الى سقوط الدولة الأموية ص ٣٨.
ولدكتور حسين نصار ـ نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ص ٢٠، ٢١:

(٢) راجع للاساتذة: دكتور حسن جاد ـ ود. خفاجة، ود السلوت ـ الأدب العربي بين الجاهلية والاسلام ص ٧٨ ـ ولدكتور محمد زكي عبد السلام مبارك ـ النثر الفني في القرن الرابع ٣٤/١.
وللاستاذ أحمد زكي صفوت ـ جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ١: ٩.

(٣) راجع رأي مسيو وليم مارسيه M. W. marcais بنفس المرجع لدكتور محمد زكي مبارك ص ١٣، ٣٣، ٣٤ ـ ولدكتور طه حسين ـ من حديث الشعر والنثر ص ٢٥.

(٤) دكتور حسين نصار ـ نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ص ٢٨

واحد، يعني أن النثر الفني هو:

ما حوى أفكارا منظمة خضعت للعناية والتروي، فخرجت في عرض جميل جذاب، ناشىء عن صياغة فصيحة الأسلوب، جيدة السبك مثيرة للاحساس باللذة الفنية [1].

فاذا كانت طبيعة النثر الفني هي بالاجماع:
أفكار
في بؤرة العناية والتروي.
برزت في صياغة جميلة مؤثرة.

فمن أين لنا ـ حتى ونحن نطرح راضين كل ما نسب للعصر الجاهلي من رسائل [2] ـ أن ننفي عن الجاهليين امكان «التروي» لابداع «أفكار منظمة وصياغتها نثرا بأسلوب جذاب؟

ان التروّي لابداع أفكار منظمة بأسلوب رائع وجدناه في أشعار الجاهليين وهذه حوليات زهير معروفة، ولا يمكن أن نقول: ان التروي المبدع لروائع الكلمة وقف

---

(١) راجع للأساتذة: د/ حسن جاد حسن، ود /محمد عبد المنعم خفاجة، د/ عبد الحميد المسلوت الأدب العربي بين الجاهلية والاسلام ص ٧٤.
ولدكتور محمد زكي عبد السلام مبارك ـ النثر الفني في القرن الرابع ٣٠/١.
ولدكتور شوقي ضيف ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ١٠٥.
ولدكتور شوقي أيضا ـ تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي ص ٣٩٨
ولدكتور طه حسين ـ من حديث الشعر والنثر ص ٢٤
ولدكتور / حسن نصار ـ نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ص ٣
«ويلاحظ أنه كتب عنه في معرض حديثه عن الكتابة الفنية، وقد نص دكتور شوقي ضيف في مؤلفه ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ١٥ على أن الكتابة الفنية» يسمّيها بعض الباحثين باسم النثر الفني. ا هـ/ الباحث.

(٢) هذه الرسائل مجموعة بـ (جمهرة رسائل العرب) للاستاذ أحمد زكي صفوت، راجع جزء أول ص ١٠

على الشعراء، فكيف كان الخطيب ـ إذا ـ يأخذ بألباب القوم حتى ليغضي حينا من شأن الشاعر؟.

أليس بتلك الصياغة التي يحدوها التروي؟ والأمر كذلك اذا هزت جاهلي مشاعر الأخوة نحو صديق فدعته الى ابداع أفكار جميلة منسقة يصوفها في روعة تفيض باخلاصه وشوقه، ويبعث بها في رسالة أخوية لصديقه، فذلك حق لا يستحيل حصوله وان افتقدنا منه مثالا [1].

ان خلو أيدينا من أثر أدبي للنثر الفني في الجاهلية لا يعني عدم وقوعه، لكنه يعني حقيقة واحدة، هي أننا لا نستطيع أن نحدد خصائص هذا الفن في عصره.

الرسائل في صدر الاسلام

ويفتتح هذا العصر بنثر معجز من فن القول الفريد، هو القرآن الكريم، تنزيل من الله العزيز الحميد يهدي به العالمين الى الحق على طريق مستقيم، وفي أقل من ربع قرن يهيمن على الجزيرة وتستهوي لغته الأفئدة، وتؤمن به القلوب، فاذا اللغة تتوحد في لهجته، ثم تجاوز أقطار الجزيرة الى أركان الأرض، ثم تبقى، وقد تخلت عن الحوشي والغريب، وما تنافر لفظه واستغلق معناه، فصار لها من القرآن جزالته، وسرت فيها عذوبته وسلاسته، حصيلة ايثار القوم للفظه وطريقته:

«وانه لذكر لك ولقومك «٤٣ ـ ٤٤»

وسار ـ في هدى القرآن ـ ضرب من الكلام هو قمة البيان البشري ذاك هو حديث المصطفى الأمين، كانت له ﷺ « [2] قدرته الفائقة على الاختراع والتشقيق

(١) يرى دكتور حسين نصار أن سبب ضياع اخوانيات الجاهلية عدم الاهتمام بجمعها، راجع نشأة الكتابة الفنية ص ٨٤.

والأقرب عندي: أن الأمية سبب مباشر في ضياعها (الباحث).

(٢) دكتور حسن جاد، ودكتور خفاجه، ودكتور المسلوت ـ الأدب العربي بين الجاهلية والاسلام ص ٢٥٨.

من الألفاظ، وتصوير المعاني بأروع الصور، وابتداع الأخيلة التي لم تعرف في كلام العرب».

«[1] وقد أوتي من اللسن والفصاحة ما ملك به أزمة القلوب، وكأنما كانت المعاني والأساليب موقوفة بشخوصها بين يديه ليختار منها ما تهش له الأسماع وتصغى له الأفئدة... يسعفه في ذلك ذوق مرهف وحس دقيق».

لذلك كان لفظه مثالا في رونقه، وأسلوبه أسوة في عذوبته.

واذا كان القرآن، ثم الحديث من بعده، أرفع شأوا وأبعد عن الأخذ فيهما بمنطق «النثر الفني للناس» لكن القرآن والحديث مدرسة ترشد بسهولة الى قيم فنية مؤثرة لمن أراد أن يبدع ـ عن ترو ـ أفكارا يعرضها في نثر بليغ، لذلك نما النثر وازدهر، وشملت موضوعات النثر الفني في هذا العصر غير الدعوة الى العقيدة والخطابة ـ كتابة الرسائل الدينية والسياسية[2]، وامتاز هذا النثر بحسن سبكه، وجمال رصفه، وقوة نظمه، واحكام فصوله والتئام اجزائه وببعده عن التعقيد والسجع المتكلف والغرابة والابتذال والقصور[3].

ولدينا أكثر من شاهد صادق الدلالة على التروي للتحبير والتجميل في ذلك العصر حتى لنجده بين النساء:

قال عمر ـ في معرض حوادث السقيفة:

«وكنت زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر وفي رواية: وكنت رويت..[4] الخ.

وقال عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ على المنبر:

---

(١) دكتور شوقي ضيف ـ تاريخ الادب العربي ـ العصر الاسلامي ص ١١٤، ١٢١.

(٢) دكتور حسن جاد وزميليه ـ الأدب العربي بين الجاهلية والاسلام ص ٢٨٨.

(٣) راجع نفس المصدر ٢٨٩، ٢٩٠.

(٤) البحث ص ١٩١.

« [1] ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا »

وكانت أم الخير بنت الحريش البارقية تؤيد عليا ـ كرم الله وجهه ـ وتخطب فتلهب الجموع وتثير الحماس في صفوف أصحاب علي، فلما وفدت الى معاوية ـ رضي الله عنه ـ سألها عن كلامها حين قتل عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ فقالت:

« [2] لم أكن زورته قبل، ولا رويته بعد، وانما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة، فان أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت ».

فهي بامكانها ـ اذا ـ أن تروي لابداع كلام آخر ـ له ـ روعته وتأثيره. غير أنه يجب أن نلفت النظر الى تروي هذا العصر ابداعا وتحبيرا، فأهله خير القرون يروون للحق فيكون التحبير والتجميل لبيانه وكماله، فهم لا يبدعون زخرف القول ليجانب الحق، ويلتوي العدل، كما أنهم لا يجتهدون له تكلفا ممقوتا يخفي ضحالة الأفكار ونضوب الموارد، ولعل هذا ـ فيما أرى ـ سر اختيار عمر لزياد بن أبيه حين أراد اختياره كاتبا، أتى به ثم قال له:

« ...[3] ينبغي أن تكتب لخليفتك بما يجب أن يعمل به، فكتب اليه كتابا، ودفعه الى عمر، فنظر فيه ثم قال: أعد، فكتب غيره، فقال له: أعد، فكتب الثالث، فقال عمر: لقد بلغ ما أردت في الأول، ولكني ظننت أنه قد روى فيه، ثم بلغ في الثاني ما أردت فكرهت أن أعلمه ذاك، وأردت أن أضع منه لئلا يدخله العجب فيهلك ».

وهكذا كان نثر الرسائل ـ في ذلك العصر ليس عاريا من ألوان الفن، ولا مسرفا في رصفها، وانما حسبه من ذلك الصدق في الأداء، والقصد في الزينة، والبراءة من التكلف.

---

(١) الجاحظ ـ البيان والتبيين ١/٣٤٥.

ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٢/١١٦.

أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ـ كتاب الوزراء والكتاب ص ١٨.

وكانت الرسالة غالبا موجزة تبدأ بالآية: بسم الله الرحمن الرحيم، أو تبدأ بـ « [1] باسمك اللهم، ثم يكتب: من فلان الى فلان، ثم يلي ذلك ـ غالبا: السلام عليكم، أو السلام على من اتبع الهدى، ثم يثنون بقولهم: اني أحمد الله اليك، ثم يأتي الكاتب ـ غالبا بـ (أما بعد) ويذكر غرضه الذي يكتب لأجله، ويختمها بقوله: السلام عليكم ورحمة الله».

وتلك هي الخصائص مجملة.

(١) دكتور حسن جاد وزميليه ـ الأدب العربي بين الجاهلية والاسلام ص ٢٨٣ وراجع لدكتور حسين نصار ـ نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ص ٣٨، ٣٩.

رسائل عمر من الرواية الى التدوين

اذا كانت الخطبة هي الكلمة المسموعة من أدب عمر، فان الرسالة هي الكلمة المكتوبة من هذا الأدب، وانها ـ مع ذلك ـ لمروية، وقد يرويها الراوي عن نص الوثيقة المكتوب، أو يسمعها عن نص مقروء، أو يحدث عنها باشارة أو مضمون:

«...[1] قال الوليد بن هشام بن قحذم: وجدت كتابا عندنا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى المغيرة بن شعبه، سلام عليك، فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو، أما بعد: فان أبا عبد الله[2] ذكر أنه زرع بالبصرة في امارة ابن غزوان، وافتلى[3] أولاد الخيل حين لم يفتلها أحد من أهل البصرة.

وانه نعم ما رأى، فأعنه على زرعه، وعلى خيله، فاني قد أذنت له أن يزرع، وآته أرضه[4] التي زرع الا أن تكون أرضا عليها الجزية من أرض الأعاجم، أو يصرف اليها ماء أرض عليها الجزية، ولا تعرض له الا بخير، والسلام عليك ورحمة الله.

(١) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٣٤٦.

(٢) هذه كنيته، واسمه نافع بن الحارث بن كلدة أبو عبد الله ـ نفس المرجع ص ٣٤٦.

(٣) افتلى الدابة: نتجها، وأصله العزل عن الرضاع وكثر حتى قيل للمنتج مفتلى ـ اللسان مادة فلا.

(٤) وهذا اقطاع من عمر له بهذه الأرض، انظر البلاذري ص ٣٤٥. يقول ابن جرير الطبري ـ في بيان ما يقطع منه: «انما القطائع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله». ا هـ تاريخ الطبري ٣/٥٨٩.

وكتب معيقيب بن أبي فاطمة في صفر سنة سبع عشرة».

وروى ابن أبي حاتم - باسناد صحيح - الى أبي قتادة العدوي قال:[1] قرىء علينا كتاب عمر:

من الكبائر جمع بين الصلاتين - يعني بغير عذر - والفرار من الزحف والنهبة».

وقد يشار الى رسالة لعمر مجرد اشارة، نجد - مثال ذلك - لدى البلاذري، فعندما فتح عمرو بن العاص - رضي الله عنه - حصن (أليونة) وأقر أهله على أنهم ذمة، وبين لهم ما عليهم من جزية الرقاب وخراج الأرض أعْلم عمرَ - قال البلاذري: «[2] وكتب بذلك الى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأجازه».

ومعنى ذلك ورود رسالة من عمر الى عمرو تحمل الاجازة صريحة. ونجد التعبير نفسه عند الهروي فيما فعل عثمان بن حنيف - رضي الله عنه - مع أهل الكوفة★، بل هذا اللون من الاشارة الى رسائل كثير نجده - مثالا لا حصرا - لدى ابن جرير الطبري[3]، وابن خلدون[4]، وابن عساكر[5]، وابن الاثير[6].

وكما يشار الى رسالة، قد يذكر لأخرى مضمون.

ويدون البعض مضمون الرسالة، أو جزءا منه ليكون (شاهدا) له غالبا - في جانب ما يعرض من تخصصه: فقها أو أدبا أو تاريخا، وعند تسليمنا بصحة المضمون فقد يكون فيه من لفظ عمر، وقد يعوزه الدليل على أنه من لفظ عمر، بسبب افتقادنا الى مصدر أو أكثر يعين على بيان ما سطر عمر.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٨٤/١.

(٢) البلاذري - فتوح البلدان ص ٢١٥.

(٣) تاريخ الطبري ٦٠٤/٣.

(٤) ابن خلدون بقية الجزء الثاني ص ١١٩، ١٢٠.

(٥) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق ١٤٠/٢.

(٦) ابن الاثير - أسد الغابة ٤٦٤/٢.

★ راجع لابي عبيد الهروي - الاموال ص ٤٩.

من ذلك أن معاوية بن أبي سفيان: وكان بالشام، كتب الى عمر يصف حال السواحل، وذكر البلاذري عن رد عمر قوله:

« [1] فكتب اليه في مرمة حصونها، وترتيب المقاتلة فيها، واقامة الحرس على مناظرها، واتخاذ المواقيد لها ».

وهذا اللون كثير [2]

ومن المضمون الذي تعيننا المصادر على أن فيه من لفظ عمر، ما روى البلاذري ـ بشأن انتصار سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ في (جلولاء) وقرار الفرس الى المدائن، وهم سعد بأن يتبعهم ـ أن عمر.

« ... [3] كتب الى سعد بن أبي وقاص يأمره أن يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا [4]، وألا يجعل بينه وبينهم بحرا ».

وانما كان فيه من لفظ عمر بمقارنته بما روى الطبري ـ في نفس المقام ـ من رسالة عمر بأسلوب « المتكلم » الى « مخاطب »:

« ... [5] قف مكانك، ولا تتبعهم، واتخذ للمسلمين دار هجرة، ومنزل جهاد، ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحرا ».

وبينما يعرض الطبري « لفظ عمر » في رسالته الى حرقوص بن زهير السعدي أحد قواد فتح (تستر) في العام السابع عشر، وكان احتجب عن جنده بنزوله

---

(١) البلاذري ص ١٣٤.

(٢) انظر البلاذري ص ١٤٥، ١٤٨ ـ وابن عساكر ـ تاريخ مدينة دمشق ١/١٠٦، ٥٥١، ٢/١٤٠ ـ وابن خلدون ـ بقية الجزء الثاني ص ٩٢، ١٠٠، ١٠٣.. الخ.

(٣) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٢٧٤.

(٤) في اللسان مادة قرا: القيروان: الكثرة من الناس ومعظم الأمر، وقيل موضع الكتيبة وهو معرب أصله كاروان بالفارسية.

(٥) تاريخ الطبري ٣/٥٧٩.

منزلا يصعب عليهم معه الاتصال به ـ نجد ابن الاثير يجمع في عرضه لهذه الرسالة بين المضمون ولفظ عمر، قال الطبري.

« ...[1] وبلغ ذلك عمر فكتب له:

بلغني أنك نزلت منزلا كئودا، لا تؤتي فيه الا على مشقة، فأسهل ولا تشق على مسلم ولا معاهد، وقم في أمرك على رجل[2] تدرك الآخرة وتصف لك الدنيا، ولا تدركنك فترة ولا عجلة فتكدرَ دنياك وتُذْهِبَ آخرتك».

وروي ابن الأثير أن حرقوصا نزل « [3] جبل الأهواز، وكان يشق على الناس الاختلاف اليه، فبلغ ذلك عمر فكتب اليه يأمره بنزول السهل وألا يشق على مسلم ولا معاهد، ولا تدركك فترة ولا عجلة، فتكدر دنياك وتذهب بآخرتك.

ولقد نعلم بمضمون كتاب لعمر دون أن يذكر الكاتب عنه لفظا أو يسطر مضمونا. وانما ندرك أمره في ضوء دراستنا لم تقتضيه طبيعة الأوضاع في مثل حاله.

روى أبو عبيد الهروي قال ـ بسنده الى عطيه بن قيس:

[4] ان ناسا سألوا عمر بن الخطاب أرضا من أرض (أنذر كيسان) بدمشق لمربط خيلهم، فأعطاهم طائفة منها، فزرعوها فانتزعها منهم وأغرمهم لما زرعوا فيها» وانما كان كذلك لان عامل عمر لا يستطيع أن يقطع أو ينزع بغير كتاب وعطاؤه الأرض انما كان بكتاب، وعلى ذلك جرى العمل[5].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٧٨.

(٢) في اللسان مادة رجل: الرجل ـ بكسر فسكون: الخوف والفزع من فوت الشيء يقال: أنا من أمري على رجل، أي على خوف من فوته.

(٣) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٢/٥٤٥.

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ـ الاموال ص ٣٦٠.

(٥) راجع ـ بنفس المصدر ـ فصل «أحكام الأرضين في اقطاعها واحيائها وحماها ومياهها» ص ٣٤٧.

ولقد نعلم ـ بهذا العرض لرسائله، رضي الله عنه، بين الرواية والتدوين ـ مدى ما ألم بها من أحوال، وندرك أن الأمر في الرسالة كغيرها من أدبه، قليل منها ما نجده تاما من البداية الى الخاتمة، وكثير منها دون ذلك.

ومن الرسالة التامة نعلم أنها تبدأ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» يتلوها قول عمر: «من عبد الله عمر أمير المؤمنين» ونحوها [1] يلي ذلك ذكر «المرسل اليه «فـ» أما بعد «فـ» الغرض» ثم تحية خاتمة بالسلام تختلف من رسالة الى أخرى [2].

ومن هنا نعلم أنها موافقة لخصائص الرسالة في عصره تأكيدا لملامح العصر وتثبيتا لها.

بين يدي أغراض رسائل عمر

ان عرضنا شاملا لما كتب به الى عمر ـ رضي الله عنه ـ في مختلف الشؤون من

---

(١) هذه البداية وما بعدها نجدها في رسائل عمر. انظر ص ٢٨٧ ـ ٣٠٠ ـ ٣٢٨. ـ وحاشية ٣ ص ٣٧٥ فأما عبارة: «من خليفة خليفة رسول الله» أو «من خليفة أبي بكر» فلم أجد ـ فيما بين يدي من رسائله ـ رضي الله عنه ـ ما يحمل هذه العبارة أو تلك، قال القلقشندي في صبح الأعشى ٣٨٦/٦: «يقال: ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لما صارت الخلافة اليه بعد أبي بكر، كان يكتب في كتبه: من عمر بن الخطاب خليفة خليفة رسول الله ﷺ الى فلان» ولم يذكر كتابا له بذلك، وتفيد رواية عن عمر بن عبد العزيز أن عمر كتب أولا: (من خليفة أبي بكر) ورواية عن الشفاء، وهي من المهاجرات أن عمر كان يكتب: (من خليفة خليفة رسول الله) حتى قدم رجلان من العراق فوجدا عمرو بن العاص فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فقال: أنتما والله أصبتما اسمه... فجرى الكتاب بذلك من يومئذ.
ولابن عساكر رواية تدل على أن عمر كان في فسحة اختيار، وأنه استطال لقب (خليفة خليفة رسول الله) وأقر لقب (أمير المؤمنين).
فاذا ذهبنا الى وقوع الكتابة بهذا اللقب الطويل كان التصدير به في رسائل قليلة أول عهده بالخلافة ثم انتهت الكتابة به.
راجع في الرواية عن عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ وما بعدها ـ للسيوطي تاريخ الخلفاء ص ١٣٧ ـ ١٣٨.
وراجع في رواية الشفاء ـ رضي الله عنها ـ لابن حجر ـ الاصابة في تمييز الصحابة ٣٣٣/٤.

(٢) انظر ص ٢٨٧ ـ ٣٠٠ ـ ٣٨٠ ـ ٣٨٤.

مسؤولين يشاركونه السلطة ومن غيرهم ـ يعين على تحديد الأغراض التي كتب عمر فيها، وتصنيفها، وهو كذلك كفيل بأن يقربنا من تصور صحيح لحجم كتابات عمر، وقد يكون ـ الى جانب ذلك كله ـ مؤشرا دقيق الحكم نتبين ـ في ضوئه ـ أن ما وصل الى المؤلفين في مختلف الفروع العلمية والأدبية من رسائله قليل من كثير:

أ ـ كتب قواد الجيوش الى عمر يصفون الجبهات الحربية، وواقع حالهم، وما يتطلبه الموقف وما يصلهم من أخبار العدو، من ذلك ما كتب به سعد الى عمر يعلمه بالتعبئة العظمى التي وجهها (يزد جرد [1]) بقيادة رستم فعسكرت بـ «ساباط» وكان لها شأنها في القادسية، فكتب عمر إليه:

« [2] لا يكربنك [3] ما يأتيك عنهم [4]، ولا ما يأتونك به، واستعن بالله، وتوكل عليه، وابعث اليه رجالا من أهل المنظرة [5] والرأي والجلد يدعونه، فان الله جاعل دعاءهم توهينا لهم [6] وفلجا عليهم، واكتب اليّ في كل يوم».

وكتبوا يزودونه برأيهم في موقف حربي ويطلبون رأيه فيه، نجد مثال ذلك عندما انتقض السواد، أعني ريف العراق، وقد غرهم اجتماع فارس على (يزد جرد) فلم يف للمسلمين الا أهل (بانقيا) و (بسما) و (أُلّيْس الآخرة) فلما ردهم المسلمون

---

(١) هو آخر سلالة الأكاسرة التي حكمت فارس ثم ملك بعده المسلمون ـ راجع تاريخ الطبري ٤٧٧/٣ ـ ولابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٤٤٨/٢ ـ ولابن كثير ـ البداية والنهاية ٣٠/٧ ... الخ.

(٢) تاريخ الطبري ٤٩٥/٣، ولها رواية (ب) لابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٤٥٦/٢ و (ج) لابن كثير ـ البداية والنهاية ٣٨/٧ ـ ورابعة (د) لابن خلدون ـ بتاريخه المجلد الثاني ص ٩١٩.

(٣) د: لا يكترثنك.

(٤) ب. د: ما يأتيك عنهم واستعن بالله... الخ.

(٥) ب: المناظرة ـ ج: النظر ـ د: من أهل الرأي والجلد.

(٦) نهاية النص ب. وفي د: فان الله جاعل ذلك وهنالهم.

على أعقابهم، وهزموا ادعى بعض المنتقضين أن الفرس أكرهوهم فأبلغ سعد بذلك عمر، ثم كتب اليه مع أبي الهياج بن مالك الأسدي:

« [1] ان أهل السواد جلوا، فجاءنا من أمسك بعهده ولم يجلب علينا فتممنا لهم ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم، وزعموا أن أهل السواد قد لحقوا بالمدائن!! فأحدث الينا: فيمن تم، وفيمن جلا، وفيمن ادعى أنه استكره وحشر فهرب ولم يقاتل أو استسلم، فانا بأرض رغيبة، والأرض خلاء من أهلها، وعددنا قليل، وقد كثر أهل صلحنا، وان أعمر لها وأوهن لعدونا تألفهم».

فأجابه عمر عن هذا الكتاب ـ بعد أن عرض الأمر على الناس واستشارهم:

« ...[2] أما من أقام ولم يجل وليس له عهد فلهم ما لأهل العهد بمقامهم لكم وكفهم عنكم اجابة، وكذلك الفلاحون اذا فعلوا ذلك، وكل من ادعى ذلك فصدق فلهم الذمة، وان كذبوا نبذ اليهم.

وأما من أغلن وجلا فذلك أمر جعله الله لكم، فان شئتم فادعوهم الى أن يقيموا لكم في أرضهم، ولهم الذمة وعليهم الجزية، وان كرهوا ذلك فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم...»

وكتبوا الى عمر يستمدونه، قال عياض الأشعري ـ في سند صحيح:
« ...[3] شهدت اليرموك، وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة بن الجراح[4] ويزيد ابن أبي سفيان، وابن حسنة، وخالد بن الوليد، وعياض... وقال عمر: اذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة، قال: فكتبنا اليه:

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٨٤ ـ وأشار ابن كثير في البداية والنهاية ٧/٤٧ اليها اشارة مطولة دون ذكر النصوص، وهذه الرسالة من رسائل العام الرابع عشر.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٥٨٦.

(٣) مسند أحمد ١/٣٠٤. والرواية مذكورة بتفسير ابن كثير ١/٤٠٠، ٤٠١ نرمز لها بالحرف (ب).

(٤) ب: أبو عبيدة ويزيد... الخ.

انه قد جاش[1] الينا الموت، واستمددناه، فكتب الينا:

(انه قد جاءني كتابكم تستمدوني، واني أدلكم على من هو أعز نصرا، وأحضر[2] جند، الله - عز وجل - فاستنصروه، فان محمدا ﷺ قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم، فاذا أتاكم[3] كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني).

قال: فقاتلناهم وهزمناهم...»

كذلك كتبوا اليه يخبرونه بتعيين قائد على منطقة، فـ « ...[4] كتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب يعلمه أنه قد ولى عقبه بن نافع الفهري المغرب».

ورفعوا اليه بحال بعض القادة، أو الجند:

ففي العام الرابع عشر قتل هلال بن علقمة - رضي الله عنه - رستم قائد فارس في القادسية فنقله سعد سلبه، فقام من بعده الجالينوس يجمع المنهزمين، فتعقبه زهرة ابن حيوة - رضي الله عنه - فقتله وأخذ سلبه قبل أن يأذن له سعد به، فنزعه منه وكتب الى عمر بذلك، فكتب اليه:

« ...[5] تعمد الى مثل زهرة، وقد صلى بمثل ما صلى به، وقد بقي عليك من حربك ما بقي، تكسر[6] قرنه، وتفسد قلبه.

أمض له سلبه، وفضله على أصحابه عند العطاء[7] بخمسمائة»

---

(١) في اللسان مادة جيش، جاش: تدفق، فار، ارتفع.

(٢) ب: وأحصن.

(٣) ب: جاءكم.

(٤) البلاذري - فتوح البلدان ص ٢٢٦ - وقد تم للمسلمين في عهد عمر فتح شمال افريقية حتى (طرابلس) ثم أوقفهم عمر - انظر نفس المرجع ص ٢٢٦، ٢٢٧ - وابن عبد الحكم فتوح مصر وأخبارها ص ١٧٠ - الى ١٧٣.

(٥) تاريخ الطبري ٥٦٨/٣ - ولها رواية (ب) ذكرها ابن الاثير في الكامل في التاريخ ٤٨٢/٢ وثالثة (ج) لابن خلدون في تاريخه المجلد الثاني ص ٩٣٤.

(٦) تكسر قرنه - لا وجود لها في (ب) و(ج).

(٧) ب: عطائه ج: في العطاء.

وعندما تحول سعد بجزء من المجاهدين ونزل بهم دون الكوفة أصابهم البعوض »[1] فكتب سعد الى عمر يعلمه أن الناس قد بِعُضُوا وتأذوا بذلك فكتب اليه عمر:

ان العرب بمنزلة الابل، لايصلحا الا ما يصلح الابل، فارتد لهم موضعا عدنا[2]، ولا تجعل بيني وبينهم بحرا » فاختط سعد لهم الكوفة[3].

وكتبوا ينهون اليه خبرا بالنصر، فكتب سعد بن أبي وقاص بفتح القادسية الى عمر مع سعد بن عميلة الفزاري:

« ...[4] أما بعد، فان الله نصرنا على أهل فارس، ومنحهم[5] سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد... الخ ».

وقد يقتضي الأمر - أحيانا - أن يلزم عمر القائد بموالاة الكتابة اليه يوميا[6]، وحملت رسائل - الى عمر - شفهية، فحمل عبد الله بن زيد بن عاصم المازني خبر واقعة الجسر الى عمر مشافهة[7]، كذلك أَخْبِرَ مشافهة بكتاب يزدجرد الذي جمع قوة فارس من نواحيها للفيرزان[7].

---

(١) البلاذري - فتوح البلدان ص ٢٧٥ - وروى الطبري الرسالة بتاريخه ٥٧٩/٣ قال: « فكتب الى سعد: انه لاتصلح العرب الا حيث يصلح البعير والشاة في منابت العشب فانظر فلاة في جنب البحر فارتد للمسلمين بها منزلا ».

(٢) في اللسان مادة عدن: يعدن - بكسر الدال وضمها - عدنا وعدونا، أقام، وعدنت البلد توطنته، فالمراد موضع توطن.

(٣) راجع للبلاذري - فتوح البلدان ص ٢٧٥ - ولابن الاثير - الكامل في التاريخ ٥٢٨/٢ ولابن كثير - البداية والنهاية ٤٨/٧.

(٤) تاريخ الطبري ٥٨٣/٣ - ولها رواية (ب) لابن كثير - البداية والنهاية ٤٦/٧ وأشار لها ابن الاثير - في الكامل في التاريخ ٤٨٤/٢ - قال: وكتب سعد الى عمر بالفتح وبعدة من أصيب من المسلمين، وسمى من يعرف مع سعد بن عميلة الفزاري.

(٥) ب: ومنحناهم.

(٦) البحث ص ٢٩٢.

(٧) ابن كثير- البداية والنهاية ٢٨/٧.

(٨) تاريخ الطبري ١٢٢/٤.

ب ـ وكتب اليه عماله بسير اعمالهم كذلك كتبوا اليه يستوضحونه في حقوق الرعية. روى أبو داود بسنده، قال:

« ...[1] جاء هلال ـ أحد بني متعان ـ الى رسول الله ﷺ بعشور نحل له، وكان سأله أن يحمي له واديا يقال له سلبة[2]، فحمى له رسول الله ﷺ ذلك الوادي.

فلما ولي عمر ـ رضي الله عنه ـ كتب سفيان بن وهب الى عمر بن الخطاب يسأله عن ذلك، فكتب عمر ـ رضي الله عنه:

ان أدى اليك ما كان يؤدي الى رسول الله ﷺ من عشور نحله فاحم سلبة، والا فانما هو ذباب[3] غيث يأكله من يشاء » وكتبوا اليه في العصاة:

---

(١) سنن ابي داود ـ باب زكاة العسل ١/٣٧١ ـ وروى أبو يوسف بالخراج روايتين: أخراهما ص ٧٦ «عن عمرو بن شعيب قال: كتب أمير الطائف الى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه: أن أصحاب النحل لا يؤدون الينا ما كانوا يؤدون الى النبي ﷺ ويسألون مع ذلك، أن نحمي لهم أوديتهم، فاكتب الي برأيك في ذلك، فكتب اليه عمر:
ان أدوا اليك ما كانوا يؤدونه الى النبي ﷺ فاحم لهم أوديتهم، وان لم يؤدوا اليك ما كانوا يؤدونه الى النبي ﷺ فلا تحم لهم. ا هـ. جاء ذلك بفصل (في العسل والجوز واللوز) والرواية الاولى ص ٦٠ عن عمرو بن شعيب ـ رضي الله عنه ـ أيضا، وهي هي الا في يسير وبها تصحيف حيث أعجم المهملة فصار النحل النخل، ولعله من سهو اذا سيقت أيضا في العسل ووقع التصحيف نفسه بجمهرة رسائل العرب للأستاذ أحمد زكي صفوت ١/٢٥٤ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ الطبعة الثانية عام ١٣٩١.

(٢) جاء في عون المعبود على سنن أبي داود لأبي عبد الرحمن شرف الحق ابن أمير بن علي الابادي ٢/٢٢، ٢٣: سلبة: وادي لبني متعان. وفي معجم البلدان لياقوت الحموي باب السين فصل اللام: سلبة ـ بفتح أوله وبعد اللام باء موحدة، اسم لموضع جاء في الاخبار.
والذي يقوي في ظني انه واد من أودية الطائف بناء على الخبر الدي أورده أبو يوسف. الباحث.

(٣) في غريب الحديث لابن الجزري مادة ذبب: يريد بالذباب النحل، واضافته الى الغيث على معنى أنه يكون مع المطر حيث كان لانه يعيش بأكل ما ينبته الغيث. ا هـ.

« [1] عن أبي عمرو الشيباني قال: بلغ عمر أن رجلا من أهل السواد قد أثري في تجارة الخمر، فكتب:

أن اكسروا كل شيء قدرتم له عليه، وسيروا كل ماشية له، ولا يؤوين أحد له شيئا » وكتبوا اليه في شؤون دينية:

« [2] عن سليمان بن يسار أن أهل الشام قالوا ـ لأبي عبيدة بن الجراح: خذ من خيلنا ورقيقنا صدقة فأبى، ثم كتب الى عمر بن الخطاب، فأبى عمر، ثم كلموه أيضا، فكتب الى عمر، فكتب اليه عمر:

ان أحبوا فخذها منهم وارددها عليهم، وارزق رقيقهم.

قال مالك: معنى قوله ـ رحمه الله: وارددها عليهم، يقول: على فقرائهم» وكتبوا اليه في شؤون تخصهم:

« [3] عن سفيان بن عيينة أن سعد بن أبي وقاص ـ كتب الى عمر ـ وهو على الكوفة ـ يستأذنه في بناء منزل يسكنه، فكتب اليه:

---

(١) أبو عبيد الهروي ـ الاموال ص ١٣٥ ـ وانظر في هذا اللون ما كتب به أبو عبيدة في نفر أصابوا الشراب ـ الى عمر، فكتب اليه:

أن يدعو بهم على رؤوس الناس، فيسألهم: أحرام الخمر أو حلال؟ فان قالوا: حرام فاجلدهم ثمانين جلدة، واستتبهم، وان قالوا: حلال، فاضرب أعناقهم.

فدعا بهم فسألهم، فقالوا: بل حرام فجلدهم «ا. هـ تاريخ الطبري ٤/٩٧ وانظر فيهم لابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٢/٥٥٥ ولابن كثير ـ البداية والنهاية ٧/٩٢.

(٢) موطأ مالك ١/٢٦٣

وفي مسند احمد خبران صحيحان يدلان على أن أهل الشام سعوا أيضا بوفد الى عمر قال. بسنده ـ ١/٢٤٩ ـ عن حارثة بن مضرب أنه حج مع عمر بن الخطاب فأتاه أشراف أهل الشام، فقالوا: ياأمير المؤمنين انا أصبنا من أموالنا رقيقا ودواب فخذ من أموالنا صدقة تطهرنا بها وتكون لنا زكاة، فقال: هذا شيء لم يفعله اللذان كانا قبلي، ولكن انتظروا حتى أسأل المسلمين، وفي الخبر الثاني ١/١٨٩ « ...واستشار أصحاب محمد ﷺ وفيهم علي، فقال علي: هو حسن ان لم يكن جزية راتبة يؤخذون بها من بعدك. ا هـ.

المحب الطبري ـ الرياض النضرة ٢/٨٠.

ابن ما يسترك من الشمس ويكنك من الغيث...»

وقد تستدعي قضية أكثر من رسالة يسطرها كلا الطرفين[1]: العامل وعمر حتى تستوفي القضية حقها فيكون فصل الخطاب.

« [2] كتب عمر الى عثمان بن حنيف مع جرير[3]

أما بعد: فأطع جرير بن عبد الله قدر ما يقوته لا وكس ولا شطط. فكتب عثمان الى عمر:

ان جريرا قدم علي بكتاب منك تقطعه ما يقوته، فكرهت أن امضي ذلك حتى أراجعك فيه، فكتب اليه عمر:

أن قد صدق جرير، فأنفذ ذلك، وقد أحسنت في مؤامرتي».

جـ - وكتب اليه أفراد من الرعية، فقد استفتاه بعضهم، فـ:

« [4] كتب الى عمر:

---

(١) انظر رسالته بشأن صدقة الخيل والرقيق ص ٢٩٧.

(٢) تاريخ الطبري ٥٨٩/٣.

(٣) هو جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - راجع تاريخ الطبري ٥٨٩/٣.

(٤) تفسير ابن كثير ٢٠٧/٤ - ولها روايتان: (ب) لابن الجوزي - سيرة عمر بن الخطاب ص ١٥٨ تتفق معها تماما الا أن فيها: (أجر كريم) وأحسبه خطأ على مدى النسخ، فانه جزء لا يتفق والآية - وثالثة (ج) جاءت بكتاب (الفوائد) المنسوب لابن القيم العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر ص ١١٠ - قال:

«وقد كتبوا الى عمر بن الخطاب يسألونه عن هذه المسألة: أيما أفضل رجل لم تخطر له الشهوات ولم تمر بباله، أو رجل نازعته اليها نفسه فتركها لله.

فكتب عمر:

ان الذي تشتهي نفسه المعاصي ويتركها لله - عز وجل - من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم».

وقوله: أولئك الذين امتحن... الخ جزء من الآية رقم ٣ من سورة الحجرات.

يا أمير المؤمنين: رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل، أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها؟ فكتب عمر - رضي الله عنه.

ان الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم».

وكان بريد عمر الى الأمصار يحمل اليه فيما يحمل رسائل من الرعية:
«أبرد [1] عمر بريدا الى عتبة بن أبي سفيان بالبصرة، فأقام بها أياما، ثم نادى منادي عتبة: من أراد أن يكتب الى أهله بالمدينة، أو الى أمير المؤمنين شيئا فليكتب، فان بريد المسلمين خارج، فكتب الناس».

أغراض رسائل عمر

يهدي العرض المتقدم الى أكثر أغراض عمر من رسائله، وهي أغراض يمكن أجمالها في: توجيه قواده في شؤون الجهاد، ومتابعة عماله في شؤون الحكم، وتصفية بعض الأوضاع مع بعض حكام عصره، ومعالجة ما يكون من مفاجأة نادرة في هذا العصر:

١ - ففي الشؤون الحربية

أ - كتب عمر بأمر بتحريك قواته من مكان الى آخر مطاردة للعدو، أو نجدة لبعض قواته، وكتب بوجوب اعتصام قوة بمكانها الذي غزت، وكتب يأمر بالتقدم، وكتب يرشدهم الى وضع خير من وضع:

روى ابن اسحاق في حوادث العام الحادي والعشرين، قال: « [2] كتب عمر الى النعمان بن مقرن.

---

(١) ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة ٩٩/٣.

(٢) تاريخ الطبري ١١٤/٤، ١١٥ - وابن كثير - البداية والنهاية ١٠٨/٧ كلاهما بنص واحد الى قوله: والسلام عليك. ثم تأتي الزيادة بعد لابن كثير. وقد توهم كلمتا (السلام عليك) أن ما =

« بسم الله الرحمن الرحيم »

من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى النعمان بن مقرن.

سلام عليك، فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو، أما بعد: فانه قد بلغني أن جموعا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فاذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله، وبنصر الله - بمن معك من المسلمين، ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ولا تدخلنهم غيضة، فان رجلا من المسلمين أحب الى من مائة ألف دينار، والسلام عليك.

فسر في وجهك ذلك حتى تأتي (ماه) فاني قد كتبت الى أهل الكوفة أن يوافوك بها، فاذا اجتمع اليك جنودك فسر الى الفيرزان ومَنْ جمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم، واستنصروا وأكثروا من، لا حول ولا قوة الا بالله».

وحدث سنة ثنتين وعشرين أن طارد الأحنف بن قيس - رضي الله عنه (يزد جرد) ملك فارس، وتقدم الاحنف داخل خراسان ففر منه الى (مرو الشاهجان) فافتتحها الأحنف، ففر منها الى (مرو الروذ) فنزلها الأحنف، وعبر (يزد جرد) النهر، فكتب الأحنف الى عمر بهذه الفتوح، فكتب اليه عمر:

بعدها ليس من الرسالة، لكن ابن الاثير في الكامل في التاريخ ٩/٣ أشار الى الرسالة، وبين أن عمر كتب « الى عبد الله بن عبد الله بن عتبان ليستنفر الناس مع النعمان كذا وكذا ويجتمعوا عليه بماه».

ورواية سيف بن عمر تذكر الرسالة في تاريخ الطبري ١٢٦/٤ بالوجه الآتي: « فكتب اليه (الى النعمان) مع زر بن كليب والمقترب بن الاسود بن ربيعة بالخبر (اي اجتماع الفرس بنهاوند)، واني قد ولبتك حربهم فسر من وجهك ذلك حتى تأتي ماه... الخ الرسالة بنفس النص الذي لابن كثير مع اختلاف يسير في ثلاث:

فسر من وجهك... ومن تجمع اليه... وأكثروا من قول» وعلى ذلك فهما روايتان مختلفا المصدر من حيث الرواة يبدو أن ابن كثير جمع بينهما وعلى كلا الوجهين هي من رسائل العام الواحد والعشرين. ا هـ.

« [1] أما بعد: فلا تجوزن النهر، واقتصر على ما دونه، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم خراسان، فداوموا على الذي دخلتم به خراسان يدم لكم النصر، واياكم أن تعبروا فتفضوا.

وكتب يأمر معاوية ـ رضي الله عنه ـ بالتقدم الى غزو قيسارية »[2] أما بعد: فاني قد وليتك قيسارية، فسر اليها، واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول:

لا حول ولا قوة الا بالله[3]، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا،[4] نعم المولى ونعم النصير ».

وكتب يرشدهم، حدث البلاذري ـ بسنده الى شويس العدوي قال: « [5] أتينا الأهواز، وبها ناس من الزط والأساورة فقاتلناهم قتالا شديدا فظفرنا بهم فأصبنا سبيا كثيرا اقتسمناهم، فكتب الينا عمر:

---

(١) تاريخ الطبري ١٦٨/٤، وعند ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٢٧/٧ « وكتب عمر الى الأحنف ينهاه عن العبور الى ما وراء النهر، وقال احفظ ما بيدك من بلاد خراسان» وعند ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٣٤/٣ » وكتب عمر الى الأحنف أن يقتصر على ما دون النهر ولا يجوزه».
وراجع للرسائل من هذا النوع: البحث ص ٢٨٠ ـ وتاريخ الطبري ٤٨٢/٣، ٤٩٢، ٥٩٣، ٦٠١ ـ ولابن كثير ـ البداية والنهاية ٣٧/٧ ـ ولابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٤٩٢/٢ ـ ولأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ـ الأموال ص ٢٠٢.

(٢) تاريخ الطبري ٦٠٤/٣ ـ ولها رواية (ب) لابن كثير ـ البداية والنهاية ٥٣/٧.

(٣) ب: الا بالله العلي العظيم.

(٤) ب: فنعم المولى. وانظر اشارة الى الرسالة عند ابن الاثير ٤٩٧/٢ وانظر ـ في هذا النوع من الرسائل:
تاريخ الطبري ٤٨٧/٣، ٤٩٠، ٤٩١ ـ ٢٤/٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٥١، ٨٣ ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٤٥٣/٢، ٥٠٥، ٥٠٦ ٥٢٠، ٥٢٣، ٥٣١ ابن كثير ـ البداية والنهاية ٢٦/٧، ٣٧، ٦٩، ٧١، ٧٣ ابن عساكر ـ تاريخ مدينة دمشق ٢٨٣/١.
ابن خلدون ـ بقية الجزء الثاني ص ٨٦، ١٠٧.

(٥) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٣٧٠ ـ وروى ابو عبيد في الأموال ص ١٨٥ لشويس العدوي: « أتانا كتاب عمر: أن خلوا ما في أيديكم من سبي ميسان».

أنه لا طاقة لكم بعمارة الأرض فخلوا ما في أيديكم من السبي، واجعلوا عليهم الخراج.

فرددنا السبي ولم نملكهم».

ب: وفي هذه الشؤون كتب بتعيين قادة وتحديد مسؤوليتهم[1]، وبعزل آخرين، وباقصاء البعض عن القيادة ليس غير، وكتب فأمر بالتعبئة العامة أو الخاصة من أجل مواجهة خطر شامل:

«[2] عن صالح بن كيسان، قال: كان أول كتاب كتبه عمر - حين ولي - الى أبي عبيدة يوليه على جند خالد:

[3] أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفني ما سواه، الذي هدانا من الضلالة، وأخرجنا من الظلمات الى النور. وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد فقم بأمرهم الذي يحق عليك، لا تقدم المسلمين الى هلكة رجاء غنيمة، ولا تنزلهم منزلا قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه؟ ولا تبعث سرية الا في كثف[4] من الناس.

واياك والقاء المسلمين في الهلكة، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك، فغمض[5] بصرك عن الدنيا، وأله قلبك عنها، واياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك، فقد رأيت مصارعهم».

وفي العام الحادي والعشرين كتب عمر الى النعمان بن مقرن - رضي الله عنهما «[6]... أن استعن في حربك بطليحة وعمرو بن معد يكرب، واستشرهما في الحرب، ولا تولهما من الأمر شيئا، فان كل صانع أعلم بصناعته».

---

(١) البحث ص ٢٩٣ و ٣٠١.

(٢) تاريخ الطبري ٤٣٤/٣ - وللرسالة رواية أخرى (ب) لابن كثير - البداية والنهاية ١٩/٧.

(٣) ب: وأوصيك.

(٤) ب: كنف.

(٥) ب: فغض.

(٦) ابن الاثير - أسد الغابة ٩٥/٣.

وفي ذي الحجة من العام الثالث عشر حين مَلّكَتْ فارس (يزد جرد) « ... كتب الى عمال العرب على الكور والقبائل...

لا تدعوا أحدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي الا انتخبتموه، ثم وجهتموه الي، والعجل العجل..».

وانتقض بتولية يزدجرد أهل السواد (ريف العراق) وخرج المثنى بـن حارثة في جنده لمواجهتهم، وجاء كتاب عمر:

« [٢] أما بعد: فاخرجوا من بين ظهري الأعاجم، وتفرقوا في المياه التي تلي

= ورواها الطبري بتاريخه ١٢٧/٤، فذكر أن عمر أرسل الى النعمان مع قريب بن ظفر رضي الله عنه - في أمر نهاوند - بكتاب فيه:
«ان معك حد العرب ورجالهم في الجاهلية، فأدخلهم دون من هو دونهم في العلم بالحرب، واستعن بهم، واشرب برأيهم، وسل طليحة وعَمْرًا ولا توهم شيئا.
فأما طليحة فهو ابن خويلد الاسدي وكان من المرتدين ثم حسن اسلامه، وأحد العَمْرين هو ابن معد يكرب الزبيدي، والثاني عمرو بن أبي سلمى، وهو ابن تُبَيِّ الغزي. وقد استعان عمر بالمرتدين ولم يولهم. (الباحث).

(١) تاريخ الطبري ٤٧٨/٣، ٤٧٩
ورواها ابن الاثير - بالكامل في التاريخ ٤٤٩/٢ قال: وأرسل عمر في ذي الحجة من السنة مخرجه الى الحج الى عماله العرب: ألا يدعوا من له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأي الا وجهوه اليه. ا هـ.
واقتصر ابن خلدون بالمجلد الثاني من تاريخه ص ٩١٦ على العبارة التالية «وكتب الى عماله على العرب أن يبعثوا اليه من كانت له نجدة أو فرس أو سلاح أو رأي».

(٢) تاريخ الطبري ٤٧٨/٣ - ورواها ابن الاثير - في الكامل في التاريخ ٤٤٨/٢ بصيغة الغائب فقال: وكتب عمر الى المثنى ومن معه يأمرهم بالخروج من بين العجم والتفرق في المياه التي تلي العجم وألا يدعوا في ربيعة ومضر أحدا من أهل النجدات، ولا فارسا الا أحضروه اما طوعا أو كرها».
وكذلك حدث ابن كثير في البداية والنهاية ٣١/٧، ٣٢ قال: «فأمرهم عمر أن يتبرزوا من بين ظهرانيهم، وليكونوا على أطراف البلاد... الخ» ومثل ذلك ورد بعبارة ابن خلدون بالمجلد الثاني من تاريخه ص ٩١٦: «وكتب الى المثنى يأمره بخروج المسلمين من بين العجم والتفرق في المياه بحيالهم، وأن يدعو الفرسان وأهل النجدات من ربيعة ومضر ويحضرهم طوعا وكرها» كذا. ا هـ.

الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم، ولا تدعوا في ربيعة أحداً[1] ولا مضر، ولا حلفائهم أحدا[2] من أهل النجدات ولا فارسا الا اجتلبتموه، فان جاء طائعا والا حشرتموه، احملوا العرب على الجد اذا جد العجم فتلقوا جدهم بجدكم».

جـ - وكتب يطلب تنظيم الجيش الى فرق وفصائل، وكتب في تأديب المخطئين، وحذر من الفرار والنهبة، وتحدث في الغنيمة والعشور، وكتب في اجازات الجند رفقا بهم وذويهم، وكتب يأمر جنده بأداء حقوق نسائهم:

بعد أن تولى سعد بن أبي وقاص قيادة جبهة فارس نزال (شراف) ثم «[3] كتب الى عمر بمنزله ومنازل الناس فيما بين (غضي) الى (الجبانة[4]) فكتب إليه عمر:

اذا جاءك كتابي هذا فَعشّر الناس، وَعَرّف عليهم، وأمرّ على أجنادهم، وعبهم، ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا، وقدرهم - وهم شهود - ثم وجههم الى أصحابهم».

ولما أقدم عمرو بن العلاء الحضرمي[5] على غزو فارس من البحر وعبر اليهم بجنده، دون اذن من عمر فنزل اصطخر، وبلغ ذلك عمر اشتد غضبه»[6]. وكتب اليه يعزله وتوعده وأمره بأثقل الأشياء عليه، وأبغض الوجوه اليه بتأمير سعد عليه، وقال: الحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قبلك».

(١،٢) كذا بتكرار أحد، وأحسب أن ذلك خطأ من نسخ أو طبع أصناف الاولى وأولى بها أن تحذف. «الباحث».

(٣) تاريخ الطبري ٤٨٨/٣ - وأشار ابن الاثير في الكامل ٤٥٢/٢ الى هذا التنظيم ثم قال: «ولم يفصل الا بكتاب عمر» ولابن كثير في البداية والنهاية ٣٦/٧: «وكتب الى سعد أن يجعل الامراء على القبائل، والعرفاء على كل عشرة عريفا».

(٤) في معجم البلدان مادة غضي: غضي: جبال البصرة، ولم يذكر الجبانة ولا موقعها، ويبدو أنها أرض مستوية. كما هو وصفها الى جانب غضي.

(٥) كان العلاء - رضي الله عنه - واليا على البحرين، ومنها ندب أهل البحرين لهذه الغزاة.

(٦) تاريخ الطبري ٨١/٤ - وأشار ابن الاثير الى مضمون الكتاب - في الكامل ٥٣٩/٢ فقال: وأمر العلاء بأثقل الاشياء عليه، تأمير سعد عليه. وعند ابن كثير البداية والنهاية ٨٤/٧ «وبعث اليه فعزله وتوعده وأمره بأثقل الأشياء عليه وأبغض الوجوه اليه فقال: الحق بسعد بن أبي وقاص».

وكتب الى عتبة بن غزوان ليتدارك ما لحق بالمسلمين الذي فقدوا في هذه الغزاة كبار قوادهم:

« [1] ان العلاء بن الحضرمي حمل[2] جندا من المسلمين فأقطعهم أهل فارس وعصاني، وأظنه لم يرد الله بذلك فخشيت عليهم ألا ينصروا أن يغلبوا وينشبوا [3]، فاندب اليهم الناس، واضممهم اليك من قبل أن يجتاحوا ».

وانتصر المسلمون فيها بعد لأي.

ولقد مر بنا تحذيره من الفرار والنهبة[4]، وكتب في الغنيمة: « [5] عن يزيد بن أبي حبيب قال:

كتب عمر الى سعد حين افتتح العراق:

---

(١) ناريخ الطبري ٤/٨١ - وللرسالة رواية (ب) لابن كثير - البداية والنهاية ٧/٨٤.

(٢) ب: خرج بجيش فأقطعهم. ا هـ ثم النص بعد واحد الباحث.

(٣) في اللسان مادة نشب: نشب - بكسر العين - الشيء في الشيء لم ينفذ... وفيه: أي علق فيه، فالمعنى: أن يصيروا غرضا للعدو ومضارعه مفتوح العين.

(٤) البحث ص ٢٨٨.

(٥) سبق هذه الرسالة خلاف بين عمر والمجاهدين في الغنيمة. وهي أرض وبشر والمال بأنواعه: فرأى عمر أن تحبس الأرض ببشرها وتقسم الأموال بأنواعها وخالفه فريق من كبار الصحابة على رأسهم عبد الرحمن بن عوف وقال لعمر: ما الأرض والعلوج الا مما أفاء الله عليهم فقال عمر: ما هو الا كما تقول، ولست أرى ذلك، والله لا يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل بل عسى أن يكون كلا على المسلمين، فاذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها فما يسد به الثغور، وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد، وبغيره من أرض الشام والعراق؟ فتشاوروا جميعا ثم استقر الرأي على حبس الأرض بعلوجها ووضع الخراج والجزية عليها، ثم كان هذا الكتاب من عمر. انظر لأبي يوسف - الخراج ص ٢٤، ٢٥ - وليحيي بن آدم القرشي - الخراج ص ٤١ - ولأبي عبيد - الأموال ص ٨٦، ١٨٠، ١٨٥ ونص الرسالة: عن يحي بن آدم القرشي - الخراج ص ٤٥ ولها مصادر اخر (ب) القرشي - الخراج ص ٢٧

(جـ) أبو يوسف - الخراج ص ٢٤ (د) أبو عبيد - الاموال ص ١٨٠

(هـ) البلاذري - فتوح البلدان ص ٢٦٥.

(و) الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب - تاريخ بغداد أو مدينة السلام ١/٩٨.

أما بعد: فقد بلغني كتابك تذكر[1] أن الناس سألوك أن تقسم بينهم[2] مغانمهم، وما أفاء الله عليهم. فاذا جاءك[3] كتابي[4] هذا فانظر ما أجلب[5] الناس عليك الى العسكر[6] من كراع أو مال[7]، فاقسمه[8] بين[9] من حضر من المسلمين، واترك الأرضين والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين، فانك ـ ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن[10] بقي بعدهم شيء[11].

[12] وقد كنت أمرتك أن تدعو الناس[13] ثلاثة أيام.

---

(١) ج: تذكر فيه.
(٢) هـ: بينهم ما أفاء.
(٣) ب. ج. هـ. و: أتاك.
(٤) هـ: كتابي فانظر.
(٥) ب: ما أجلب الناس به الى العسكر
ج: ما أجلب الناس عليك به الى العسكر.
هـ: ما أجلب عليه أهل العسكر.
و: ما أجلب الناس به عليك الى العسكر
(٦) هـ: العسكر بخيلهم وركابهم.
(٧) ج: ومال.
هـ: من مال أو كراع.
(٨) و: واقسمه.
(٩) هـ: بينهم، بعد الخمس.
(١٠) ج: لمن بعدهم
هـ: لمن يبقى.
(١١) انتهى هـ. و
(١٢) بداية د ـ وبدأ بقوله: اني قد كتبت اليك.
(١٣) ب: الناس الى الاسلام.
جـ: من لقيت الى الاسلام قبل القتال
د: الناس الى الاسلام ثلاثة أيام.

فمن[1] استجاب لك وأسلم قبل القتال فهو رجل من المسلمين له ماهم[2] وله سهم[3] في الاسلام، ومن استجاب[4] لك بعد القتال وبعد الهزيمة فهو[5] رجل من المسلمين وماله[6] لأهل الاسلام، لأنهم قد[7] احرزوه قبل اسلامه[8]، فهذا أمري وعهدي[9] اليك[10]، ولا عشور على مسلم، ولا على صاحب ذمة، اذا أدى المسلم زكاة ماله، وأدى صاحب الذمة جزيته التي صالح عليها.

انما العشور على أهل الحرب اذا استأذنوا أن يتجروا في أرضنا[11]، فأولئك عليهم العشور».

وكتب في اجازات الجند وحقوق نسائهم:

---

(١) ب: فمن أسلم واستجاب لك.
جـ: فمن أجاب الى ذلك قبل القتال
د: فمن استجاب لك قبل القتال.

(٢) جـ: وعليه ما عليهم، وله سهم... الخ
د: له ما للمسلمين.

(٣) د: وله سهمه.

(٤) ج: ومن أجاب.

(٥) ليس في د: (فهو رجل من المسلمين).

(٦) د: ما له في للمسلمين.

(٧) د: قد كانوا.

(٨) ب: قبل الاسلام. انتهى النص ب.

(٩) د: وكتابي.

(١٠) الى هنا ينتهي النص في ج، د.

(١١) «روى عمر بن شعيب أن أهل منهج - قوم من أهل الحرب، وراء البحر كتبوا الى عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه: (دعنا ندخل أرضك تجارا وتعشرنا) قال فشاور عمر أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك فأشاروا عليه به، فكان أول من عشر من أهل الحرب. اهـ».
خراج أبي يوسف ص ١٤٦.

« [1] كتب الى أمراء الأجناد:

ألا لا تحبسوا رجلا عن امرأته أكثر من أربعة أشهر » وروى الامام الشافعي بسنده ـ الى نافع قال:

« [2] عن ابن عمر قال: ان عمر بن الخطاب كتب الى أمراء الأجناد في رجال غابوا عن نسائهم، فأمرهم:

أن يأخذوهم بأن ينفقوا، أو يطلقوا، فان طلقوا بعثوا بنفقة ما حبسوا ».

د . وكتب في شأن العدو يطلب احاطته بتوضيح كامل عنه: مكانه وقائده وقواته، وأجاب قواته الى ما سألوه بشرح واف [3]، وكتب اليهم بوجوب الوفاء بالعهد، وان صدر من رقيقهم، وحذر من الغدر، وأمر بقبول الأمان ولو ممن فهم خطأ، وكاتبهم في التجار من أهل الحرب، وكتب يعظ جنده وينصح لهم:

كتب عمر الى سعد بعد أن حدد له موعدا لمغادرة (شراف) استعدادا للقادسية: « [4] أما بعد: فتعاهد قلبك، وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة ومن غفل فليحدثها [5]؛ فان المعونة [6] تأتي من الله على قدر النية، والأجر على قدر الحسبة، والحذر [7] الحذر على من أنت عليه وما أنت بسبيله واسألوا [8] الله

---

(١) المحب الطبري ـ الرياض النضرة ٢/٧٧.

(٢) مسند الامام الشافعي ص ٩٠.

(٣) البحث ص ٢٩٢.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٤٩١ ـ وللرسالة رواية أخرى (ب) لابن كثير ـ البداية والنهاية ٧/٣٧ جمع فيها بين المضمون والنص ـ وأشار ابن الاثير لها في حوادث القادسية بالكامل في التاريخ ٢/٤٦١ فقال: «وكان عمر قد كتب الى سعد يأمره بالصبر والمطاولة».

(٥) ب: وأمره بمحاسبة نفسه وموعظة جيشه وأمرهم بالنية الحسنة والصبر.

(٦) ب: النصر يأتي... الخ.

(٧) والحذر الحذر ـ الي ـ بسبيله. ليست في (ب).

(٨) ب: وسلوا.

العافية وأكثروا من قول: لا حول ولا قوة الا بالله[1].

واكتب الي[2]: أين بلغك جمعهم؟ ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم؟ فانه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه، والذي استقر عليه أمر عدوكم.

فصف لي منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم وبين «المدائن» صفة كأني أنظر اليها، واجعلني من أمركم على الجَلِيّة.

وخف الله وارجه، ولا تل بشيء، واعلم أن الله[3] قد وعدكم، وتوكل لهذا الأمر بما لا خلف له، فاحذر أن تصرفه[4] عنك، ويستبدل بكم غيركم.

وفي وجوب الوفاء والتحذير من العبث به كتب عمر في العام السابع عشر وكان المسلمون يحاصرون (شهرباج) بـ (جند يسابور) فتخلف مملوك لبعضهم - حين أوى المسلمون الى معسكرهم - ورمى لأهل الحصن بأمان في سهم قال فضيل بن زيد الرقاشي:

« [5] فَرُحْنا للقتال، وقد خرجوا من حصنهم فقالوا: هذا أمانكم فكتبنا بذلك

(١) ب: بالله العلي العظيم.

(٢) ب: واكتب إلي بجميع أحوالكم وتفاصيلها، وكيف تنزلون؟ وأين يكون منكم عدوكم؟ واجعلني بكتبك إلي كأني انظر اليكم، واجعلني من أمركم على الجلية.

(٣) ب: وأعلم أن الله قد توكل.

(٤) ب: يصرفه.

(٥) البلاذري - فتوح البلدان ص ٣٨٢.
جاء في الخراج لأبي يوسف ص ٢٢٢ » عن فضيل بن يزيد (كذا) الرقاشي قال: كتب إلينا عمر: إن عبد المسلمين من المسلمين، وذمته من ذمتهم يجوز أمانه.
حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم»
ويذكر الطبري في تاريخه ٤/٩٣، ٩٤ أنهم «كتبوا بذلك الى عمر فكتب اليهم: ان الله عظم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا، ما دمتم في شك أجيزوهم، وفوا لهم.
فوفوا لهم وانصرفوا عنهم».

الى عمر فكتب الينا:

ان العبد المسلم من المسلمين، ذمته كذمتهم فلينفذ أمانه. فأنفذناه».

وفي التحذير من الغدر روى الامام مالك - رضي الله عنه:

«[1] أن عمر بن الخطاب كتب الى عامل جيش كان بعثه:

انه بلغني أن رجالا منكم يطلبون العلج حتى اذا أسند في الجبل وامتنع، قال رجل: مطرس[2]، يقول: لا تخف، فاذا أدركه قتله، واني - والذي نفسي بيده - لا أعلم مكان واحد فعل هذا الا ضربت عنقه».

وفي هذا الباب أمر بقبول الأمان ولو ممن فهم خطأ، فكتب الى سعد: «[3] اني قد[4] ألقى في روعي أنكم اذا لقيتم العدو هزمتموهم، فاطرحوا[5] الشك وآثروا التقية عليه.

فان[6] لاعب أحد منكم أحدا من العجم بأمان[7]، أو قرفه باشارة أو بلسان[8]

---

(١) موطأ مالك ٢/٧.

(٢) كلمة فارسية، وهي مترجمة المعنى في كلمة عمر - رضي الله عنه - وفي حاشية الزرقاني ٢/٢٩٦ «مطرس بالطاء المهملة ولغيره مترس، قال الحافظ: بفتح الميم وتشديد الفوقية واسكان الراء المهملة، وقد تخفف التاء، وبه جزم بعض من لقيناه من العجم... قال ابن قرقول: والظاهر أن الراوي فخم المثناة فصارت تشبه الطاء» ا هـ - وفي صحيح البخاري ٤/١٢٢ قال عمر: اذا قال: مترس فقد أمنه، ان الله يعلم الألسنة ا هـ. وفي خراج أبي يوسف ص ٢٢٣: واذا قال الرجل للرجل: لا توجل فقد أمنه، وان قال له: لا تخف فقد أمنه، واذا قال له (مطرس) فقد أمنه فان الله يعلم الألسنة».

(٣) تاريخ الطبري ٣/٤٩٢ - ولها رواية مختصرة (ب) ذكرها ابن الاثير الكامل في التاريخ ٢/٤٥٤.

(٤) ب: اني ألقى.

(٥) لا وجود لهذه الجملة في (ب).

(٦) ب: فمتى لاعب.

(٧) ب: بأمان أو باشارة.

(٨) ب: بلسان كان عندهم.. الخ.

فكان لا يدري الأعجمي ما كلمه به، وكان عندهم أمانا، فأجروا ذلك[1] له مجرى الأمان★.

واياكم [2] والضحك، والوفاء الوفاء، فان الخطأ بالوفاءَ بِقيّة وان الخطأ بالغدر[3] الهلكة، وفيها وهنكم وقوة عدوكم[4]، وذهاب ريحكم واقبال ريحهم.

واعلموا أني أحذركم أن تكونوا شيئا على المسلمين[5]

وكاتبهم في التجار من أهل الحرب - روى الحسن البصري قال: « [6] كتب أبو موسى الى عمر [7] - رضي الله عنه:

ان تجار المسلمين اذا دخلوا دار الحرب أخذوا منهم العشر[8] قال: فكتب اليه عمر - رضي الله عنه:

خذ منهم - اذا دخلوا الينا - مثل ذلك العشر[9]، وخذ من[10] تجار أهل الذمة

---

(١) ب: له ذلك ★ ب: الأمان والوفاء

(٢) كلا الجملتين: التحذير والاغراء لا وجود لها في (ب)

(٣) ب: هلكة.

(٤) بـ « قوة عدوكم » ينتهي النص في (ب).

(٥) في خراج أبي يوسف ص ٢٢٣: « قال عمر: أيما رجل من المسلمين أشار الى رجل من العدو: لئن نزلت لاقتلنك، فنزل - وهو يرى أنه أمان - فقد أمنه ».

(٦) خراج القرشي ص ١٦٩ - ولها روايتان: (ب) بنفس المصدر ص ١٦٩ و (جـ) بخراج أبي يوسف ص ١٤٥، ١٤٦.
والرواية (ب) بينها وبين الأولى تقديم وتأخير حيث تروي كتاب عمر بهذا النص « أن خذ من تجار المسلمين من كل مائتين خمسة دراهم، ومازاد على المائتين فمن كل أربعين درهما درهم (كذا) ومن تجار أهل الخراج نصف العشر، ومن تجار المشركين - ممن لا يؤدي الخراج - العشر قال: يعني أهل الحرب ».

(٧) جـ: كتب أبو موسى الأشعري الى عمر بن الخطاب:

(٨) ج: ان تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر.

(٩) ج: خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين.

(١٠) جـ: من أهل الذمة.

نصف العشر، وخذ من [1] المسلمين من مائتين خمسة، فما زاد فمن كل أربعين درهما درهم».

وفي رسالته التالية تفصيل:

« [2] عن زياد بن حدير قال: كتبت الى عمر - رضي الله عنه - في أناس من أهل الحرب يدخلون أرضنا أرض الاسلام فيقيمون [3]. قال: فكتب الى عمر:

ان أقاموا ستة أشهر فخذ منهم العشر وان أقاموا سنة فخذ منهم نصف العشر».

ووعظ عمر جنده وأوصاهم في كل فرصة سنحت [4].

٢ - وكتب الى عماله في شؤون الحكم:

أ - فكتب يخطر بتعيينهم، وكتب يعزل بعضهم، أو يحاسبه أو يؤنبه وكتب لهم في أركان الاسلام: كالصلاة وأوقاتها، وسنة القراءة فيها، وكتب لهم في الزكاة وبين لهم ما لا زكاه فيه، وله في الصيام رسالتان عن (الهلال) يعدهما الفقهاء نادرتين:

وقد تقدم لعمر صيغة تعيين★.

وروى محمد بن سيرين احدى صيغ عمر في اخطار الرعية بالتعيين، قال: « [5] كان عمر بن الخطاب اذا بعث أميرا كتب اليهم:

---

(١) جـ: ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما، وليس فيما دون المائتين شيء.

(٢) خراج القرشي ص ١٦٨ - وسرد مضمونها أحكاماً أبو يوسف في الخراج ص ١٤٣، ١٤٤.

(٣) هذه أول اشارة أقف عليها في (الاقامة) وفيها حكم من أقام عاما ومن أقام نصف عام وذلك يعني وجود نظام متابعة لمن أعطي أي الحقين، وتكون الدولة الاسلامية بذلك أسبق في اقرار هذا النظام، وراجع بشأنه الحاشية رقم ١١ ص ٣٠١ «الباحث»

(٤) البحث ص ٣٠٠ - ٣٠١ وما بعدها.

★ البحث ص ٣٠١.

(٥) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد ١٦٢/١ - ورواها ابن الاثير - أسد الغابة ٤٦٩/١ عنه «كان عمر اذا استعمل عاملا كتب في عهده: وقد بعثت فلانا وأمرته بكذا» قال ابن الاثير: «فلما استعمل حذيفة على المدائن كتب في عهده: أن اسمعوا له وأطيعوا وأعطوه ما سألكم ا هـ قال =

اني قد بعثت اليكم فلانا وأمرته بكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا.

وكتب الى أهل البصرة في ربيع الأول من السنة السابعة عشرة:

« [1] أما بعد، فاني قد بعثت أبا موسى أميرا عليكم [2]، ليأخذ لضعيفكم من قويكم [3]، وليقاتل بكم عدوكم، وليدفع عن ذمتكم [4]، وليحصى [5] لكم فيأكم ثم ليقسمه بينكم، ولينقي لكم طرقكم [6] » [7].

وعزل المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ عقب ما أشيع عنه وأرسل أبا موسى أميرا مكانه بالكتاب السابق، وكتب الى المغيرة:

« [8] أما بعد، فانه بلغني نبأ عظيم، فبعث [9]، أبا موسى أميرا، فسلم اليه ما في يدك، والعجل...».

= الخطيب: فقالوا: هذا رجل له شأن ـ ا هـ ورواها الامام ابن حنبل ـ رضي الله عنه ـ في الزهد ص ١٨١ » عن محمد بن سيرين أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان اذا استعمل عاملا كتب في عده: واسمعوا له وأطيعوا ما عدل فيكم.

(١) تاريخ الطبري ٧١/٤ ـ ولها رواية (ب) لابن كثير ـ البداية والنهاية ٨٢/٧ ـ وراجع اشارة لها لابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٥٤١/٢، ولابن خلدون ـ بقية الجزء الثاني ص ١١٠.

(٢) ب: اني قد وليت عليكم أبا موسى.

(٣) ب: ليأخذ من قويكم.

(٤) ب: دينكم.

(٥) ب: وليجبي.

(٦) كان لعمر كتاب في الطرق ذكر مضمونه ابن جرير الطبري في تاريخه ٤٤/٤.

(٧) راجع نظيرا لهذه الرسالة في التولية طبقات ابن سعد ٢٥٥/٣ ـ ٨٧/٦ في تولية: عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود، وعثمان بن حنيف رضي الله عنه ـ (الباحث).

(٨) تاريخ الطبري ٧١/٤. ولها روايات: (ب) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٥٤١/٢ « قال: وهو أوجز كتاب وأبلغه » ا هـ ـ (جـ) ابن كثير البداية والنهاية ٨٢/٧ ـ ولا خلاف بين هذه الروايات الثلاث.

والرواية (د) لابن خلدون ـ بقية الجزء الثاني ص ١١٠ وتخالفها في الآتي فقط:

(٩) د: وبعثت.

وكتب يحاسب عمرو بن العاص - رضي الله عنه:

« [1] عن عبد الله بن المبارك قال: كان عمر بن الخطاب يكتب أموال عماله اذا ولاهم، ثم يقاسمهم مازاد على ذلك، وربما أخذه منهم، فكتب الى عمرو بن العاص: انه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم يكن حين وليت مصر.

فكتب اليه عمرو: ان أرضنا أرض مزدرع ومتجر فنحن نصيب فضلا عما نحتاج اليه لنفقتنا، فكتب اليه:

اني قد خبرت من عمال السوء ما كفى، وكتابك الى كتاب من قد أقلقه الأخذ بالحق، وقد سؤت بك ظنا. وقد وجهت اليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك، فأطلعه طِلْعه [2]، وأخرج اليه ما يطالبك بها، وأعفه من الغلظة عليك، فانه برح الخفاء ».

وعندما بنى سعد بن أبي وقاص - عام سبعة عشر - دارا بالكوفة جعل لها بابا، وبلغ عمر أن الناس يسمونها قصر سعد [3] فدعا بمحمد بن مسلمة - رضي الله عنه - وأمره أن يحرق الباب، ففعل، ودفع كتاب عمر الى سعد:

---

(١) البلاذري - فتوح البلدان ص ٢٢١ - وللرسالة رواية مخالفة، وهي مختصرة جدا ذكرها ابن الحكم في - فتوح مصر وأخبارها ص ١٤٦، قال بسنده - الى «عبد الله بن عبد العزيز - شيخ ثقة - الى عمرو بن العاص وكتب اليه:
أما بعد، فانكم - معشر العمال - قعدتم على عيون الأموال فجبيتم الحرام وأكلتم الحرام وأورثتم الحرام، وقد بعثت اليك محمد بن مسلمة الأنصاري ليقاسمك مالك فأحضره مالك. والسلام» وله رسالة أخرى في استبطاء خراج مصر - بنفس المصدر ص ١٥٨ بسنده - الى الليث بن سعد - رضي الله عنه - جاء فيها:
«فلا تجزع - أبا عبد الله - أن يؤخذ منك الحق وتعطاه، فان النهز يخرج الدر والحق أبلج، ودعني وما عنه تلجلج، فانه قد برح الخفاء والسلام»
وروايتا ابن عبد الحكم تجمعان مضمون رواية الطبري ويوثق بعضها بعضاً (الباحث).

(٢) في اللسان مادة طلع: أطلعتك طلعه، أي أعلمتكه. الطلع - بالكسر اسم من اطلع.

(٣) كانت الدار بين الأسواق فكانت تمنع سعدا - رضي الله عنه - الحديث فكان يغلق الباب لذلك =

« [1] بلغني أنك بنيت قصرا ، اتخذته [2] حصنا ، ويسمى قصر سعد ، وجعلت [3] بينك وبين الناس بابا ، فليس بقصرك ، ولكنه قصر الخبال انزل منه منزلا مما يلي بيوت الأموال وأغلقه.

ولا تجعل على القصر بابا تمنع الناس من دخوله [4]، وتنفيهم به عن حقوقهم، ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك اذا خرجت ».

وكتب لهم في أركان الاسلام ، فكتب في الصلاة:

« [5] عن مالك عن نافع - مولى عبد الله بن عمر - أن عمر بن الخطاب كتب الى عماله.

ان أهم أمركم عندي الصلاة ، فمن حفظها ، وحافظ عليها ، حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

ثم كتب أن: صلوا الظهر اذا كان الفيء ذراعا الى أن يكون ظل أحدكم مثله. والعصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية ، قدر ما يسير الراكب فرسخين أو ثلاثة قبل غروب الشمس.

= فادعى عليه الغوغاء ما هو منه براء وعلم عمر - في النهاية حقيقة الأمر فصدق قول سعد. انظر مراجع الرسالة في الحاشية القادمة.

(١) تاريخ الطبري ٤/٤٧ - وللرسالة رواية أخرى (ب) لابن الاثير - الكامل في التاريخ ٢/٥٢٩ ، ٥٣٠ ، واشارة الى مضمونها لابن كثير - البداية والنهاية ٧/٧٥.

(٢) ب: جعلته.

(٣) لفظ جعلت لا وجود له في (ب).

(٤) ينتهي النص في (ب) حيث فيه خطأ من نسخ أو طبع جعل العبارة: (والا تجعل على القصر بابا يمنع الناس من دخوله) وانما مقصود عمر ضد هذا (الباحث).

(٥) موطأ مالك ١/٢٤ - وروى الترمذي في صحيحه مقتطفات عن القراءة في هذا الباب، وهي على التوالي بـ ٢/١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ « كتب الى أبي موسى أن اقرأ في الصبح بطوال المفصل... وأن أقرأ في الظهر بأوساط المفصل... وأن اقرأ في المغرب بقصار المفصل.

والمغرب اذا غربت الشمس.

والعشاء اذا غاب الشفق الى ثلث الليل، فمن نام فلا نامت عينه، فمن نام فلا نامت عينه، فمن نام فلا نامت عينه.

والصبح والنجوم مشتبكة».

وكتب في الزكاة، وقد تقدمت له رسالة فيما لا زكاة فيه[1] فأما ما فيه زكاة، فقد رواه الامام مالك - رضي الله عنه:

«[2] يحيى عن مالك أنه قرأ كتاب عمر بن الخطاب في الصدقة، قال: فوجدت فيه: بسم الله الرحمن الرحيم - كتاب الصدقة.

في أربع وعشرين من الابل فدونها الغنم: في كل خمسة شاة، وفيما فوق ذلك الى خمس وثلاثين ابنة مخاض[3]، فان لم تكن ابنة مخاض فابن لبون[4] ذكر، وفيما فوق ذلك الى خمس وأربعين بنت لبون[5]، وفيما فوق ذلك الى ستين حقة[6] طروقة الفحل، وفيما فوق ذلك الى خمس وسبعين جذعة[7]، وفيما فوق ذلك الى تسعين ابنتا لبون، وفيما فوق ذلك الى عشرين ومائة حقتان طروقتا الفحل، فما زاد على ذلك ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة.

---

(١) البحث ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) موطأ مالك ١/٢٥٠.

(٣) للامام الدردير بالشرح الصغير ١/١٩١ وما بعدها: بنت مخاض ما أوفت سنة ودخلت في الثانية من الابل.

(٤) انظر الحاشية التالية:

(٥) هي ما أوفت سنتين ودخلت في الثالثة.

(٦) هي - بكسر الحاء - ما أوفت ثلاث سنين.

(٧) هي ما أوفت أربع سنين.

وفي سائمة الغنم اذا بلغت أربعين الى عشرين ومائة شاة، وفيا فوق ذلك الى مائتين شاتان، وفيا فوق ذلك الى ثلاثمائة ثلاث شياه، فما زاد على ذلك ففي كل مائة شاة.

ولا يخرج في الصدقة تيس ولا هرمة ولا ذات عوار الا ما شاء المصدق، ولا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة، وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية.

وفي الرقة - اذا بلغت خمس أواق - ربع العشر».

وله رسالتان في الصيام تتضمنان حكم رؤية الهلال نهارا، وانما كانتا نادرتين لوجود النص في رؤية الهلال عشية، قال ابن رشد: «اتفقوا على أنه اذا رؤى من العشي أن الشهر من اليوم الثاني[1] وليس في رؤيته نهارا أثر عن النبي ﷺ[2]. ولعمر كتابان: أحدهما عام والآخر مفسر:

«[3] روى أبو وائل قال: جاءنا[4] كتاب عمر - ونحن بخانقين: ان الأهلة بعضها أقرب[5] من بعض، فاذا رأيتم الهلال نهارا فلا تفطروا حتى تمسوا، أو[6] يشهد رجلان أنهما رأياه بالأمس[7] عشية».

وهذا أثر عام، «[8] وأما الخاص فما روى الثوري عنه[9]: أنه بلغ عمر بن

---

(١) القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد - بداية المجتهد ونهاية المقتصد ١٩٦/١.

(٢) نفس المرجع ١٩٧/١.

(٣) الامام شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن قدامة المقدسي - الشرح الكبير ٧/٣ - ولها رواية أخرى (ب) لابن رشد بداية المجتهد ١٩٧/١.

(٤) ب: أتانا.

(٥) ب: أكبر.

(٦) ب: فلا تفطروا حتى يشهد... الخ.

(٧) بلفظ (بالأمس) ينتهي النص (ب).

(٨) ابن رشد - بداية المجتهد ١٩٧/١.

(٩) عنه، أي عن أبي وائل.

الخطاب أن قوما رأوا الهلال بعد الزوال فأفطروا فكتب اليهم يلومهم - وقال:

اذا رأيتم الهلال نهارا قبل الزوال فأفطروا، واذا رأيتموه بعد الزوال فلا تفطروا ».

ب - وكتب الى عماله آمرا باقامة المنشآت التي تؤدي خدمات للرعية، وبتخطيط الطرق وبناء المنازل، وبتشجيع احياء موات الأرض بالمكافأة عليه، وذكر الرواة مضمون ذلك، وكتب باقطاع بعض الرعية [1]:

عندما تحدث الأحنف بن قيس الى عمر، وقد قدم في وفد من أهل البصرة، عن منزلهم، وكان سبخة لا يجف نداها ولا ينبت مرعاها مشرقها بحر ملح ومغربها فلاة » [2] فألحق عمر ذراري أهل البصرة في العطاء وكتب الى أبي موسى يأمره أن يحفر لهم نهرا [3] ».

و « [4] لما افتتح عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - البلدان كتب الى أبي موسى الأشعري، وهو على البصرة، يأمره أن يتخذ للجماعة مسجدا، ويتخذ للقبائل مساجد، فاذا كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة، وشهدوا الجمعة.

وكتب الى سعد بن أبي وقاص - وهو على الكوفة - بمثل ذلك، وكتب الى عمرو بن العاص - وهو على مصر - بمثل ذلك. وكتب الى أمراء أجناد الشام:

لايتبدوا الى القرى ويتركوا المدائن، وأن يتخذوا في كل مدينة مسجدا واحدا،

---

(١) راجع في احياء موات الارض ص ١٧٨.
وانظر في اقطاع الرعية ص ٢٨٥ - ٢٩٨.

(٢) البلاذري - فتوح البلدان ص ٣٥١.

(٣) شق أبو موسى النهر من دجلة حتى بلغ به البصرة، وكان معروفا بنهر الابلة ثم انطم منه جزء اعيد حفره في خلافة عثمان رضي الله عنه، انظر نفس المرجع ص ٣٥١، ٣٥٢.

(٤) ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق ٢/٩٤، ٩٥.

ولا يتخذوا للقبائل مساجد كما اتخذ أهل الكوفة والبصرة[1] و أهل مصر »[2].

ولما ابتنى الجند بالبصرة والكوفة منازلهم بالقصب شب حريق أتى على كثير منها في كلتا البلدتين، كان أشده الذي بالكوفة في شوال من العام السابع عشر »[3] فبعث سعد منهم نفرا الى عمر يستأذنونه في البناء باللبن، فقدموا عليه بالخبر عن الحريق وما بلغ منهم، وكانوا لا يدعون شيئا ولا يأتونه الا وآمروه به، فقال:

افعلوا، ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات، ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة.

فرجع القوم الى الكوفة بذلك. وكتب عمر [4] الى عتبة وأهل البصرة بمثل ذلك.

ثم صدر عن عمر كتابه في تخطيط الطرق، وكان مع أبي الهياج عمرو بن مالك ابن جنادة الأسدي، أخبر به سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما...: «[5] أنه

---

(١) ليست بالأصل والمقام يستوجبها الباحث.

(٢) انما اتخذ للقبائل مساجد - حين ذاك - في كل من البصرة والكوفة ومصر لأن الأماكن التي نزلتها القبائل في هذه البلدان لم تكن مصر بعد عكس ما كان الأمر عليه في الشام، ذكر لي هذا التفسير الاستاذ حسن محمد المشاط المدرس بالحرم المكي. (الباحث).

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٤، ولهذه الرسالة الشفوية الرواية (ب) لابن الاثير الكامل في التاريخ ٢/٥٢٩، ونص الروايتين واحد في كلمة عمر، وانظر اشارة للرسالة لدى ابن كثير - البداية والنهاية ٧/٧٥.

(٤) ب: وكتب عمر الى البصرة بمثل ذلك.

(٥) تاريخ الطبري ٤/٤٤ وفي البداية والنهاية ٧/٧٥ على جهة بيان الأمر بالتنفيذ، وتفيد روايته أن هذه الأرقام لبيان سعة شوارع الكوفة عند اختطاطها قال: وأمر سعد أبا الهياج الموكل بانزال الناس فيها بأن يعمروا ويدعوا للطريق المنهج وسع أربعين ذراعا، ولما دون ذلك ثلاثين وعشرين، وللأزقة سبعة أذرع. ا هـ.

ورواه ابن الاثير - بالكامل في التاريخ ٢/٥٢٩ باختصار فيه فبين أن أبا الهياج كان على تنزيل الناس بالكوفة ثم قال: وقدر المناهج أربعين ذراعا، وما بين ذلك عشرين ذراعا، والأزقة سبع أذرع. ا هـ.

أمر بالمناهج أربعين ذراعا، وما يليها ثلاثين ذراعا، وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبع أذرع، ليس دون ذلك شيء، وفي القطائع ستين ذراعا» فاختطت المدينتان على ذلك[1].

جـ - وكتب لهم فيما تطور من شؤون أهل الذمة، وفي حماية المجتمع من الجريمة وكتب لمن لجأ اليه من الرعية يوصي بأمره، وكتب يفتي في دقيق الأمور، وكتب في القضاء أكثر من رسالة[2]، وكتب بتعيين قضاة:

«[3] عن طارق بن شهاب قال: أسلمت امرأة من أهل نهر[4] الملك قال: فقال عمر - أو كتب عمر - رضي الله عنه:

ان اختارت أرضها، وأدت ما على أرضها، فخلوا بينها وبين أرضها، والا فخلوا بين المسلمين وأرضهم.

ويحمل الينا خبر الامام الشافعي التالي تصدى عمر للجريمة، روى - رضي الله

---

(١) راجع المصادر نفسها حيث الرسالتان.

(٢) البحث ص ٢٧١ - ٣٢٢ - ٣٧٥.

(٣) خراج القرشي ص ٥٦ - وتليها رواية بنفس المصدر ص ٥٦:
«عن طارق بن شهاب قال: أسلمت دهقانة من أهل نهر الملك فكتب عمر الى سعد - أو الى عامله: أن ادفع اليها أرضها تؤدي عنها» وذكرها أبو عبيد الهروي في الأموال ص ١١١، ١١٢
«عن طارق بن شهاب قال: كتب الى عمر بن الخطاب في دهقانة نهر الملك أسلمت فكتب: ان ادفعوا اليها أرضها تؤدي عنها الخراج.
وجاء - بنفس المصدر ص ٩٢ في بيان بقاء الخراج على كل من لزمته مساحة أرض في يده - قال أبو عبيد: «ومما يبين ذلك قول عمر في دهقانة نهر الملك حين أسلمت، فقال: دعوها في أرضها تؤدي عنها الخراج ا هـ. دهقان، بكسر الدال وضمها: رئيس الاقليم معرب. انظر بالقاموس المحيط باب النون فصل الدال، ويفهم أن المرأة زوج لكبير اقليم.

(٤) نهر الملك: كورة واسعة ببغداد. انظر الاموال لأبي عبيد ص ١١٢ وانظر من هذه القضايا رسالة باسقاط الجزية عن أعجمي أسلم، ذكرها أبو عبيد - في الأموال ص ٥٩.

عنه - بسنده الى « [1] عمرو بن دينار أنه سمع بجالة [2] يقول: كتب عمر - رضي الله عنه -: ان اقتلوا كل ساحر وساحرة ».

وعندما بنى سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - دارا بحيال المحراب من مسجد الكوفة، جعل فيه بيت المال، وسكن ناحيته، فنقب بيت المال وسرق منه شيء، فأخطر سعد عمر بذلك » [3] ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن مما يلي ودعة الدار؛ فكتب اليه عمر:

أن انقل المسجد حتى تضعه الى جنب الدار، واجعل الدار قبلته فان للمسجد أهلا بالنهار وبالليل، وفيهم حصن لمالهم..».

وكتب عمر لهم معينا لمن لجأ اليه من الناس، قال الامام محمد الشيباني: « [4] أخبرنا أبو حنيفة عن حماد، عن ابراهيم أن أبا كنف طلق امرأته [5] تطليقة، ثم غاب [6]، فأشهد [7] على رجعتها، [8] ولم يبلغها [9] حتى تزوجت فجاء وقد هيئت

---

(١) مسند الشافعي ص ١٢٥، وروى الكتاب أبو داود بسننه ٢/١٥٠ «عن عمرو بن دينار، سمع بجالة يحدث عمرو بن أوس وأبا الشعثاء، قال: كنت كاتبا لجزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس، اذ جاءنا كتاب عمر قبل موته بسنة: اقتلوا كل ساحر، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس وانهوهم عن الزمزمة وذكر البخاري في صحيحه ٤/١١٧: أن حديث بجالة كان عام سبعين، وروى منه البخاري جزء التفريق.

(٢) بجالة هو: ابن عبدة التميمي العنبري البصري - وهو ثقة، أدرك عمر راجع لابن حجر - تهذيب التهذيب ١/٤١٧.

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٦ - وهي من رسائل العام السابع عشر.

(٤) آثار محمد الشيباني ص ٨٦ - ولها رواية (ب) للخوارزمي - جامع مسانيد الامام الأعظم ٢/١٥٨ - وأخرى (جـ) بآثار أبي يوسف ص ١٢٩.

(٥) ج: طلق امرأته فأعلمها، وراجعها قبل أن تنقضي عدتها ولم يعلمها.

(٦) ب: ثم غاب عنها.

(٧) ب: وأشهد.

(٨) ب: فلم يبلغها ذلك.

(٩) جـ: فجاء وقد تزوجت المرأة.

التترق[1] الى زوجها، فأتى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه فذكر[2] ذلك له فكتب[3] الى عامله:

ان[4] أدركتها، ولم يدخل بها فهو أحق بها، وان وجدته وقد دخل بها ـ فهي امرأته.

قال[5]: فوجدها[6] ليلة البناء فوقع عليها،[7] وغدا الى عامل عمر ـ رضي الله عنه ـ فأخبره، فعلم أنه جاء بأمر بين.

وكتب مفتيا، روى الامام ابن حنبل ـ رضي الله عنه ـ بسند صحيح ـ الى «[8] أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رجلا رمى رجلا بسهم فقتله، وليس له وارث الا خال، فكتب ـ في ذلك ـ أبو عبيدة بن الجراح الى عمر فكتب:

---

(١) كذا ولا معنى له، وفي ب: فجاء وقد هيئت لتزف.

(٢) ج: فقص عليه الخبر

(٣) ج: فقال عمر:

(٤) ب: أن أدركها، فان وجدتها ـ ولم يدخل بها ـ فهو أحق بها وان وجدتها ـ وقد دخل بها ـ فهي امرأته.
جـ: ان وجدته لم يدخل بها فأنت أحق بها، وان كان قد دخل بها فليس لك عليها سبيل.

(٥) لفظ (قال) ليس في: ج.

(٦) ج: فجاء وقد وضعت القصة على رأسها، فقال: ان لي حاجة فأدخلوني، ففعلوا فوقع عليها، وبات عندها.

(٧) ج: ثم غدا الى الامير بكتاب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فعرفوا أنه جاء بأمر مستقيم.
(القصة، بضم القاف ـ في الرواية ج: الطرة، وهي الناصية تقص حذاء الجبهة. ا هـ راجع آثار أبي يوسف ص ١٢٩ ـ الباحث)
وراجع نظيرا لذلك طلاقا ذكره الامام مالك بالموطأ ٢/٨٠.

(٨) مسند أحمد ١/١٩٠ ـ وذكر الامام أحمد ـ رضي الله عنه ـ بمسنده، بسند صحيح، أصلا موضحا للأمر: قال: «عن أبي أمامة بن سهل قال: كتب عمر الى أبي عبيدة بن الجراح: أن علموا غلمانكم العوم ومقاتلتكم الرمي. فكانوا يختلفون الى الأغراض، فجاء سهم غرب الى غلام فقتله، فلم يوجد له أصل، وكان في حجر خال له، فكتب فيه أبو عبيدة الى عمر: الى من أدفع عقله؟، فكتب اليه عمر: ان رسول الله ﷺ كان يقول: الله ورسوله مولى من لا مولى له، والخال وارث

ان النبي ﷺ قال:
الله ورسوله مولى من لا مولى له، والخال وارث من لا وارث له » ومن رسائله في القضاء ما كتب به الى شريح بن الحارث بن قيس الكندي حين كتب اليه يسأله في القضاء، فكتب عمر:

« [1] أن اقض بما في كتاب الله [2]، فان لم يكن في كتاب الله فبسنة [3] رسول الله ﷺ [4] فان لم يكن في كتاب الله [5] ولا في [6] سنة رسول الله ﷺ فاقض [7] بما قضى به الصالحون، فان لم يكن في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ ولم [8] يقض به الصالحون، فان [9] شئت [10] فتقدم، وان شئت [11] فتأخر، ولا

من لا وارث له». راجع مسند أحمد ١/٢٩٥.
وانظر ـ في هذا الباب ـ ورسالته في فكيهة بنت سمعان ماتت وتركت ابن أخيها لأبيها وأمها، وابن أخيها لأبيها فكتب عمر: ان الولاء للكُبْر ا هـ الكبر: بضم فسكون: ما كان أقرب باب أو أم، وفي اللسان بالمادة هو كبر قومه بالضم، أي هو أقعدهم في النسب، وفي الحديث: الولاء للكبر. ا هـ راجع سنن الدارمي ٢/٢٧١.
وانظر ـ أيضا ـ رسالته في الحميل ـ والحميل امرأة تُسْبَى ومعها صبي تحمله تدعي أنه ولدها، فكتب عمر: ألا تورث الحميل الا ببينه».
راجع مصدريه: الخوارزمي ـ جامع مسانيد الامام الأعظم ٢/٣٣٢ وآثار محمد الشيباني ص ١٢٢.
(١) سنن النسائي ٨/٢٣١. ولها رواية (ب) بسنن الدارمي ١/٥٥.
(٢) ب: ان جاءك شيء في كتاب الله فاقض به، ولا يلتفتك عنه الرجال.
(٣) ب: فان جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله ﷺ.
(٤) ب: فاقض به.
(٥) ب: فان جاءك ما ليس في كتاب الله.
(٦) ب: ولم يكن فيه سنة عن رسول الله.
(٧) العبارة: فاقض بما قضى به الصالحون ـ الى نهاية قوله: ﷺ ليست في (ب).
(٨) ب: ولم يتكلم فيه أحد قبلك.
(٩) قبلها في ب: فاختر أي الأمرين شئت.
(١٠) ب: ان شئت ان تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم.
(١١) ب: وان شئت أن تتأخر.

أرى التأخر الا خيرا لك، والسلام[1] عليكم».

ومن كتبه في تعيين القضاة ما حدث به[2] الضحاك بن شرحبيل الغافقي أن عمار بن سعد التجيبي أخبرهم أن عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاص أن يجعل كعب بن ضنة على القضاء».

د ـ وكتب الى عماله يعظ وينصح، وكتب يحسم الخلاف منتصرا للسنة، وكتب ينهي عن مباح لما قد يؤدي اليه من ضرر لصدوزه عن قدوة:

«[3] عن الحسن البصري قال:

كتب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ هذه الرسالة الى أبي موسى الأشعري:

واقنع برزقك من الدنيا، فان الرحمن فضل بعض عباده على بعض، بلاء يبتلى به كلا: فيبتلى من بسط له: كيف شكره لله، وأداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوله.؟» اهـ.

وعندما باع معاوية ـ رضي الله عنه ـ سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها قال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ ينهي عن مثل هذا الا مثلا بمثل، فقال له معاوية: ما أرى بمثل هذا بأسا، فضاق بذلك أبو الدرداء ورحل فأخطر عمر، فكتب الى معاوية:

«[4] ألا تبيع ذلك الا مثلا بمثل وزنا بوزن»

---

(١) ليست في ب وفي هذا الباب حديث منسوب لمعاذ بن جبل ـ رضي الله عنه بسنن أبي داود (باب اجتهاد الرأي في القضاء) ٢٧٢/٢ ـ وفي صحيح الترمذي ـ أبواب الأحكام ٦٨/٦ ـ وفي سنن الدارمي باب كراهية الفتوى الخبران رقما (١٦٧ ـ ١٧١) ٥٤/١.

(٢) ابن عبد الحكم ـ فتوح مصر وأخبارها ص ١١١ ولها رواية (ب) لابن الاثير ـ أسد الغابة ٤٩٠/٤. ولفظها ـ في مضمون الرسالة واحد. الباحث.

(٣) تفسير ابن كثير ٥٧٧/٢.

(٤) موطأ مالك ١٣٥/٢.

وروى الامام محمد الشيباني في النهي عن مباح قال:

« [1] أخبرنا أبو حنيفة عن حماد عن ابراهيم عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ أنه تزوج يهودية بالمدائن، فكتب اليه عمر بن الخطاب:

أن خل سبيلها [2]

فكتب اليه: [3] أحرام هي يا أمير المؤمنين؟ فكتب اليه [4]:

اعزم عليك ألا تضع كتابي حتى تخلي سبيلها، فاني أخاف أن يقتد [5] بك المسلمون فيختاروا نساء أهل الذمة لجمالهن، وكفى بذلك فتنته [6] لنساء المسلمين».

★ ★ ★

هـ ـ وكما كتب لقواده بحصر الجند والقادة [7] كتب لبعض عماله بجمع شتات قبيلة، وضمها الى رئيس [8]، فانتظم له ـ بذلك ـ عقد الناس من مدنيين وعسكريين وطالب عماله بالاهتمام بالشؤون التربوية وتحسين العلاقات الاسرية: فكان له ـ رضي الله عنه ـ من ذلك هذا المجتمع النادر الرفيع.

روى أبو عبيدة أن عمر أمر « [9] مناديا فنادى: لا تعجلوا أولادكم عن

---

(١) آثار محمد الشيباني ص ٧٤، ٧٥ ـ ولها رواية (ب) للخوارزمي ـ جامع مسانيد الامام الأعظم ١١٤/٢ ـ وثالثة (جـ) بتاريخ الطبري ٥٨٨/٣.

(٢) ج: عن سيف: عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن سعيد بن جبير قال: بعث عمر بن الخطاب الى حذيفة بعد ما ولاه المدائن وكثر المسلمات: انه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها.

(٣) ج: لا أفعل حتى تخبرني: أحلال أم حرام؟ وما أردت بذلك.

(٤) ب: فكتب اليه عمر ج: فكتب اليه: لا، بل حلال، ولكن في نساء الأعاجم خلابة، فان أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم، فقال: الآن فطلقها.

(٥) ب: يقتدي.

(٦) ب: فتنة.

(٧) البحث ص ٣٠٤.

(٨) انظر أمره بجمع قبيلة بجيلة ص ٣٢٦.

(٩) أبو عبيد الهروي ـ الأموال ص ٣٠٣ ـ ولها رواية (ب) لابن كثير البداية والنهاية ١٣٦/٧. قال ابن كثير: =

الفطام، فانا نفرض لكل مولود في الاسلام، قال: وكتب بذلك في الآفاق بالفرض لكل مولود في الاسلام و« [١] كتب الى أمراء الأجناد:

ومن أعتقتم من الحمراء [٢] فألحقوهم بمواليهم، وعليهم ما عليهم، وان أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلوهم أسوتكم في العطاء والمعروف».

وكتب ـ في أوائل امارته لجمع الشتات من قبيلة بجيلة الى جرير بن عبد الله البجلي ـ رضي الله عنه [٣]. فكتب عمر « [٤] الى عماله السعاة في العرب كلهم:

من كان فيه أحد ينسب [٥] الى بجيلة في الجاهلية، وثبت عليه في الاسلام [٦]، يعرف ذلك فأخرجوه الى جرير».

ويبدو اهتمام عمر بالشؤون التربوية في رسالته التالية: « [٧] كتب عمر بن

= «ثم أمر مناديه فنادى لاتعجلوا صبيانكم عن الفطام، فانا نفرض لكل مولود في الاسلام، وكتب بذلك الى الآفاق».

(١) أبو عبيد الهروي ـ الأموال ص ٣٠٠.

(٢) الحمراء ـ يعني من العجم والروم، سموا بذلك لغلبة الحمرة على ألوانهم نفس المصدر ص ٣٠٠ حاشية رقم (٣).

(٣) كانت قبيلة بجيلة متفرقة من قبائل كثيرة، فسأل جرير رسول الله ﷺ أن يجمعهم فوعده بجمعهم ومات رسول الله ﷺ قبل ذلك، فذكر جرير أمره لأبي بكر، لكن حروب الردة لم تمكن أبا بكر من جمعهم، فلما كان عمر تمكن من ذلك أوائل امارته. راجع لابن حجر الاصابة في تمييز الصحابة ٣٣٣/١ ـ وتاريخ الطبري ٤٦٠/٣ ـ ولابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٤٤١/٢.

(٤) تاريخ الطبري ٤٦٠/٣ ـ ولها رواية (ب) لابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٤٤١/٢.

(٥) ب: الى عماله: انه من كان ينسب.

(٦) ب: الاسلام فأخرجوه... الخ.

(٧) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ٢٨/١.
ويستأنس لهذه الرسالة بقول عمر: علموا أولادكم العوم والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا، ورووهم ما يجمل من الشعر. اهـ انظر للمبرد ـ الكامل في اللغة والأدب ١٥٥/١ نشر مكتبة المعارف ـ بيروت ـ بلا تاريخ. وانظر رسالته لأبي عبيدة بن الجراح ـ رضي عنهما ـ بالحاشية رقم ٨ ص ٣٢٢.

الخطاب - رضي الله عنه - الى أبي موسى الأشعري: مر من قبلك بتعلم الشعر، فانه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الانساب».

وفي العلاقات الأسرية «[1] كتب عمر الى أبي موسى: مر ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا».

٣ - وكتب الى الرعية ومن أجلها:

وان كثيرا مما تقدم لنا مما كتب عمر كان من أجل الرعية تحسينا مطردا لشؤونها المختلفة، وقد كتب الى الرعية عن طريق عماله وقواده: مدنيين وعسكريين:

فأخطرها بأمرائها ووزرائها ومعلميها، وطلب - اليهم فيها - السمع والطاعة[2]، وكتب بتنفيذ رغباتها العادلة[3]، وكتب يعالج ما اعتراها من وخومة بعض البلاد[4]، وكتب ليفي لرعاياه من أهل الذمة، وكتب في حقوق المسلمين على أهل الذمة في حدود ما بينهم من عهد:

«[5] عن حارثة بن المضرب - قال: قرأت كتاب عمر[6] بن الخطاب الى أهل الكوفة:

أما بعد: فاني بعثت اليكم عمارا[7] أميرا وعبد الله[8] معلما ووزيرا وهما من[9]

---

(١) ابن قتيبة - عيون الاخبار ٨٨/٣.

(٢) راجع في الامراء ص ٣١٢.

(٣) انظر رسالته عن نافع بن الحارث أبي عبد الله ص ٢٨٧.

(٤) انظر ص ٢٩٥.

(٥) طبقات ابن سعد ٧/٦ - ورواية (ب) بنفس المرجع ٧/٦، وثالثة ج بنفس المرجع ٢٥٥/٣.

(٦) ب، ج: قرىء علينا كتاب عمر.

(٧) ب، ج: عمار بن ياسر.

(٨) ب: وعبد الله بن مسعود. ج: وابن مسعود.

(٩) ج: لمن.

النجباء من أصحاب رسول[1] الله ﷺ فاسمعوا[2] لهما ،و اقتدوا بهما ، واني[3] قد آثرتكم بعبد[4] الله على نفس اثره[5].

وكتب عمر ليفي لرعاياه من أهل الذمة:
كتب لأهل نجران[6] حين أجلاهم من اليمن[7]:

«[8] بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما كتب به عمر أمير المؤمنين لأهل نجران:

من سار منهم آمن بأمان الله لا يضره أحد من المسلمين، وفاء لهم بما كتب لهم محمد النبي ﷺ[9] ـ وأبو بكر[10] ـ رضي الله عنه[11] أما بعد: فمن[12] مروا به

---

(١) ج: أصحاب محمد من أهل بدر.
(٢) ب: فتعلموا منهما واقتدوا بهما.
(٣) ب، ج: وقد آثرتكم.
(٤) ب: بعبد الله بن مسعود ج: بابن أم عبد.
(٥) (اثرة) ليست في ب ولا ج.
(٦) هؤلاء هم جالية نجران من النصارى، أجلاهم عمر ـ أوائل عمر ـ أوائل حكمه ـ عام ثلاثة عشر، ثم أجلى اليهود بعدهم. راجع تاريخ الطبري ٤/١١٢.
(٧) انما أجلاهم عمر لسببين: أولهما استيثاقه من حديث رسول الله ﷺ: لا يبقى دينان في جزيرة العرب ـ انظر البحث ص ٦٠.
والثاني: تعاملهم بالربا، وكانوا في عهدهم مع النبي ﷺ قد منعوا من ممارسته. انظر هذا العهد النبوي بخراج أبي يوسف ص ٧٨ ـ وبالأموال لأبي عبيد ص ٢٤٤. والبحث ص ٦٠ ـ ٣٩٨.
(٨) خراج أبي يوسف ص ٧٩ ـ ولها رواية (ب) بالأموال لأبي عبيد ص ٢٤٥.
(٩) انظر الحاشية قبل السابقة.
(١٠) انظر عهد أبي بكر لهم بخراج أبي يوسف ص ٧٩ ـ وتاريخ الطبري ٣/٣٢١. والبحث ص ٤٠١.
(١١) النص من أول الرسالة ـ الى ـ وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ ليس في (ب) ـ وفي ب: فلما ولى عمر بن الخطاب أصابوا الربا في زمانه فأجلاهم عمر وكتب لهم: أما بعد... الخ.
(١٢) ب: وقعوا.

من أمراء الشام [١] وأمراء العراق فليوسقهم [٢] من حرث [٣] الأرض فما [٤] اعتملوا من ذلك [٥] فهو لهم صدقة [٦] لوجه الله، وعقبة [٧] لهم مكان أرضهم [٨]، لا سبيل عليهم فيه لأحد، ولا مغرم.

أما بعد [٩]: فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم، فانهم أقوام لهم الذمة، وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهرا بعد أن يقدموا ولايكلفوا الا من صنعهم البر غير مظلومين، ولا معتدي عليهم.

شهد عثمان بن عفان، ومعيقيب وكتب.

قال أبو أيوب [١٠]

« [١١] فأتوا العراق فاتخذوا النجرانية، وهي قرية بالكوفة».

وفي حقوق المسلمين على أهل الذمة، قال حكيم بن عمير

« [١٢] كتب عمر بن الخطاب، أيما رفقة من المهاجرين [١٣] آواهم الليل الى أهل

---

(١) ب: الشام أو العراق.

(٢) ب: فليوسعهم.

(٣) ب: من خريب الأرض
وفي حاشية ب: يعني يقطعهم من الأرض التي لا زرع فيها ولا شجر وليست في يد أحد. ا هـ.

(٤) ب: وما اعتملوا.

(٥) ب: شيء.

(٦) ب: فهو لهم لوجه الله.

(٧) ب: وعقبي من أرضهم.

(٨) الى (أرضهم) ينتهي النص في (ب).

(٩) كذا: ويحتمل هذا أن نص أبي يوسف جامع لرسالتين: أولاهما في اعطائهم أرضا، والثانية: في الانتصار لهم اذا ظلموا... الباحث.

(١٠) هو أحد شيوخ أبي عبيد في الرواية.

(١١) أبو عبيد الهروي ـ الأموال ص ٢٤٥.

(١٢) نفس المصدر ص ١٩٢.

(١٣) اذا كان المقصود بهذا اللفظ النازحين من جزيرة العرب الى هذه البلاد فواضح وهذا ما يدل عليه سياق الحوادث، ويبعد أن يكون المراد (المهاجرين) أهل مكة فلا اختصاص لهم هنا. الباحث.

قرية من المعاهدين، فلم يؤوهم، فقد برئت منهم الذمة».

وكتب عمر - رضي الله عنه - الى أفراد من الرعية مباشرة:

حد أبو عبيدة عامر بن الجراح - رضي الله عنه - بعض الناس في الخمر منهم: أبو جندل بن سهيل، وضرار بن الخطاب[1]...» [2] فاستحيوا فلزموا البيوت ووسوس أبو جندل، فكتب أبو عبيدة الى عمر:

---

(١) وثالث هو أبو الأزور، وقد اجتهدت أن أصل الى ترجمة له فعسر الأمر، فابن الاثير جاء في ترجمة (ضرار بن الازور) في أسد الغابة ٥٣/٣ ويكنى - بدوره - بأبي الازور، فقال: «وقيل انه كان مع أبي جندل وأصحابه حين شربوا الخمر»

وفي ترجمته - أيضا - لابن حجر - بالاصابة ٢٠١/٢ قال: «ويقال: انه ممن شرب الخمر مع أبي جندب» هكذا وصحتها (أبي جندل) والصيغة غير جازمة بأنه الشارب في المرجعين، ويبعد - عندي أنه ضرار بن الأزور أن ضرارا هذا - وهو فارس شاعر - قدم على رسول الله ﷺ، وأنشده قوله:

خلعت القداح وعزف القيان والخمر أشربها والثمالا

فقطع بخلعها أمام رسول الله ﷺ، ثم اختلافهم الشديد في موته: هل مات باليمامة في حملة خالد - رضي الله عنهما - وصحح هذا أبو نعيم، أم مات بدمشق أم بأجنادين من الشام، أم بحران، راجع لابن حجر - الاصابة في تمييز الصحابة ٢٠٠/٢ وأسد الغابة لابن الاثير ٥٣/٣، وفي باب الكنى لابن حجر بالاصابة ٦/٤. ويحقق ابن حجر هذه الكنية لأربعة نفر، ويشير الى الرابع صاحب الخمر بكنيته فقط دون التوصل الى اسمه. وعلى أي حال، فالواقعة ثابته في ثلاثة، وانما الاختلاف في أبي الأزور، وأبو الازور هذا الذي شرب لم يحد، فقد قال لأبي عبيدة: دعونا نلقى العدو غدا، فان قتلنا فذاك وان رجعنا اليكم فحدونا، فلقي أبو الازور وضرار وأبو جندل العدو فاستشهد أبو الازور وجد الآخران «انظر لابن الاثير - أسد الغابة ٥٥/٦ - وفي الاستيعاب لابن عبد البرعقب قوله: وحد الآخران «فقال أبو جندل: هلكت. ا هـ انظر لابن عبد البر - الاستيعاب في معرفة الاصحاب ١٦٢٣/٤ مطبعة نهضة مصر - وراجع لابن حجر - الاصابة في تمييز المصحابة ٦/٤.

(٢) تاريخ الطبري ٩٧/٤ - وللرسالة الرواية (ب) لابن كثير البداية والنهاية ٩٢/٧. واكتفى ابن الاثير في الكامل في التاريخ ٥٥٥/٢ بذكر الحارث دون الرسالة.

ان أبا جندل قد وسوس الا أن يأتيه الله على يديك بفرج فاكتب اليه وَذكِّرهُ، فكتب اليه[1]...

من عمر الى أبي جندل:

ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[2] فتب، وارفع رأسك، وابرز، ولاتقنط، فان الله ـ[3] عز وجل ـ يقول: [4]يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ٣٩ ـ ٥٣... وكتب الى الآخرين بمثل ذلك فبرزوا[5].

وكتب[6] الى الناس:

[7] عليكم أنفسكم، ومن[8] استوجب التغيير فغيروا عليه ولاتعيروا أحدا فيفشوفيكم البلاء».

* * *

(١) ب: فكتب اليه عمر بن الخطاب في ذلك

ولابن عبد البر ـ بالاستيعاب:

«فكتب عمر الى أبي جندل وترك أبا عبيدة:

ان الذي زين لك الخطيئة حظر عليك التوبة: حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم. غافر الذنب وقابل التوب. الآية. (٤٠، ١، ٢، ٣).

(٢) الى قوله: (لمن يشاء) جزء آية من الكتاب العزيز ٤ ـ ٤٨ و١١٦.

(٣) ب: تعالى.

(٤) ب: قل يا عبادي.... الآية.

(٥) العبارة: وكتب ـ الى ـ فبرزوا ـ ليست في: ب.

(٦) ب: وكتب عمر

(٧) ب: ان عليكم.

(٨) ب: ومن غير فغيروا عليه.

٣ ـ وكاتب عمر بعض حكام عصره لتصفية بعض الأوضاع فقد دخل حَيٌّ من اياد بن نزار بلاد الروم عام سبعة عشر: فـ «[١] كتب عمر الى ملك[٢] الروم:

انه[٣] بلغني أن حيا من أحياء العرب ترك[٤] دارنا وأتى[٥] دارك، فوالله لتخرجنه[٦]، أو لننبذن الى النصارى ثم لنخرجنهم[٧] اليك. فأخرجهم ملك الروم».

٤ ـ وكتب عمر في بعض مفاجآت العصر:

جاء في باب (الخمس في المال المدفون[٨]) عن أبي عبيد ـ بسنده ـ الى: «[٩] السري بن يحيى عن قتادة قال: لما فتحت السوس[١٠]، وعليهم أبو موسى الأشعري، وجدوا دانيال[١١] في ايوان، واذا الى جنبه مال موضوع وكتاب فيه:

من شاء أتى فاستقرض منه الى أجل، فان أتى به الى ذلك الأجل، والا برص، فالتزمه أبو موسى وقبله، وقال: دانيال ورب الكعبة.

---

(١) تاريخ الطبري ٥٥/٤ ـ وللرسالة رواية ثانية (ب) لابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٥٣٣/٢ ـ وثالثة (ج) لابن خلدون في تاريخ ٩٥٤/٢ ـ المطبعة الباسيلية ١٩٥٦.

(٢) ج: الى هرقل.

(٣) (بلغني) بداية الرسالة في ب، ج.

(٤) ج: تركوا.

(٥) ج: وأتوا.

(٦) ب: لتخرجنه الينا ج: لنخرجنهم.

(٧) ب: ج: أو لنخرجن النصارى اليك.

(٨) أبو عبيد الهروي ـ الأموال ص ٤٢٨.

(٩) نفس المصدر ص ٤٢٩.

(١٠) السوس: حي من الاهواز فتح في العام السابع عشر ـ راجع تاريخ الطبري ٩١/٤ ـ ٩٣.

(١١) راجع حادثة العثور على جسد نبي الله دانيال ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بتاريخ الطبري ٩٢/٤ ـ ٩٣ ـ ولابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٥٥١/٢ ـ ولابن كثير ـ البداية والنهاية ٨٨/٧، ٨٩ ـ والبلاذري ـ فتوح البلدان ص ٣٧١.

ثم كتب في شأنه الى عمر، فكتب اليه عمر:

(١) أن كفنه وحنطه، وصل عليه، ثم ادفنه كما دفنت الأنبياء - صلوات الله عليهم - وانظر ماله فاجعله في بيت مال المسلمين (٢).

قال: فكفنه في قباطي بيض، وصلى عليه ودفنه...» (٣).

ألفاظ الرسالة وأسلوبها:

ولا جديد لما أقدم في هذا الفصل، وانما بيان لسمات ما تقدم في الفصلين قبله، فان ألفاظ عمر - في الرسالة - تستمر - بنفس طابعها في الخطبة والوصية - فهي فصيحة بليغة سهلة الادراك سريعة الاداء لمعانيها (٤) الخ وقد نزيد هنا - من واقع اللفظ الحربي، فضلا عن وضوحه الشديد - كثرة تجرده من رداء فني يضفي عليه خيالا، أو يتجاوز به دائرة الحسم والفصل.

فالحسم والفصل كلاهما طابع اللفظ في رسائل عمر الحربية، وهو - كذلك

---

(١) ذكرت مضامين هذه الرسالة مختصرة فقال الطبري بتاريخه ٩٣/٤.

«وكتب الى عمر فيه فكتب اليه يأمره بتوريته» وذكر ابن الاثير بتاريخه ٥٥٢/٢ اشارة سريعة حيث قال: «فاستأذنوا عمر فيه فأمر بدفنه».

وذكر ابن كثير بتاريخه ٨٩/٧ أنه: «كتب الى عمر في أمره فكتب اليه أن يدفنه، وأن يغيب عن الناس موضع قبره ففعل.

وذكر البلاذري مضمون الرسالة وأشار الى طريقة قبره - عليه الصلاة والسلام - فقال - ص ٣٧١:

«فكتب أبو موسى بذلك الى عمر فكتب اليه عمر أن كفنه وادفنه. فسكر أبو موسى نهرا حتى اذا انقطع دفنه، ثم أجرى الماء عليه».

(٢) قال أبو عبيد في الأموال ص ٤٣٠ - عن هذا المال:

انما رفعه كله الى بيت المال، وترك أن يعطى الذين وجدوه منه شيئا، لانه كان مالا معروفا متعاملا قد تداوله الناس بينهم بالاستقراض على ما ذكر في الحديث، فالى من كان يدفعه، وكلهم قد عرفه، وصاروا فيه بمنزلة واحدة فكان بيت المال أولى به. ا هـ.

(٣) انظر حادثا مماثلا لهذا، كان لعبد الله بن التامر ذكره ابن كثير بتفسيره ٤٩٥/٤ - وراجع له السيرة النبوية لابن هشام ٣٤/١ الطبعة الثانية بالمطبعة الحلبية ١٣٧٥ هـ.

(٤) البحث ص ١٦٧ وانظر في الوصية ص ٢٤٩.

طابعها فيما يصدر بعقوبة[1]، أو أنذار[2] أو فتوى[3].

فاللفظ في هذا كله متجرد الا عما اراده عمر من معنى، ولذلك لم أقف على مراجعة له من أحد عماله أو قواده فيما كتب نتيجة استغلاق في المعنى أو احتمال فيه:

ومصداق هذه الظاهرة لفظة اذا:

أمر[4] أو نهى[5] أو عين[6] أو عزل[7]: أو نادى بتعبئة جند[8]، أو حدد عملا دون عمل[9] والأمر ذلك اذا أقصى عن قيادة أو وجه جندا أو سد ثغرة... الخ.

«[10] كتب عمر بن الخطاب أن

لا تستعملوا البراء بن مالك[11] على جيش من جيوش المسلمين، فانه مهلكة من الهَلَك[12]، يقدم بهم».

وكتب عمر - في توجيه جند الى قائدين فارسيين، هما (مهران الرازي) وكان

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٧، ورسالته الى العلاء بن الحضرمي ص ٣٠٤.

(٢) راجع رسالته الى هرقل ص ٣٣٢.

(٣) راجع رسالتيه في أبي كنف ص ٣٢١ - وفي ميراث الخال ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٤) انظر رسالته في تنظيم فرق الجيش ص ٣٠٤.

(٥) انظر رسالته في طرح الأمان ص ٣٠٩ - وانظر رسالتين بعدها.

(٦) انظر رسالته الى معاوية رضي الله عنه - ص ٣٠١ - والى أهل الكوفة ص ٣٢٧.

(٧) انظر رسالته الى المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه ص ٣١٣.

(٨) انظر رسالتيه في التعبئة ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٩) انظر رسالته في طلحة وعمرو بن معد يكرب ص ٣٠٢.

(١٠) طبقات ابن سعد ١٦/٧ - ولها رواية (ب) لابن الاثير - أسد الغابة ٢٠٦/١ وقد مات البراء - رضي الله عنه عام سبعة عشر، ويبدو لي أن هذه الرسالة من رسائل عمل المتقدمة، فقد عرفت جرأة البراء وسرعته في حرب اليمامة ضد المرتدة. راجع تاريخ الطبري ٢٩٠/٣ - ٨٦/٤.

(١١) ب: البراء على جيش.

(١٢) ب: المهالك، والهلك بزنة أنف - في اللسان مادة هلك، الهلك الهلاك.

قد عسكر بـ (جلولاء) و (الأنطاق) وكان قد عسكر بتكريت في أهل الموصل في السنة السادسة عشرة عقب أن افتتح المسلمون المدائن الشرقية - ففي مهران».. [١]
كتب الى سعد [٢] أن.

سرح هاشم بن عتبة الى جلولاء [٣] في اثني عشر ألفا، واجعل [٤] على مقدمته القعقاع بن عمرو [٥]، وعلى ميمنته [٦] سعر [٧] بن مالك، وعلى ميسرته [٨] عمرو بن مالك بن عتبة، واجعل على [٩] ساقته عمرو بن مرة الجهني...».

« [١٠] وكتب في تكريت واجتماع أهل الموصل الى الانطاق أن [١١] سرح الى

---

(١) تاريخ الطبري ٢٤/٤ ولها رواية (ب) لابن الاثير - الكامل في التاريخ ٥٢٠/٢ والرواية (ج) لابن كثير - البداية والنهاية ٦٩/٧.

(٢) ج: كتب اليه عمر أن يقيم هو بالمدائن، ويبعث ابن أخيه هاشم بن عتبة أميرا على الجيش الذي يبعثه الى كسرى.

(٣) ب: جلولاء واجعل.

(٤) ج: ويكون على المقدمة.

(٥) بعده في ب: وان هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين السواد، وليكن الجند اثني عشر.
وأورد الطبري الزيادة نفسها منفصلة عن الرسالة مصدرة برواة أخر ٢٤/٤: ان هزم الله الجندين: جند مهران وجند الانطاق، فقدم القعقاع حتى يكون بين السواد والجبل على حد سوادكم.

(٦) ج: وعلى الميمنة.

(٧) في (ج) سعد بن مالك - ويبدو أنه تصحيف نسخ، فسعد بن مالك هو سعد بن أبي وقاص نفسه، وثمة سعد بن مالك بن سنان، وهو أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - وليس معنا، والذي معنا سعد بن مالك بن عتبة. ا هـ الباحث. انظر مراجع الرسالة والجزء العاشر من تاريخ الطبري ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٨) ج: وعلى المسيرة أخوه عمر بن مالك... ا هـ وعمر - هنا - تصحيف آخر من نسخ غالبا، وانما هو عمرو - وهو عمرو بن مالك بن عتبة بن أهيب الزهري - راجع تاريخ الطبري ٣٥٥/١٠.

(٩) جـ: وعلى الساقة.

(١٠) تاريخ الطبري ٣٥/٤ - و(ب) ابن الاثير - الكامل في التاريخ ٥٢٣/٢ - و(ج) لابن كثير - البداية والنهاية ٧١/٧.

(١١) ب: فكتب اليه عمر أن سرح.
جـ: وكتب عمر في قضية أهل الموصلي الذين قد اجتمعوا بتكريت على الانطاق أن يعين جيشا

الانطلاق عبد الله بن الـمُعْتَمّ، واستعمل[1] على مقدمته ربعي بن الافكل[2] العنزي وعلى[3] ميمنته الحارث بن حسان الذهلي وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي، وعلى ساقته هانىء بن قيس وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة».

وكتب في سد ثغرة[4] الى سعد رضي الله عنه ـ عام أربعة عشر: « ..[5] ابعث الى فرج الهند[6] رجلا ترضاه يكون بحياله، ويكون ردءا لك من شيء ان أتاك من تلك التخوم[7]».

فبعث المغيرة بن شعبة.

يتضح لنا من هذا العرض لأغراض الكتابة عند عمر، مدى اتساع وظائفها ونمو شؤونها نمواً شمل كل مرافق الدولة وغيرها، وآذن ذلك لها بالانطلاق الذي انتعشت به ثم نالت به مكانتها الرفيعة فيما جد من عصور، يقول دكتور شوقي ضيف:

= لحربهم، ويؤمر عليه عبد الله بن المعتم.

الـمُعْتَم: بضم الميم وسكون العين وتشديد الميم. راجع لابن حجر الاصابة ٣٦٣/٢.

(١) ج: وأن يجعل.

(٢) ب: ربعي بن الأفكل وعلى الخيل... الخ.

(٣) ج: وعلى الميمنة... وعلى الميسرة... وعلى الساقة....

(٤) هي من رسائل العام الرابع عشر. راجع تاريخ الطبري ٤٨٧/٣.

(٥) تاريخ الطبري ٤٨٧/٣.

(٦) هو ثغر الأبلة من أرض البصرة، وكانت تدعي أرض الهند، وفي وصية عمر لعتبة حين وجهه الى البصرة: اني استعملتك على أرض الهند وانما كانت الأبلة كذلك اذا كانت مرفأ السفن للهند والصين في تلك البقعة، وكانت من أخطر الثغور على العرب، وقد أمر أبو بكر خالدا باحتلالها، وتم فتحها عام أربعة عشر انظر تاريخ الطبري ٣٤٣/٣، ٣٤٧، ٣٤٨، ٥٩٢ ـ ولابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٤٨٧/٢ ـ ولابن كثير ـ البداية والنهاية ٤٨/٧.

(٧) في اللسان مادة تَخْم بفتح فسكون: منتهى كل قرية أو أرض... والجمع تخوم وقال الفراء: تخومها حدودها.

« [1] وفي الحق أننا لا نصل الى عهد عمر حتى تصبح الكتابة جزءا أساسيا في أعمال الدولة، وحتى تتضمن كل تعاليمها، وكل ما رسمته للمسلمين وأهل الذمة من العلاقات السياسية والاقتصادية في الخراج وقسمة الغنائم وكل ما يتصل بالأنظمة في الشعوب المفتوحة، وعمر في ذلك كله يستلهم القرآن والسنة النبوية...

فاذا قلنا ـ بعد ذلك ـ ان الكتابة رقيت في العصر رقيا بعيدا لم نكن مغالين، اذ وسعت كل الحاجات التي جدت، وكل ما أعطى للمسلمين المحاربين والشعوب المفتوحة من حقوق ».

* * *

أسلوب الرسالة

نستصحب ـ هنا في ايجاز ـ ما تقدم لنا من سمات أسلوب عمر في الخطبة والوصية [2]، وانما تبدو هذه السمات في تصويره ـ رضي الله عنه ـ « لمضمون أفكاره » وليس في شيء من اطار الرسالة الخارجي، اذ هو ملتزم فيه بطابع العصر الاسلامي بدءا وافتتاحا وخاتمة، وليس له ـ في ذلك نهج مختلف يصور شعارا خاصا به [3] وإنما هو عامل على تأكيد روح العصر بالتزام هذا الطابع الفاصل الدقيق.

وسمات أسلوبه باختصار:

أفكار متفقة مع القيم الاسلامية، يعبر عنها في سهولة واسترسال بلفظ سهل واضح بليغ، مقتصد في ألوان البيان بلا خلو من لون فني ولا تقيد به مقتبس في احكام له انسياب في الجملة يدركه من كان على علم بمصدره الا اذا دعا داع الى

(١) دكتور شوقي ضيف ـ تاريخ الأدب العربي ـ العصر الاسلامي ص ١٣٤ دار المعارف بمصر.

(٢) انظر في الخطبة ص ١٧٠ ـ وفي الوصية ص ٢٤٩.

(٣) راجع ما تقدم اول هذا الفصل ص ٢٨٥ و ٢٩٠.

ذكر المصدر؛ فان عمر يتحدث به.

وله - في بعض رسائله اطناب واضح وازدواج بين.

ومما تقدم لنا في عرض أغراضه نلاحظ - في يسر - مدى وضوح هذا الأسلوب وسهولته واسترساله.

والبيان المقتصد فيما كتب في رسائله يبدو لنا في هذه المختارات:

ان العرب بمنزلة الابل [١]

لا تستعملوا البراء فانه مهلكة من المهالك [٢]

فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال [٣].

★ ★ ★

من رأسهم الذي يلي مصادمتكم [٤]

أعفه من الغلظة عليك [٥]

لن يغلب عسر يسرين [٦]

أعوذ بالله أن تدركني واياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة [٧]...

فانما هو ذباب غيث يأكله من يشاء [٨].

★ ★ ★

---

(١) البحث ص ٢٩٥.
(٢) البحث ص ٣٣٤.
(٣) البحث ص ٣١٤.
(٤) البحث ص ٣٠٩.
(٥) البحث ص ٣١٤.
(٦) البحث ص ٣٨٤.
(٧) البحث ص ٣٨.
(٨) البحث ص ٢٩٦.

افتح بابك [1]
ولا يقتلوا الا من جرت عليه الموسى [2]
لا يقيم أمر الله في الناس الا حصيف العقدة بعيد الغرة [3]... الخ

★ ★ ★

ومن لمساته الفنية القليلة قوله:
اني قد بعثت عمار بن ياسر أميرا، وعبد الله معلما ووزيرا [4]
تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة [5]
الا أن توافقوا غيضا من فيض [6]
وفيها وهنكم وقوة عدوكم [7]
فخذها منهم واردها عليهم [8]
ثم كنتم عليها أجرا وبها أعلم، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل [9]
فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى [10].

★ ★ ★

---

(١) البحث ص ٣٨٣.
(٢) البحث ص ٣٤٣.
(٣) البحث ص ٣٨٤.
(٤) البحث ص ٣٢٧.
(٥) البحث ص ٣٥١.
(٦) البحث ص ٣٥١.
(٧) البحث ص ٣١١.
(٨) البحث ص ٢٩٨.
(٩) البحث ص ٣٥٢.
(١٠) البحث ص ٣٨١.

واقتباسه ـ رضي الله عنه ـ منساب في الجملة، لا يؤدي لفظ فيها اشارة الى مصدره، ما لم يدع لذكر المصدر داع، وهذه الظاهرة نلمسها في رسالتيه: رسالته في «المعصية بين من لا يشتهيها، ومن يشتهيها ولا يمارسها[1] وفي كتابه الى الناس بعد أن جلد أبو عبيدة من جلد في الخمر[2]، ففي الرسالتين من القرآن الكريم ما يدركه من حفظ.

و «[3] عن الحسن أن قوما قدموا على عامل لعمر بن الخطاب رحمه الله ـ فاجاز[4] العرب، وترك الموالي فبلغ ذلك عمر، قال: فكتب اليه:

[5] بحسب المؤمن[6] من الشر ان يحقر أخاه المسلم»

وقد مر بنا كتابه ـ في الصلاة ـ نقتطف منه عبارته، حيث يقول:

«..[7] والعشاء اذا غاب الشفق الى ثلث الليل، فمن نام فلا نامت عينه.... الخ» وفي الرسالتين الأخيرتين اقتباس من رسول الله ﷺ: قال ـ عليه الصلاة والسلام:

«[8] المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا (ويشير الى صدره ثلاث مرات) بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم... الحديث» وفي مسند البزار عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: من نام قبل العشاء فلا نامت عينه[9]».

---

(١) البحث ص ٢٩٨.

(٢) البحث ص ٣٣١.

(٣) الامام أحمد بن حنبل ـ الزهد ص ١٢٠ ـ ولها رواية (ب) لأبي عبيد ـ الأموال ص ٣٠٠.

(٤) ب: فأعطي.

(٥) ب: أما بعد، فبحسب.

(٦) ب: المرء.

(٧) البحث ص ٣١٥.

(٨) صحيح مسلم ٨/١١.

(٩) السيوطي ـ تنوير الحوالك ١/٢٤.

ونجد مثالا جامعا لِلَّوْنَيْن في رسالته الى أبي جندل، ففيها اقتباسان، نص في الثاني منهما على مصدر النص ـ قال: «فان الله ـ عز وجل ـ يقول: يا عبادي الذين أسرفوا [1]... الآية» حثاله على الثقة بربه، وتأميلا في المغفرة لذنبه.

وعمر ـ اذا كتب في حكم يعلمه عن رسول الله، ﷺ اقتبس منه في حرص على ألفاظه في عين مقامها.

« [2]... عن أبي وائل قال: أتانا كتاب عمر ـ ونحن بخانقين:
واذا حاصرتم حصنا فأرادوكم أن ينزلوا على حكم الله فلا تنزلوهم فانكم لا تدرون: أتصيبون فيهم حكم الله أم لا؟ ولكن أنزلوهم على حكمكم ثم اقضوا بعد فيهم بما شئتم».

* * *

وعمر قد يميل احيانا الى الاطناب لسبب يراه، وحسبنا أن ننظر في رسالته الى القاضي شريح بن الحارث بن قيس الكندي في القضاء [3] حتى نجد فيها اطنابا وهو فيها سواء اقتصرنا على رواية واحدة أو نظرنا الى كلتا الروايتين.

ومع ذلك فلعمر مقدرة على الايجاز في وضوح، وهذه رسالته في عزل المغيرة شاهد ذلك، فانها ـ مع اقتصارها على جمل أربع قصار ـ أخبر فيها بما سمع وعزل وعين واستدعى [4].

فأما الطابع العام لرسائله ـ رضي الله عنه ـ فهو المساواة.



(١) الزمر ـ الآية ٥٣ انظر الرسالة ص ٣٣١.
(٢) خراج أبي يوسف ص ٢٢٢ ـ ونلاحظ أن هذه الكلمة المكتوبة هنا هي أيضا من وصية كان يخطب بها في جنده ـ انظر فصل الوصية ص ٢٥٦ وراجع لابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٣/٤٨.
(٣) البحث ص ٣٢٢.
(٤) البحث ص ٣١٤.

عرض ودراسة:

نلاحظ ـ فيما تقدم لنا من أغراض ـ أن عمر كتب اكثر من وثيقة تضمنت قرارا من قرارات الحكم قد يمس انسانا بعينه[١] أو يتناول شأنا من شؤون الدولة[٢]. يذيعه عمر في الرعية جميعا، أو في بعضها، فهو (منشور) في رسالة.

ولم يكن عمر أول من كتب المنشور في الاسلام، فقد سبقه اليه أبو بكر ـ رضي الله عنهما ـ وذكر ابن خلدون أنه كان لأبي بكر كتاب ينسخ على عدة صور فترسل الى عماله[٣].

وعمر كان على شاكلة أبي بكر في ذلك[٤].

ورسائله من هذا اللون المقصود به ابلاغ الرعية أجمعين، يقدم لها الرواة بمثل قولهم: كتب في الآفاق[٥] ـ كتب الى عماله[٦] ـ كتب الى الامصار كتب الى الناس، من ذلك:

«[٧] كتب عمر إلى الامصار[٨]:

اني لم أعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس[٩] فتنوا به[١٠] فخفت أن يوكلوا اليه[١١] ويبتلوا به، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وألا يكونوا

---

(١) راجع اخطار تعيين الأمير ص ٣٠١.

(٢) راجع نهيه عن ترك المدن الى القرى ص ٣١٨.

(٣) ابن خلدون ـ بقية الجزء الثاني ص ٦٩، ٧٠.

(٤) انظر اخطار تعيين الامير ص ٣٠١.

(٥) انظر الفرض لكل مولود ص ٣٢٥.

(٦) انظر الصلاة ص ٣١٥.

(٧) تاريخ الطبري ٤/٦٨ ـ ولها رواية (ب) لابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٢/٥٣٧ ـ وثالثة (ج) لابن كثير ٧/٨١.

(٨) ب: وكتب الى الامصار.

(٩) ب: فخموه وفتنوا به.

(١٠) ج: فتنوا به فأحببت ان يعلموا أن الله هو الصانع. ا هـ (ج).

(١١) ب: يوكلوا اليه فأحببت.

بعرض فتنة....».

وروى «[1] محمد بن عبيد الله بن يزيد الثقفي، قال: كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الى الناس:

من أحيا مواتا فهو أحق به»

وقد يعني المنشور بتبليغ فئة خاصة، وذلك حيث نجد الرواة يصدرونه بمثل قولهم:

كتب الى امراء الاجناد[2] - كتب الى عمال العرب على الكور والقبائل[3] كتب الى أمراء الامصار ونحوه، من ذلك.

أن عمر - لما نزل بالناس القحط عام الرمادة «...[4] كتب الى أمراء الامصار: أغيثوا أهل المدينة ومن حولها، فانه قد بلغ جهدهم...».

و«...[5] عن أسلم - مولى لعمر - أن عمر كتب الى أمراء الاجناد:

أن يقاتلوا في سبيل الله، ولا يقاتلوا الا من قاتلهم، ولا يقتلوا النساء ولا الصبيان، ولا يقتلوا الا من جرت عليه الموسى.

وكتب الى أمراء الأجناد[6].

أن يضربوا الجزية، ولا يضربوها على النساء والصبيان، ولا يضربوها الا على من جرت عليه الموسى.

---

(١) خراج القرشي ص ٨٥ - وراجع في ذلك ص ١٧٨.
(٢) انظر اجازة الجند، والنفقة والطلاق ص ٣٠٨.
(٣) انظر كلمته: لا تدعوا أحداً له سلاح.. ص ٣٠٢.
(٤) تاريخ الطبري ٩٩/٤ - وقال ابن الاثير في الكامل في التاريخ ٥٥٦/٢ «وكتب عمر الى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدهم».
(٥) أبو عبيد الهروي - الأموال ص ٤٥.
(٦) هذا الجزء من نص أبي عبيدة روى منه يحيى بن آدم القرشي - بسنده - الى أسلم عن عمر ص ٦٩ قال: «انه كتب الى أمراء اهل الجزية أن لا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه الموسى».

قال أبو عبيد: يعني من أثبت، وهذا الحديث هو الأصل فيمن تجب عليه الجزية ومن لا تجب عليه».

ثم ان بعض ما كتب به عمر ذو طابع يحمل على اعتباره منشورا وان لم تتصدره أي من العبارات المتقدمة، فمثلا كلمته الى أبي موسى بشأن القراءة في الصلوات[1]، وكلمته الى أبي عبيدة ـ رضي الله عنهما ـ في تعليم الغلمان العوم والرمي[2]، مثل هذا أو ذاك ونحوهما مما يبعد اعتباره أمرا خاصا لكل من الرجلين لما في مضمون كلتا الرسالتين من أمر لا يخص جماعة كل منهما دون بقية المسلمين وأبنائهم.

ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن المنشور لم يتميز بشكل فارق عن الرسالة من حيث البدء والاختتام، ويقوي ظني بذلك ورود مثل عبارة: قرىء علينا كتاب عمر، وكتب الى امراء الاجناد، ونحوهما، وهي عبارات نفهم منها ورود المنشور الى «مسؤول» أو «مسؤولين» يتولون اذاعته ـ بعد ـ في الناس، فهو اذا يوجه الى صاحبه رسالة معتادة الا أن في نصوصها ما ينبغي اذاعته في الناس.



واذا كانت رسائل عمر لها قيمتها الأدبية، فان لها ـ ولا شك ـ قيمة فقهية، وأخرى تاريخية، وانها لمصدر ثبت لهذه الاصول الثلاثة، ثم انها ـ من قبل ذلك دليل صدق على أن اهتمامات عمر بمسائل الأفراد لا تقل ـ بحال ـ عن اهتمامه بمصالح الدولة، وانه ليتابع في هذه ما يتابعه في تلك حتى يتيح للفرد من رعيته حاجته الممكنة العادلة.

وان رسالته بشأن نافع أبي عبد الله الثقفي المتقدمة[3] دليل ذلك، وهي في الحق واسطة رسائل عمر بشأن أبي عبد الله هذا فقد بلغت نحوا من أربع تتابعت بين موت عامل وعزل آخر وتوليه ثالث:

---

(١) انظر الحاشية رقم ٤ ص ٣١٥.

(٢) انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٢٢.

(٣) أنظر الرسالة ٢٨٧.

كانت أولى رسائل عمر بشأنه الى عتبة بن غزوان ـ رضي الله عنه ـ بعد تمصير البصرة في العام السادس عشر، فبينما هو يخطب اذ أتاه بريد عمر، فيه:

« [1] أمّا بعد، فان أبا عبدالله الثقفي ذكر لي أنه اقتنى بالبصرة خيلا حين لا يقتنيها أحد، فاذا جاءك كتابي هذا فأحسن جوار أبي عبد الله وأعنه على ما استعانك عليه ».

ولم يلبث عتبة أن توفي مرجعه من الحج في العام نفسه، وخلفه على البصرة المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ فأرسل اليه عمر برسالته المتقدمة التي نلاحظ أنها كتبت في صفر سنة سبع عشرة[2]، ثم رمى المغيرة بما رمى به، فولى عمر أبا موسى الاشعري البصرة واستدعى المغيرة بن شعبة في ربيع الاول من السنة نفسها[3] ثم جاء أبا موسى كتابُ عمر، فعن عوف بن أبي جميلة الأعرابي قال: « [4] قرأت كتاب عمر الى أبي موسى:

ان أبا عبد الله سألني أرضا على شاطىء دجلة[5] يفتلى فيها خيله فان كانت في غير أرض الجزية، ولا يجزأ اليها ماء الجزية فأعطه اياها ».

وان تتابع هذه الرسائل لدليل صدق على ما كان يبذله عمر في سبيل رعيته من جهد اداءً لحق الامانة فيما استرعاه الله، وان في ذلك لعبرة لمن يخشى.

★ ★ ★

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/٧.

(٢) راجع ص ٢٧٨.

(٣) راجع تاريخ الطبري ٢٠٦/٤، وابن الاثير الكامل في التاريخ ٥٤٠/٢، وابن كثير البداية والنهاية ٨١/٧ ـ وانظر ص ٣١٣.

(٤) البلاذري ـ فتوح البلدان ص ٣٤٥، ٣٤٦ ـ وله رواية (ب) لابي عبيد بالأموال ص ٣٥٣ ومن المصدرين معا ضبطت اسم الراوي عوف بن أبي جميلة. الباحث.

(٥) في ب ـ عقب دجلة: فان لم تكن أرض جزية، ولا أرضا يجري اليها ماء جزية فأعطها اياه. ا هـ.

وكتاب عمر الى النعمان بن مقرن بتنحية بعض المجاهدين عن القيادة دون الاستشارة [1]، أشار الطبري في تاريخه باستلام النعمان له بـ «الطزر» [2] وهي مدينة تبعد عن نهاوند بضعة وعشرين فرسخا [3]، وذلك أقرب الى الصواب من اعتبار وروده الى النعمان، وهو على [الصائفة]، كما سجل ذلك ابن عبد ربه - رحمه الله، وأحسبه وهما منه ليس غير [4]، وذلك: أن النعمان انتقل بعد حروب الردة الى الجبهة الفارسية تحت امرة سعد، ثم صار اليه أمر القيادة في نهاوند بكتاب من عمر [5]، وتلقى النعمان هذه الرسالة في العام الحادي والعشرين ثم قاد حملته الى (الأهواز) ثم منها الى (ماه دينار) فـ (الطزر) فـ (نهاوند) في جبهة فارسية كلها، لم ينتقل منها الى الشام، كل ذلك وهؤلاء النفر موضوع الرسالة من جنده، وقد استشهد النعمان أثناء معركة نهاوند من العام نفسه [6].

فأما الصائفة، فهي من الجبهة الرومية، وهي أقرب الى عمورية، ولم تكن في حوزة المسلمين حياة النعمان، وانما افتتحها معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهم - سنة ثنتين وعشرين أو ثلاث وعشرين، وليس دون ذلك على أي حال [7]، وقد انتقضت وأعيد فتحها على يد عبد الله بن عقبة الفهري - رضي الله عنه [8].

★ ★ ★

---

(١) البحث ص ٣٠٢.

(٢) تاريخ الطبري ١٢٧/٤.

(٣) ضبط المعجم الوسيط هذه المقاييس، ولما كان الفرسخ ثلاثة أميال عربية، والميل العربي البري يساوي (١٦٠٩) كان الفرسخ ٤٫٨٢٧ كم انظر مادتي فرسخ وميل بالمعجم الوسيط.

(٤) ابن عبد ربه - العقد الفريد ١٢٠/١.

(٥) راجع تاريخ الطبري ٢٤٦/٣، ٢٤٧، ٤٩٦ - ٢٣/٤، ٨٤، ١١٥ ١٣٢ والبحث ص ٣٠٠.

(٦) راجع تاريخ الطبري ١١٦/٤.

(٧) تاريخ الطبري ١٦٠/٤، ٢٤١.

(٨) نفس المرجع ٥٤/٧.

وهذا لون من الرسائل في حاجة الى دراسة:

قال ابن عبد ربه:

« [1] كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما - ومن معه من الأجناد:

أما بعد، فاني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فان تقوى الله أفضل العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك - ومن معك - أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم.

وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعدوهم، ولا عدتنا كعدتهم، فاذا استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، والا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا.

واعلموا أن عليكم - في سيركم - حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله، وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا: ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا (وان أسأنا) [2]، فرب قوم سلط عليهم شر منهم، كما سلط على بني اسرائيل - لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس « فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ».

واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم. أسأل الله ذلك لنا ولكم.

وترفق بالمسلمين في مسيرهم، ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل

---

(١) أحمد بن عبد ربه الاندلسي - العقد الفريد ١/١٠١ تحقيق محمد سعيد العريان مطبعة مصطفى محمد.

(٢) عبارة وان أسأنا من المحقق قال عنها بذيل الصفحة: زيادة يقتضيها السياق. ا هـ.

وفي طبعة لاحقة لم يشر إلى زيادة هذه اللفظة، فلم يعد يفطن إلى زيادتها إلا من قرأ الطبعة الأولى. الباحث.

يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم، والسفر لم ينقص قوتهم، فانهم سائرون الى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع.

وأقم ـ بمن معك ـ في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يجمعون فيها أنفسهم، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم.

ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه ولا يرزأ أحدا من أهلها شيئا، فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولوهم خيرا ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح.

واذا وطئت أدنى أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب، أو من أهل الأرض من تطمئن الى نصحه وصدقه، فان الكذوب لا ينفعك خبره، وان صدقك في بعضه، والغاش عين عليك وليس عينا لك.

وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع، وثبت السرايا بينك وبينهم، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم، وتتبع الطلائع عوراتهم، وتنق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل، فان لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك.

واجعل أمر السرايا الى أهل الجهاد والصبر على الجلاد، ولا تخص بها أحدا بهوى فيضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك.

ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية، فاذا عاينت العدو فاضمم اليك أقاصيك وطلائعك وسراياك، واجمع اليك مكيدتك وقوتك، ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها، فتصنع بعدوك كصنعه بك، ثم أذك

أحراسك على عسكرك، وتحفظ من البيات جهدك، ولا تؤتي بأسير ليس له عهد الا ضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك.

والله ولى أمرك ومن معك، وولي النصر لكم على عدوكم والله المستعان...»

هذه الرسالة دونها ابن عبد ربه في موسوعته دون أن يسندها ـ رحمه الله ـ لمصدر بعينه.

كذلك لم أعثر على جزء أو أجزاء منها ـ في مراجعي ـ بين المحدثين والأدباء والمؤرخين.

واذا عرضت لسير الحوادث ورسائل عمر ابتداء من استدعائه لسعد بن أبي وقاص الذي كان على صدقات هوازن مذولاه أبو بكر ـ ثم تعيينه له قائدا عاما لجبهة فارس متتبعا خطاه من مسيره من المدينة ـ حتى هبوطه العراق، لم أجد أحدا من كبار مؤرخينا ـ من أمثال الطبري، والبلاذري، وابن الاثير، وابن خلدون وابن كثير ـ ذكر ـ في رسائل الطريق التي تلقاها سعد هذه الرسالة أو شيئا منها، ومضمون الرسالة واضح في أنها أرسلت الى سعد وهو في الطريق الى الجبهة، وليست هذه الجبهة الا جبهة العراق[1].

ولم أجد ـ كمعالم على الطريق ـ من التفسير بالمأثور عن عمر انه قال: ان كفار المجوس هم الذين جاسوا خلال الديار[2]... الخ.

وبعيد عندي ـ في تلك الحملة بالذات ـ وهي الحملة التي جردها عمر لصد فارس، بعد أن اشتعلت الجبهة كلها ضد المسلمين باجتماع الفرس على (يزدجرد)

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٤٨٠/٣ ـ الى ٤٩٠ ـ وللبلاذري ـ فتوح البلدان ص ٢٥٥ ولابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٤٤٨/٢ ـ الى ٤٥٣ ـ ولابن خلدون ـ بقية الجزء الثاني ص ٩١ وما بعدها ـ ولابن كثير البداية والنهاية ٣٥/٧ ـ الى ٣٨.

(٢) راجع تفسير الآية فجاسوا خلال الديار ١٧ ـ ٥ لابن جرير الطبري ـ جامع البيان في تفسير القرآن ١٦/١٥ ط أولى المطبعة الكبرى الاميرية ١٣٢٨ راجع تفسير الآية لابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم ٢٥/٣ وللسيوطي ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١٦٣/٤ ط أولى المطبعة الميمنية.

وانتقاض أهل السواد ـ بعيد عندي أن يقول عمر لسعد ـ رضي الله عنهما: «أقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يجمعون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم» وهي رحلة تقتضي غذ السير، أعد لها عمر بالتعبئة العامة بين القبائل، وأخطر أبا عبيدة بالشام أن يصرف من عنده من جند العراق الى العراق[1]، كل ذلك ردءا للمسلمين، وكان عمر أن يتولى بنفسه قيادة تلك الحملة[2].

واذا قلنا ـ بعد ذلك: ان موسوعة ضخمة تعني بالجمع كالعقد الفريد نادرا ما تخلو من منحول أو موضوع.

وأضفنا الى ذلك هذا الطول غير المعهود في رسائل تلك الفترة فان هذه الأمور مجتمعة تذهب بنا الى الشك في صدور هذا النص من عمر ان لم ترجح نفيه عنه.

وان أطول ما كتب به عمر الى سعد في هذا المقام عندما لحق بالمسلمين في (شراف):

«[3] أما بعد، فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين، وتوكل على الله، واستعن به على أمرك كله.

وأعلم ـ فيما لديك ـ أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة، وبأسهم شديد، وعلى بلد منيع ـ وان كان سهلا ـ كؤود لبحوره وفيوضه ودآدئه، الا أن توافقوا غيضا من فيض.

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٤٨٧/٣ و٤٩٠ ـ وابن عساكر ـ تاريخ مدينة دمشق ٢٨٣/١ ولابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٤٥٣/٢ ـ وانظر منشور التعبئة ص ٣٠٣ حاشية رقم ١، وانظر ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(٢) راجع تاريخ الطبري ٤٨٠/٣ ـ وابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٤٥٠/٢.

(٣) تاريخ الطبري ٤٩٠/٣ ـ وانظر ذكرا مجملا لابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٤٥٣/٢ ـ وراجع الرسالة مذكورة بتلخيص ثم بالتفات الى الخطاب لابن كثير ـ البداية والنهاية ٣٦/٧.

وإذا لقيتم العدو، أو احدا منهم، فابدءوهم الشد والضرب، واياكم والمناظرة لجموعهم ولا يخدعنكم فانهم خدعة مكرة، أمرهم غير أمركم الا أن تجادوهم واذا انتهيت الى القادسية ـ والقادسية[1] باب فارس في الجاهلية، وهي أجمع تلك الأبواب لمادتهم، ولما يريدونه من تلك الآصل، وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر وأنهار ممتنعة ـ فتكون مسالحك على أنقابها [2]، ويكون الناس بين الحجر والمدر [3]، على حافات الحجر، وحافات المدر، والجراع [4] بينهما، ثم الزم مكانك فلا تبرحه، فانهم ـ اذا أحسوك أنغضتهم رموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وجدهم وحدهم فان انتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله، ونويتم الامانة، رجوت أن تنصروا عليهم، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدا الا أن يجتمعوا، وليست معهم قلوبهم، وان تكن الاخرى كان الحجر في أدباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم الى أدنى حجر من أرضكم، ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم وكانوا عنها أجبن وبها أجهل حتى يأتي الله بالفتح عليكم، ويرد لكم الكرة».

وهذه رسالة تبادلها أكثر من مؤرخ بين تدوين أو اشارة واضحة مذكورة الأسباب تامة البيان. الأمر الذي خلا من رسالة ابن عبد ربه.

★ ★ ★

ونذكر لعمر ـ رضي الله عنه ـ رسائل لا نملك الا رفضها، حظيت مصر منها بنصيب وافر، تليها الشام، ثم تقل في غيرهما:

---

(١) هذه العبارة والقادسية ـ الى قوله: أنقابها ـ يبدو أنها بيان مقحم من غير عمر لبيان أهمية القادسية.

(٢) في القاموس المحيط مادة نقب: النقب: الثقب، والطريق الى الجبل كالمنقب والمنقبة، والطريق الضيق بين دارين منقبة، فيبدو من ذلك أن المراد ثغورها وفروجها التي يمكن منها شل حركة العدو.

(٣) في القاموس المحيط مادة مدر: واحدته بهاء: المدن والحضر.

(٤) في القاموس المحيط مادة جرع: واحدته جرعة بتسكين الراء وفتحها: الرملة الطيبة المنبت... والأرض ذات الحزونة.

نقل الطبري ـ رحمه الله ـ في حوادث العام الثامن عشر ـ في عرضه لمسائل الرمادة أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ استغاث بعمرو بن العاص عامله على مصر فيمن استغاث من أمراء الأمصار لنجدة الناس ـ فاقترح عليه عمرو حفر قناة تصل البحر الشامي ببحر العرب، وذلك من أجل نجدة سريعة:

« [١] فكتب اليه عمر: أن افعل وعجل

فقال له أهل مصر: خراجك زاج[٢] وأميرك راض، وان تم هذا انكسر الخراج، فكتب الى عمر بذلك، وذكر أن فيه انكسار خراج مصر وخرابها فكتب اليه عمر:

اعمل فيه وعجل، أخرب الله مصر في عمران المدينة وصلاحها ».

وهذه الرسالة بل الخبر كله مرفوض، فان عام الرمادة ـ في أقصى تاريخ له كان العام الثامن عشر، ويروي سهل بن يوسف أنه كان آخر سنة سبع عشرة وأول ثماني عشرة؛[٣] فالرمادة ـ على أي الأقوال ـ لم تكن في العام التاسع عشر.

ولم تكن مصر قد فتحت في عام الرمادة على التحقيق.

فعمرو بن العاص أقنع عمر بفتحها ـ عندما قدم الجابية عام ثمانية عشر هجرية (٦٣٩ م) ثم سار بجنده مخترقا (سينا) حتى وصل العريش في نفس العام، ففتحها بلا مقاومة، ثم تقدم حتى وصل مدينة (الفرما) وكانت حصينة فحاصرها أكثر من ـ، وتم له فتحها أول المحرم سنة تسع عشرة (منتصف يناير ٦٤٠ م) ثم تقدم الى بيس) فـ (تندونياس) ـ أم دنين ـ واستمد عمر فأمده فحاصر حصن بابليون سنة عشرين، وتم صلح بينه وبين المقوقس اتجه عمرو بعده الى استكمال الفتح. هذه خلاصة البداية في فتح مصر، أو بداية الفتح التي أخذت تستقر بيد المسلمين في

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١٠٠.

(٢) في القاموس المحيط مادة زجا: زجا الخراج زجاء تيسر جبايته (كذا).

(٣) راجع بتاريخ الطبري ٤/٩٦، ٩٨ ـ وابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٢/٥٥٥ وابن كثير ـ البداية والنهاية ٧/٩١.

العام العشرين[1] كذلك فان جمعا من مؤرخينا القدامى كابن اسحاق وأبي معشر والأتابكي وابن عبد الحكم يرون الفتح عام عشرين[2].

ولقد كانت رواية إغاثة المدينة من مصر عام الرمادة[3] سبب اشكال لبعض المؤرخين فمال الى القول بأنها فتحت سنة ست عشرة، بينما تنبه ابن كثير ـ رحمه الله ـ لحقيقة الأمر فقال:

«[4] ذِكْرُ عمرو بن العاص ـ في عام الرمادة مشكل، فان مصر لم تكن فتحت في سنة ثماني عشرة، فاما أن يكون عام الرمادة بعد سنة ثماني عشرة، أو يكون ذكر عمرو بن العاص في عام الرمادة وهم».

وثقات المؤرخين على أن الرمادة كانت عام ثمانية عشر، فأين مصر والرمادة؟. وكيف أعانت مصر المدينة؟ أرى في الأمر وهما حقا.

ثم متى كان عمر يظلم أهل ذمة بخراب ديارهم، أين كانوا، من أجل المدينة أو غير المدينة.



(١) راجع للدكتور حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ـ ٢٣٤/١ ـ ٢٣٧.

(٢) راجع تاريخ الطبري ١٠٤/٤ ـ ولابن عبد الحكم ـ فتوح مصر وأخبارها ص ٨٠ ـ ولجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الانابكي ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢٠/١.

(٣) هي الرواية القائلة أن عمر ـ رضي الله عنه ـ كتب «الى أبي موسى بالبصرة أن ياغوثاه لأمه محمد، وكتب الى عمرو بن العاص بمصر أن ياغوثاه لأمة محمد فبعث اليه كل واحد منها بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الأطعمات، ووصلت ميرة عمرو في البحر الى جدة، ومن جدة الى مكة» انظر لابن كثير ـ البداية والنهاية ٩٠/٧.

(٤) ابن كثير ـ البداية والنهاية ٩٠/٧.

ثم رسالة [احراق مكتبة الاسكندرية] ، وهي رسالة برزت الى عالم الوجود نحو عام (٦٢٤) أربعة وعشرين وستمائة هجرية (١٢٢٧ م) فقد « الف[1] ابن القفطي عام ١٢٢٧ للميلاد كتابه « اخبار العلماء بأخبار الحكماء » وفي هذا الكتاب دونت تلك الرسالة التي وردت في باب الياء في ذكره ليحي النحوي وإني لذاكر هنا ، ما دونه عن يحي للحاجة اليه حتى نهاية رسالته تلك ، قال.

« [2] يحي النحوي : المصري الاسكندراني تلميذ شاواري ، كان أسقفا في كنيسة الاسكندرية بمصر ، ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية ، ثم رجع عما يعتقده النصارى من التثليث لما قرأ كتب الحكمة ، واستحال عنده جعل الواحد ثلاثة والثلاثة واحدا ، ولما تحققت الأساقفة بمصر رجوعه عَزَّ عليهم ذلك ، فاجتمعوا اليه وناظروه فغلب وزيف طريقه ، فعز عليهم جهله واستعطفوه وآنسوه وسألوه الرجوع عما هو عليه ، وترك اظهار ما تحققه وناظرهم عليه فلم يرجع فأسقطوه عن المنزلة التي هو فيها بعد خطوب جرت.

وعاش الى أن فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندرية ، ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده ، وما جرى له من النصارى ـ فأكرمه عمرو ، ورأى له موضعا ، وسمع كلامه أيضا في انقضاء الدهر ، ففتن به ، وشاهد من حججه المنطقية ، وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسة ما هاله.

وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه ، وكان لا يكاد يفارقه ، ثم قال له يحي ـ يوما :

انك قد أحطت بحواصل الاسكندرية ، وختمت على كل الاصناف الموجودة بها ، فأما مالك به انتفاع فلا أعارضك فيه ، وأما[3] ما لا نفع لكم به فنحن أولى به

---

(١) عن تقرير مسيوكازانوفا الذي نشر مع أصله الفرنسي بـ (المجلة العربية) التي تصدر بالمملكة العربية السعودية ـ العدد الثالث ١٣٩٦ ـ ١٣٩٧ وهذا الجزء من ص ١٥٦ ـ وأرمز اليه بـ (تقرير كازانوفا)

(٢) جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ـ اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٣٢ .

(٣) في الأصل : وأما لا نفع لكم به ـ وهو غير مستقيم . الباحث.

فاؤمر بالافراج عنه.

فقال له عمرو: وما الذي تحتاج اليه؟ قال: كتب الحكمة في الخزائن الملوكية، وقد أوقعت الحوطة عليها ونحن محتاجون اليها ولا نفع لكم بها.

فقال له: ومن جمع هذه الكتب؟ وما قصتها؟

فقال له يحيى: ان بطلو ماؤس فيلادلفوس من ملوك الاسكندرية لما ملك حبب اليه العلم والعلماء، وفحص عن كتب العلم وأمر بجمعها، وأفرد لها خزائن فجمعت، وولى أمرها رجلا يعرف بـ (زميرة) وتقدم اليه بالاجتهاد في جمعها وتحصيلها والمبالغة في أثمانها، وترغيب تجارها في نقلها ففعل ذلك، فاجتمع من ذلك في مدة أربعة وخمسون ألف كتاب ومائة وعشرون كتابا، ولما علم الملك باجتماعها وتحقق عدتها، قال لزميرة:

أترى بقي في الارض من كتب العلوم ما لم يكن عندنا؟، فقال له زميرة: قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل وعند الروم، فعجب الملك من ذلك، وقال له: دم على التحصيل، فلم يزل على ذلك الى أن مات الملك.

وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك وأتباعهم الى وقتنا هذا.

فأستكبر عمرو ما ذكره يحيى وعجب منه، وقال: لا يمكنني ان آمر فيها بأمر الا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

وكتب الى عمر، وعرفه قول يحيى الذي ذكرناه واستأذنه، ما الذي يصنع فيها؟ فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: (وأما الكتب التي ذكرتها، فان كان فيها ما يوافق كتاب الله، ففي كتاب الله عنه غني، وان كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة اليها، فتقدم باعدامها).

فشرع عمرو بن العاص في تفرقتها على حمامات الاسكندرية، وأحرقها في مواقدها، وذكرت عدة الحمامات يومئذ وأُنْسيتُها، وذكروا أنها استنفدت في مدة ستة أشهر، فاسمع ما جرى واعجب». ا هـ.

★ ★ ★

هذه هي الرسالة التي كان لها في سماء الفكر دوي عاصف تنازعته أغراض شتى، لكنها - على أي حال - تركت نفوس محبي عمر في محنة لوقت ما، وفي الحق أنه لأمر مؤسف أن تحترق مكتبة الاسكندرية وتلتهم النيران تراثا انسانيا جديرا بالأسى عليه والسخط على من يحرق هذا التراث النفيس في كل العلوم والفنون غير مبال بالجهود العلمية للانسانية في مقامها الرفيع.

وبعد فلمكتبة الاسكندرية مراحل ثلاث لابد من الالمام بها حتى نهتدي - في دقة - الى الذي حرق:

فالدور الأول هو دور الانشاء والتعمير للمكتبة الأم التي أنشأها بطليموس الاول (سوتر) في الحي الملكي قريبا من أحد شطآن الاسكندرية، عام ٢٩٠ ق . م وأنشأ الى جانبها متجفا صار جامعة كبرى، وساعده الحظ بقدوم ديمتريوس فاليريوس أحد علماء أثينا وفلاسفتها لاجئا الى مصر عقب أن طردته حكومة أثينا عام ٣٠٧ ق.م، فعهد اليه بطليموس الأول (سوتر) بتأسيسها، فلم يدخر ديمتريوس جهدا في اعدادها حتى صارت أعظم مكاتب العالم، وتوفي سوتر، وتلاه ولده بطليموس الثاني (فلدلفس) فنشط في أمرها أضعاف نشاط أبيه مستعينا بدمتريوس، الذي يسميه ابن القفطي (زميرة) ويبدو أن الزاي تصحيف عن (دال) مع طول النسخ وأن الأصل دميرة، فهو ديمتريوس هذا.

ثم أضاف بطليموس الثاني فلدلفس اليها مكتبة أصغر منها أنشأها في معبد السرابيوم[1] المقام على ربوة تنحدر حاليا الى جهتي كوم الشقاقة وكرموز غربي

---

(١) معبد السرابيوم أقامه بطليموس الأول لعبادة سرابيس الاله الشرقي ذي المظهر اليوناني، وهي=

المدينة، وعندما مات فلدلفس عام ٢٤٦ ق م كانت المكتبة قد استكملت ما تحتاج اليه من ترتيب، وتنظيم لاستيراد الكتب ونسخها حتى كان مديرها يتمتع بأكبر راتب في الدولة[١].

وظلت المكتبة وفرعها في ازدهار حتى هاجم يوليوس قيصر الروماني الاسكندرية، فلما حاصره المصريون أشعل النار في سفن الاسطول الراسية على الشاطىء فامتدت الى الأرصفة ومنها الى المباني، فأتت على الجامعة ومعظم المكتبة معا عام ٤٨ ق م، ومن العجيب ـ أن قيصر حين كتب مذكراته عن حرب الاسكندرية لا ينكر اشتعال النار في الأسطول والمكتبة، ولكنه يسكت عمن أشعلها، فذكر.

« [٢] أن المصريين لما حاصروه في الاسكندرية اشتعلت النار في سفن الاسطول الراسية في المياه، وامتدت الى المباني المجاورة لها، ومنها الى المكتبة فأحرقتها » لكن المؤرخ أوروسيوس يتهمه بالحرق مباشرة، يقول:

« [٣] وفي أثناء النضال أمر قيصر باحراق الأسطول الملكي، وكان عند ذلك راسيا على الشاطىء فامتدت النيران الى جزء من المدينة وأحرقت فيها أربعمائة ألف كتاب كانت في بناء قريب من الحريق، فضاعت بذلك خزانة أدبية عجيبة مما خلفه آباؤنا الذين جمعوا هذه المجموعة الجليلة من مؤلفات النابغين » ويذكر ديوكاسيوس أنها « قضت على أنبار ★ القمح ومخازن الكتب »[٤].

= عبادة طورها بطليموس من عبادة مصرية تشكل نوعا من الاتحاد بين أوزوريس وأبيس ليعطيها شكل رجل في عنفوان قوته له صورة الاله زيوس اليوناني، ونجح في التوفيق بين العنصرين المصري والاغريقي عن طريق الدين. انظر المراجع الاول في الحاشية التالية ص ٣٦.

(١) راجع لدكتور السيد عبد العزيز سالم ـ تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ص ٣٤ ـ ٣٥ ـ ولمحمد فريد وجدي ـ دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين) ٣٣١/١ ـ و(ول ديورانت ـ قصة الحضارة ـ الجزء الثالث من المجلد الثاني ص ٦٠، ٦٣، ٨٩، ٩٠).

(٢) انظر النص في تعليق دكتور حسين مؤنس على ما كتبه جرجي زيدان بتاريخ التمدن الاسلامي ٥١/٣. طبع دار الهلال عام ١٩٥٨.

(٣،٤) محمد حسين هيكل ـ الفاروق عمر ١٨٧/٢، ١٨٨ ـ في المعجم الوسيط.

★ الانبار: أكداس البر واحدها نبر بكسر النون.

وكتب دكتور السيد عبد العزيز سالم أنه « [1] احترق قسم كبير منها في عام ٤٨ ق م... ثم قضى الاضطراب السياسي والديني في الاسكندرية في عصر انتشار المسيحية ـ على العدد الأعظم مما تبقى من هذه الكتب، ومن المرجح أن مكتبة المتحف بددت سنة ٢٧٢ م، عندما أخمد الامبراطور أورليانوس الثورة التي أشعلها فيرموس».

مهما يكن من أمر ـ إذاً ـ فقد انتهت المكتبة الأم تماما الا من القليل جدا الذي سلم من الحريق، وكان طبيعيا أن ينتقل القليل الذي لم تأت عليه النار الى المكتبة الفرع، أعني مكتبة السرابيوم (معبد سرابيس) الذي ورث ـ من بعد الحريق ـ دور المكتبة والجامعة معا، ثم ضم اليها مارك أنطونيو مائتي ألف مجلد كانت بدار كتب مدينة برجام أو برجاموس هدية منه لكليوباترا وتعويضا لها عما نالته النار من المكتبة الأصلية التي أنشأها أجدادها البطالسة [2].

ثم احترق معبد السرابيوم ـ بدوره ـ مرتين:

« [3] مرة زمن القيصر ماركويل، ومرة في زمن القيصر كومول» ومن المؤسف أن الدمار الشامل الذي لحق بهذه المكتبة كان بأمر بطريرك الاسكندرية ثيوفيلوس، كما هو مدون بالخطط الفرنسية (وصف مصر)، وأصابها عام ٣٩١ م ما أصاب أصلها عام ٤٨ ق م « [4] عندما هاجمها الجيش الامبراطوري يساعده المسيحيون بزعامة ثيوفيلوس بطريرك الاسكندرية» يقول بتلر:

---

(١) دكتور السيد عبد العزيز سالم ـ تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ص ٣٦.

(٢) راجع لمحمد فريد وجدي ـ دائرة معارف القرن الرابع عشر ١/٣٣١، ٣٣٢ ـ ولمحمد حسين هيكل الفاروق عمر ٢/١٨٨ ـ ودكتور السيد عبد العزيز سالم ـ تاريخ الاسكندرية وحضارتها ص ٣٥.

(٣) دائرة معارف وجدي ١/٣٣٢ ★ هي كتاب وصف مصر الذي وصفته الحملة الفرنسية.

(٤) دكتور السيد عبد العزيز سالم ـ تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ص ٣٦ ـ وانظر دائرة معارف وجدي ١/٣٣٢.

« [1] وأهوى المسيحيون الى المعبد العظيم معبد سيرابيس، وعلى رأسهم ثيوفيلوس وجعلوا يهدمونه ويخربون فيه، وكان ذلك في عام ٣٩١ م ولا يختلف فيه اثنان، وقد ثبت أن المكتبة كانت في حجرات متصلة بهذا المعبد وثبت أن هذا المعبد كله قد هدم وخرب، فلا بد أن تكون المكتبة قد لحقها الخراب نفسه » وفي تاريخ المؤرخ - عقب حديثه عما أصاب السرابيوم ومكتبة أخرى كانت بالاسكندرية تسمى مكتبة البروكيون أتلفت سنة ٢٦٣ م « [2] ولم يذكر التاريخ أن أميرا أو بطريقا أو حاكما أراد، أو قدر في هذه الفترة على أن يحل غيرهما محلهما.

وحتى عام ٤١٤ م كان ما تبقى من رفوف المكتبة خاليا تماما من الكتب شهد بذلك باولوس أورازيوس الذي شاهدها، بنفسه عند زيارته الاسكندرية في هذا العام [3] ، ويؤكد الاستاذ بول جراندور هذه الحقيقة مستدلا عليها بأقوال لاورازيوس هذا ومارسيلينوس ابيانوس تؤكد أن المكتبة لم تكن موجودة على أيامها [4].

وهنا ننتهي الى حقيقة، هي أن كتب الحكمة - والمقصود بها كتب التراث الاغريقي، وما جمعه هؤلاء الأقدمون لهذه المكتبة - كل ذلك لم يكن موجوداً فيما بقي من أثر للمكتبة:

فهل احترقت كلها وتبددت؟ أم بقي منها شيء؟ فأين كان، وما مصيره؟ يقول رفيق العظم:

---

(١) محمد حسين هيكل - الفاروق عمر ١٨٨/٢.

(٢) محمد حسين هيكل - الفاروق عمر ١٨٨/٢.

(٣) دكتور حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٢٤٥/١ - وراجع لضبط الاسم:

دائرة معارف وجدي ٣٣٢/١ - وتعليق دكتور حسين مؤنس على تاريخ التمدن الاسلامي لجورجي زيدان ٥١/٣ - ورفيق بك العظم أشهر مشاهير الاسلام في الحروب والسياسة ٦٠٠/٣.

(٤) راجع تعليق دكتور حسين مؤنس على تاريخ التمدن الاسلامي لجورجي زيدان ٥١/٣.

« [1] ان المشهور عن هذه المكتبة طرؤ الحريق عليها أكثر من مرة قبل الفتح الاسلامي. وان الذي بقي منها نقل بَعْضَه أبـاطـرة الرومان الى القسطنطينية، وما بقي أحرقه الامبراطور تيودورس لما أمر بحرق الهياكل الوثنية في الاسكندرية».

ومسألة نقل الكتب الى القسطنطينية ـ هذه ـ كانت حركة شاملة تشبه تماما ما فعله ديمتريوس في جمعه للكتب عند انشاء مكتبة الاسكندرية، ويقرر هذا ابن القفطي نفسه ـ في معرض طلب المأمون لكتب الحكمة من ملك الروم المعاصر له ـ وقد جَدَّ هذا في احضار شيء منها للمأمون فلم يجد، وأفزعه ذلك حتى حضر اليه أحد الرهبان المنقطعين في بعض الأديرة النازحة عن القسطنطينية وقال له: عندي علم ما تريد، ثم أرشده الى « [2] هيكل كانت يونان تتعبد فيه قبل استقرار ملة المسيح، فلما تقررت ملته بهذه الجهات في أيام قسطنطين ابن اللانة جمعت كتب الحكمة من أيدي الناس وجعلت في هذا البيت وأغلق بابه... فسار الى البيت وفتحه ووجد الأمر فيه كما ذكر الراهب... فأخذوا من جانبها بغير علم ولا فحص خمسة أحمال وسيرت الى المأمون».

لقد اكدت الشواهد أن المكتبة قد انتهت وانتهى دورها تماما، بل انتهت معها الجامعة الاغريقية بدورها، فلم نعد نسمع لها بذكر عقب تلك الكارثة وحتى ينتهي إي أمل في انشائها، أقام تيوفيلوس الذي هدم المعبد وخرب المكتبة « [3] محل السرابيوم كنيسة سميت اركاديوم من اسم القيصر اركاديوس المتولي تحت القيصرية بعد القيصر تيودور الأكبر».

ويبدو أن هذه الكنيسة حملت اسم اركاديوس لفترة ثم عرفت بعد ذلك بكنيسة يوحنا المعمدان وظلت قائمة حتى القرن العاشر الميلادي [4] وقد أنشأ بها ثيوفيلوس

(١) رفيق بك العظم ـ أشهر مشاهير الاسلام في الحروب والسياسة ٥٩٤/٣.
(٢) ابن القفطي ـ اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٣.
(٣) رفيق بك العظم ـ أشهر مشاهير الاسلام ٥٩٩/٣ ـ ودائرة معارف القرن الرابع عشر ٣٣٢/١.
(٤) راجع لدكتور السيد عبد العزيز سالم ـ تاريخ الاسكندرية وحضارتها ص ٣٧.

مكتبة كنسية تماما، وان كانت الخطط الفرنسية (وصف مصر) تقول: «[1] جعل فيها دار كتب جمع فيها ما أبقته النار وشيئا كثيرا من كتب النصرانية».

ومهما يكن من أمر، فان سلمنا بوجود كتب سلمت من الحريق والتبديد المتكرر فان قلتها لن تجعل المكتبة اغريقية، بل مكتبة كنسية تماما قد ادخرت في جوفها كتبا لاهوتية عني كثير منها بالمجادلات التي حدثت بين أتباع آريوس وأضدادهم.

واذا تكون هذه المكتبة - اذا لازمتها ظروف حسنة - هي التي عاشت حتى الفتح العربي وليست تلك التي حدث عنها ابن القفطي، والذي يؤخذ على ابن القفطي أني أراه - بوضوح - قد بدأ بداية علمية دقيقة موفقة وهو يتحدث عن انشاء المكتبة، الأمر الذي يدل على رجوعه الى مصادر علمية صحيحة، فلماذا تخطى - كل هذا التاريخ ليبقي المكتبة اغريقية حتى عمرو بن العاص، ثم يقول: على لسان ما سماه يحي النحوي: «[2] وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الأمر من الملوك وأتباعها الى وقتنا هذا».

وكلا الأمرين لاحظ لهما من الحقيقة على الاطلاق.

ولنعمد الى حيث انتهى الامر بالمكتبة الكنسية، وفيها ما فيها مما يعتبره أهل دينها تراثا نفسيا لماسه بالعقيدة مساسا مباشرا يفصل في ميزانه بين الكفر - عند القوم - والايمان، فهل تقدم لها عربي ما بسوء؟

ان مؤرخا نصرانيا - هو يوحنا النقيوسي - قد عاصر الفتح الاسلامي لمصر، وكتب فيه، ناشراً حقده كله فيما كتب غير مخفف منه ولا مستسرفيه، فلم يكتب كلمة واحدة تشير الى احراق عمرو وللمكتبة وكان أولى الناس بتدوين ذلك لولا كان الأمر قد حدث فعلا، لا سيما والكتب، لها أهميتها الماسة عند القوم، ولو حاق

---

(١) رفيق بك العظم - أشهر مشاهير الاسلام ٣/٥٩٩ - دائرة معارف القرن الرابع عشر ١/٣٣٢.

(٢) البحث ص ٣٥٥.

بها أدنى سوء لتحدثوا عنه بكل نقيصة وغلو واغراق[1].

ولا نجد ذكرا ـ أيضا ـ لهذا الامر بين مؤرخينا الاسلاميين الذين سجلوا هذه الفتوح. ولقد صدع للحق فيها فزيفها جبون، وسديو وريناان وجوستاف ليبون وبتلر كما زيفتها دوائر المعارف البريطانية والاسلامية[2].

بقيت حقيقة أخرى ظهرت بظهور العلم بمعاهدة تمت بين العرب والرومان وفيها فصل الخطاب، نقلها (لين بول) عن حنا النقيوسي المؤرخ المعاصر للفتح الاسلامي، تقول:

« [3] ان قيرس الذي عاد من القسطينطينية ـ وبيده تفويض من الامبراطور يخوله عقد الصلح مع عمرو ـ ذهب الى عمرو في بابليون ليفاوضه في الصلح، وقد تم الاتفاق بينهما على أن يدفع أهل الاسكندرية للعرب جزية شهرية، وأن يقدموا لعمرو (١٥٠) جنديا و(٥٠) مدنيا بمثابة رهائن، وأن يتعهد المسلمون بعدم التدخل في شؤون المسيحيين وكنائسهم، والسماح لليهود بالبقاء في الاسكندرية وأن يبقى المسلمون مدة[11] شهرا خارج المدينة حتى يبحر عنها الروم، ووقعت المعاهدة بين الطرفين في طليعة نوفمبر سنة ٦٤١م، وتم ابحار الروم في ١٧ سبتمبر سنة ٦٤٢ ».

وهذا العام موافق للسنة العشرين من السنوات الهجرية★

وكم كان أولى بابن القفطي، ومن جاراه، أن يعلم أن المسلمين وفي مقدمتهم عمر ابن الخطاب نفسه مطالبون شرعا بحماية نفوس القوم وكنائسهم وأموالهم حسبما وقع به العقد، فأين الدليل على أن المسلمين نقضوا هذا العهد أو غيره..

---

(١) راجع تعليق دكتور حسين مؤنس على ما كتبه جورجي زيدان بتاريخ التمدن الاسلامي ٥١/٣ ـ ومحمد حسين هيكل ـ الفاروق عمر ١٨٥/٢.

(٢) انظر لمحمد حسين هيكل ـ الفاروق عمر ١٨٣/٢.

(٣) دكتور السيد عبد العزيز سالم ـ تاريخ الاسكندرية وحضارتها ص ٥٣.

★ راجع للدكتور السيد عبد العزيز سالم ـ تاريخ الاسكندرية وحضارتها ص ٥٣.

ان أشد الناس عداوة للاسلام والمسلمين لم يرم المسلمين بخيانة العهد، بل يقر لهم ـ مكبرا اياهم ـ بتمام الوفاء به، بل جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ خيانة العهد من الكبائر التي لا كفارة لها الا الغمس في العذاب الأليم، فقال: «بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين».

«ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم[1]» (٣ - ٧٦، ٧٧).

«وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ـ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون. ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم. ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون»[2] ١٦ - ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥.

ذلك هو العهد وتلك هي منزلته في الاسلام، وانما كانت كذلك لأن الاسلام دين قبل كل شيء لا يبغي مجدا حربيا ولا نفوذا سياسيا، وانما يبغي الهداية للناس أجمعين، وخيانة العهد صدر عن سبيل الله، واغراء بالكره للاسلام لما يصور من غدر المسلمين، وما كان الله ليقبله ان الله لا يحب الخائنين.

ان رواية ابن القفطي لا يتحملها الا ابن القفطي وحده، فلا التاريخ ولا مسانيد الناس: مسلمين وغير مسلمين أمدت ابن القفطي بها، حتى ابن النديم وهو مصدره

---

(١) راجع تفسير الآيات مقارنة باليمين في الحالات الفردية.

(٢) راجع تفسير الآيات مقارنة باليمين في الحالات الفردية.

في يحيى النحوي، لم يذكر شيئا عن حريق المكتبة[1]، فالرسالة فقطية لحما ودما، يرى هيكل - رحمه الله - أنها قد تكون نشأت في بيئة شيعية، ويرى كازانوفا أنها صنعت اغراء لصلاح الدين بالقضاء على تراث الشيعة[2] لكن الأولى ما ذهب اليه هيكل فالشيعة حريصون على تشويه عمر.

ولقد ردها البعض بواتع من مضمون فحواها:

فنظر في أمر الحمامات التي أغفل ابن القفطي عددها، فوجدها كانت في الاسكندرية أربعة آلاف حمام - ذكرها ابن عبد الحكم[3]، وهذا يعني أن ما حوته المكتبة يزيد على السبعين مليون مجلد لتكون وقودا لأربعة آلاف حمام ستة أشهر، وهذا مستحيل[4].

وَرُدَّتْ أيضا بوفاة يوحنا غرماطيقوس، أي يحيى النحوي[5] وكانت قبل دخول العرب مصر بنحو ثلاثين أو أربعين سنة، وكان يكتب بمصر قبل سنة ٥٢٧ م فهي اذا خرافة سبقت وآخت أخرى تنسب حريق المكتبة لنابليون، وقد سمعها الكونت دولاندبرج من قبطان انجليزي[6].

ثم بعد، لا زال أمر يشغلني شخصيا في معلومات ابن القفطي نفسه عن يوحنا النحوي هذا:

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٣٧٠ مطبعة الاستقامة بالقاهرة (بلا تاريخ) وانظر تقرير كازانوفا ص ١٥٧.

(٢) محمد حسين هيكل - الفاروق عمر ١٨٦/٢ - وتقرير كازانوفا ص ١٥٨.

(٣) ابن عبد الحكم - فتوح مصر واخبارها ص ٨٢.

(٤) راجع تقرير كازانوفا ص ١٥٦ - ورفيق بك العظم - أشهر مشاهير الاسلام ٥٩٣/٣.

(٥) يوحنا غرما طيقوس هو يحيى النحوي - راجع في التسمية دكتور حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام السياسي. الخ ٢٤٤/١.

(٦) انظر لمحمد حسين هيكل - الفاروق عمر ١٨٧/٢ - وتعليق دكتور حسين مؤنس على تاريخ التمدن الاسلامي ٥١/٣ - وتقرير كازانوفا ص ١٥٧.

واني لأتساءل: ما مدى ثقة ابن القفطي بما كتب عن يحي النحوي؟ أهو على يقين من حياته معاصرا لعمرو؟

لقد انصرف كثيرون الى التماس ما كتبه ابن القفطي عن يحي متصلا بالمكتبة في موضعه من حرف (الياء) فقط بينما صفحات كتابه «اخبار العلماء بأخبار الحكماء» تردد فيها اسم يحي النحوي كثيراً و هي فيما كتب تدل على اضطراب في تحديد وقت حياته فعندما كتب عنه - في موضع الترجمة له حيث ذكر حريق المكتبة جعله معاصرا لعمرو بن العاص حواريا له[1].

وكتب عنه ص ٦٦ فقال: «يحي النحوي الاسكندري الأسقف بها في أول الملة الاسلامية».

وكتب عن أوليطراؤس ص ٤١ فقال عنه: «كان يلقب بالهلال - بعد يحي النحوي - في أوائل الشريعة الاسلامية» وعن أريباسيوس فقال ص ٤٢:

«طبيب اسكندراني بعد يحي النحوي في أول الشريعة الاسلامية» وقال - عن فوليس الأجانيطي ص ١٧٢:

«وزمنه بعد زمن جالينوس، ومقامه بالاسكندرية، وكان زمانه بعد زمن يحي النحوي، وكأنه في أول الملة الاسلامية».

ونحن نلاحظ أن استعماله لكلمة (بعد) تعني انقضاء حياة وعصر ولى. وهكذا نجده تارة يقطع بوجوده في أول الملة الاسلامية بمصر، وتارة يقدمه عليها، وأظهر ما يؤخذ من ذلك مباشرة أنه ليس على دراسة وثيقة بوقت حياته، كما تشير الينا بذلك تلك النصوص، فما كان أحراه أن يراجع أمره قبل أن يقتحم هذا المزلق الخطير.

واذا تساءلنا: لماذا بقيت تلك الاسطورة من وقت كتبت، فلم يدرس أمرها حتى كان العصر الحديث؟

---

(١) البحث ص ٣٥٤.

ان في جواب محمد حسين هيكل فصل الخطاب، قال ـ رحمه الله « [1] ولو أن النقد العلمي عرف في تلك العصور لما بقيت هذه الأسطورة أسابيع قبل أن يفندها الناقدون ». ثم يقول: « [2] كيف تسنى لأسطورة تقوم هذه الأدلة الكثيرة على بطلانها أن تبقى قرونا، وألا يرى بعض المؤرخين المسلمين بأسا بروايتها وبتصديقها ؟

السبب عندي واضح بين، وهو الفرق بين عقلية المسلمين في القرن الأول وعقلية المسلمين في القرن السابع الهجري والقرون التي تلته. « وقد ذكر الفرق في وضوح حيث قال ـ عنها:

« [3] كتبت في القرن السادس الاسلامي حين جمد التفكير والنقد، وأصبح جهد المؤلفين مقصورا على نقل الروايات التي ذكرها من قبلهم دون تمحيصها لمعرفة صحيحها من باطلها ».

★ ★ ★

ومنها عن مصر أيضا رسالة النيل، جاء في « فتوح مصر وأخبارها: « [4].. لما فتح عمرو بن العاص مصر ـ كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن قيس ابن الحجاج عمن حدثه ـ أتى أهلها الى عمرو بن العاص حين دخل بؤونة من أشهر العجم، فقالوا له: أيها الأمير، ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها، فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: انه اذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل.

(١، ٢) محمد حسين هيكل ـ الفاروق عمر ١٨٩/٢.
(٣) محمد حسين هيكل ـ الفاروق عمر ١٨٦/٢.
(٤) ابن عبد الحكم ـ فتوح مصر وأخبارها ص ١٥٠.

فقال لهم عمرو: ان هذا لا يكون في الاسلام، وان الاسلام يهدم ما قبله.

فأقاموا بؤونة وأبيب ومسري لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب، فكتب اليه عمر.

قد أصبت، ان الاسلام يهــدم ما كان قبله، وقد بعثت اليك ببطاقة فألقها في داخل النيل اذا أتاك كتابي.

فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة، فاذا فيها:
من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر، أما بعد.
فان كنت تجري من قبلك فلا تجر، وان كان الله الواحد القهار الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك.

فألقى عمرو البطاقة في النيل - قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها، لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة، وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر».

ان منهج أهل الحديث يرد الرسالة، لأن المخبر بها مجهول عينا فلا ندري: ما اسمه، وحالاً فلا نعلم له رتبة رواية، وشأن ذلك ساقط، فقد خرجت بذلك عن الأخبار العلمية الصحيحة[1].

وفي الحق أن هذا المنهج أراحنا من رسالة أخرى نسبت الى عمر أيضا بشأن (زرنب) الذي قيل فيه: انه وصى عيسى الذي عاش حتى يوصي عمر - فأثبت وضعها وأنهى أمرها[2].

وقد لا يستقيم أن يرد منهج علمي دقيق التحري شيئا ويسقطه فيرفع من شأنه منهج آخر ويراه مقبولا، ومع ذلك فان المحفوظ عن مصر التاريخية كلها يقطع

---

(١) راجع للامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تدريب الراوي ص ٢١٠.
(٢) الكناني - تنزيه الشريعة ١/٢٣٩، ٢٤٠.

بالقضاء على مضمون الرسالة الذي لا يصيب من الواقع شيئا، فان تاريخ مصر فرعونية أو نصرانية ينفي هذه السيئة على الاطلاق، ولقد خطا محمد حسين هيكل خطوة عملية في هذا السبيل، اذ طلب من العلامة سليم حسن العالم الأثري وصاحب موسوعة في تاريخ مصر القديمة - أن يبحث أمر عروس النيل فأثبت عنه هيكل أمرين:

أحدهما أنه «[1] كان من عادة الكهنة المصريين، ومن عادة بعض ملوكهم أن يقيموا لاله النيل احتفالا في بدء الانقلاب الصيفي، يقربون فيه للاله ثوراوأوزة وقرابين أخرى من الخبز وغيره، ثم يلقون في النيل وثيقة مختومة من ورق البردي مخطوطا عليها أمْرٌ للنيل أن يجري في فيضان معتدل يكفل للبلاد الخير والرخاء، وكان هذا الاحتفال يقام في اليوم الذي تصل فيه مياه النيل الصيفية قادمة من أسوان الى بلدة السلسلة».

وثانيهما: خرافة عروس النيل، ومصدرها أحد امرين، قال - رحمه الله: «[2] أما قصة عروس النيل - كما رويت - فخرافة تستند الى أسطورة روجها المؤرخ الاغريقي بلوتارك خلاصتها:

أن (اجبتوس) ملك مصر استلهم الوحي ليهديه السبيل لاتقاء كوارث نزلت بالبلاد، فنصحه أن يضحي بابنته بأن يلقيها في النيل ففعل، ثم انه ناء بالرزء الذي ألم به، فألقى بنفسه في النيل فهلك كما هلكت ابنته.

وهذه الخرافة التي روجها بعض كتاب الاغريق واللاتين من بعد بلوتارك لم يرد لها ذكر في الكتابات المصرية، وهي - مع ذلك - مصدر الاسطورة التي ذاعت في الناس قرونا.

وقد يكون مصدرها ما جاء بورقة هارليس البردية التي ترجع الى عهد رمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٧ ق م.

(١، ٢) محمد حسين هيكل - الفاروق عمر ١٨٢/٢، ١٨٣.

« [1] جاء فيها أنه كان على امتداد النيل ما يزيد على مائة مرساة بين كل مرساة، والتي تليها، نحو سبعة أميال، وفي كل مرساة محراب لحابي اله النيل يرعاه كاهن يتناول من راكبي النيل أطعمة يقدمونها لحابي وكان لكل محراب حراس لهم فيه طعامهم ولباسهم، وكان يوضع في كل محراب طاقة من الزهر، تجدد في كل يوم، وستة تماثيل من خشب الجميز لحابي اله النيل وستة تماثيل اخرى من الخشب نفسه للالهة (ربيت) زوجة النيل، هذا عدا تماثيل أخرى للاله حابي مصنوعة من الذهب والفضة والقصدير والاحجار المصرية المختلفة الأنواع كالمرمر واللازورد والزمرد والبلور الطبيعي وأساور من ذهب وفضة. وكانت هذه التماثيل كلها تلقى في النيل يوم الاحتفال بعيد حابي في بدء الانقلاب الصيفي، ويؤتى بدلها بجديد غيرها يقام في تلك المحاريب الى أن يحل العيد بعد عام فتلقى في النهر قبيل فيضانه...».

فليس اذا من عروس آدمية عذراء يتنازل عنها أهلها للنهر في مقابل ما يرضونه من متاع الدنيا، ولكن الخرافة تطورت في الاذهان الى حقيقة تبرأ منها مصر، واذا فما كان ثم داع يدعو عمْراً لأن يكتب لعمر بشأن العروس، ولا كتب عمر فيه.

وكتب الواقدي ـ في معرض فتوح المسلمين في مصر، قال:

« [2] وأما الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فانه قلق على المسلمين قلقا شديدا، فأرسل كتابا الى عمرو بن العاص يقول فيه:

ما سبب انقطاع كتبك عني، وأنا في قلق عظيم على المسلمين وعلى خالد ومن معه، واعلم أنك لا ترسل لي الا بالفتح والغنائم، وان احتاج خالد الى نجدة فأرسل الى أبي عبيدة فقد كاتبته بأن يرسل له جنودا من الشام والسلام».

وخالد بن الوليد لم يكن من قواد فتح مصر، ولم يعمل مع عمرو بها، بل لم يعمل مع أحد بعد عزله الاخير بالشام عام سبعة عشر. غير أن الواقدي مصر على

---

(١) محمد حسين هيكل ـ الفاروق عمر ١٨٤/٢.

(٢) محمد بن عمر بن واقد الاسلمي ـ فتوح الشام ١٨٦/٢.

نزوله مصر، وتقدمه في جبهتها الجنوبية من الصعيد، وأنه - رضي الله عنه - اتخذ النويرة[1] مركزا لقيادته، واستجاب لاستنجاد عياض بن غنم به لفتح البهنسا، فتقدم بجنده وافتتحها، ثم روى لخالد شعرا طويلا عقب ذلك[2].

وكل ذلك لم يكن فما كان خالد ولا عياض من قواد مصر، ولا ذكرهما أحد من ثقات المؤرخين في حملتها[3].

* * *

... واذا انتقلنا من مصر الى الشام، وجدنا رسالة يرويها الواقدي أيضا في توجيه قائد الى أرض ربيعة وبكر، والى - هنا - لا غرابة - لكن أسلوب الرسالة كاف - في ردها:

« [4] بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى أبي عبيدة عامر بن الجراح

سلام عليك، فاني أحمد الله اليك الذي لا اله الا هو، وأصلي على نبيه ﷺ.

أما بعد:

فقد أجهدت نفسك في قتل الكفار، وسارعت الى رضا الجبار، وقدمت لك ما تجده يوم عرضك، ولم نر منك يوما أعرضك عن أداء فرضك وقمت بسنة نبيك، وجاهدت في الله حق جهاده، تقبل الله منا ومنك وغفر لنا ولك.

فاذا قرأت كتابي هذا فاعقد عقدا لعياض بن غنم الأشعري، وجهز معه جيشا الى أرض ربيعة وديار بكر.

---

(١) النويرة من أعمال مركز أهنسيا مديرية بني يوسف... (الباحث).

(٢) راجع للواقدي - فتوح الشام ١٧٥/٢ الى ١٨٦.

(٣) راجع فتح مصر بتاريخ الطبري ١٠٤/٤ - وللبلاذري - فتوح البلدان ص ٢١٤ وابن الأثير - الكامل في التاريخ ٥٦٤/٢ - وابن كثير البداية والنهاية ٩٧/٧ وابن عبد الحكم - فتوح مصر وأخبارها ص ٥٣ وما بعدها. ومن داخلها من الصحابة ص ٢٤٨ الى ٣١٩.

(٤) الواقدي - فتوح الشام ٥٩/٢.

واني أرجو من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يفتحها على يديه، وأوصيه بتقوى الله، والجهاد والاجتهاد في طاعته، ولا يلحقه التواني في الجهاد، ويتبع سنن المؤمنين المجاهدين، وما أمر به سيد المرسلين مما أنزل عليه رب العالمين (يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين). (٦٦ ـ ٩).

والسلام عليك وعلى جميع المسلمين ورحمة الله وبركاته».

وفي الرسالة ـ كما هو ظاهر حرص على الصنعة، وتكلف لها، يسوق الى اهتمام بها أكثر منه عرضا لمضمونها، وليس ـ كذلك ـ أسلوب عمر، بل اذهب بعيدا اذا قلت: ولا أحد من عصر عمر.

ولقد تدفعنا رسالتا الواقدي هاتان الى النظر فيما يروي من (نصوص) قد يكون الرجل حجة في «السيرة»، لكنه متروك في الرواية، وقد صرح أئمة كبار بتجريحه كالبخاري وابن حنبل والشافعي وغيرهم وتركوه مصرحا بعضهم بكذبه[١].

★ ★ ★

وهذا لون آخر، صك وليس رسالة، لا أجد مفرا من اثباته بهذا الفصل، الحاقا له به، فلا يناسبه من فصول الرسالة الا هذا المكان:

نقل المحب الطبري «[٢] أن عمر لما رجع من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ليعرف أخبارهم، فمر بعجوز في خباها فقصدها، فقالت: يا هذا ما فعل عمر؟ قال: هوذا قد أقبل من الشام، قالت: لا جزاه الله عني خيرا، قال: ويحك. ولم؟ قالت: لأنه ـ والله ـ ما نالني من عطائه منذ ولى الى يومنا هذا دينار ولا درهم... فقال: ويحك، وما يدري عمر حالك، وأنت في هذا الموضع.

فقالت: سبحان الله... ما ظننت أن احدا يلي على الناس، ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها.

---

(١) راجع لابن حجر: تهذيب التهذيب ٣٦٣/٩ ـ وتقريب التهذيب ١٩٤/٢.

(٢) المحب الطبري ـ الرياض النضرة ٧٥/٢.

قال: فأقبل عمر ـ وهو يبكي ـ ويقول: واعمراه. واخصوماه، كل واحد أفقه منك يا عمر... ثم قال لها: بكم تبيعني ظلامتك منه، فاني أرحمه من النار؟ قالت: لا تهزأ بنا يرحمك الله. قال لها عمر: ليس بهزء، فلم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا.

فبينا هو كذلك اذ أقبل علي بن أبي طالب، وابن مسعود، فقالا: السلام عليك ياأمير المؤمنين، فوضعت المرأة يدها على رأسها، وقالت: واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين في وجهه!!

فقال لها عمر: لا عليك، يرحمك الله، قال: ثم طلب عمر قطعة جلد يكتب فيه[1]، فلم يجد فقطع قطعة من فروة كان لبسها وكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها ـ منذ ولى الى يومنا بخمسة وعشرين دينارا، فما تدعى عند وقوفي في المحشر بين يدي الله ـ عز وجل ـ فعمر منه بريء.

شهد على ذلك علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود.

ثم دفع الكتاب الى علي وقال: اذا أنا تقدمتك فاجعلها في كفني»

وهذا الصك موضوع منتحل يدل على ذلك:

ان عمر تقدم عليا ـ رضي الله عنهما ـ في لقاء ربه، وكان موت عمر بسمع التاريخ وبصره، فما غاب عن الناس شيء عنه منذ طعن حتى قبر، وهو في أيامه هذه يراجع عمله بذاكرة ثاقبة، يذكر ماله وما عليه، وينظر في بعض ما كتب ويمحوه[2]، وما غاب عليّ عن مجلسه، ومع ذلك لا نجد في وصايا عمر تلك الفترة ـ تذكيرا لعلي بصك الظلامة هذا، كذلك لم يدرج عليّ شيئا في كفن عمر

(١) كذا

(٢) البحث ص ٨٣.

أو يضعه في قبره، فهل نسي علي؟

أفلا يذكره ابن مسعود؟!!

ان هذه البراءة وأمثالها في قصص القصاصين والوعاظ كثير، ولا تزال هي وأمثالها ـ على المنابر مجلبة لسخط المثقفين، تكيد للاسلام وصفوة رجاله أكثر مما تستدر من دموعها العامة واعجاب الجاهلين.

نماذج لرسائل محققة:
كتب عمر رسالة في القضاء

قال المبرد: « [1] كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الى أبي موسى الأشعري - كتابا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم [2]

من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين [3] الى عبد الله بن قيس، سلام عليك، أما بعد: [4]

فان القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم اذا أدلى اليك [5]، فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له.

---

(١) محمد بن يزيد، المعروف بالمبرد - الكامل في اللغة والأدب ١/٩ - وللرسالة روايات: (ب) ابن قتيبة - عيون الأخبار ١/٦٠.
الجاحظ - البيان والتبيين ٢/٤٨ - (د) أحمد بن عبد ربه - العقد الفريد ١/٨٦ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة ثالثة ١٣٨٤ - ١٩٦٥ - (هـ) ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة ٣/١١٩ - (و) ابن الجوزي - سيرة عمر بن الخطاب ص ١١٥ و١١٦ (ز) أبو يوسف - الخراج ص ١٢٦ - (حـ) ابن قيم الجوزية - اعلام الموقعين ١/٨٥ ط أولى مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥

(٢) (بسم الله الرحمن الرحيم) - في كل من ب ج
ج: بسم الله الرحمن الرحيم - أما بعد.

(٣) ب: من عبد الله عمر أمير المؤمنين
هـ: من عبد الله أمير المؤمنين عمر.

(٤) (أما بعد) بداية كل من: د - و - ح.

(٥) د: أدلى اليك الخصم.

آس من الناس بين وجهك وعدلك ومجلسك [١] حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك [٢].

البينة على من ادعى [٣] واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين [٤] الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا [٥].

[٦] لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم [٧] [٨] فراجعت فيه عقلك [٩]، وهديت فيه لرشدك [١٠].

أن ترجع الى الحق [١١] فان الحق قديم [١٢]، ومراجعة [١٣] الحق خير من التمادي.

(١) ب ج د: آس بين الناس في مجلسك ووجهك
هـ: آس بين الناس في وجهك... الخ
و: آس بين الاثنين في مجلسك ووجهك
ز: سو بين الناس في مجلسك وجاهك. أول الرسالة في ز
ح: آس الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك.

(٢) ج - د: ... ولا يخاف ضعيف من جورك
و: ... ولا ييأس وضيع - وربما قال: ضعيف عن عدلك. كذا
ز: حتى لا ييأس ضعيف من عدلك، ولا يطمع شريف في حيفك (ا هـ نص ز).

(٣) ز: على المدعي...

(٤) ب: بين الناس.

(٥) ج: حرم حلالا أو أحل حراما
والعبارة: «البينة على من ادعى - الى - حرم حلالا» مؤخرة في [و]

(٦) ب - ج - د: ولا.

(٧) ب - ج - د: بالأمس.

(٨) د: ثم راجعت.

(٩) ب - ج - د: نفسك.

(١٠) ب: وهديت لرشدك.

(١١) ج: ترجع عنه الى الحق.
د: ترجع عنه؛ فان الحق قديم.

(١٢) ب: فان الحق لا يبطله شيء.

(١٣) ب: واعلم أن مراجعة... الخ
د: والرجوع اليه خير... الخ.

في[1] الباطل. الفهم الفهم فيما يتلجلج[2] في صدرك[3] مما ليس في كتاب[4] ولا سنة[5]، ثم[6] اعرف الاشباه[7] والامثال.

[8] فقس الأمور عند[9] ذلك،[10] واعمد[11] الى أقربها[12] الى الله وأشبهها بالحق[13].

---

(١) د: على الباطل.
العبارة: «لا يمنعنك قضاء ـ الى ـ التمادي في الباطل» مؤخرة في و ـ وفي ـ ح.

(٢) ج: عندما بتلجلج
هـ: تلجلج.

(٣) و: في صدرك ـ وربما قال: في نفسك فيشكل عليك مما لم.. الخ.

(٤) ب: مما ليس فيه قرآن
ج: مما لم يبلغك في كتاب الله.
د: مما لم يبلغك به كتاب الله
و: مما لم ينزل في كتاب الله

(٥) ج: ولا في سنة رسول الله ﷺ
د: ولا سنة نبيه ﷺ.
و: ولم تجر به سنة.

(٦) ب ـ د: واعرف
ج: اعرف (بلا عاطف)
و: فاعرف.

(٧) ج ـ د: الأمثال والأشباه.

(٨) ب ـ و ـ ح: ثم
ج ـ د ـ هـ: و

(٩) و: قس الأمور بعضها ببعض.
ح، قايس.

(١٠) ب ـ ج ـ د: ثم.

(١١) و: وانظر أقربها.

(١٢) ب: لاحُبها ـ ج ـ ح: الى أحبها ـ د: الى أحبها عند الله ورسوله.

(١٣) ب ـ ج: بالحق فيما ترى.
و: بالحق فاتبعه واعمد اليه، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس.. الخ.

(١) واجعل ـ لمن (٢) ادعى حقا غائبا (٣)، أو بينة ـ أمدا ينتهي اليه (٤) فان أحضر بينته اخذت له بحقه (٥)، والا استحللت (٦) عليه القضية (٧).

(٨) المسلمون عدول (٩) بعضهم على بعض الا مجلودا (١٠) في حد، أو مجربا عليه شهادة زور، أو ظنينا في ولاء، أو نسب (١١)، فان (١٢) الله تولى (١٣) منكم السرائر، ودرأ بالبينات والأيمان (١٤).

---

(١) ب: و: اجعل بلا عطف، وهذه العبارة مؤخرة في: و.

(٢) ج ـ د: للمدعي.

(٣) ب ـ و: حقا غائبا أمدا ـ د: للمدعي أمدا.

(٤) و: ينتهي اليه، أو بينة عادلة، فانه أثبت في الحجة، وأبلغ في العذر.

(٥) ب: بينة أخذ بحقه. د: بينة. و: بينة الى ذلك الأجل أخذ بحقه.

(٦) ج ـ د ـ و: وجهت.

(٧) ب ـ ج ـ د ـ و: القضاء

زادت: فان ذلك أنفى للشك، وجلي للعمى، وأبلغ في العذر

وزادت د: فان ذلك أجلى للعمى، وأبلغ في العذر

وزادت هـ: فانه أنفى للشك، وأجلى للعمى

ملاحظة: هذا الجزء: واجعل لمن ادعى... الخ مقدم في ح عقب قوله أو حرم حراما. ونصه تمّتْ: ومن ادعى حقا غائبا، أو بينة، فاضرب له أمدا ينتهي اليه، فان بينة أعطيته بحقه، وان أعجزه ذلك استحللت عليه القضية، فان ذلك هو أبلغ من العذر، وأجلى للعماء.

(٨) ج ـ هـ ـ و: المسلمون بلا عطف.

(٩) ب: عدول في الشهادة الا.. الخ.

(١٠) ح: الا مجربا عليه شهادة زور، أو مجلودا في حد.

(١١) ب ـ ج ـ ح: قرابة د: أو قرابة أو نسب

و: قرابة، اجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهي اليه، أو بينة عادلة فانه أثبت في الحجة، وأبلغ في العذر، فان أحضر بينة الى ذلك الأجل أخذ بحقه، والا وجهت عليه القضاء، البينة على من ادعى الخ.

(١٢) ب: ان.

(١٣) ج: قد تولى د: ولي.

(١) واياك والقلق والضجر، والتأذي بالخصوم (٢)، والتنكر عند الخصومات (٣) فان الحق (٤) في مواطن الحق (٥) يعظم الله به الأجر، ويحسن به الذخر (٦)، فمن صحت (٧) نيته، وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين النّاس ومن تخلق (٨) للناس، بما

= (١٤) ب ـ د: ودرأ عنكم بالبينات

ج: ودرأ عنكم بالشبهات

هـ: ودرأ عنكم بالبينات والأيمان الشبهات.

ح: فان الله ـ تعالى ـ تولى من العباد السرائر، وستر عليهم الحدود الا بالبينات والأيمان، ثم الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة. ثم قايس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال، ثم اعمد ـ فيما ترى ـ الى أحبها الى الله، وأشبهها بالحق.

العبارة: «فان الله تولى منكم السرائر» مؤخرة في: و.

(١) ج ـ د: ثم اياك و: اياك بلا عطف.

(٢) ب: والتأذي بالخصوم في مواطن الحق

ج ـ د ـ و ـ ح: والتأذي بالناس.

(٣) ج ـ د: والتنكر للخصوم و: والتنكر للخصم.

ح: والتنكر عند الخصومة او الخصوم ـ شك أبو عبيدة، فان القضاء في مواطن الحق.. الخ.

(٤) و: في مجالس ـ ح: فان القضاء في مواطن الحق.

(٥) ب ـ ج: مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر

د: الحقوق التي يوجب الله بها الأجر

و: مجالس القضاء الذي يوجب الله ـ تعالى ـ بها الأجر.

(٦) ب: ويحسن الذخر ـ ج ـ د: ويحسن بها الذخر

و: ويحسن فيها الذخر ح: ويحسن به الذكر.

(٧) ب: فانه من صلحت سريرته ـ فيما بينه وبين الله ـ أصلح الله ما بينه وبين الناس.

ج: فانه من يخلص نيته ـ فيما بينه وبين الله، تبارك وتعالى، ولو على نفسه ـ يكفه الله ما بينه وبين الناس.

د: فانه من تخلص نيته... الخ مثل ج.

و: من خلصت نيته ـ فيما بينه وبين الله عز وجل ـ كفاه ما بينه وبين الناس، والصلح جائز بين الناس الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا.

(٨) ب: ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شانه الله والسلام. ا هـ.

ج: ومن تزين للناس بما يعلم الله منه خلاف ذلك هتك الله ستره وأبدى فعله.

د: ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره. ا هـ

يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله ـ فما ظنك بثواب[1] غير الله ـ عز وجل ـ في عاجل رزقه وخزائن رحمته، والسلام[2].

تعقيب:

حكى الامام مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا من أهل العراق قدم على عمر، فحدث عمر.... «[3] فقال: لقد جئتك لأمر ماله رأس ولا ذنب فقال عمر: ما هو؟ قال: شهادات الزور ظهرت بأرضنا!! فقال عمر: أو قد كان ذلك؟ قال: نعم.

فقال عمر: والله لا يؤمر رجل في الاسلام بغير العدول» قال الامام الزرقاني ـ رضي الله عنه:

«[4] ... أي لا يحبس لاقامة الحقوق عليه الا بالصحابة الذين جميعهم عدول، وبالعدول من غيرهم، فمن لم يكن صحابيا، ولم تعرف عدالته لم تقبل شهادته حتى تعرف عدالته من فسقه..

= هـ: ومن تخلق للناس بما يعلم الله ـ عز وجل ـ منه... الخ
و: ومن تزين للناس بما يعلم الله ـ عز وجل ـ خلافة شانه الله
ح: ومن تزين بما ليس في نفسه شأنه الله، فان الله ـ تعالى ـ لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا.

(١) هـ: بثواب الله في عاجل... الخ
و: في ثواب غير الله في عاجل دنيا أو آجل آخره. ا هـ.
ح: بثواب عند الله. وهذه الرواية ـ هنا ـ أدق من غيرها. الباحث.

(٢) ج: والسلام عليك. ا هـ.
ح: والسلام عليك ورحمة الله. ا هـ.

(٣) موطأ مالك ١٩٨/٢.

(٤) شرح الزرقاني ٣٨٨/٣.

قال أبو عمر:
هذا يدل على أن عمر رجَع عما كتب به الى أبن موسى وغيره من عماله: المسلمون عدول بعضهم على بعض الا خصما أو ظنينا أو متهما».
وما رواه مالك - رضي الله عنه - ثم ما عقب به الامام الزرقاني وأبو عمر - يدلاننا على:

أن عمر كتب بالرسالة الى كل قضاته، وهذا ما يتفق ومنطق الأمور، وفيها - كذلك - كما يفهم من تعقيب أبي عمر - مرونة الفكرة لدى عمر مسايرة لمنطقة اذ يقول: لا يمنعنك قضاء قضيته بالأمس... الخ. وذلك منه رغبة في تحري الحق دائما.

وكتب الى أبي موسى في السلطان وسياسة الرعية والوصية:
« [١] عن عمر بن مجاشع أن عمر بن الخطاب كتب الى أبي موسى الأشعري [٢].
أما بعد: فان للناس نفرة عن سلطانهم [٣]، فأعوذ بالله أن تدركني واياك عمياء مجهولة، وضغائن محمولة [٤]، وأهواء متبعة، ودنيا مؤثرة.

---

(١) الجاحظ - البيان والتبيين ٢/٢٩٣ - ولها روايات:
(ب) وهو جزء رواه أبو عبيد في الأموال ص ١٢ - (جـ) ابن عبد ربه العقد الفريد ١/٨٨ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٨٤ - ١٩٦٥ (د) ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة ٣/٩٤.
(٢) ب: ... عن الحسن قال، كتب عمر الى أبي موسى.
(٣) ب: أما بعد، فان القوة في العمل ألا تؤخر عمل اليوم لغد، فانكم اذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال، فلم تدروا: يأيها تأخذون؟ فأضعتم، وان الأعمال مؤداة الى الأمير ما أدى الأمير الى الله - عز وجل، فاذا رتع الأمير رتعوا، وان للناس نفرة...
د: هزة عن سلطانهم.
(٤) ب: فأعوذ بالله أن تدركني - أو قال: تدركنا، فانها ضغائن محمولة
ج: عن سلطانهم، فاحذر أن تدركني...

أقم الحدود ولو ساعة من نهار[١] ، واذا[٢] عرض لك أمران: أحدهما لله، والآخر للدنيا، فآثر[٣] نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا؛ فان الدنيا تنفد والآخرة تبقى.

وكن من خشية الله على وجل[٤] ، وأخف الفساق واجعلهم يدا يدا ورجلا[٥] رجلا.

واذا كانت بين القبائل نائرة، وتداعوا[٦] : يال فلان يال فلان، فانما تلك نجوى[٧] الشيطان، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا الى أمر الله[٨]، والى الامام.

وقد بلغ أمير المؤمنين أن ضبة تدعو: يال ضبة[٩].

واني - والله - ما أعلم أن ضبة ساق الله بها خير قط[١٠]، ولا منع بها من سوء

---

(١) ب: فأقيموا الحق ولو ساعة من نهار. ا هـ نص أبي عبيد
ج: ... من النهار
د: أقم الحدود واجلس للمظالم ولو ساعة.

(٢) العبارة: واذا عرض - الى - والآخرة تبقى. ليست في ج.

(٣) د: فابدأ بعمل الآخرة، فان الدنيا...

(٤) العبارة: (وكن من خشية الله على وجل) ليست في ج
د: من مال الله - عز وجل - على حذر.

(٥) د: يدا ويدا، ورجلا ورجلا.

(٦) ج: فنادوا.

(٧) ج: من الشيطان.

(٨) ج: الى أمر الله - عز وجل - وتكون دعواتهم الى الله والاسلام، واستدم النعمة بالشكر، والطاعة بالتألف، والمقدرة بالعفو، والنصرة بالتواضع والمحبة للناس.
د: الى أمر الله، ويكون دعواهم الى الله والى الاسلام.

(٩) ج، وبلغني أن ضبة تنادي يالضبة. (كذا)
د: وقد بلغني أن ضبة تدعو يالضبة. (كذا).

(١٠) د: واني - والله - أعلم أن ضبة ما ساق.

قط[1] ، فاذا جاءك كتابي هذا فأنهكهم[2] عقوبة حتى يفرقوا ان لم يفقهوا. وألصق بغيلان[3] بن خرشة من بينهم.

وعد مرضى المسلمين، واشهد جنائزهم[4]، وافتح بابك[5]، وباشر أمورهم بنفسك، فانما أنت رجل منهم غير أن الله[6] جعلك أثقلهم حملا.

وقد بلغ[7] أمير المؤمنين أنه قد فشا[8] لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك، ليس للمسلمين مثلها، فاياك ـ يا عبدَ الله[9] ـ أن تكون بمنزلة البهيمة[10] التي مرت بواد خصيب فلم يكن لها همة الا السمن وانما حتفها في السمن[11].

واعلم أن للعامل مردا الى الله، فاذا زاغ العامل زاغت رعيته[12]، وان أشقى الناس من شقيت به رعيته[13] ـ والسلام».

---

(١) ج: ولا صرف بها ثرا.

(٢) د: فأنهكهم ضربا وعقوبة.

(٣) غيلان بن خرشة هو سيد بني ضبة بالبصرة، راجع للجاحظ ـ البيان والتبيين ٣٤١/١ حاشية رقم ٢.

(٤) ج: جنائزهم، وباشر أمورهم بنفسك، وافتح لهم بابك.

(٥) ج، د: وافتح لهم بابك.

(٦) ج، د: قد جعلك.

(٧) د: وقد بلغني.

(٨) ج: أنه فشت.

(٩) د: يا عبد الله بن قيس.

(١٠) ج: كالبهيمة همها في السمن والسمن حتفها.

(١١) د: وانما حظها في السمن لغيرها.

(١٢) ج: واعلم أن العامل اذا زاغ زاغت رعيته:

(١٣) ج: وأشقى الناس من يشقي به الناس.
د: من شقيت به نفسه ورعيته.

تتمة مناسبة: قضى عمر بشدة على دعوى الجاهلية وعصبيتها، واشتد في مثل ذلك مع قضاعة، روى ابن عبد الحكم في فتوح مصر وأخبارها ص ١١٦ عن عاصم الاحول عن أبي عثمان النهدي =

وكتب يقوي العزم ويرفع من الروح.

روى ابن عساكر أن عمر بن الخطاب كتب لأبي عبيدة في اليرموك ـ قال[1] « [2] أما بعد، فانه[3] ما نزل بعبد شدة الا جعل الله له بعدها فرجا ولن[4] يغلب عسر يسرين، [5] فان الله تعالى بقول: يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون». (٣ ـ ٢٠٠)

وكتب في صفات من يقوم بأمر الناس:

« [6] عن عروة بن رويم اللخمي قال: كتب[7] ابن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح[8] كتابا يقرؤه[9] على الناس بالجابية:

= قال: نادى رجل من بلى ـ وهي حي من قضاعة بالشام ـ يآل قضاعة، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فكتب الى عامل الشام: أن تسير ثلث قضاعة الى مصر، فنظروا فاذا بلي ثلث قضاعة فسيروا الى مصر. ا هـ الباحث.

(١) ابن عساكر ـ تاريخ مدينة دمشق ١/٥٣٠ ـ ولها روايتان:
ب: بتفسير ابن كثير ١/٤٤٧ ـ (جـ) خراج أبي يوسف ص ١٦٠.

(٢) ج: سلام، أما بعد.

(٣) ب: فانه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة (كذا) يجعل الله له بعدها فرجا
ج: فانه لم تكن شدة الا جعل الله بعدها فرجا.

(٤) ب: وانه لن يغلب.

(٥) ب: وان الله... الخ
وعبارة: (فان الله تعالى يقول) ليست في ج.

(٦) المحب الطبري ـ الرياض النضرة ٢/٨٠ ـ ولها رواية (ب) لابن الجوزي ـ سيرة عمر بن الخطاب ص ١١٣ ـ وأخرى (ج) لأبي يوسف ـ الخراج ص ١٦ ـ وبعضها في لسان العرب مادتي: جر، حصف.

(٧) ب: عمر بن الخطاب.

(٨) ب: رضي الله عنهما.

(٩) ب فقرأه.

أما بعد، فانه لا يقيم[1] أمر الله في الناس الا حصيف العقدة[2]، بعيد الغرة، [3] ولا يطلع الناس منه على عورة، [4] ولا يحنق في الحق على جِرّة[5]: ولا يخاف في الله لومة لائم، والسلام عليك».

وكتب يؤكد وجوب التسوية، وينهي عن أشياء:

روى الامام مسلم - رضي الله عنه، بسنده الى عاصم الأحوال عن أبي عثمان النهدي قال: «[6] كتب الينا عمر - ونحن بأذربيجان[7]:

---

(١) ب: لم يقم.

(٢) الأصل - في الرياض النضرة (خصيف القعدة) وهو خطأ عن نسخ أو طبع والصحيح ما أثبته كما هو في اللسان مادة (حصف) وكما هو في (ب) ورواية اللسان - مادة حصف: «انه لا يمضي أمر الله الا بعيد الغرة حصيف العقدة.

(٣) ب: لا يطلع (بغير عطف).

(٤) في الرياض النضرة - عقب قوله: (والسلام عليك) قال:
وفي رواية: ولا يحابي في الحق على قرابة، ولا يحنق في الحق على حرة. ا هـ.

(٥) الأصل - في الرياض النضرة (حرة) بمهملة في الموضعين، وفي رواية ولا يحابي... الخ وما أثبته هو ما عثرت عليه في اللسان بمادة (جر) قال - منها بزنة نعمة: «الجرة: جرة البعير حين يجترها فيقرضها... ومنه حديث عمر: لا يصلح هذا الأمر الا لمن لا يحنق على جرته. أي لا يحقد على رعيته» ا هـ وفي ب: ولا يخشى وفي رواية أبي يوسف - وليست هي رسالة - قال:
«لا يقيم أمر الله الا رجل لا يضارع ولا يصانع، ولا يتبع المطامع، ولا يقيمُ أمر الله الا رجل لا ينتقص غربه، ولا يكظم في الحق على حزبة». الغرب بزنة أنف: الدلو العظيمة - والحزب: شدة الأمر.

(٦) صحيح مسلم ١٤٠/٦، ولها روايات: (ب) صحيح البخاري ١٩٣/٧ - في جزء الحرير (ج) مسند أحمد ١٩٤/١ بسند صحيح (د) ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ١٠١/٣ (هـ) ابن الاثير - أسد الغابة ٣٦٥/٣ نشر المكتبة الاسلامية بلا تاريخ.

(٧) ذكر ابن ابي الحديد سببا لهذا الكتاب، هو أن عتبة - وكان عاملا لعمر على أذربيجان طَعِمَ من خبيصها فوجده حلوا فأرسل منه لعمر مزودتين مع رسول، فقال عمر للرسول «ويحك أكل المسلمين عندكم يشبع من هذا؟ قال: لا، قال: فارددهما، ثم كتب الى عتبة: أما بعد، فان خبيصك الذي بعثته ليس من كد أبيك، ولا من كد أمك. الخ.

يا عتبة بن فرقد ، انه ليس من كدك ، ولا من كد ابيك ، ولا من كد أمك [1] فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك [2] .

واياكم والتنعم [3] ، وزي أهل الشرك ، ولبوس الحرير ، فان رسول الله ﷺ [4] نهي عن لبوس الحرير ، قال : الا هكذا ، ورفع لنا رسول الله ﷺ أصبعيه : الوسطى والسبابة وضمها » .

وكتب في جلد ولده عبد الرحمن بمصر [5] :

وقد حد عمرو بن العاص عبد الرحمن بن عمر ، وأبا سروعة في الخمر بصحن داره وكان يقيم فيها الحدود ـ فبلغ ذلك عمر ، فكتب اليه :

« [6] بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) هـ : ... ولا كد أبيك ، ولا كد أمك .

(٢) د : أشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك ولا تستأثر ، فان الأثرة شر ، والسلام . ا هـ .

(٣) ج : يا عتبة بن فرقد ، واياكم والتنعم .
هـ : واياكم والتنعم الحديث « كذا . ا هـ .

(٤) ب : أتانا كتاب عمر ـ ونحن مع عتبة بن فرقد بأذربيجان ـ أن رسول الله ﷺ : نهى عن الحرير الا هكذا ، وأشار بأصبعيه اللتين تليان الابهام . ا هـ .
ملاحظة : تذكر كل النسخ ، وخاصة ـ في الصحيح ـ عتبة ، فتقول عتبة بن فرقد وفي شرح نهج البلاغة تسميته خطأ اذ في النسخة عتبة بن مرثد ـ وانظر في ترجمته لابن حجر ـ تقريب التهذيب ٥/٢ .

(٥) هذه الرسالة كدت أستبعدها وأعتبرها منحولة ، لولا أن ابن حجر رضي الله عنه ـ علق على عنوان الامام البخاري (باب من أمر بضرب الحد في البيت) فساق أمر عبد الرحمن أبي شحمة ولد عمر وحد عمرو له ، ثم قال : « وأخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن عمر مطولا ، ا هـ فتح الباري لابن حجر ٥٥/١٢ .
وبالرجوع الى « المصنف للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني في طبعته الأولى للمجلس العلمي ونشر المكتب الاسلامي ببيروت عام ١٣٩٢ » وجدت أصلا للرسالة في هذا السند الصحيح جزء ٩ ص ٢٣٢ .

(٦) المحب الطبري ـ الرياض النضرة ٤١/٢ ـ وللرسالة رواية (ب) بالمصنف لعبد الرزاق الصنعاني

من عند عبد الله عمر[1] الى العاصي بن العـاص.

عجب لك، يا ابن العـاص، وجراءتك علي، وخلافك[2] عهدي[3] فما أراني الا عازلك[4]، تضرب[5] عبد الرحمن في بيتك، وتحلق رأسه في بيتك، وقد عرفت أن هذا يخالفني[6].

[7] وانما عبد الرحمن رجل من رعيتك، تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ولكن قلت: هو ولد أمير المؤمنين، وعرفت أنه[8] لا هوادة لأحد من الناس عندي في حق[9]، فاذا جاءك كتابي هذا فابعث[10] به في عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع».

وكتب في جزية الاسكندرية وسبائها:

فقد أرسل صاحب الاسكندرية الى عمرو بن العاص بخطره أنه على استعداد لدفع الجزية على أن يسترد السبي، فكتب عمرو بذلك الى عمر، فكان جواب عمر:

٢٣٢/٩ ـ و(ج) لابن الجوزي ـ سيرة عمر بـن الخطاب ص ٢٠٨ ـ و(د) لابن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ١٢٣/٣.

(١) ج. د: من عبد الله عمر أمير المؤمنين. ج: ولجرأتك علي وخلاف

(٢) د: ولجرأتك علي ومخالفتك.

(٣) د: بعهدي، أما اني خالفت فيك أصحاب بدر، ومن هو خير منك واخترتك وأنت الخامل، وقدمتك وأنت المؤخر، وأخبرني الناس بجراءتك وخلافك، وأراك كما أخبروا.
ملاحظة: هذا الجزء في ج الا أنه مضطرب الطبع جدا ـ الباحث.

(٤) ج: وأراك تلوثت بما تلوثت فما أراني الا عازلك فمسيء عزلك.
د: وما أراني الا عازلك فمسيء عزلك.

(٥) ويحك تضرب.

(٦) د: أن في هذا مخالفتي.

(٧) ج: انما.

(٨) ج، د: أن لا هوادة.

(٩) ج: في حق يجب لله عليه. (كذا).
د: في حق يجب لله ـ عز وجل.

(١٠) ب: «كتب الى عمرو أن ابعث الي بعبد الرحمن على قتب. ا هـ.

« [1] أما بعد، فانه جاءني كتابك تذكر أن صاحب الاسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أصيب من سبابا أرضه. ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب الي من فيء يقسم، ثم كأنه لم يكن.

فاعرض على صاحب الاسكندرية أن يعطيك الجزية على أن تخيروا من في أيديكم من سبيهم بين الاسلام وبين دين قومه فمن اختار منهم الاسلام فهو من المسلمين: له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه، فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن فانَّا لا نقدر على ردهم، ولا نحب ان نصالحه على أمر لا نفي له به ».

وكتب الى أبي عبيدة في الطاعون:

قال أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه:

---

(١) تاريخ الطبري ١٠٥/٤ - وعند ابي الاثير بالكامل في التاريخ ٥٦٨/٢ جزء منها، قال - في ايجاز:
« فورد الجواب من عمر:
لعمري جزية قائمة أحب الينا من غنيمة تقسم، ثم كأنها لم تكن، وأما السبي، فان أعطاك ملكهم الجزية، على أن تخيروا من في أيديكم منهم بين الاسلام ودين قومه، فمن اختار الاسلام فهو من المسلمين، ومن اختار دين قومه فضع عليه الجزية.
وأما من تفرق في البلدان، فانا لا نقدر على ردهم » وذكر مضمونها ابن كثير - في البداية والنهاية ٩٩/٧، لكنه جعلها في شأن أهل مصر عامة. فقال في احدى روايتيه:
« وقيل: انه أمره أن يخيروا من في أيديهم من السبي بين الاسلام وبين أن يرجع الى أهله، فمن اختار الاسلام فلا يردوه اليهم ومن اختارهم ردوه عليهم، وأخذوا منه الجزية.
وأما ما تفرق من سبيهم في البلاد ووصل الى الحرمين وغيرهما، فانه لا يقدر على ردهم، ولا ينبغي أن يصالحهم على ما يتعذر الوفاء به... » ا هـ.
ويرفع ما قد يوحي به لفظ « قيل » من ضعف في رواية ابن كثير - تكرار (أمر الخيار بين الاسلام وديانة القوم) في أكثر من جهة بمصر ذكرها ابن عبد الحكم في - فتوح مصر وأخبارها ص ٨٣ بينا تردد في رسالة الاسكندرية أمر السبي المتفرق بين الطبري وابن الاثير، فاذا نحينا عن مضمون ابن كثير العموم الذي ساقه في رسالته اتفق المضمون المشترك بين المراجع الثلاثة. ا هـ. الباحث.

« [1] اني كنــت مع أبي عبيدة[2] بن الجراح بالشام ـ عام طاعون عمواس فلما اشتعل الوجع، وبلغ ذلك عمر، كتب الى أبي عبيدة ليستخرجه منه:

أن سلام عليك، أما بعد:

فانه[3] قد عرضت لي اليك حاجة أريد أن أشافهك فيها[4]، فعزمت عليك ـ اذا[5] نظرت في كتابي هذا ـ ألا تضعه في يدك حتى تقبل الي[6].

قال: فعرف أبو عبيدة[7] انه انما أراد أن يستخرجه من الوباء. قال[8]: يغفر الله لامير المؤمنين. ثم كتب اليه:

يا أمير المؤمنين، اني قد عرفت[9] حاجتك الي، واني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله في وفيهم أمره وقضاءه. فحللني[10] من عزمتك[11] ـ يا أمير المؤمنين، ودعني[12] في جندي.

فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، أمات أبو عبيدة؟

---

(١) تاريخ الطبري ٤/٦٠ ورواية (ب) لابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٢/٥٥٨، وثالثة (ج) لابن كثير ـ البداية والنهاية ٧/٧٨ ـ ورابعة (د) لابن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ٣/١٣٦.

(٢) ب: مع أبي عبيدة بالشام.

(٣) ب: فقد عرضت.

(٤) ج: بها.

(٥) ب: اذا أنت نظرت.

(٦) (الي) ليست في ب.

(٧) ب: فعرف أبو عبيدة ما أراد فكتب اليه.

(٨) ج: فقال.

(٩) ب: يا أمير المؤمنين، قد عرفت.

(١٠) ج: فخلني.

(١١) ب: عزيمتك.

(١٢) العبارة (ودعني في جندي) ليست في ب.

قال: لا وكأن قد[1] ـ قال: ثم كتب اليه[2].

سلام عليك، أما بعد:

فانك أنزلت الناس أرضا غمقة[3]، فارفعهم الى أرض مرتفعة نزهة.

فلما أتاه كتابه دعاني، فقال: يا أبا موسى، ان كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى، فاخرج فارتد للناس منزلا حتى أتبعك بهم.

وكتب لولده عبد الله:

روى صاحب الأمالي قال:[4] «كتب عمر[5] ـ رضي الله عنه ـ الى ابنه عبد الله في[6] غيبة غابها:

أما[7] بعد،[8] فانه من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه[9]، ومن أقرضه

---

(١) في ب ـ عقب ذلك: «وكتب اليه عمر: ليرفعن بالمسلمين من تلك الأرض. فدعا أبا موسى، فقال له: ارتد للمسلمين منزلا».

(٢) د: كتب الى أبي عبيدة ـ وهو بالشام، حين وقع بها الطاعون: ان الأردن أرض غمقة، وان الجابية أرض نزهة، فأظهر بمن معك من المسلمين الى الجابية. ا هـ.

(٣) ج: عميقة. ا هـ.

الغمقة: الكثيرة الأنداء والوباء، والنزهة ـ البعيدة من ذلك انظر شرح نهج البلاغة ١٣٦/٣.

(٤) أبو علي القالي ـ الأمالي ٥٥/٢ ـ ولها روايات: (ب) للمحب الطبري ـ الرياض النضرة ٨١/٢ ـ و (ج) لابن قتيبة ـ عيون الاخبار المجلد الاول ص ٢٤٩ ـ و (د) لأبي اسحاق الحصري ـ زهر الآداب وثمر الالباب ٣٣/١ ـ المطبعة الرحمانية بلا تاريخ.

(٥) ب، ج، د: عمر بن الخطاب.

(٦) (في غيبة غابها) ليست في ب ح د.

(٧) (أما بعد) ليست في ج.

(٨) تبدأ ج بقولها: «يا بني، اتق الله، فانه... الخ.

(٩) ج: ... كفاه، ومن شكره زاده

د: ... كفاه، ومن شكر له زاده، ومن أقرضه... الخ.

جزاه[1]، فاجعل التقوى جلاء بصرك وعماد ظهرك[2]، فانه[3] لا عمل لمن لا نية له[4] ولا أجر لمن لا حسنة له[5]، ولا جديد لمن لا خلق له».

(١) ب: ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده.

(٢) ب: ولتكن التقوى عماد عملك، وجلاء قلبك.

ج: فلتكن التقوى عماد عينيك، وجلاء قلبك.

د: فاجعل التقوى عماد قلبك وجلاء بصرك.

(٣) ج: واعلم أنه لا عمل... الخ.

(٤) ب: ... لا نية له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد... الخ ا هـ.

(٥) ج: .... لا حسنة له، ولا مال... الخ مثل ب.

الفصل الرابع

عهود عمر

العهد في الجاهلية
العهد في الاسلام
بين يدي عهد عمر
عهد عمر
عهد ليس لعمر

عهود عمر

العهد في الجاهلية:

عرف العرب العهود فيما بينهم ومـارسوها، كذلك عرفوا العهود الدولية من قديم وأقاموا بينهم وبين الممالك غير العربية علاقات دولية تحددت شكلا ومصيرا على ضوء نصوص هذه المعاهدات، فتحمل احدى وثائق (أشور بانيبال) أحد ملوك الدولة الاشورية في العراق القديم شمال بابل بين عامي (٦٦٨ ـ ٦٢٦ ق م) ـ ذكر عهد وثيق قطعه العرب لأشور[١].

وفي عام ٥٢٥ ق م جاز قمبيز الفارسي شمال الجزيرة فحالف أقوامها وهو في طريقه الى غزو مصر، وزها مُلْكُ الانباط فترة طويلة ووقعوا محالفة بينهم وبين روما نحو سنة ٢٤ ق م، وظلت صداقتهم بروما قوية في عهد ملوكهم: الحارث الثالث (٨٥ ـ ٦٠ ق م) ومالك الأول، وعبيدة الثاني (٢٨ ـ ٩ ق)[٢].

وقام بين القبائل العربية عهود يمثلها الحلف والجوار «[٣] فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب فتحالفوا على التنوخ ـ وهو المقام ـ وتعاقدوا على (التوازر) والتناصر، فصاروا يدا على الناس».

---

(١) دكتور فيليب حتي تاريخ العرب مطول ٤٧/١ ـ وراجع مع لـ (ل. ديلا بورت ـ بلاد ما بين النهرين، الحضارتان البابلية والاشورية ص ٢٩١ و٣١٨ و٣٣٢.

(٢) نفس المرجع لدكتور فيليب حتي ٥٠/١ و٨٩.

(٣) تاريخ الطبري ٦١٠/١.

ويبدو أنهم ـ في العهد القريب من الاسلام ـ كانوا يستفتحون العهد فيما يستفتحون ـ بقولهم: (باسمك اللهم)، افتتح ـ بهذه العبارة ـ تحالف قريش ضد بني هاشم وبني عبد المطلب لموقفهما من رسول الله ﷺ وأصر على الافتتاح بها سهيل بن عمرو في عهد الحديبية بين قريش ورسول الله ﷺ قال الطبري: «[1] وهي فاتحة ما كانت تكتب قريش، تفتتح بها كتابها اذا كتبت» ومثل ذلك حكى ابن الاثير[2].

وقال أبو عبيدة:

«[3] وكانوا ـ في الجاهلية الأولى ـ اذا تحالفوا وتعاهدوا أوقدوا نارا ودنوا منها حتى تكاد تحرقهم، وعددوا منافع النار، ودعوا على ناقض تلك اليمين والناكث لذلك العهد بحرمان تلك المنافع، ويتصافحون عندها ويقولون: الدم الدم والهدم الهدم.

والمعنى: دماؤنا دماؤكم وهدمنا هدمكم، والهدم: اسم البناء المهدوم، أي فما هدم لكم من بناء أو شأن فقد هدم لنا. وما أريق لكم من دم فقد أريق لنا. يلزمنا من نصرتكم ما يلزمنا من نصرة أنفسنا.

وغبروا على استعمال ذلك يتوارثونه الى أن أتى الله تعالى بالاسلام وكان الحلف بين رسول الله ﷺ وبين الانصار، فقال: صلوات الله وسلامه عليه ـ لهم: الدم الدم والهدم الهدم.

وكانوا يقولون: عهدا لا يزيده طلوع الشمس إلا شدا، وطول الليالي الامدا»

«[4] وكانوا ربما تعاقدوا وتعاهدوا على الملّح، والملح عندهم شيئان: ملح الادام

---

(١) نفس المرجع ٢/٣٤٣ و٦٣٤.

(٢) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٢/٨٩ و٢٠٤.

(٣) أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله النجيرمي الكاتب ـ أيمان العرب في الجاهلية ص ٣٤.

(٤) نفس المرجع ص ٣٧.

التي يتملح بها، واللبن، وذلك أنه سواء عندهم أن يجتمعوا على طعام وملح، أو على شرب لبن، هذا عندهم مماحة، ولذلك سموا اللبن ملحا، فقالوا ـ من البابين ـ جميعا: بيننا ملح وعلى هذا قال أبو الطمحان القيني:

واني لأرجو ملحها في بطونكم   وما بسطت من جلد أشعث أغبرا

★ ★ ★

العهد في الاسلام:

لدينا ـ والحمد لله ـ بعض النصوص للعهود الاسلامية الأولى، يمكن ـ في ضوئها ـ بيان خصائص العهد الاسلامي».

واذا كان عهد الحديبية يمثل التزام طائفتين، كل منهما قوة مستقلة غير خاضعة لنفوذ الاخرى، فان رسول الله ﷺ جنوحا منه الى السلم رضي بافتتاحه بعبارة (باسمك اللهم) كما مر بنا، فأما العهد نفسه فهو كبقية عهوده ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وعهود ابي بكر وعمر، كل له سمت واحد يمكن أن يدلي بخصائص العهد الاسلامي في هذا الصدر المبارك.

وهذا عهد صلحه ـ ﷺ ـ مع نصارى نجران، من: « [1] نسخة كتاب النبي ـ ﷺ التي في أيديهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) خراج أبي يوسف ص ٧٧ و٧٨ ـ وللعهد رواية (ب) لأبي عبيد بالاموال ص ٢٤٤، ومضمون بعضها ذكره ابن الاثير في الكامل في التاريخ ٢/٢٩٣ نرمز له بالحرف (ج) ونلاحظ الجهد المشكور الذي قام به القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الذي نسخ العهد من مصدره الذي بيد القوم بينما دونه أبو عبيد ـ رضي الله عنهما عن رواية أبي المليح الهذلي ـ رضي الله عنه.

هذا ما كتب محمد النبي رسول الله - ﷺ - لاهل نجران - اذ كان عليهم حكمه - في كل ثمرة، وفي كل صفراء وبيضاء ورقيق [١] فأفضل ذلك عليهم وترك ذلك كله لهم على ألفي حلة [٢] من حلل الأواقي في كل رجب ألف حلة [٣]، وفي كل صفر ألف حلة [٣] مع كل حلة أوقية من الفضة، فما زادت على الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب [٥].

وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ منهم بالحساب [٦].

وعلى نجران مؤنة رسلي ومتعتهم ما بين عشرين يوما فما دون ذلك [٧] ولا تحبس رسلي فوق شهر [٨]، وعليهم عارية ثلاثين درعا، وثلاثين فرسا، وثلاثين بعيرا [٩] اذا كان كيد باليمن ومعرة [١٠].

وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض فهو ضمين على رسلي حتى يؤدوه اليهم [١١].

ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله [١٢] على أموالهم،

---

(١) ب: اذا كان له حكمه عليهم: أن في كل سوداء وبيضاء وحمراء وصفراء وثمرة ورقيق.
(٢) ب: وأفضل عليهم وترك ذلك لهم، ألفي حلة.
(٣) ب: وفي كل رجب ألف حلة، كل حلة أوقية.
(٤) العبارة: وفي كل صفر ألف حلة لا توجد في (ب) فنص أبي يوسف أدق.
(٥) ب: ما زاد الخراج أو نقص فعلي الاواقي فليحسب.
(٦) ب: وما قضوا من ركاب أو خيل أو دروع أخذ منهم بحساب.
(٧) ب: وعلى أهل نجران مقري رسلي عشرين ليلة فما دونها.
(٨) العبارة: ولا تحبس رسلي فوق شهر، لا توجد في (ب).
(٩) ب: وعليهم عارية ثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين درعا.
(١٠) ب: اذا كان كيد باليمن ذو مغدرة.
(١١) ب: وما هلك مما أعاروا رسلي فهو ضامن على رسلي حتى يؤدوه اليهم.
(١٢) ب: ولنجران وحاشيتها ذمة الله وذمة رسوله.

وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم[1] وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير: لا يغير أسقف من أسقفيته[2]، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانَته[3]، وليس عليهم دنية ولا دم جاهلية، ولا يحسرون ولا يعسرون[4] ولا يطأ أرضهم جيش، ومن[5] سأل منهم حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين[6] ومن أكل ربا من ذي قيل[7] فذمتي منه بريئة[8].

ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر.

وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله أبدا حتى يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم غير متفلتين بظلم.

شهد أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف من بني نصر، والاقرع بن حابس الحنظلي والمغيرة بن شعبة.

---

(١) ب: على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانيتهم وأساقفتهم ومشاهدهم وغائبهم.

(٢) ب: وعلى ألا يغيروا أسقفا من سقيفاه، ولا واقها من وقيها، ولا راهبا من رهبانيته ـ اهـ. (في القاموس المحيط مادتا (وفه وقه). الوافه: قيم البيعة ووظيفته الوفاهة بالكسر ورتبته الوفهية، والحكم وقد وفه كوضع: الواقه الوافه كالوقاه كغراب والوقاهية قيامه بها، والوقه الطاعه وقد وقهت كورثت ا هـ)

(٣) العبارة: ولا كاهن من كهانته ليست في (ب).

(٤) العبارة: وليس عليهم دنية ـ حتى ـ ولا يعسرون. لا وجود لها في (ب).

(٥) ب: ومن سأل منهم حقا فالنصف بينهم بنجران.

(٦) ب: على ألا يأكلوا الربا، فمن أكل الربا... الخ

(٧) القيل ـ في القاموس بالمادة (ق و ل): والمقول كمنبر: اللسان والملك أو من ملوك حمير يقول ما شاء فينفذ كالقيل.

وفي الاموال: من ذي قبل، بمعجمة واحدة ولا معنى له، ولعله خطأ مطبعي. الباحث.

(٨) ب: فذمتي منه بريئة، وعليهم الجهد والنصح فيما استقبلوا غير مظلومين ولا معنوف عليهم. شهد بذلك عثمان بن عفان ومعيقيب وكتب».

ج: أورد ابن الاثير المضمون التالي: «وصالحوه على ألفي حلة ثمن كل حلة أربعون درهما، وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله ﷺ وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده ألا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا وشرط عليهم ألا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به».

وكتب لهم هذا الكتاب عبد الله بن أبي بكر « وكان ذلك في السنة العاشرة[١].

ومن خير ما نختار من عهود أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - عهده أيضا لاهل نجران، الذي نتبين فيه زيادة، تبين مرونته في الحاق (الجديد) الذي وافق الوحي لرسول الله ﷺ.

فانه لما بلغ أهل نجران وفاة رسول الله ﷺ لم ينقضوا عهدهم، بل بعثوا وفدا الى أبي بكر - رضي الله عنه - فقدموا عليه:

« [٢] فكتب لهم كتابا:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لاهل نجران[٣]، أجارهم من جنده ونفسه، وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ الا ما رجع عنه محمد رسول الله ﷺ بأمر الله - عز وجل - في أرضهم وأرض العرب ألا يسكن بها دينان ».

أجارهم على أنفسهم - بعد ذلك - وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم وعاديتهم وغائبهم وشاهدهم وأسقفهم ورهبانهم وبيعهم[٤] حيثما وقعت[٥]، وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير[٦]، عليهم ما عليهم[٧]، فاذا أدوه فلا يحشرون ولا يعشرون[٨] ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ووفي لهم بكل

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/١٣٩ - ولابن الاثير - الكامل في التاريخ ٢/٢٩٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٣٢١ - وله رواية (ب) بخراج أبي يوسف ص ٧٩.

(٣) ب: هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة محمد النبي رسول الله ﷺ لاهل نجران.

(٤) ب: أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ على أنفسهم وأرضيهم وملتهم وأموالهم وحاشيتهم وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم وأساقفتهم ورهبانهم وبيعهم.

(٥) العبارة: حيثما وقعت « ليست في (ب).

(٦) ب: وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير.

(٧) العبارة: عليهم ما عليهم « ليست في (ب) ».

(٨) ب: من قليل أو كثير لا يخسرون ولا يعسرون.

ما كتب لهم رسول الله ﷺ [1] وعلى ما في هذا الكتاب من ذمة محمد رسول الله ﷺ [2] وجوار المسلمين [3].

وعليهم النصح والاصلاح فيما عليهم من الحق.
شهد المسور بن عمرو، وعمرو مولى أبي بكر [4].
وكان هذا العهد في السنة الحادية عشرة [5].

★ ★ ★

وكتب أبو بكر الى « [6] خالد بن الوليد يأمره أن يسير الى العراق فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقريات من السواد، يقال لها: بانقيا وباروسما وَأُلَيْس، فصالحه أهلها، وكان الذي صالحه عليها ابن صلوبا، وذلك في سنة اثنتي عشرة، فقبل منهم خالد الجزية، وكتب لهم كتابا فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد بن الوليد لابن صلوبا السوادي ـ ومنزله بشاطىء الفرات ـ انك آمن بأمان الله ـ اذ حقن دمه باعطاء الجزية، وقد أعطيت عن نفسك، وعن أهل خرجك وجزيرتك ومن كان في قريتيك ـ بانقيا وباروسما ـ ألف درهم فقبلتها منك، ورضي من معي من المسلمين بها منك، ولك ذمة الله وذمة محمد ﷺ وذمة المسلمين على ذلك.

وشهد هشام بن الوليد [7] ».

---

(١) ب: وفاء لهم بكل ما كتب لهم محمد النبي ﷺ.
(٢) ب: وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي ﷺ ـ أبدا.
(٣) العبارة ـ وجوار المسلمين ـ ليست في (ب).
(٤) ب: شهد المستورد بن عمرو أحد بني القين، وعمرو مولى أبي بكر، وراشد بن حذيفة ـ والمغيرة وكتب ».
(٥) راجع تاريخ الطبري في حوادث السنة الحادية عشرة ٣٢١/٣.
(٦) تاريخ الطبري ٣٤٣/٣.
(٧) ذكر ابن الاثير مضمونا لهذا العهد بالكامل في التاريخ ٣٨٤/٢ قال ـ عن خالد بن الوليد ـ =

وفي ضوء ما تقدم من عهود يمكن أن نتبين خصائص العهد في هذا الصدر:

أ ـ فهو ـ عادة ـ يستهل بالآية: بسم الله الرحمن الرحيم».

ب ـ يليها النص على اسم معطي العهد، وذكر من يعطاه.

جـ ـ فبيان التزام الطرفين في ضوء حقوق وواجبات كل منهما.

د ـ وقد يحمل العهد في نهايته عبارة خاتمة، فقد وجدنا في العهود الثلاثة المتقدمة عبارة ذات مضمون واحد تقريبا كانت في ختام كل منها، وهي: «وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله أبدا... الخ أو قوله: وعلى ما في هذا الكتاب من ذمة محمد رسول الله ﷺ... الخ. أو قوله: ولك ذمة الله وذمة محمد ﷺ ـ وذمة المسلمين على ذلك[1] وفي عهد عمرو لمصر: على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله... الخ[2].

هـ ـ ثم يذيل العهد بشهادة الشهود، وقد يذكر كاتب العهد.

ثم لا يمنع مانع من النظر في العهد على ضوء ما يجد من حوادث قد يترتب عليها معالجة بعض نصوصه بما يتفق وهذه الأوضاع دون ظلم[3].

وليس يبدو أن هناك عبارة (رسمية) يلتزم بها تصوير المضمون، فالامر أبسط وأوسع من ذلك ما دام قد أحاط بهذه الالتزامات وعلى أمير المؤمنين ان لم يكن هو مصدره ـ أن يمضيه بمعنى أن يجعله نافذ المفعول.

★ ★ ★

= رضي الله عنه: «فسيره أبو بكر الى العراق فسار حتى نزل ببانقيا وباروسما وأليس، وصالحه أهلها، وكان الذي صالحه عليها ابن صلوبا على عشرة الاف دينار سوى حرزة كسرى، وكانت على كل رأس أربعة دراهم، وأخذ منهم الجزية» ا هـ.

(١) البحث ص ٤٠٠.

(٢) تاريخ الطبري ١٠٩/٤.

(٣) راجع عهد أبي بكر لاهل نجران مقارنا بعهد النبي ﷺ ص ٤٠١....قارن بص ٣٩٧.

بين يدي عهد عمر:

اذا استثنينا اتفاقا عقده عمرو بن العاص - رضي الله عنه - مع البطريرك (قيرس) بطريرك الاسكندرية، فان العهود - التي بين يدي جميعا عهود صلح بين الدولة الاسلامية وجزء من رعيتها وهي عهود وقعها عمر أو أحد قواده التزم فيها المسلمون قبل هذه الجماعة من الرعية بواجبات معينة دونت بالتفصيل.

وحفظ عمر بن الخطاب في تابوت عنده كل عهد من هذه العهود[1].

فأما اتفاقية عمرو - وقيرس فهي اتفاقية بين قوتين متقابلتين، أي هي معاهدة دولية، فقد حدث بعد وفاة الامبراطور هرقل في ٢٣ من صفر سنة عشرين الموافق (١١ نوفمبر سنة ٦٤١ م) أن وجد الروم أنفسهم أمام مشاكل ومنازعات، وتعرض العرش في القسطنطينية لهزات، فاضطر الروم أن يعملوا، لانهاء الحرب بينهم وبين العرب حتى يتفرغوا لمشاكلهم الداخلية، وفوض الامبراطور الجديد البطريرك (قيرس) لعقد معاهدة مع عمرو. ونقل «لين بول» ما ذكره حنا النـقيـوسي عـن مضمون هذه المعاهدة التي نصت في النهاية على جلاء الروم جلاء تماما «[2] ووقعت المعاهدة بين الطرفين في طليعة نوفمبر سنة ٦٤١ م وتم ابحار الروم في ١٧٠ سبتمبر سنة ٦٤٢ م» وتركوا البلاد.

ولا أجد - في مراجعي - عهدا دوليا آخر بين عمر ودولة أخرى، وغني عن البيان أن الارض التي تؤخذ عنوة ليس لها عهد ولا عقد، وأن الارض التي يسلم عليها أهلها تكون لهم وهم جميعا من الدولة الاسلامية لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما عليهم من واجبات.

فأما الجماعة التي تحتفظ بديانتها الكتابية وتوقع صلحا بينها وبين (مسؤول) مسلم، فانها تتسلم صورة موثقة تحمل نفس النص الذي بين يدي القائد المسلم، ففي

---

(١) انظر لابن عبد الحكم - فتوح مصر وأخبارها ص ٨٩.

(٢) انظر للدكتور السيد عبد العزيز سالم - تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ص ٥٣.

مصر ـ مثلا ـ كان بيد « طلما » صاحب اخنا عهد ، كذلك كان بيد « قزمان » صاحب رشيد عهد ، وعند « يحنس » صاحب البرلس [١] .

ويتعرض هذا العهد الى النبذ فيلغي عند خيانة الجماعة الكتابية هذه ، قال تعالى : واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين (٨ ـ ٥٨) . وأشار عمر الى نبذ من أعان من أهل السواد ضد المسلمين [٢] .

★ ★ ★

ويقوم عهد الصلح على ركنين أساسيين، هما :

الامن والجزية:

فأما الأمن فينص عليه المسلمون بصريح لفظه أو ما اشتق منه أو بنحو قولهم: « لكم الذمة وعلينا المنعة » وأمثالها مما تسكن به نفوس المعاهدين وتطمئن الى أنها صالحت « [٣] على أن يحقنوا لهم دماءهم وعلى أن يقاتلوا من ناوأهم من عدوهم ويذبوا عنهم » .

ففي خلافة عمر كتب قائده نعيم بن مقرن « لمرد انشاه مصمغان دنباوند » ، ومن معه :

« [٤] انك آمن ومن دخل معك على الكف » .

وكتب سويد بن مقرن لرزبان صول وسائر أهل جرجان « [٥] ولهم الامان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم... الخ .

---

(١) انظر لابن عبد الحكم ـ فتوح مصر وأخبارها ص ٨٥ ـ وانظر نقل أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الخراج من نسخة النجرانيين ـ البحث ص ٣٩٧ .

(٢) راجع تاريخ الطبري ٣/٥٨٦ . ولابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ٢/٥٠٩ .

(٣) خراج ابي يوسف ص ١٤٩ .

(٤) تاريخ الطبري ٤/١٥١ .

(٥) نفس المرجع ٤/١٥٢ .

وكتب لهم سويد أيضا: «ان لكم الذمة وعلينا المنعة»[1].

وجاء في صلح أذربيجان:

« [2] بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عتبة بن فرقد - عامل عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين - أهل أذربيجان: سهلها وجبلها، وحواشيها، وشفارها وأهل مللها كلهم - الامان على انفسهم وأموالهم...» الخ.

وبقبول الاتفاق يصير القوم رعية في الدولة، والدولة مسؤولة عن حمايتهم، وقد حدث عندما جمعت الروم جموعا كثيرة لتنقض بها في ضربة سريعة ضد المسلمين وعلم أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - بها « [3] اشتد ذلك على المسلمين، فكتب أبو عبيدة الى كل وال ممن خَلَّفَهُ في المدن التي صالح أهلها يأمرهم بأن يردوا عليهم ما جبي منهم من الجزية والخراج وكتب اليهم أن يقولوا لهم: انما رددنا عليكم أموالكم؛ لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع وأنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم، وانا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا لكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم ان نصرنا الله عليهم».

وكان عمل أبو عبيدة هذا فتحاً في ذاته، فانه ما انتصر على هذه الجموع حتى أتاه أهل المدن التي لم يصالح عليها ليدخلوا في عقد المسلمين وذمتهم[4].

ويؤكد لنا صلح أرمينية وما حولها - في زمن عمر - نحو السنة التاسعة عشرة هذا المبدأ حيث تسقط الجزية أيضا عمن يُدْعى منهم للسداد في نائبة أو غيرها، وهذا نصه:

---

(١) نفس المرجع ٤/١٥٢.

(٢) نفس المرجع ٤/١٥٥.

(٣) خراج أبي يوسف ص ١٥٠.

(٤) نفس المرجع ص ١٥٠.

« [1] بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اعطى سراقة بن عمرو ـ عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ شهر بزاز، وسكان أرمينية والأرمن من الامان.

أعطاهم أمانا لانفسهم وأموالهم وملتهم ألا يضاروا ولا ينتقضوا.

وعلى أهل أرمينية والابواب، الطراء [2] منهم والتناء [3] ومن حولهم فدخل معهم أن ينفروا لكل غارة، وينفذوا لكل أمر ناب أو لم ينب، رآه ـ الوالي صلاحا، على أن توضع الجزاء عمن أجاب الى ذلك الا [4] الحشر، والحشر عوض من جزائهم، ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء والدلالة والنزل يوما كاملا، فان حشروا وضع ذلك عنهم، وان تركوا أخذوا به.

شهد عبد الرحمن بن ربيعة وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبد الله وكتب مرضى ابن مقرن وشهد ».

وكما يوفر المسلمون الأمن لهذه الجماعة عليها أن تكون أمنا في ذاتها للمسلمين فلا تطلع أعداءهم على عورة، وعليها أن تنصح فلا تغش، وأن طريق تجعل المسلمين بينهم آمنة، ويتخذ المسلمون من الاسباب ما يضمن لهم توفير أمنهم في هذه الأوساط، لا سيما والمسلمون يقدمون أرواحهم دفاعا عن هذه الجموع ووفاء لها [5].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/١٥٦ و١٥٧.

(٢) في القاموس المحيط مادة (طرأ): طرأ عليهم كمنع أتاهم من مكان أو خرج عليهم منه، وهم الطراء، والطرءاء. ا هـ فالمراد غير المقيمين.

(٣) نفس المرجع مادة تنأ: تنأ كجعل: أقام. ا هـ فالتناءهم المقيمون.

(٤) (الا) هنا زيادة عن خطأ في النسخ أو الطبع اذ لا معنى لها الباحث. كما انها تفسد المعنى.

(٥) راجع عهد أبي عبيدة بن الجراح لاهل دمشق نقله ابن عساكر ـ تاريخ دمشق ١/٥٠٤ وخراج أبي يوسف ص ١٤٩.

وأما الجزية ففي أمرها سعة، فالعهود التي بين يدي لا تعطي قدرا ماليا ثابتا يعمل به في مختلف الميادين والاقاليم ولا أجدها كذلك تطالب الأفراد أجمعين، بل اذا وجبت على انسان بعينه فلا يعني ذلك وجوبها عليه بصفة مستمرة، فقد تسقط عنه اذا دعي لعمل[1]، أو تخفف لضعف طارىء على مواردهم، فقد جاء في صلح مصر الذي أعطاه عمرو بن العاص:

« [2] وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك ».

واذ قد انتهى هذا العرض بين يدي عهد عمر فلننظر عهده ـ رضي الله عنه ـ وبين يدي منه عهدان صدرا عنه بالشام.

★ ★ ★

عهد عمر:

وهاتان صورتا عهده ـ رضي الله عنه:

صلح بيت المقدس الذي عقده عمر ـ رضي الله عنه:

« [3] بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان. أعطاهم أمانا لانفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها.

انه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صلبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم.

ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود.

---

(١) البحث ص.

(٢) تاريخ الطبري ٤/١٠٩.

(٣) تاريخ الطبري ٣/٦٠٩.

وعلى أهل ايلياء أن يعطـوا الجزية كما يعطى أهل المدائن[1]، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت، فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية.

ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم.

ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل (فلان)، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع الى أهله، فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان.

وكتب وحضر سنة خمس عشرة».

(١) هي مدائن الشام كما وقع في عهد (لد) التالي.

(عهد لد)

« [1] بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لد، ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين.

أعطاهم أمانا لانفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم:

أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا مللها ولا من صلبهم ولا من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم.

وعلى أهل لد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل مدائن الشام، وعليهم ان يخرجوا مثل ذلك الشرط الى آخره[2].

★ ★ ★

ونلاحظ والعهد التزام من الدولة لجزء من رعاياها أن لغة هذه العهود توفرت لها السهولة والوضوح والتعبير الفصل، فهي لا تلتوي اخفاء لمأرب في ستار من زخرف المقول وتكلف الصنعة، ولا تحتاج في شيء من نصوصها الى تفسير مثل ما نعهده في عصرنا هذا من مذكرات تفسيرية تلحق بالمعاهدات التفسير شرط أو أكثر وقع في أمره خلاف، وإنما فيها من بساطة التعبير ما في الدين نفسه من بساطة العقيدة، وفيها من الامانة والعدل ووضوح القصد ما في هذا الدين نفسه من أمانة وعدل وقول فصل.

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٦٠٩.

(٢) راجع صلح دمشق بخراج أبي يوسف ص ١٤٩ ـ ولابن عساكر ـ تاريخ مدينة دمشق ١/٥٠٤.

عهد ليس لعمر:

وكما مر بنا في فصول البحث السابقة، خطبة أو رسالة ليست لعمر ونسبت اليه، فان الأمر في العهد لم يسلم من ذلك.

فقد ذكر الأرشمندريت بنيامين بوانيدي - في دليل الارض المقدسة عهداً نسبه الى عمر، جعله عهد ايلياء.

وهذا نصه:

« [1] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرفنا بالاسلام، وأكرمنا بالايمان، ورحمنا بنبيه محمد ﷺ وهدانا [2] من الضلال، وأنقذنا به من التهلكة، ووحد قلوبنا، ونصرنا على الاعداء، وثبت ايدينا، وجعلنا أخوة متحابين، فاحمدوا الله - يا عباد الله - على هذه النعمة.

أما بعد:

فهذا عهد مني - أنا عمر بن الخطاب، أعطى للشيخ الوقور بطريرك الامة الملكية صفرونيوس على جبل الزيتون بمقام القدس الشريف، في الاشتمال على الرعايا والقسوس والرهبان والراهبات حيث كانوا وأين وجدوا، وأن يكون عليهم الامان، لان الذمي اذا حفظ أحكام الذمة وجب له الامان والصون منا - نحن المؤمنين، والى من يتولى بعدنا، وتقطع عنهم أسباب جوانحهم كحسب ما قد جرى من الطاعة والخضوع.

وليكن الامان عليهم وعلى كنائسهم ودياراتهم، وكافة زياراتهم التي بيدهم داخلا وخارجا وهي:

---

(١) شحادة خوري ونقولا خوري - تاريخ كنيسة أورشليم الارثوذكسية ص ٤١ و٤٢ نقلها المؤلفان عن (دليل الارض المقدسة ص ١٤٤ للارشمندريت بنيامين بوانيدي - مطبعة دير الروم بالقدس الشريف عام ١٨٧٧ م).

(٢) كذا.

القيامة،وبيت لحم مولد عيسى ـ عليه السلام ـ الكنيسة الكبرى، والمغارة ذات الثلاثة أبواب: قبلي وشمالي وغربي. وبقية أجناس النصارى الموجودين هناك، وهم:

الكرج والحبش والذين يأتون للزيارة من الافرنج والقبط والسوريان والأرمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة تابعين للبطرك المذكور، ويكون متقدما عليهم، لأنهم اعطوا من حضرة النبي الكريم والحبيب المرسل من الله وشرفوا بختم يده الكريمة★، وأمر بالنظر اليهم والامان عليهم، كذلك ـ نحن المؤمنين ـ نحس اليهم اكراما لمن أحسن اليهم ويكونون معافين من الجزية والغفر [1] والمواجب ومسلمين من كل كافة البلايا في البر والبحور، وفي دخولهم للقيامة، وبقية زياراتهم لا يؤخذ منهم شيء.

وأما الذين يقبلون الى الزيارة الى القيامة يؤدي النصراني الى البطريرك [2] درهم [3] وثلث من الفضة.

وكل مؤمن ومؤمنة يحفظ ما أمرنا به: سلطانا أو حاكما أو واليا يجري حكمه في الارض: غني أو فقير من المسلمين المؤمنين والمؤمنات وقد أعطى لهم مرسومنا هذا بحضور جم من الصحابة الكرام: عبد الله، وعثمان بن عفان، وسعد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وبقية الاخوة الصحابة الكرام.

.فليعتمد على ما شرحناه في كتابنا هذا، ويعمل به، ويبقى في أيديهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه والحمد لله رب العالمين. حسبنا الله ونعم الوكيل.

في العشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٥ للهجرة النبوية.

وكل من قرأ مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه ـ من الآن الى يوم الدين ـ فليكن لعهد الله ناكثا ولرسوله الحبيب باغضا». ا هـ.

(★) في المصدر حاشية هنا تقول: اشارة الى العهدة الممنوحة من النبي الكريم ذاته لرهبان طور سيناء.

(١) كذا.

(٢) ذكرت هنا بياء وراء بطريرك ووردت قبل ذلك بها ويدونها.

(٣) كذا وهو خطأ عربية.

وبعد:

فاذا قارنا هذا النص في ضوء خصائص العهود لهذا العصر يتبين لنا أنه غريب عنها.

فقد بدأ بخطبة، ولم تكن كذلك عهود هذا الوقت★.

وينتهي العهد عادة بذكر الشهود والكاتب، وليس كذلك هذا العهد الذي انتهى بعد الشهود بعبارة:

فليعتمد على ما شرحناه في كتابنا هذا، ويعمل به، ويبقى في أيديهم... الخ.

وهي عبارة غريبة جدا لم تصدر عن عمر في عهد، كذلك لم تصدر عن كبار قواده في الجبهات الثلاث: الفارسية والرومية والمصرية فلا نجدها أو مثلها في عهد دمشق[١] الذي ارتضاه أبو عبيدة بن الجراح، ولا نجدها في عهد مصر[٢]، ولا نجدها في عهود آل مقرن النعمان ونعيم وسويد أبناء مقرن[٣]، ولا فيما عهد عتبة ابن فرقد[٤]، وحذيفة بن اليمان[٥]، وعبد الله بن عبد الله بن عتبة[٦] وبكير بن عبد الله في الجبهة الفارسية[٧]، ولا نجد مثل ذلك في عهد أبي بكر من قبل[٨].

وفي العهد عربية فاسدة لا تكون على لسان عربي بالضرورة في هذا العصر.

فكلمته: «وجب له الامان والصون منا نحن المؤمنين، والى من يتولى بعدنا» فيها خطأ اذا قورن بمقصده، فهو يقصد:

★ انظر استدراكا على هذه الخطبة هُديت إليه بآخر ص ٤٨٥.

(١) راجع لابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق ١/٥٠٦.

(٢) راجع تاريخ الطبري ٤/١٠٩.

(٣) نفس المرجع ٤/١٣٦ و١٥١ و١٥٢.

(٤) نفس المرجع ٤/١٥٥.

(٥) نفس المرجع ٤/١٣٧.

(٦) نفس المرجع ٤/١٤١.

(٧) نفس المرجع ٤/١٥٧.

(٨) البحث ص ٤٠١.

والصون منا نحن المؤمنين: وممن يتولى بعدنا.

وقوله: كحسب ما جرى - تعبير مولد لاتعرفه عربية هذا العصر، وانما عربيتها أن تجر بالياء أو تذكر بلا جار [1].

واستعمل فيه العامي مكان الفصيح فقال: معافين من الجزية والغفر يقصد الخفر بمعنى الحراسة والحفظ.

وليس من الفصيح: «من كل كافة البلايا» فهو تعبير يجمع الى ركنه زيادة لا معنى لها.

وفي قوله: يؤدي النصراني الى البطريرك درهم وثلث لحن واضح.

وليس يقتصر الفساد اللغوي على ما قدمت، ففي مراجعة النظر نجد أخطاءً أبشع.

ولم أجد - فيما طالعت من مراجع عنيت بعمر- استعماله لكلمة (مرسوم) في كل ما صدر منه ووقفت عليه، وانما هو استعمال حَدَثَ من عهد ليس ببعيد.

فاذا نظرنا الى مضمون العهد - بعد ذلك - وجدنا فيه حوادث مختلقة فعهد عمر لاهل ايلياء يروي الطبري صراحة انه كتبه لوفدهم بالجابية: «[2] صالح عمر أهل ايلياء بالجابية وكتب لهم فيها الصلح» وأشار لذلك ابن الاثير[3] فلم يعطوه على جبل الزيتون بالقدس كما يدعى هذا العهد.

كذلك لم يستقبل رسول الله ﷺ وفدا من رهبان طور سيناء أو يعطيهم أمانا [4].

---

(١) انظر المادة بالقاموس المحيط.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٦٠٨ و ٦٠٩.

(٣) ابن الاثير - الكامل في التاريخ ٢/٥٠.

(٤) راجع سيرة ابن هشام ٧/٣٥٧، والسهيلي - الروض الانف ٧/٤٢٨، وراجع الوفود لابن كثير - السيرة النبوية ٣/٦٠٩ و٦٦٧ و٦٨٣ - ٤/٧٠ الى ١٨٣. وراجع الوفود بتاريخ الطبري ٣/١١٥ - الى ١٢٥.

وانظر الوفود لابن الاثير - الكامل في التاريخ ٢/٢٨٣ - الى - ٢٩٣.

ثم ما علاقة عمر برسم دخول الزيارة الا اذا كان سيخص المسلمين منه شيء ؟ وما دام هذا العهد يدعى سقوط الجزية عن كل أجناس النصارى الساكنين بايلياء وحَصَرَهم هذا الحصر العجيب، فمعنى ذلك أن المسلمين لن يأخذوا شيئا، فأي شيء يدفع عمر الى تحديد رسم الدخول هذا ؟!

وليس هناك براعة أبدا في ذكر شاهد باسم: عبد الله، فما أكثر العبادلة بين المسلمين، ولم يقع في عهد ـ بين يدي ـ اكتفاء باسم الرجل عن ابيه[1].

وما وجدت في مراجعي عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ من جند الجبهة الرومية، ولا من قوادها، ولم يصحب عمر في هذه الزورة الى الجابية فايلياء وانما كان من مستشاريه بالمدينة [2].

بقي بعد ذلك ما أسماه « سعد بن زيد » ولن يكون نكرة ـ بحال ـ في هذا المقام، ولا بد أن يكون اما قائدا، ان لم يكن قائدا كبيرا أو يكون زائرا بصحبة عمر، ولم أجد شخصا بهذا الاسم في الجبهة الرومية كلها فيما طالعته من مراجع تاريخية في هذا المقام كالطبري وابن الاثير وابن كثير وابن خلدون وابن عساكر، ولا أظنه سقط سهوا من كل هؤلاء لقد جمع هذا العهد الى فساد لغته اختلافا في الوقائع والاشخاص أسفر عن وضعه، وبراءة عمر منه ـ رضي الله عنه.

---

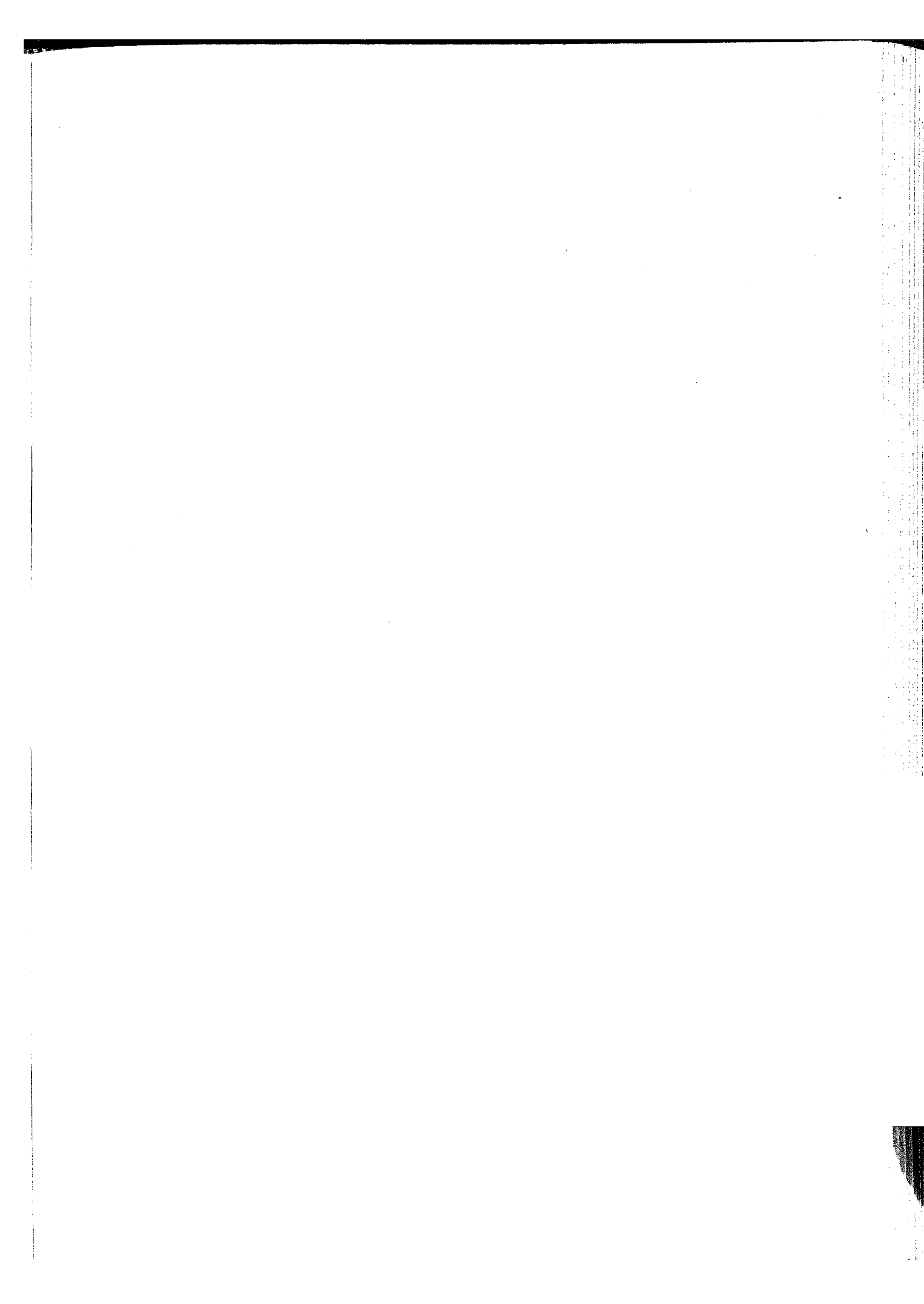
١) راجع تاريخ الطبري في العهود ٤/١٣٦ ـ الى ـ ١٥٧.

٢) راجع تاريخ الطبري ٣/٤٨٠ ولابن الاثير الكامل في التاريخ ٢/٤٥٠.

الفصل الخامس

حكمة عمر

بين يدي حكمته
مصادر حكمته
ألوان حكمته



حكمة عمر

بين يدي حكمته:

الحكمة ـ من بين الوان الأدب ـ مصدرها تجارب البشر... واقع الأمور من حيث يبدأ الى حيث ينتهي، لا شيء للخيال فيه عامة وتجارب الناس على مدى السنين أعطتهم أحكاما مسلمة تناولت شتى شؤون الحياة، حصدها لهم ذوو الفطنة والالمعية من بينهم فكان حصاد خير للناس.

وعمر ـ رضي الله عنه ـ واحد ممن حصد عن خبرة وتجربة، وأعطى الناس حكمته في خطبة أو وصية أو رسالة، أو غير ذلك، فبعض المصادر اقتصر ـ في شيء من فصوله ـ على رواية حكمته فقط غير موصولة بلون معين من أدبه كرسالة أو وصية أو غيرهما، ولتشابه أسلوبه في أدبه كله، لم يكن سهلا ـ رد هذه الحكمة الى واحد منها.

١ ـ وحكمته ـ رضي الله عنه ـ تسوقها لنا عبارة موجزة، قل أن تطول فيها الجملة، فقد تتكون من كلمتين كقوله: الواحة عقلة [١].

وقد تطول في عبارة محكمة يصحبها الوضوح ويتخللها التقسيم ـ وذلك قليل ـ ومنه قوله: « [٢] الرجال ثلاثة: رجل ينظر في الامور قبل ان تقع فيصدرها مصدرها، ورجل متوكل لا ينظر، فاذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأي وقبل قولهم،

(١) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٣/٢٣.

(٢) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٣/٢٩٩.

ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدا، ولا يطيع مرشدا» وقوله: «[1] النساء ثلاث: امرأة هينة لينة، عفيفة ودود ولود تعين بعلها على الدهر ولا تعين الدهر على بعلها وقلما تجدها، واخرى وعاء للولد لاتزيد على ذلك شيئا، والثالثة غُلٌّ قَمِلٌ يجعله الله في عنق من يشاء وينزعه اذا شاء».

٢ - وقد تأخذ حكمة عمر حظها من زينة اللفظ دون كلفة، كما قد يستعين عمر في ابراز معناها بلون من أساليب البيان فالخيال، يقول:

من كثر ضحكه قلت هيبته[2].

من كتم سره كان الخيار في يده[3].

اعتبر عزمه بحميته وحزمه بمتاع بيته[4].

لا يكن حبك كلفا، ولا بغضك تلفا[5].

سيفان في غمد اذا لايصطحبان[6]

لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما أركب[7].

٣ - وليس لحكمة عمر - مكان بعينه - من حديثه، وانما يرسلها حيث تحل من الكلام في صدره أو خاتمته أو بين ذلك.

وهذا القول انما يسري على الحكمة التي نعرف موطنها من كلامه، أما تلك التي سيقت مفردة فقد تكون كذلك، أو يكون عمر ساقها مفردة في مقام حال.

فما صدر به عمر قوله:

---

(١) ابن ابي الحديد - شرح نهج البلاغة ١١٢/٣.

(٢) الجاحظ - البيان والتبيين ١٨٨/٢.

(٣) الجاحظ - الحيوان ١٨٣/٥.

(٤) الجاحظ - البيان والتبيين ١٠٤/٢.

(٥) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري نهاية الأرب ٥/٣.

(٦) ابن الاثير - أسد الغابة ٣٣١/٣.

(٧) الجاحظ - البيان والتبيين ١٢٦/٣.

أيها الناس

ان بعض الطمع فقر، وان بعض اليأس غنى، وانكم تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون [1].

ومما ختم به ما جاء في رسالة لابي موسى - رضي الله عنهما:

... اذا زاغ العامل زاغت رعيته - وان أشقى الناس من شقيت به رعيته [2]

ومنها في ثنايا كلامه:

اصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم [3].

٤ - وحكمة عمر تنفرد فتكون واحدة أو اثنتين - وقد تتعانق في الاثر الأدبي الواحد فيأخذ بعضها ببعض، وترتبط الحكمة بالحكمة في وحدة عضوية محكمة كقوله للاحنف بن قيس - في كلمات يبدأ بعضها بنهاية سلفه:

من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه... الخ [4].

وقد تتوالى - على غير هذا النسق - ليؤدي كل منها وظيفته في ابداع الحال الكمالية للامور، ومن ذلك كلمته لابي عبيدة - رضي الله عنهما:

... انه لا يقيم أمر الله في الناس الا حصيف العقدة، بعيد الغرة.. الخ والرسالة كلها حكمة [5].

ومثلها رسالته الى ولده:

من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه... الخ [6] وما رواه ابن منقذ في

---

(١) البحث ص ٢٣٩.
(٢) البحث ص ٣٨٣.
(٣) البحث ١٨١.
(٤) البحث ص ٢٥١.
(٥) البحث ص ٣٨٤.
(٦) البحث ص ٣٩٠.

بعض الوصايا [1].

مصادر حكمته:

وحكمة عمر بعضها مطروق يجري على ألسنة الناس، وبعضها ابداع عمر فيه واضح ـ كما رأيت في حدود مراجعي.

فمما يجري على ألسنة الناس بتعابير شتى قول عمر:

حرفة يعاش بها خير من مسألة الناس [2].

اياكم والدين، فان أوله هم وآخره حرب [3].

ولعمر في هذا ومثله فن صياغة الحكمة عن اقتناع بحكمها الفاصل وأثره الصادق.

وقد يأخذ في حكمته شيئا من حديث رسول الله ﷺ: قال عمر:

« [4] ان الشجاعة والجبن غرائز تكون في الرجال، يقاتل الشجاع عمن لا يعرف »و يفر الجبان من أمه، وان كرم « [5] الرجل دينه، وحسبه خلقه، وان كان فارسيا أو نبطيا »، وفيها من قوله ﷺ:

« [6] كرم الرجل دينه، ومرؤته عقله، وحسبه خلقه ».

ويقول عمر:

---

(١) البحث ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٢) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢/٨١.

(٣) موطأ مالك ٢/٢٣٦.

(٤) تفسير ابن كثير ١/٣١١.

(٥) روى ابن منقذ هذا الجزء بلباب الاداب ص ٣٣٥: « حسب المؤمن دينه، ومرؤته خلقه، وأصله عقله ».

(٦) مسند أحمد ٢/٣٦٥ المطبعة الميمنية.

« [1] ترك الخطيئة خير من معالجة التوبة، ورب نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا ».

ذكر ابن الاثير في ترجمته لابن جبير - حديثا واحدا له أخرجه ابن منده وأبو نعيم - وفيه من قول رسول الله ﷺ:

« [2] ألارب شهوة ساعة أورثت صاحبها حزنا طويلا ».

ثم لعمر - من بعد - روائعه، يقول:

« [3] احذر من فلتات الشباب كل ما أورثك النَّبزَ، وأعلقك اللقب، فانه ان يعظم - بعدها - شأنك، يشتد على ذلك ندمك ».

« [4] لو كان الحذر لا ينفع لكان الأمر به لغوا ».

ألوان حكمته:

وحكمة عمر الوان، شملت الدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع، وهذا التصنيف - في الواقع - ليس الا تقريبا لطابع يغلب على آخر، والا فان عمر ومسلمي عصره كانت حياتهم لدينهم طاعة لله ورسوله ﷺ.

فمما طابعه ديني قوله:

اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة [5].

احذر النعمة كحذرك من المعصية [6]

---

(١) الجاحظ - البيان والتبيين ١٣٨/٣.

(٢) ابن الاثير - أسد الغابة ٣٣٥/٦.

(٣) الجاحظ - البيان والتبيين ٢٨٦/٢.

(٤) الجاحظ - البخلاء ١٤٩/٢.

(٥) النويري - نهاية الأدب ٥/٣.

(٦) الجاحظ - البخلاء ٧٩/٢.

من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته [١]
حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا [٢] .

ومما طابعة الحكم والسياسية :

ان هذا الامر لا يصلحه الالين في غير ضعف وشدة في غير عنف [٣] .
أنك ـ والله ـ ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه [٤] .

ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فان الامام ان يخطىء في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة [٥] . وعرض للسلطان في قوله : « ثلاث من الفواقر : جار مقامة ان رأى حسنة سترها ، وان رأى سيئة أذاعها ، وامرأة ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها لم تأمنها ، وسلطان ان أحسنت لم يحمدك وان اسأت قتلتك [٦] » .

وذو الوجه الاقتصادي :

بع الحيوان أحسن ما يكون في عينك [٧] .
فرقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين [٨] .
املكوا العجين فانه أحد الريعين [٩] .
من أكل بيضة فقد أكل دجاجة [١٠].

★ ★ ★

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٠٤ .
(٢) تفسير ابن كثير ٤/٤١٤ .
(٣) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٣/٢٥٥ .
(٤) الجاحظ ـ البيان والتبيين ١/٢٦٠ و ٢٦١
(٥) آثار الامام محمد الشيباني ص ١٠٨ .
(٦) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار ١/٣ .
(٧) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢/٢٨٦ .
(٨) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢/٢٨٦ .
(٩) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢/٢٨٦ وفي القاموس المحيط مادة راع : نما وزاد .
(١٠) الجاحظ ـ البخلاء ١/٣٨ .

وتبدو حكمته الاجتماعية في قوله :

لكل شيء شرف ، وشرف المعروف تعجيله [١] .
ثلاث مهلكات :
شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه [٢] .
لولا حب الوطن لخزب بلد السوء [٣]
النسا بزمانهم أشبه منهم بآبائهم [٤] .
ما وجد أحد في نفسه كبرا الا من مهانة يجدها في نفسه [٥] .
على كل خائن أمينان : الماء والطين [٦] .
من أخذ ضالة فهو ضال [٧] .
لا تخور قوة ما كان صاحبها ينزو وينزع [٨] .
من لم ينفعه ظنه لم تنفعه عينه [٩] .
ان المرأة لحم على وضم الا ماذب عنة [١٠] .
النساء عورة فاستروها بالبيوت وداووا ضعفهن بالسكوت [١١] .
أعقل الناس أعذرهم للناس [١٢] .

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ٣/٢١٤ .
(٢) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٣/٢١٤ .
(٣) الجاحظ : المحاسن والاضداد ص ٥٩ .
(٤) اسامة بن منقذ ـ لباب الآداب ص ٣٣٤ .
(٥) الجاحظ : البيان والتبيين ٤/٧٥ .
(٦) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار ١/٣١٢ .
(٧) الامام مالك ـ الموطأ ٢/٢٢٧ .
(٨) الجاحظ : البيان والتبيين ٣/٢٣ .
(٩) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٢/١٠٢ او ٢٩١ .
(١٠) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢/١٩١ .
(١١) ابن قتيبة ـ عيون الاخبار ٤/٧٨ .
(١٢) النويري ـ نهاية الارب ص ٥ .

ما الخمر صرفا بأذهب للعقول من الطمع [1].
من رق وجهه رق علمه [2].
بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع [3].

وبعد:

فتلك قبسات من أدب عمر، نراها أدبا يعالج الواقع من أجل الناس ليسمو به وبهم، يرتاد لهم لينفعهم بما وسع صاحبه من جهد واخلاص.. ادب اشرقت فيه حياة عصر بلا خداع ولا تنميق، وصدر عن صاحبه بلون من نثر سهل بليغ، أمين في تصويره، حكيم في عطائه، معبر عن العصر وروحه.

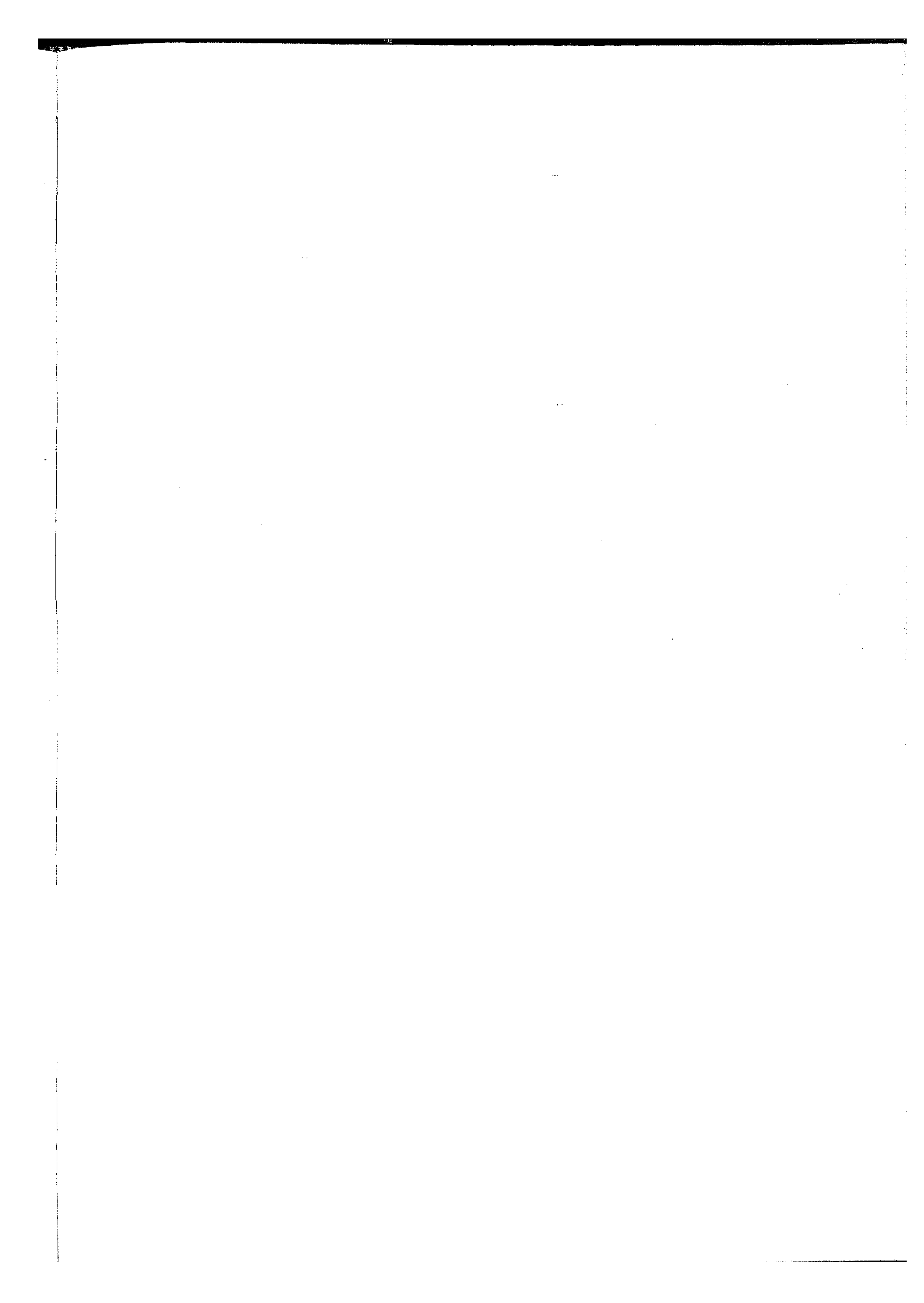
★ ★ ★

(١) النويري ـ نهاية الارب ص ٥.
(٢) سنن الدارمي ١/١١٢.
(٣) صحيح مسلم ١/٨.

الفصل السادس

عمر الناقد

النقد قبل عمر
روافد النقد عند عمر
عمود النص الادبي عند عمر ومعراجه
عمر بين الأدب ومسؤوليات الحكم



النقد قبل عمر:

لا يماري أحد في أن البناء العظيم الذي نال تمام حظه من الجلال والجمال فملأ النفس بروعته، وأشبع الحس بجماله، وصرف النفس عن التماس الكمال في غيره خَلْفَهُ مهندسٌ عظيم يتمتع بذوق جميل ممتاز، خططت عبقريته في تناسب وابتكار، وقاد ذوقه الى جلال وجمال.

ولقد وصلتنا القصيدة الجاهلية في بناء تام له كماله وجلاله وجماله، وله خصائص ثابتة مستقرة ذات منهج واضح وحد مرسوم، وأسلوب فني يقاسم ألوانها فيشترك فيها جميعا: شكلا ومضمونا، نراه في وحدتها وزنا ورويا وقافية، ونراه في موضوعاتها: من بداية الافتتاح الى نهاية الغرض ولا بد أن يكون خلف كل جزئية من هذا البناء نقد قومها وذوق شكلها حتى انتهى بها الى هذا الجمال والجلال وأخرجها في هذا البناء العظيم الذي اتخذناه ـ نحن ـ في هذا القرن طريقا للنهوض بالشعر من كبوته.

اننا نرى الاهرام فنقول في لمحة سريعة انها لمهندس عظيم، ولن يبخس عظمته جهلنا باسمه، ثم نكتشف بناء أضلاعها في مواجهة الجهات الاصليه، ثم نكتشف أنها بنيت بطريقة تفريغ الهواء، ثم نعلم أنها ذات حجرات ليس الوصول بينها سهلا، وسوف نكتشف... ونكتشف... ولا بد أن نقول باقرار: ان ذلك كله كان مقصودا لهذا المهندس العظيم.

كذلك لن يضير النقد الجاهلي الذي نشأ مع الشعر عدم معرفتنا التفصيلية به، لكنه على كل حال كان خلف القصيدة حتى استقامت على عمود متين، وضع النقد كل خصائصه وحدد كل رسومه، واستحسن منه الرائع وهدى اليه، واستهجن منه الفج وحمل عليه.

انما يضير هذا النقد أن نحكم عليه من خلال ما وصلنا من شأنه فندعي أنه لا يعدو أن يكون ملاحظات جزئية لم تتعد الذوق والاحساس الى قواعد ومقاييس مضبوطة [1].

ان الناقد الجاهلي الذي وضع للقصيدة أحكاما قرر فيها وحدة الوزن فالتزمها الشعراء، ووحدة القافية والروى فالتزمها لشعراء لم يصدر في ذلك عن ذوق فقط، بل وضع مقاييس مضبوطة، استطعنا أن نكتشفها فيما بعد، وهي مقاييس خضع النابغة لها حين تنافرت في شعره حركة الروى اذ قال:

أمـن آل ميـة رائـح أو مغتـد عجلان ذا زاد وغير مـزود
زعم البـوارح أن رحلتنـا غـدا وبـذاك خبرنـا الغـراب الاسـود

فعاد فقال: وبذاك تنعاب الغراب الاسود [2].

لا يقال: ان الجاهلين لم يعرفوا الوزن، ولم يذكروا المرفوع والمجرور، لا يقال هذا، لانهم ـ بالقطع ـ يدركون وقعه، والا لوجدنا ـ بعد اكتشافنا للوزن مثلا معلقة بها أكثر من وزن يضرب بعضه بعضا، ولوجدنا اكثر من اقواء يفسد بعضه بعضا، لكن شيئا من ذلك لم يكن.

واذا استهجن طرفة اطلاق وصف خاص بمؤنث على مذكر في قول المسيب بن علس:

---

(١) راجع للدكتور شوقي ضيف ـ النقد ص ٣١.

(٢) راجع لابي عبد الله بن سلام الجمحي ـ طبقات الشعراء ص ٣٠ و ٣١. وابن قتيبة الشعر والشعراء ١٥٧/١.

وقد أتناسى الهم عند ادكاره بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال: استنوق الجمل.

فان طرفة لم يصدر في ذلك عن ذوق فقط، بل انطلق من مبدأ الوضع اللغوي نفسه، فشتان بين الصعر والصيعرية، والاول خاص بالبعير والثاني بالناقة [1].

صحيح أنهم يصدرون في بعض النقد عن الذوق كما عاب أحيحة بن الجلاح على الشماخ أن يجعل جزاء ناقته نحرها اذا بلغته الى عرابة الاوسي ممدوحه، فقال::

اذا بلغتني - وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين

فقال بئس المجازاة جازيتها.

لكن الذوق لم يكن دائما مصدر الحكم بل كان الى جانبه مقاييس لها كيانها المقرر وتأثيرها الفعال.

كذلك عرف القوم الموازنة بين معنى ومعنى وما امتاز به معنى على آخر [2] وعرفوا كذلك حدوداً أدبية تقليدية روعيت بدقة نبه الى ذلك الدكتور طه الحاجري فقال:

« [3] وكذلك كان لبعض الموضوعات التي يعرض الشعراء الجاهليون لها تقاليدها الخاصة تعارفوها وتواضعوا عليها، والتزموها كما تلتزم التقاليد المقررة والعادات المرعية».

واستشهد على ذلك بقول الجاحظ:

(١) راجع القاموس المحيط مادة ن و ق.

(٢) راجع للدكتور شوقي ضيف - النقد ص ٢٠.

(٣) راجع للدكتور طه الحاجري - في تاريخ النقد والمذاهب الادبية - العصر الجاهلي والقرن الاول الاسلامي ص ٢٥.

« [1] ومن عادة الشعراء اذا كان الشعر مرثية أو موعظة أن تكون الكلاب التي تقتل بقر الوحش.

واذا كان الشعر مديحا وقال: (كأن ناقتي بقرة من صفتها كذا) - أن تكون الكلاب هي المقتولة، ليس على أن ذلك حكاية عن قصة بعينها » ا هـ فان الواقع بين الكلاب والبقر يخالف ذلك، فما أكثر أن تكون الكلاب هي الظافرة.

ولقد نخلص من ذلك الى:

أن النقد الجاهلي أسهم في بناء عمود الشعر، فوضع مقاييس القصيدة وحدد - في كليات - اطارها الخارجي وزنا وقافية ورويا.

وخضع الشعراء - غالبا - لكليات عامة، فالتزموا في مطلع القصيدة الوقوف بالديارا وبكائها وذكر رسومها ... الخ.

وليس من عادتهم أن يقدموا قبل الرثاء نسبيا كما يصنعون في المدح والهجاء [2] ومر أنهم يلتزمون في العظة والمرثية وضعا في وصف البقر والكلاب مخالفا له اذا تحدثوا في المديح [3].

ومنها التزامهم الفخر بالاباء لا بالابناء، وبهذه نقد النابغة حسانا في قوله:

ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما.

فقال النابغة: فخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك.

قال الدكتور شوقي: « [4] والعرب لا تفخر بالابناء وانما تفخر بالاباء ».

ثم نظروا في جزئيات القصيدة فاستحسنوا تشبيهاتها الرائعة واستهجنوا وصفا في غير مقامه الى غير ذلك مما نكتشفه حينا بعد آخر ونتبين في ضوئه حدود الشعر وتقاليده وجمهوره الذواقة.

---

(١) الجاحظ - الحيوان ٢/٢٠.

(٢) راجع لابن رشيق - العمدة ٢/١٥١.

(٣) البحث ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

دكتور شوقي ضيف - النقد ص ٢٢.

واستمر هذا الحال على وضعه في عصر صدر الاسلام، ثم طرأ بالاسلام على الشعر لونا من سمو الغرض وسهولة التعبير وجمال اللفظ، تأثر به من تأثر ممن تمثل الاسلام من الشعراء فهجر الهجاء وأنشد للاسلام ولكل غرض نبيل.

★ ★ ★

روافد النقد عند عمر

لعمر - رضي الله عنه - آثار رويت عنه في نقده لنصوص أدبية، ومعظم هذا المنقول روي عنه - وهو خليفة - أي في السنوات العشر الاخيرة من حياته، وهي آثار تصور - في جملتها - مدار اعجابه بالاثر الادبي عندما تتحقق فيه «نظرية الكمال» التي نراها لعمر، والتي - نراها لديه - نتاج ثقافة العمر في تلك المرحلة الخاتمة من حياته.

لذا ينبغي أن نحيط علما بالروافد التي كونت لعمر ملكة النقد، واضعين في الاعتبار - حياته بشطريها: الجاهلي والاسلامي، وخصائص كلا العصرين وقيمهما التي لم تفت عمر، فقد كان واحدا من المسؤولين - في الجاهلية عن تلك القيم ورفعة شأنها في قريش، وقريش - إذ ذاك - محط أنظار العرب ومهوي أفئدتهم، ثم آل اليه الامر في الاسلام فأصبح مسؤولا عن أمره كله، وصار قدوة قدمها هذا الدين للناس.

ولقد نعلم - مما سبق لنا في دراسة علمه ومصادره - أن عمر لم تفته ثقافة العصرين، فهو بهما جد خبير:

كان عليما بالشعر ذا بصيرة فيه مستوعبا للكثير من قول الجاهلين، ملما بما قال المشركون والمرتدون من شعر ضد الاسلام والمسلمين، مختارا لقمم أدبية من أعلامه نزلت من اعجابه بأعلى مكان [1].

---

(١) البحث ١٤١ - ١٤٤.

عالما - في مسؤولية عن أحوال العرب - جاهلية واسلاما: عقيدة وعلما، وتاريخا، وأنسابا [١].

ونضيف - الى هذه الروافد - مصدرا هاما في ممارسة النقد هو «المجالس الادبية» التي لم تخل منها حياة عمر، وليست مجالس الأدب في أسواق العرب الا جزءا منها، فقد كان غيرها قائما في حياة عمر من قبل اسلامه، ثم استمر بعد اسلامه.

قال عمر: «[٢] كنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها واسر بها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال قريس بالحَزْوَرَةِ عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومي».

وهذا المجلس لا ينفك أن يكون مجلس أدب ما دام العربي يستهويه الشعر بألوانه وضروبه، يشرب عليها ويطرب لها، حتى اذا أسلم عمر صار يعتبر مجالسة الرجال الذين ينتقون أطايب الحديث كما ينتقي أطايب التمر احدى ثلاث ترغبه في الدنيا بعد الصلاة والجهاد في سبيل الله [٣].

وكان عمر واحدا من سُمَّار النبي ﷺ [٤].

وأقام - وهو خليفة - رحبة في ناحية المسجد سميت «البطحاء» كان يرتادها عشاق الشعر وطلابه [٥].

ولقد كانت مجالس عمر الأدبية عديدة في الاسلام، تنعقد في سفر [٦] أو حضر، وفي مسجد أو دار [٧].

(١) البحث ص ١٥٢ - ١٥٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٢٦٨ - وانظر للمحب الطبري - الرياض النضرة ١/٢٥٢.

(٣) انظر للجاحظ - البيان والتبيين ٢/١٩٥.

(٤) راجع مسند احمد /٢٣٠ و ٢٥٧.

(٥) انظر موطأ مالك ١/١٨٨.

(٦) راجع صحيح مسلم ٨/١٦٣.

(٧) راجع للمبرد - الكامل في اللغة والأدب ١/١٨٧.

وحبب اليه نفر أدناهم من مجلسه، و« كان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته [1] ».

ومن جلسائه فيها: العباس بن عبد المطلب [2] وولده عبد الله [3]، وأبو سفيان [4]، وعبد الله بن مسعود [5]، وجميل بن معمر الجمحي [6] - وأشياخ بدر رضي الله عنهم.

وممن حضرها: الحرب بن قيس بن حصن بن حذيفة الفزاري [8]، وكعب الاحبار [9]، وعمرو بن معد يكرب [10]... الخ.

وغالبا ما كانت تعقد دون العِشاء « [11] كان عمر بن الخطاب اذا قال: الصلاة، قام سماره، وكان ينهي عن السمر بعد صلاة العشاء » وجاء في الجدب: « جدب لنا عمر السمر بعد الصلاة » أي ذمه وعابه [12].

وفي هذه المجالس يكون عمر في القوم يقرءون القرآن ويتدارسون تفسيره [13] ويذكرون من حديث رسول الله ﷺ ويجتهدون في تأويله [14].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٧٧.

(٢) المبرد - الكامل في اللغة والأدب ١/١٨٧.

(٣) صحيح البخاري ٤/٢٤٨.

(٤) المبرد - الكامل في اللغة والأدب ١/١٨٧.

(٥) ابن الاثير - أسد الغابة ٣/٣٨٩.

(٦) المبرد - الكامل في اللغة والادب ١/٢٦٦.

(٧) صحيح البخاري ٥/١٨٩.

(٨) ابن الاثير - أسد الغابة ١/٤٧١.

(٩) تاريخ الطبري ٤/٥٨.

(١٠) الاصفهاني - الاغاني ١٥/٢٢٣ و٢٤١ - وانظر لاسامة بن منقذ - لباب الآداب ص ١٥ - ٢١٣، ٢٣٣.

(١١) الجاحظ - التاج ص ١١٩.

(١٢) أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب - مجالس ثعلب ١/١١٣.

(١٣) راجع موطأ مالك ١/٢٥٠ - وصحيح البخاري ٤/٢٤٨ - ٥/١٨٩.

(١٤) مسند أحمد ١/١٩٠.

ثم تتشعب فنون القول ومطارح الكلام، فيذكر فيها من أمر الجاهلية[1] ، وتنشد الاشعار: أنشد عُمَرَ فيها زرارة بن جزء - رضي الله عَنه[2] - وعمرو ابن معد يكرب[3] والنابغة الجعدي[4] ، والحطيئة[5] ، وأنشده رجال شِعر طرفَة[6] ، والوليدِ بن عقبة[7] ، والمخبل السعدي[8] .. الخ.

ووفدت عليه وفود، وخطبه في بعضها الاحنف بن قيس[9] - رضي الله عنه. ونلاحظ أن عمر لم يكن يسمح - بحال - أن تدوي فيها منافرة أو مفاخرة فما أسرع أن يئد ذلك في مهده[10].

تلك هي روافد النقد الغنية بالعطاء، وانها لكذلك اذا تمثلتها نفس لها - من طبيعتها - صفات الناقد، تلك الصفات التي تمكنه من النظرة الشاملة والمقارنة الواعية التي تستبين الفروق بين الادباء، الى جانب الاحساس الوافر بالقيمة الجمالية للنص وتذوقها والمتعة بها.

وكان لعمر من هذه الصفات نصيب كبير:

فعمر زكي لماح يصيب المعنى، يظنه فلا يكاد يخطئه[11]، وهو ذكاء مصحوب بالهام تتوجه عبقرية وَصَفَهُ بها رسولُ الله ﷺ[12].

---

(١) راجع صحيح البخاري ٦١/٥ - وانظر لابي سعيد الحسن بن الحسين السكري - شرح أشعار الهذليين ٩٠٣/٢ - وللجاحظ - البيان والتبيين ٢٧٩/٣.

(٢) الجاحظ - البيان والتبيين ١٤٧/١ و ١٤٨.

(٣) أبو الفرج الاصبهاني - الاغاني ٧٢/١٦.

(٤) ابن الاثير - أسد الغابة ٢٩١/٥ و ٢٩٢.

(٥) أبو الفرج الاصبهاني - الاغاني ١٦٦/٢.

(٦) الجاحظ - البيان والتبيين ١٩٥/٢.

(٧) أبو الفرج الاصبهاني - الاغاني ١٣٦/٥.

(٨) نفس المصدر ١٩٠/١٣.

(٩) الجاحظ - البيان والتبيين ٨٨/٢.

(١٠) أبو الفرج الاصبهاني - الاغاني ٣١٨/١٤ مطبعة وزارة التربية والتعليم القاهرة ١٣٧٧ هـ.

(١١) راجع السيوطي - تنوير الحوالك ١٩/٢.

(١٢) البحث ص ٤٠.

وهو الى ذلك وافر الاحساس بما يقرأ أو يسمع مشارك بوجدانه وذوقه فيه.

وفي الحق أن حساسية عمر - رضي الله عنه - كما نجدها في تذوقه للنص الأدبي نجدها كذلك ودا ورقة بالناس:

رأى عوف بن مالك - رضي الله عنه - رؤيا، فيها نعي لرسول الله ﷺ فأبي بكر، ثم فيها ولاية عمر - وأراد أن يقصها وأبو بكر خليفة - فانتهره عمر، فلما مات أبو بكر، قال عمر: يا عوف، رؤياك، قال: وهل لك في رؤياي من حاجة؟ أو لم تنتهرني؟ قال: ويحك، اني كرهت أن تنعي لخليفة رسول الله ﷺ نفسه [1].

وتذوقه للنص الادبي وانفعاله الوجداني به يبدو ان في قراءته للقرآن حتى ليقود النص مشاعره فيغمرها في معانيه فاذا هي تنساب في نفس عمر وروحه فيتمثلها حية تحيط به، فينشج لها نشيجا يسمعه من بآخر المسجد [2].

وتأخذ المعاني السامية قلبه، وترضى بها نفسه، فيفصح عن اعجابه بها:

رثى متمم بن نويرة مالكا أخاه بالمسجد واقفا بحذاء الصديق - رضي الله عنهما - فلما انتهى بقوله:

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه   حلو شمائله عفيف المئزر

قام اليه عمر فقال:

« [3] لوددت أني رثيت أخي زيدا بمثل ما رثيت به مالكا أخاك! فقال له: يا أبا حفص، والله لو علمت أن اخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته! فقال عمر: ما عزاني أحد بمثل تعزيتك ».

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤٠٩/٢.

(٢) راجع صحيح البخاري ١٨٣/١.

(٣) المبرد - الكامل في اللغة والأدب ٣٠٠/٢.

كلمة صادقة رد بها متمم على عمر فكانت بلسما واسى عمر وأثلج من لوعته، اذ هي حاجة نفسه وضالتها التي أشرفت فجاة لعمر فأرضته بالعزاء والسلوى الى حين!.

ان النص الأدبي الممتاز يرتفع بقيمته - عند عمر - فوق كنوز الدنيا قال - لبعض ولد هرم بن سنان:

«[1] أنشدني بعض ما قال فيكم زهير، فأنشده، فقال: لقد كان يقول فيكم فيحسن، فقال: يا أمير المؤمنين، انا كنا نعطيه فنجزل، فقال عمر:

ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم»

★ ★ ★

(١) ابن قتيبة ـ الشعر والشعراء ١٤٤/١ - وراجع للمبرد ـ الكامل في اللغة والأدب /٢٢٢ - ولابن رشيق ـ العمدة ٨١/١.

عمود النص الأدبي عند عمر ومعراجه

يمكن ـ بما بين أيدينا من أدب عمر، وبما روي عنه من آثار النقد الأدبي أن نخلص الى أمرين في تراثه.

أولها: خصائص تتوفر للكلمة: شعراً أو نثرا، رسالة أو خطبة أو غيرهما تتمثلها وتحمل سماتها فترتفع بها من لغو الكلام وسقطه الى حيث تسلك بها معارج النص الأدبي ويستقيم عمود هذا النص فيها.

ثانيها: خصائص أخر، تجعل هذا الاثر قمة من قمم الأدب عند عمر، بتوفرها فيه.

وغني عن البيان في كلا الامرين، أننا لا نكتب عن وثيقة دونها عمر في هذا الشأن، وانما نتناول من آثاره.

يسلم للنص عموده الادبي بهذه الخصائص.

أ ـ سلامة العربية في العبارة، فاللحن ـ عند عمر ـ كان في اسقاط النص، بل ربما أثار اللحن سخطه فأنزل العقوبة بمن لحن، وفي مقدمة من عاقبهم ولده، فكان يضرب أبناءه على اللحن ولا يضربهم على الخطأ، ووجد في كتاب عامل له لحنا فأحضره وضربه درة[1].

(١) راجع لياقوت الرومي ـ معجم الادباء ١/٢٠.

ب ـ وأن تكون ألفاظ مأنوسة، فقد أوردت أمهات المصادر الادبية من أسباب تقديم عمر لزهير بن أبي سلمى أنه «لم يتبع وحشي الكلام[1]» وفي رواية حوشي الكلام: وحوشي الكلام وحشيه[2]، ولقد مر بنا من أدب عمر الكثير من خطبه ورسائله فاذا ألفاظها سهلة سائغة سريعة الاداء لما تحمل من معان، وليست كزة حزنة تحتاج ـ في فهمها ـ الى ترجمان، فأما الاثر الذي يستهوي صاحبَهُ وحشيُّ الكلام وغريبُهُ فليس عند عمر بشيء.

جـ ـ استقلال المعنى فيه بحظه التام من التعبير قبل أن يفسح مجال القول لغيره، فمما رفع من قدر زهير عنده ـ أيضا: أنه كان لا يعاظل بين القول[3]، قال صاحب الصناعتين:

«[4] فمن سوء النظم المعاظلة، وقد مدح عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه زهيراً لمجانبتها» ثم قال: «[5] المعاظلة ـ في اصل الكلام انما هي ركوب الشيء بعضه بعضا، وسمي الكلام به اذا لم ينضد نضدا مستويا، وأركب بعض ألفاظه رقاب بعض، وتداخلت أجزاؤه».

فمداخلة المعنى للمعنى والكلام للكلام قبل تمامه تعقيد لا يستجيده عمر ولا يستحسنه.

ولا بد من التنويه بنظرات عمر هذه، فان علم البلاغة الذي دون بعده باكثر من قرن لم يخرج في مباحثه في فصاحة المفرد وبلاغته، والمركب وبلاغته شيئا عما رسم عمر.

---

(١) راجع لابن قتيبة: الشعر والشعراء ١٤٣/١ ـ ولابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٢٧٠/٥ ـ ولابي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني ـ زهر الاداب وثمر الالباب ٥٨/١ـ ولابي علي الحسن ابن رشيق القيرواني العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ٩٨/١.

(٢) ولابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ١٤١/٣.

(٣) راجع الحاشية السابقة.

(٤) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ـ كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر ص ١٢٠.

(٥) نفس المرجع ١٢٢.

ولعمر مع ذلك - لفتة طيبة في « المعنى » ذاته، بعيدا عن التحامه بغيره فكما يستقل بحظه من التعبير، ينبغي أن يكون في ذاته « حسن التكوين » ولذا أرضاه لقب « أمير المؤمنين » عكس لقب « خليفة خليفة رسول الله » فهذا الاخير على ما فيه من طول يترك انطباعا بقبوله لزيادة لا تنتهي، فهو مفتقد لحسن التكوين[1].

د - وانسياب الفكرة داخل لفظ مأنوس دون تراكب في المعاني، ولا افتقار ذواتها لحسن التكوين يصل - بنا - الى ذروة العمود الادبي عند عمر، وأعني به وضوح النص كله وضوحا تاما كاملا.

وهذا هو منطق أدب عمر نفسه شكلا ومضمونا، قبل أن يطرح نظره في أدب غيره من الناس.

وفي الحق أن عمر - اذا تكلم أو كتب - فالوضح نصب عينه، واذا افتقد عمر الوضوح توقف.

كتب الى سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما:

«[2] انه قد منعني - من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه، والذي استقر عليه أمر عدوكم، فصف لنا منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر اليها واجعلني من أمركم على الجلية».

وهي عبارة تصور - بأجلى بيان - مدى ما يطلب عمر من وضوح حتى تكون المعاني كذوات شاخصات تحت سمعه وبصره.

وكتب أيضا في القضاء لكل قضاته:

«[3] .. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك».

---

(١) السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ١٣٨.

(٢) البحث ص ٣٠٩.

(٣) البحث ص ٣٧٧.

وقال عن امر أراد أن يخطب فيه:

« [1] وكنت رويت مقالة أعجبتني ».

هكذا يبلغ به الامر في الوضوح، فالكلمة عنده سبيل هدى وبيان لا اغراب وتعمية، وهذا القدر ـ كما يمدنا بمذهبه في النقد ـ يمدنا بعطاء عن شخصيته البسيطة السوية التي لا تعاني ـ في داخلها ـ صراعا ولا اضطرابا فحمل اسلُوبُها طابعها نفسه، اذ هو جزء منها.

هـ ـ وينبه عمر ـ رضي الله عنه ـ الى خطورة الوضوح، فانه ينبغي أن يكون ارتباطا بالبيان عن معاني النص لا يزيد عن ذلك، وكلمته المأثورة في هذا المقام « [2] اياك والمكايلة » قال الامام الدارمي: يعني في الكلام » ا هـ أي المزايدة فيه.

اذا عمر يريد: ايضاحا يمسك عن فضل القول، فان فضل القول ـ في الواقع ـ قد يكون ضياعا لاطار الفكرة وانسيابا لها، وقد لا يخلو من تراداد مسئوم، وهو ـ في أي الحالين ـ مفقد لروعة النص الادبي.

قال عمر:

« [3] ان شقاشق [4] الكلام من شقاشق اللسان، فأقلوا ما استطعتم ».

فاذا استوعب النص هذه الخصائص أمكن أن يسمو ـ عند عمر ـ اذا توفر له:

و ـ الصدق في تصوير الافكار النبيلة بمشاعر تجاربها الوجدانية في واقعية لا تفوتها جزالة التعبير وجمال الاداء، ولا يحلق بها الخيال الى مبالغة تحيل

---

(١) البحث ص١٩١.

(٢) سنن الدارمي ١/٥٩.

(٣) ابن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ٣/١١٢.

(٤) الشقشقة: شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه اذا هاج،.. شقشق الفحل: هدر راجع القاموس المحيط مادة شق. والشقشقة جوفاء غير مصمتة، فهي لهذا أدق اشارة للكلام الذي لا طائل خلفه.

صدق المضمون الى أوهام لها من دبيب الصنعة ما يفصمها عن المشاعر والوجدان، وصدق التصوير هذا هو الذي هز عمر ونال اعجابه حتى أجرى تأثره دمعا في عينيه - من قصيدة المخبل السعدي: ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف من سعد بن زيد مناة، وكان له ولد يسمى شيبان «[1] خرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب فارس، فجزع عليه المخبل جزعا شديدا، وكان قد أسن وضعف فافتقر الى ابنه فافتقده فلم يملك الصبر عنه، فكاد أن يغلب على عقله فعمد الى ابله وسائر ماله فعرضه ليبيعه ويلحق بابنه، وكان به ضنينا، فمنعه علقمة بن هوذة بن مالك وأعطاه مالا وفرسا، وقال:

انا أكلم لك أمير المؤمنين عمر في رد ابنك... ثم مضى الى عمر - رضوان الله عليه - فأخبره خبر المخبل، وجزعه على ابنه، وأنشده قوله:

أيهلكني شيبان في كل ليلة	لقلبي من خوف الفراق وجيب
أشيبان، ما أدراك أن كل ليلة	غبقتك فيها، والغبوق حبيب
غبقتك عظماها سناما أو انبرى	بزرقك براق المتون أريب
أشيبان، ان تأبى الجيوش بجدهم	يقاسون أياما لهن خطوب
ولا هم الا البز أو كل سابح	عليه فتى شاكي السلاح نجيب
يذودون جند الهرمزان كأنما	يذودون أوراد الكلاب تلوب
فان يك غصني أصبح اليوم ذاويا	وغصنك من ماء الشباب رطيب
فاني حنت ظهري خطوب تتابعت	فمشى ضعيف في الرجال دبيب
اذا قال صحبي: يا ربيع الا ترى؟	أرى الشخص كالشخصين وهو قريب
ويخبرني شيبان: أن لن تعقني	تعق - اذا فارقتني - وتحوب
فلا تدخلن - الدهر - قبرك حوبة	يقوم بها يوما عليك حسيب

ونلاحظ أن القصيدة قد التحمت فيها التجربة الوجدانية ذات الافكار النبيلة

(١) أبو الفرج الاصبهاني - الاغاني ١٨٩/٣ - ١٩٠.

والتصوير في واقعية توفر لها الصدق الذي ينشده عمر.

يقول ابن رشيق: «[1] وقد استحسن عمر الصدق لذاته ولما فيه من مكارم الاخلاق».

وانه ليتحرى الصدق حتى يسأل فيه، فلم يمنعه اعجابه برثاء متمم بن نويرة وقوله له: «انك لجزل[2]» - وان متمما لكذلك حقا، بل هو قمة في جودة الرثاء والمقدم - في الطبقة الاولى - من أصحاب المراثي[3] - لكن ذلك كله لم يصرف عمر عن الصدق، فسأل متمما:

«[4] أكذبت في شيء مما قلته في أخيك؟ قال نعم، في قولي: غير مبطان، وكان ذا بطن» اهـ وذلك حيث يقول متمم:

«[5] لقد كفن المنهال تحت ثيابه فتى غير مبطان العشيات أروعا».

واذا فهي من مدح الرجل بما ليس فيه، ولا يمكن أن ينال هذا البيت من عمر قليلا ولا كثيرا، وهو الذي يعلن عن ثلاث أعجبنه في زهير احداها انه «لا يمدح الرجل الا بما فيه[6]» الى اثنتين تقدمنا أنه لا يعاظل بين القول ولا يتبع وحشي الكلام[7].

---

(١) ابن رشيق - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ١/٩٨.

(٢) المبرد - الكامل في اللغة والادب ٢/٣٠١.

(٣) راجع لابي عبد الله بن سلام - طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين ص ٧٨.

(٤) المبرد - الكامل في اللغة والأدب ٢/٢٩٩.

(٥) نفس المرجع ٢/٢٩٦ - وأبو الفرج الاصبهاني - الاغاني ١٥/٣٠٨.

(٦) راجع لابن قتيبة - الشعر والشعراء ١/١٣٨ - وللحصري القيرواني - زهر الآداب ١/٥٨ - ولابن رشيق - العمدة - ١/٩٨ - ولابن عبد ربه - العقد الفريد ٥/٢٧٠ - ولابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة ٣/١٤١.

(٧) البحث ص ٤٣٨ - ٤٣٩.

فزهير يجري في مذهبه على الصدق الذي يريده عمر، فليس غريبا أن يعجب به ويستمع اليه يوما حتى يبرق الصباح[1]، وفي الحق أنه ليشتد أسر الكلمة وتأثيرها في النفوس بقدر ما فيها من صدق، ومن الخير في هذا الشعر «[2] أن يعطي الرجل حقه من المدح لئلا يخرج الامر الى التنقص والازراء».

ويدور صدق الكلمة مع عمر حيث يدور، وذلك عندي ما دعاه الى نهي الناس أن يقولوا:

«[3] استأثر الله بفلان، بل يقال: مات فلان».

فَلِمَ يستأثر الله به؟! ان المجاملة تدفع احيانا الى مبالغة ذات تكلف ممجوج، وشتان بين العبارتين:

عبارة تزكي على الله واحدا من عباده، لا يدري قائلها ما بينه وبين الله يتحدث بها مقحما نفسه فيما لا يعرف، فيفقد صدق التعبير، وأخرى تقرر الواقع.

وعبارته في الحطيئة، في مسارها من مذهبه هذا، قال:

«[4] أشيروا عليّ في الشاعر، فانه يقول الهجر، وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم، وما أراني الا قاطعا لسانه».

فالحطيئة - في نظر عمر - تجرد عن تصوير الفكر النبيل بتجربته الشاعرة وعارض واقعية الامرو الى صنعة كاذبة مشينة جعلت لونا من شعره سلاح ارهاب لا فنا تعبيريا من الفنون الجميلة.

وكلمة عمر جامعة في نقده لهجاء الحطيئة، أوردت خصائص هجائه، وكشفت عن ملامحه، ثم كان عمر رفيقا به في النهاية، فقطع لسانه عن أعراض الناس بصلة

---

(١) راجع لابن قتيبة - الشعر والشعراء ١/١٤٣.

(٢) ابن رشيق - العمدة ١/٩٨.

(٣) الجاحظ - الحيوان ١/٣٣٥.

(٤) أبو الفرج الاصبهاني - الاغاني ٢/١٨٨ - وابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة ٣/١٠٣.

وصله بها[1]، ثم قال له: « [2] اياك والشعر.

قال: لا اقدر على تركه يا أمير المؤمنين، مأكلة عيالي، ونملة تدب على لساني.

قال: فشبب بأهلك، واياك وكل مدحة مجحفة!

قال: وما المجحفة

قال: تقول: ان بني فلان خير من بني فلان، امدح ولا تفضل احدا.

قال: أنت ـ والله، يا أمير المؤمنين أشعر مني ».

وقد نجح عمر في تجنيب الناس ويلات كذبه في أعراضهم وتفضيل بعضهم على بعض، يقول الحطيئة يخاطب عمر:

[3] وأخذت اطراف الكلام فلم تدع ... شتما يضر ولا مديحا ينفع

وحميتني عرض اللئيم فلم يخف ... ذمي، وأصبح آمن لا يفزع

وحسب عمر أن يعطي الشعر بهذا الالتزام ـ بنبل الموضوع وشرف الغرض معراجه نحو الكمال، ويحط عنه خلال السوء، وينحو به الى رفيع الخلال.

وما من شك أن هذا الالتزام أثر مباشر للدين في نفس عمر، أو هو الاسلام في الادب، والادب في الاسلام. وينتهي هذا الاتجاه عند عمر بالتحام تام مع حقائق هذا الدين حتى ليصدر عنها في لمحات نقده.

أُنْشِدَ قول الحطيئة ـ يمدح:

« [4] متى تأته تعشو الى ضوء ناره ... تجد خير نار عندها خير موقد

---

(١) راجع لابي الفرج الاصبهاني ـ الأغاني ١٨٨/٢.

(٢) راجع لابن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ١٠٦/٣ ـ ولابن رشيق العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ١٧٠/٢.

(٣) راجع لابي الفرج الاصبهاني ـ الاغاني ١٨٨/٢.

(٤) أبو الفرج الاصبهاني ـ الاغاني ٢٠٠/٢.

فقال عمر: كذب، بل تلك نار موسى نبي الله ﷺ » وهذه حقيقة في القرآن الكريم [1].

وأعجب رسول الله ﷺ ـ بجواد كريم، فقال عنه، انه لبحر « [2] قال عمر: كذب الحطيئة حيث يقول:

وان جيـــاد الخيـــل لا تستفـــزنـــا ... ولا جاعلات الربط فوق المعاصم

لو ترك هذا أحد لتركه رسول الله ﷺ » وأَنْشَدَهُ سُحَيْمُ عبد بني الحسحاس:

عميـرة ودع ان تجهــزت غــاديـــا ... كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال له عمر:

« [3] لو قدمت الاسلام على الشيب لا جزتك » ا هـ.

فالاسلام ـ في نفس المؤمن ـ أقوى زجرا من قبل الشيب وبعده، وأنشده ابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ قول زهير في مدح بني سنان:

« [4] لو كان يَقْعُدُ فوق الشمس من كرم ... قَوْمٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا

قــوم سنــان أبــوهـــم حين تنسبهـــم ... طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا

انس اذا أمنّــوا جــن اذا فـــزعـــوا ... مرزؤن بـهـا لِيلٌ اذا جـهـدوا

محسدون على خطـأ مكـان مـن نعـم ... لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا

فقال عمر:

---

(١) راجع سورة طه الآيات (٩) وما بعدها، والقصص الآيات (٢٩) وما بعدها.

(٢) أبو الفرج الاصبهاني ـ الاغاني ١٧٧/٢.

(٣) الجاحظ بالبيان والتبيين ٧١/١ و ٧٢.

(٤) ابن أبي الحديد ـ شرح نهج البلاغة ١٠٧/٣.

والله لقد أحسن، وما أرى هذا المدح يصلح الا لهذا البيت من بني هاشم لقرابتهم من رسول الله ﷺ ».

ز - وننتهي الى الكلمة التي تشبع حاجة عمر الى مثله الاعلى في الاداء وتستحوذ على اعجابه جملة حتى ليرددها ويلفت النظر اليها، وهي:

أ - الكلمة - في لونها الادبي - تكون شاملة لمفهومها كله مستوعبة لابعاد معانيه جميعا، فاذا هي جامعة، واذا فيها فصل الخطاب، وقد تأخذ كلمة بنصيبها من البلاغة والصدق، لكنها تقصر على الاحاطة والشمول:

أنشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب [1]، وهي طويلة وأولها:

[2] هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

« [3] فلما بلغ المنشد الى قوله:

والمرء ساع لامر ليس يدركه والعيش شح واشفاق وتأميل

قال عمر متعجبا: والعيش شح واشفاق وتأميل يعجبهم من حسن ما قسم وما فصل ».

وأنشدوه قصيدة أبي قيس بن الاسلت [4] التي مطلعها

---

(١) الطبيب، لقب واسمه يزيد، فهو عبدة بن يزيد بن عمرو بن وعلة من بني عبد شمس من تميم، مخضرم. أدرك الاسلام واسلم. راجع للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي الكوفي - المفضليات ص ١٣٤.

(٢) نفس المرجع ص ١٣٥.

(٣) الجاحظ - البيان والتبيين ١/٢٤٠.

(٤) أبو قيس، كنيته، واختلف في اسمه، واسلامه، والراجح أن اسمه صيفي بن الاسلت، والاسلت هو عابر بن جشم بن وائل المازني الازدي. راجع للمفضل الضبي - المفضليات ص ٢٨٣.

[1] قالت ـ ولم تقصد لقيل الخنا مهلا فقد أبلغت أسماعي

[2] وهو ساكت. فلما انتهى المنشد الى قوله:

الكيس والقوة خير من الـ اشفاق والفهة والهاع [3]

أعاد عمر البيت وقال:

الكيس والقوة خير من الـ اشفاق والفهة والهاع

وجعل عمر يردد البيت ويتعجب منه.

« [4] وأنشدوه شعرا لزهير ـ وكان لشعره مقدما ـ فلما انتهوا الى قوله:

وان الحق مقطعه ثلاث: يمين أو نفار أو جلاء.

قال عمر ـ كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها، واقامته أقسامها: وان الحق مقطعه ثلاث: يمين أو نفار أو جلاء؟ ».

فهذه أبيات لم يفت قائلَها بُعْدٌ من أبعاد المعنى، فكلمته شاملة جامعة، نجهد ـ في غير طائل ـ اذا حاولنا أن نلتمس المزيد على ما قسم الشاعر وجمع.

ب ـ والمعنى المبتكر يلمحه الاديب فيحظى منه بأداء بارع وتصوير بياني كامل لاَيلتُ من المعنى شيئا.

---

(١) نفس المرجع ص ٢٨٤.

(٢) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢٤١/١ ـ وانظر للجاحظ ـ الحيوان ٤٦/٣.

(٣) البيت بالمفضليات ص ٢٨٥: الحزم والقوة خير من الـ★ ادهان والفكة والهاع
والكيس: خلاف الحمق. والادهان من المداهنة، مثل النفاق والمخادعة والفهة: العي والسقطة والجهلة، والفكة = الضعف والهاع = شدة الحرص راجع للجاحظ ـ البيان والتبيين ٢٤١/١ ـ والمفضليات ص ٢٨٥.

(٤) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢٤٠/١.

روى ذعفل بن حنظلة بن زيد السدوسي النسابة، المخضرم[1]، أنه: « [2] رأي العباس بن عبد المطلب سأل عمر بن الخطاب عن الشعراء، فقال: امرؤ القيس سابقهم خسف[3] لهم عين الشعر، فافتقر عن معان عور أصح بصرا ».

يرى امرا القيس المقدم من الشعراء، وهو اليمني أهلا - واليمن لم تكن لها فصاحة نزار ومضر في الشمال، ولم تكن معانيهم على جودة تلفت النظر، بل كانت متخلفة قاصرة عن معاني الشمال، أشبه بالاعور الى الصحيح حتى كان امرؤ القيس فتناولها بالابتكار والابداع ففتق بذلك عن معان جيده أصح من غيرها جميعا ساقها للناس في أقوم تعبير فذاعت وشاعت وقلدها الشعراء.

ويذكر ابن رشيق ميدان ابتكاره يقول:

« [4] سبق الى اشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها، لانه قيل أول من لطف المعاني، واستوقف على الطلول، ووصف النساء بالضباء والمها والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصي، وفرق بين النسب وما سواه من القصيد، وقرب مأخذ الكلام، فقيد الاوابد وأجاد الاستعارة والتشبيه ».

وفي الحق لقد كان عمر يطرب للمعنى المبتكر في أدائه البارع، وكان له هو من المعاني ما يثير الاعجاب.

---

(١) راجع في تحديد - نسبه - لابن حجر - تهذيب التهذيب ٢٣٦/١.

(٢) ابو الفرج الاصبهاني - الاغاني ١٩٩/٨ - وانظر لابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة ١٤١/٣ - ولابن رشيق - العمدة ٩٤/١.

(٣) من الخسف، وهي البئر تحفر في حجارة فيخرج منها ماء كثير، وجمعها خسف وافتقر - من الفقير - وهو فم القناة. راجع لابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة - ١٤١/١ - وللاستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي زعامة الشعر الجاهلي بين امرىء القيس وعدي بن زيد ص ٧٦ ط أولى ١٣٥٣ - ١٩٣٤ - المطبعة المحمودية بمصر.

(٤) ابن رشيق - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ٩٤/١.

رافة أداء النابغة الذبياني - في اعتذاره للنعمان بن المنذر - اذ يقول

فانك كالليل الذي هـو مـدركـي   وان خلت أن المنتأى عنك واسـع [١]

حيث نجح الشاعر تمام في الوقوف على المعنى « كمال القوة في جانب وتمام العجز في دفعها من جانب آخر » فصوره بأداء بارع ناطه بقوة الطبيعة التي لا تقاوم، فالليل يقدم، اذ يقدم، فيرخي على الجميع سدوله، ويشد عليهم أطنابه لا يملكون له دفعا، ولا منه مفرا.

وعلى نفس المستوى، ان لم يكن أروع لدقة « المقابلة » وخفائها، معنى « استحالة الحب » الذي صوره عمر في أداء بارع:

معروف أن زيد بن الخطاب - أخا عمر - كان في الحملة التي ذهبت لردع المرتدين في اليمامة، فقتله أبو مريم اياس بن صبيح صاحب مسيلمة، ثم أسلم أبو مريم، فحقن دمه، ورآه عمر بين يديه مسلما له ما للمسلمين، فلم يملك أن قال له:

« [٢] لا يحبك قلبي حتى تحب الارض الدم المسفوح »، مقابلة دقيقة مدهشة، ذلك أن الارض التي يتسرب في باطنها كل سائل، لا يتسرب الدم فيها، فهي « [٣] لا تنشف الدم المسفوح ولا تمتصه، فمتى جف وتجلب [٤] لم تره أخذ من الأرض شيئا » وتلك قوة الطبيعة وقانونها.

تصوير كسابقة في براعة أداء المعنى، واكتشاف عبقري في أصالة التعبير، ونمط ممتاز يستمد من « الطبيعة » لابدع تكوين.

ان عمر ناقد خبير بالمعنى خبير بالكلمة يقلب النظر ويمارس الاداء، ويقدر ما يكون للنص من سمات عموده الادبي ومعراجه بقدر ما يسمو في نفسه، ويرى -

---

(١) ابن قتيبة - الشعر والشعراء ١/١٥٩.

(٢) الجاحظ - البيان والتبيين ١/٣٧٦.

(٣) نفس المرجع ١/٣٧٦ - وانظر المرجع نفسه ٣/٦٠.

(٤) في نفس المرجع ٣/٦٠ « فاذا جف الدم تقلع جُلَبا » ا هـ والجُلَب جمع جُلْبة - وفي القاموس المحيط مادة جلب: الجلبة بالضم القشرة تعلو الجرح عند البرء.

من خلاله ـ قمم الشعر العربي، كامريء القيس، وزهير والنابغة الذبياني وغيرهم.

وسيظل النقد العربي مدينا لعمر ما عاش يطلب في النص سلامة العربية وبلاغة عبارتها واستقلال المعنى بحظه التام من التعبير وحسن التكوين، وصدق التصوير ووضوحه، ونبل الغرض وهدفه.

وذلك قدر من ميزان النقد لن يختلف مع عمر فيه ناقد.

وبعد، فقد التمسنا قيم النقد عند عمر ـ رضي الله عنه ـ من بين آثاره، وهي قيم تدعونا في النهاية أن نرد قول الدكتور شوقي ضيف فيما رآه سببا في تقديم عمر لزهير: قال:

« [1] رأينا النقد ينمو في العصر الاسلامي، ولكنه نمو في حدود ما رأينا في العصر الجاهلي، فلا يزال يستلهم الذوق والشعور، ولا يزال نقدا جزئيا، وحقا ظهرت ـ في بروز واضح ـ فكرة الموازنة بين شعر الجاهليين وشعر الشعراء المعاصرين، وأيضا الموازنة بين شاعر وزميله، ولكنهم لم يتجاوزوا في اجابتهم الميول الشخصية، فكل قبيلة، وكل جماعة تقدم شاعرها المعاصر أو الجاهلي.

فاذا قرأنا مثلا عن عمر بن الخطاب والحجازيين أنهم كانوا يقدمون زهيرا فليس معنى ذلك الا انه شاعر حجازي نجدي عرفوه في بيئتهم فقدموه».

فأما بناء النقد على استلهام الذوق والشعور وحدهما ـ في هذا العصر ـ فأمر لا زال قيد البحث والدراسة، وقد يقبل في حدود اعتباره شيئا موجودا يشمل الافراد غير مانع أن يكون لكل منهم فروقا فردية ـ الى جانب الذوق والشعور ـ يمارس من خلالها النقد، وستظل الفروق الفردية قائمة ما كان انسان.

وأما الميول الشخصية «التي جعلها دكتور شوقي مناط التقديم وسببه فأمر مردود لا يتهم به عمر».

---

(١) دكتور شوقي ضيف ـ النقد ص ٣١ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٤.

فقد رأينا عمر يقدم زهيرا من خلال منهج « لغوي بلاغي خلقي » غير مختلق على عمر ولا محرف فيه، وذلك حيث رآه: « لا يعاظل بين القول ولا يتبع وحشي الكلام ولا يمدح الرجل الا بما فيه[1] » ثم بما رأى فيه من جودة فن القول في استيعاب أجزائه وشموله، وليس بين هذه القيم حجازية ولا نجدية كان سببا في رفع أو خفض.

وقد يخالف النقاد عمر في موازينه، ومرحبا بهذا الخلاف، فما قال أحد: ان نقد عمر هو النقد « القياسي » الذي لا يعلى عليه، وفي ضوء ما هو جديد ـ على نقد عمر ـ قد يرتفع زهير وقد يهوي، ومرحبا بذلك أيضا، ومع ذلك فقد مضى من القرون ـ من بعد عمر ـ ثلاثة عشر قرنا، وسع النقد فيها كل شاعر عرف من الجاهليين، فمن الذي يراه الناقد خيرا من زهيرا ـ في مقياس عمر ـ قد ألوى به عمرو حقره؟!.

هذه قيم عمر التي يحاسب عليها، فأين الشاعر غير زهير الذي توفرت له هذه القيم فغمطه عمر حقه تعصبا منه وازراء به؟!

ثم ألم يشهد عمر لكل شاعر توفر له منها شيء بما توفر له، فأمرىء القيس بابتكار المعاني[2]، وابن الطبيب وابن الاسلت بدقة التقسيم والشمول[3]، واذا نظرنا ـ الى هذه الاحكام ـ لانجد مبناها الذوق والشعور فقط، بل نجد نصيب الذوق والشعور منها في الاستمتاع بروعتها والالتذاذ الفني بها بينما يتوقف الحكم بـ « ابتكار المعاني » على دراسة شاملة مستوعبة لما كان من امرىء القيس وغير امرىء القيس من الشعراء، وتتوقف رؤيته في ابن الطبيب وابن الاسلت، ويشاركهما هنا زهير أيضا، على أمر عقلي بحت ينظر الى قوة الشاعر في استقصائه لافراد النوع وردها اليه، فهنا اذا ـ عقل ودراسة الى جانب الذوق والاستلهام، وليس هنا من

---

(١) البحث ص ٤٤٣ ـ ٤٤٤.
(٢) البحث ص ٤٤٨ ـ ٤٤٩.
(٣) البحث ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

عصبية عنيت برفع زهير لحجازيته ونجديته.

ثم لا زال دارسو الادب والنقاد ـ حتى الان ـ يضعون زهيرا في قمة الشعراء دون أن يتهمهم أحد بعصبية لنجدية أو حجازية.

سأل عكرمة بن جرير أباه عن أشعر الناس، فأجاب ـ عن الجاهلية بقوله: زهير شاعرهم[1].

وعده ابن سلام ـ في الطبقة الاولى[2].

وقال فيه أحمد حسن الزيات: «[3] احد الثلاثة الفحول، وفي الناس من يفضله على امرىء القيس والنابغة، لأن شعره يمتاز بصدق اللهجة، وخلوه من الحواشي والتعقيد، ويُعْد عن سخف القول وهجر الحديث، وجمعه لكثير من المعاني في قليل من الالفاظ، وهو واحد من الشعراء في اجادة المدح وضرب المثل وارسال الحكمة».

وقد تكون كل قبيلة عربية تقدم شاعرها وتتعصب له، لكن ينبغي أن نوازن بين ظروف القبيلة الجاهلية، وظروف قريش، فقد كانت كل قبيلة عرضة لحرب أو غارة ولم تكن كذلك قريش، وقد تحتاج القبيلة بشدة الى شاعر ينافح عنها ويشيد بها لكن قريشا لم تكن حاجتها الى ذلك ملحة، فقد كانت ملتزمة باقامة سياسة طيبة مع جميع القبائل عامة لمنزلتها من البيت الحرام، فأي شيء يدعوها أن تتعصب لشاعر ضد آخر، وهل قيام الاسواق الادبية الثلاثة قريبا منها الا ثمرة من ميزات قريش وما توفر لها من أمن، وفيها استمعت قريش لفحول الشعراء من كل مكان، لم أقف ـ بين مراجعي ـ على ناقد أثبت بحجة تعصب قريش لشعرائها واشادتهم بهم ازراء باخرين.

(١) ابن سلام الجمحي ـ طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين ص ٢٩، ٣٠.

(٢) نفس المرجع ص ٢٥.

(٣) أحمد حسن الزيات ـ تاريخ الأدب العربي ص ٥٣ الطبعة الخامسة والعشرون مطبعة الرسالة بلا تاريخ.

إن عمر كان على علم وخبرة بشعراء عصره، ولم تكن معرفته محدودة بزهير.

* * *

عمر بين الأدب ومسؤوليات الحكم

قد يفترق الامر بين رجلين: أحدهما له اهتمام بالادب: هواية وتذوقا ودراسة، وآخر لا يقل عنه شأنه في ذلك كله، بل يفوقه فيه لكنه نيط به مسؤولية الحكم.

فبينما الاول ينطلق في رحابة، ويعبر بلا قيود، نجد الثاني مسؤولا مباشرة عن اقامة العدل، واستتباب الامن، وحماية الاداب وهذا هو عمر الخليفة.

ثم كان عمر الخليفة قاضيا أيضا يفصل فيما يرفع اليه من منازعات ويقضي في الخصومات، واستمر كذلك أيام خلافته، ومن قبلها قضى في خلافة أبي بكر [1].

ومن طبيعة الاشياء أن تكون الخلافة ساعدا للقضاء، فهي تمثل السلطة التنفيذية التي تترجم «الحكم» الى «واقع» يستوي به نظام الحياة وهي - بقدر ما تسبغ على القضاء من مهابة - بقدر ما تنال منه ثقة في الحكم، وانطباعا بالامن، وحبا في النظام».

وما كان لاثر أدبي أن يصطرع مع هذه الصفات الثلاث لعمر ما سار أمره على منهجه، فطبيعة هذا المنهج لا تثير شحناء، ولا توري نار سحيمة، ولا تنزو بدعوى الجاهلية، انما طبيعته أدب لا يهدد أمنا ولا يفسد رابطة، فأما اذا تعدى هذه الدائرة - مهما كان له من فكر مبتكر، ولفظ ساحر، فان نزعة الأدب في عمر لا تستطيع أن تستميل في نفسه الرضا عنه أو تشجيعه، وهو الحاكم المسؤول عن صيانة الدولة ووحدة الأمة، وعمر - حاكما كان أو قاضيا - يقوم بالاسلام المصفي في فجر هذا الاسلام ويقضي به، وهو القوي الامين.

---

(١) الخوارزمي - جامع مسانيد الامام الاعظم ٢/٤٨٩.

واذا فلا حرج على عمر أن يبدي أعجابه بأمرىء القيس - في حدود ما أعلنه عن امرىء القيس من ابتكاره للمعاني، وائتساء الشعراء به[1]، دون أن يشيد بشطر كبير في شعر انشده صاحب القروح ضد بني أسد، ففيه ايقاظ الفتنة، والاغراء بها.

وقد كان عمر - في نفسه، ودون نظر الى الخلافة - غير ميال بطبيعته لشعر الهجاء، ويبدو أن طبيعة نشأته الاولى التي عنيت بأمر السفارة في آل عدي سبب مباشر لهذا النفور الشخصي من هذا اللون، فما أسرع أن يفسد بيت واحد من الهجاء جهد سفير بذل كل ما عنده من براعة وسياسة في اصلاح ذات البين، وجاء الاسلام فزادها رسوخا في نفسه حتى صار خصما طبيعيا للهجاء، خليفة كان أو غير خليفة، قال تعالى: «انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون. يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكون خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (٤٩ - ١٠ و ١١).

وروت عائشة - رضي الله عنها - قالت، قال رسول الله ﷺ: «[2] ان أعظم الناس فرية لرجل هاجي رجلا، فهجا القبيلة بأسرها».

ثم لا حرج على عمر أن يقيم للناس برحبة في المسجد النبوي موضعا يرتاده عشاق الشعراء ما داموا يقضون وقتا ممتعا ليس على حساب الدين ولا أحد من الناس[3].

---

(١) البحث ص ٤٤٨.
(٢) سنن ابن ماجه ١٢٣٧/٢.
(٣) البحث ص ٤٣٣.

ولا حرج على عمر أن يستمتع في مجالسه الأدبية بسماع الشعر والنوادر الطيبات ويصغي لشعر زهير والنابغة وغيرها، وينشد لها ولغيرهما ممن ذكرنا[1].

ثم يدور حديث الأدب في مجلسه ـ والحديث ذو شجون ـ فيناقش عمرو بن معد يكرب حديثه في قومه من اليمن: مذحج وسعد العشيرة ويحدثه عمرو عن بطولة ربيعة بن مكدم وينشده من شعره وخبره وعمر يستمع معجبا بالبطولة والوفاء والفداء[2].

نعم لا حرج في ذلك كله على عمر، ولا على الخلافة، ولا على أعراض الناس، ولا على القيم الاسلامية من قريب أو بعيد.

وانما يضيق عمر اذا دب الشعر الى فساد، أو جار على حرمات هذا الدين:

عين عمر النعمان بن عدي على ميسان[3]، فذهب اليها، وأبت زوجته أن تصحبه، فأراد ان يبعث في نفسها الرغبة في صحبته بما يعرف من غيرة النساء فكتب اليها بأبيات من فضل القول لا تمثل حقيقة في قليل ولا كثير «[4] هي:

فمن مبلغ الحسناء أن حليلها ... بميسان يسقى في زجاج وحنتم
اذا شئت غنتني دهاقين قرية ... وصناجة تحدو على كل ميسم
اذا كنت ندماني فبالاكبر اسقني ... ولا تسقني بالاصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه ... تنادمنا في الجوسق المتهدم

فبلغ ذلك عمر، فكتب اليه:

---

(١) البحث ص ٤٣٥ ـ وانظر لابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٥/٢٧٠.

(٢) راجع لابي الفرج الاصبهاني ـ الاغاني ١٦/٧١ و٧٣ و٧٤ و٧٥.

(٣) ميسان من العراق، بلدة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط، انظر الحاشية التالية ـ المصدر الأول.

(٤) ابن الاثير ـ أسد الغابة ٥/٣٣٥ ـ وانظر لابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ٣/٩٨ ـ وفيه: ومن مبلغ... يسقي من... فان كنت ندماني. وراجع للبلاذري ـ فتوح البلدان ص ٣٧٨ ـ ذكر الابيات الا الثالث.

أما بعد، فقد بلغني قولك:

لعـــل أمير المؤمنين يســـوءه   تنـادمنـــا في الجوســـق المتهـــدم

وأيم الله لقد ساءني:

ثم عزله.

لقد كان النعمان أمير قوم، وامامهم في الصلاة، وقدوتهم في الحياة، ومثل هذا الشعر - وان لم يمثل واقعا من رجل هو من أهل الهجرة الأولى[1] - يتعارض مع قيم هذا الدين، فمقاومته من مسؤولية هذا الحكم.

وفي ضوء مسؤولية هذا الحكم نفسر أَمْرَهُ ألايشبب رجل بأمرأة، وانذاره في ذلك بالجلد لما فيه من النسب بالحرم[2].

وليس من شأن هذه القيم أن ترضى عن منافرة أو مفاخرة، ومسؤولية الحكم أن تقضي عليها، بل تقضي على كل ما يدعو اليها في مهده، وقد كان:

« [3] التقى عباس بن مرداس وخوات بن جبير يوما عند عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال خوات:

يا عباس، أنت الذي رثيت اليهود، وقد كان منهم في عداوة رسول الله ﷺ ما كان؟.

فقال عباس:

انهم كانوا أخلائي في الجاهلية، وكانوا أقواما أنزل بهم فيكرموني ومثلي يشكر ما صنع اليه من جميل!

---

(١) راجع لابن الاثير - أسد الغابة ٣٣٥/٥.

(٢) راجع لابي الفرج الاصبهاني - الاغاني ١٨٨/٢ و١٨٩ - ٣٥٦/٤.

(٣) نفس المرجع ٣١٨/١٤ طبع وزارة التربية والتعليم ١٣٧٧.

وكان بينهما قول حتى تجاذبا، فقال له خوات:

أما ـ والله ـ لئن استقبلت غرب شبابي، وشبا أنيابي وخشن جوابي لتكرهن عتابي، فقال عباس:

والله ـ ياخوات، لئن استقبلت عني وفني وذكاء سني لتفرن مني.

اياي تتوعد ياخوات، يا عاني السوءات، والله لقد استقبلك اللؤم فردعك، واستدبرك فكسعك، وعلاك فوضعك فما أنت بمهجوم عليك من ناحية الا عن فضل لؤم، اياي، ثكلتك أمك، تروم، وعلي تقوم، والله ما نصبت سوقك ولأظهرن عليك بعد.

فقال عمر لهما: اما أن تسكتا، وأما أن أوجعكما ضربا فصمتا وكفا».

وفي ضوء ما يتعارض وقيم هذا الدين تبدو مسؤولية عمر التي اقتضته أن يصدر أمره بالنهي عن انشاد شيء من الشعر الذي كان فيه مناقضة بين الانصار ومشركي قريش، وقال ـ رضي الله عنه: « [1] في ذلك شتم الحي بالميت وتجديد الضغائن، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الاسلام».

وهكذا نجد عمر له موقف واضح ضد لون من الشعر يعمل عمله ـ اذا ترك ـ في العودة القهقري بالقوم فيضرب بعضهم رقاب بعض ويستبدل عداوتهم بالاخوة التي طبعها الاسلام في نفوسهم.

بل بلغ من حرصه على أمن مجتمعه وتماسكه أن عزل الوليد بن عقبة ـ عامله على نصارى تغلب ـ عند تهدده اياهم بقوله:

« [2] اذا ما شددت الرأس مني بمشوذ ... فغيك مني تغلب ابنه وائل [3]

(١) نفس المرجع ١٤٠/٤ ـ ولابن الاثير ـ اسد الغابة ٦/٢.
الحي والميت... في الاسلام...

(٢) أبو الفرج الأصبهاني ـ الأغاني ١٣٦/٥ ـ وراجع الامر تفصيلا بتاريخ الطبري ٥٦/٤، وفيه: اذا ما عصبت ... الخ.

(٣) المشوذ العمامة، يريد: غيا لك ما أطوله مني، راجع لسان العرب مادة شوذ.

فليقل الوليد من الشعر ما يقول، أما أن يتهدد رعيته، وهو المسؤول عن أمنهم وتوفير الراحة لهم، فهذا عكس للاوضاع يأباه حكم الاسلام.

★ ★ ★

وما لبث الهجاء أن سعى الى عمر في قضيتين، إحداهما بعد الاخرى، فهجا الحطيئة أبو مليكة جرولُ بنُ أوس من بني قطيعة بن عبس[1] - الزبرقان: الحصين ابن بدر[2]، وهجا النجاشيُّ قيسُ بنُ عمرو بن حزن بن الحارث بن كعب[3] - بني العجلان، الذي سمى العجلان بهذا الاسم لتعجيله القرى للضيفان، واسمه عبد الله بن كعب[4].

كان الحطيئة في طريقه الى العراق بأهله فرارا من السنة وطلبا للعيش، فلقي الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس بن خلف التميمي السعدي، وكان في طريقه الى عُمَرَ بصدقات قومه، وعرفه الزبرقان فحادثه وعلم حاله، فطلب اليه أن ينزل بقومه، وينتظر أوبته، فنزل الحطيئة بهم، لكن بَغِيضَ بنَ عامر بنَ شماس بن لأي ابن جعفر أنْفَ الناقة، وكان خصما للزبرقان استطاع أن يفسده عليه، وأن يضمه اليه، وأن يغريه بالزبرقان، فاندفع يهجوه ويمدح بني أنف الناقة، وبلغ هجاؤه قصائد عدة، رفع الزبرقان بن بدر بواحدة منها الى عمر، يوقل فيها الحطيئة:

---

(١) انظر ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكرى والسجتاني تحقيق نعمان أمين طه ص ٤١ من المقدمة.

(٢) انظر لابن الاثير - أسد الغابة ٢/٢٤٧.

(٣) انظر لابي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري - زهر الآداب ١/٢٤.

(٤) نفس المرجع ١/٢٤.

« [1] والله ما معشر لاموا امرءا جنبا ... من آل لأي بن شماس [2] بأكياس

ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم ... في بائس جاء يحدو آخر الناس

لقد مريتكم لو أن درتكم ... يوما يجيء بها مسحي وابساسي [3]

وقد مدحتكم عمدا لأرشدكم ... كيما يكون لكم متحي وامراسي [4]

وقد نظرتكم أعشاء صادرة ... للخمس طال بها حوزي وتنساسي [5]

فما ملكت بأن كانت نفوسكم ... كفارك كرهت ثوبي والباسي

حتى اذا ما بدا لي غيبُ أنفسكم ... ولم يكن لجراحي فيكم آسي [6]

أزمعت بأسا مبينا من نوالكم ... ولن ترى طاردا للحر كالياس

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا ... ذا فاقة عاش في مستوعر شاس [7]

جادا لقوم أطالوا هون منزله ... وغادروه مقيما بين أرماس [8]

ملوا قراه وهرته كلابهم ... وجرحوه بأنياب وأضراس

سيرى أمام أولاك الأكثرون حصي ... والأكرمون أبا من آل شماس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

(١) ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني تحقيق نعمان أمين طه ص ٢٨٣.

(٢) هو من قرابة بغيض، وممن استمالوا الحطيئة من يغيض. الذيوان ص ٩٤.

(٣) مرى الناقة يمريها مسح ضرعها فأمرت: در لبنها - والدرة والدر: اللبن، والابساس: دعاء الناقة بقولهم: بس بس تلطفا وطلبا لادرارها، وهو تمثيل.

(٤) متح الماء - بابه منع: نزعه من البئر - والامراس: أن يخلص حبل الدلو اذا وقع بين البكرة والحديدتين المحيطتين بها.

(٥) أعشاء، جمع عشاء، وبكسر الهمزة مصدر أعشاه، أي أطعمه طعام العشاء والخمس: أن تعفي الابل أربع ليال لا تشرب وترد الخامس - والحوز: السوق قليلا قليلا: والتنساس: السوق الشديد، والعطش.

(٦) غيب، ويروي: عيب بمهملة، راجع الديوان ص ٢٨٨. يريد بغيب المعجمة: ما كان غائبا في أنفسكم من البغضة - بكسر الباء: شدة البغض.

(٧) المستوعر: المكان الوعر، والشاس: المكان المرتفع الغليظ.

(٨) الهون: الهوان، والأرماس: القبور، واحدها رمس: تركوه كالميت بين أموات.

وابعث يسارا الى وفر مذممة	واحدج اليها بذي عِرْكَيْن قنعاس[1]
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه	لا يذهب العرف بين الله والناس
ما كان ذنبي أن فلت معاولكم	من آل لأي صفاةٌ أصلها راسي
قد ناضلوك فسلوا من كنانتهم	مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس »

القصيدة كما نرى ـ من الهجاء، الذي عرف بالهجاء المخاير[2]، لما فيه من مخايرة بين الناس[3]، يضع الشاعر فيه قوما ويرفع آخرين في مقابلة جعلها الحطيئة في هذه القصيدة مليئة بالتقريع والهزء والسخرية والهمز واللمز مما استنفد ما تبقى من صبر الزبرقان ـ بعد قصائد عدة[4] تحملها الزبرقان على ما فيها من خبث الصنعة وشدة الاذى، فرفع أمره الى عمر وأتاه به وقال له: هجاني، قال: وما قال لك؟ قال: قال لي:

دع المكارم (البيت)

فقال عمر: ما أسمع هجاء، ولكنها معاتبة، فقال الزبرقان: أو ما تبلغ مرؤتي الا أن آكل وألبس؟ فقال عمر: علي بحسان، فجيء به، فسأله، فقال: لم يهجه، بل سلح عليه[5] » اهـ فسجنه عمر.

---

(١) يسار: راعي الزبرقان، وفر، نعت لمحذوف يريد: وطّابَ وفر جمع وطب وهو اناء اللبن ـ وفر جمع وافرة، وانما كانت كذلك لعدم القرى، وهي لذلك مذمومة بين الاضياف والجيران، واحدج: ارحل، وذي عركين، أي بعير ذي عركين، عرك البعير: حز جنبه بمرفقه حتى يخلص الى اللحم، اي بعير كلا جنبيه معروكان، وشأن مثله ألا يسرع، والقنعاس الشديد، وانما يمنع العرك منه شدته في المشي ولو اشتد عليه الوطاب أهراقه.

(٢) عمر ـ رضي الله عنه ـ صاحب الفضل بالاشارة الى هذا النوع. وعنه أخذ هذا التعريف انظر الحاشية التالية.

(٣) راجع الدكتور درويش الجندي ـ الحطيئة البدوي المحترف ص ١٥٧.

(٤) ديوان الحطيئة ص ٩٨ ـ ٢١٣ ـ ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(٥) نفس المرجع ص ٢٠٧ ـ وراجع لابن سلام ـ طبقات الشعراء ص ٤٠ و ٤٦ ولابن قتيبة ـ الشعر والشعراء ١/٣٢٨ ـ ولابن رشيق ـ العمدة ١/٧٦.

وبعد فلا عبرة ـ هنا ـ بمن فهم عبارة عمر فهما حرفيا، ولم يفرق بين واجب القضاء، وفن الأدب، ولم ير التزام القاضي بدراسة الاحتمالات وتفسير غامضها لمصلحة العدل، وانما انساق مع حرفية العبارة فرأى أن عمر لم يفطن الى ما في البيت من هجاء، ولكن كانت تلك سياسة عمر، بل سياسة كل قاض عادل في دراسة كل احتمال ومرافقة المدعي بأدنى احتمال حتى تنجلي الدعوى فتلزم من تلزمه بحق لا ينوء بعده القاضي بما يحرج صدره أو يلوث عدله، وهذا ملحظ دقيق جدا كامن في الفرق بين الناقد والقاضي، وعمر ـ هنا ـ في مقام القاضي لا الناقد، فإن الامر شكوى رفعت إليه ليحكم فيها، لا قصيدة أنشدها ليطرب لها.

وهذه آراء النقاد في تلك المسألة، ننتهي فيها الى خير ما أراه في ضوء دراستي لعمر قال عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر التيمي العائشي[1]:

«[2] كان عمر بن الخطاب ـ رحمه الله ـ أعلم الناس بالشعر، ولكنه ـ كان اذا ابتلي بالحكم بين النجاشي والجلاني، وبين الحطيئة والزبرقان كره أن يتعرض للشعراء، واستشهد للفريقين رجالا مثل حسان بن ثابت وغيره، ممن تهون عليه سبالهم[3]، فاذا سمع كلامهم حكم بما يعلم، وكان الذي ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعا للفريقين، ويكون هو قد تخلص بعرضه سليما، فلما رآه من لا علم له يسأل هذا وهذا ظن أن ذلك لجهله بما يعرف غيره»، هـ فرد العائشي الامر الى كراهية عمر التعرض للشعراء خلاصا بعرضه منهم.

قال أبو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري:

---

(١) راجع في ترجمته للجاحظ البيان والتبيين ١٠٢/١ و٢٣٩ ـ وهو منسوب الى عائشة بنت طلحة لانه من ذريتها، نفس المرجع ١٠٢/١.

(٢) الجاحظ ـ البيان والتبيين ٢٣٩/١.

(٣) في القاموس المحيط مادة سبيل: والسبل محركة ـ المطر والانف والسب والشتم... جمعه سبال.

« [1] وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ أعلم بما في هذا الشعر، ولكنه درأ الحدود بالشبهات» وقال ابن رشيق:

« [2] وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ أبصر الناس بما قال النجاشي ولكنه أراد أن يدرأ الحد بالشبهات»، وأخذ بهذا الرأي دكتور طه حسين والاستاذ العقاد، فقال دكتور طه حسين ـ عن عمر:

« [3] أظهر أنه لايرى في البيت شيئا، وليس من شك في أنه كان يرى في البيت شيئا، ومن ذا الذي يرتاب في فهم عمر للشعر وعلمه بأسراره ودخائله، وهو أذكى قريش قلبا وأنفذهم بصيرة، وأشدهم دقة حس ورقة شعور، وهو الذي كان يحب زهيرا ويقدمه على الشعراء لأسباب فنية خالصة، ولكن عمر أراد أن يدرأ العقوبة بالشبهة... الخ».

ويقول الأستاذ العقاد ـ عن عمر في هذه القضية:

« [4] فنسي أنه الأديب الراوية، ولم يذكر الا انه القاضي الذي يدرأ المحدود بالشبهات، ولا يحكم بما يعلم دون ما يعلمه أهل الصناعة».

وهذه العبارة الاخيرة للعقاد، هي ـ عندي ـ مفتاح الموقف كله فليس للقاضي أن يحكم في قضية ليس سنده فيها الا علمه الشخصي بصدق التهمة، وارتكاب المدعي عليه لها، والا أشبه خصم المتهم تماما وصار الخصم والحكم في آن، ولقد أكد لي هذا الاتجاه أديب قاض معروف هو الاستاذ على الطنطاوي، قال:

« [5] والذي نظنه أن عمر لم يمتنع من التعرض لهم تخلصا يعرضه وتجنبا لشرهم،

---

(١) الحصري ـ زهر الآداب ٢٥/١.

(٢) ابن رشيق ـ العمدة ٥٢/١.

(٣) طه حسين ـ حديث الاربعاء ١٣٢/١.

(٤) عباس محمود العقاد ـ عبقرية عمر ص ٢٤٦ مطابع دار الهلال ١٣٨٨.

(٥) علي الطنطاوي أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر ص ٣١٢ الطبعة الاولى ١٣٧٩ ـ دار الفكر بدمشق.

فما كان عمر بالذي يخشى ذلك أو يفكر فيه، ولكنه كان قاضيا والقاضي لا يحكم بعلمه، ولو علم المسألة الا أن يستشهد أو يسأل الخبراء.

وكان سؤال عمر حسانا من قبيل سؤال الخبراء الفنيين من قبل الحكام فلما أصدروا حكمهم بنى عليه عمر حكمه ا هـ.

وطرح الحطيئة في السجن.

★ ★ ★

وأمره كذلك مع رهط بني العجلان، رهط تميم بن مقبل في اتهامهم النجاشي بهجائهم، فنجد عمر يعقب على كل بيت تعقيبا يصرفه به عن معنى الهجاء أدنى احتمال وكان النجاشي قد وضع منهم بقوله:

« [1] أولئك أخوال اللئيم وأسرة الـ هجين ورهـط الواهـن المتـذلـل
ومـا سمـي العجلان الا لقـولـه: خذ القَعْبَ واحْلُب ايها العبد واعجـل

« [2] فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال: ما قال فيكم؟ فأنشدوه:

اذا الله عـادى أهـل لـؤم ورقـة فعادى[3] بني العجلان رهط ابن مقبل

---

(١) الحصري ـ زهر الآداب وثمر الالباب ١/٢٤.

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٣٣٠ دار المعارف ١٩٦٦ ـ ولها روايات:
(ب) الحصري ـ زهر الاداب ١/٢٤ (ج) ابن رشيق ـ العمدة ١/٥٢ ـ
(د) ابن حجر ـ الاصابة في تمييز الصحابة ١/٣١١، ٣١٢ تحقيق د. طه الزيني ط أولى مطبعة النهضة الجديدة بلا تاريخ (هـ) ابن سلام ـ طبقات الشعراء ص ٥٦ (و) ابن عبد ربه ـ العقد الفريد ٥/٣١٨ ونقتصر في المقابلة بين هذه المراجع على ما يكون من اختلاف في الشعر، وما زاد به بعضها.

(٣) د: اذا الله جازى أهل لؤم بذمة فجازى.
هـ: .... أهل لوم ودقة.

فقال عمر: انما دعا، فان كان مظلوما استجيب له، وان كان ظالما لم يستجب له، قالو وقد قال أيضا:

قبيلة[1] لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر: ليت آل الخطاب هكذا!

قالوا: وقد قال أيضا:

ولا يردون الماء الا عشية ... اذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر: ذلك أقل للّكَاك.

قالوا: وقد قال أيضا:

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ... وتأكل من كعب وعوف ونهشل[2]

فقال عمر: أجن القوم موتاهم فلم يضيعوهم. قالوا: وقد قال:

وما سمي العجلان الا لقيلهم[3] ... خذ القعب واحلب ـ أيها العبد واعجل

فقال عمر: خير القوم خادمهم[4]، وكلنا عبيد الله، ثم بعث الى حسان والحطيئة ـ وكان محبوسا عنده ـ فسألها، فقال حسان مثل قوله في شعر الحطيئة، فهدد عمر النجاشي، وقال له: ان عدت قطعت لسانك».

---

(١) د ـ و: قبيلته... و: لا يخفرون بذمة.

(٢) ب: وتأكل من عوف بن كعب بن نهشل.
ج: وتأكل من كعب بن عوف ونهشل.

(٣) ب ـ د: ... الا لقوله
ج ـ و: ... الا لقولهم.

(٤) ب: سيد القوم خادمهم، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ أعلم بما في هذا الشعر ولكنه درأ الحدود بالشبهات.
د: خير القوم أنفعهم لاهله، فقال تميم: فسله عن قوله:
أولئك أولاد الهجين وأسره الـ ... لئيم ورهط العاجز المتذلل
فقال عمر:
أما هذا فلا أعذرك عليه، فحبسه وضربه. ا هـ.

مهما يكن من أمر فان عمر أراد أن يسلك بالشعر دربا لا يعثر فيه الكريم فشق الطريق، ولا عليه ان لم يأخذ به أحد، فقد كان الشعر عنده رسالة، رسالة سامية و « علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه » [1] فبعث بالشعراء الى ميادين الجهاد [2]، وطرب لما تحدثوا به من حكمة، وما صوروه من نبيل الاحساس وكريم العواطف، فليس بلازم أن يكون الشعر فنا تحمل احدى زواياه مراة لوجه قبيح، وليكن فنا يدعو للحب ويشدو بالجمال.

★ ★ ★

---

(١) ابن سلام الجمحي طبقات الشعراء ص ١٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٤٨٧.

خاتمة

عني هذا البحث بالجانب الأدبي من ثقافة عمر ـ رضي الله عنه ـ فدرس خطبه ووصاياه، ثم رسائله وعهوده وحكمته، ثم نشاطه في النقد، ومهد لذلك كله بفصلين عن حياته وعلمه، فضم البحث بابين أولهما عن حياته ومصادر علمه وآخرهما عن الوان نشاطه الأدبي.

تُحَدِّثنا حياة عمر عن جده لأبيه نفيل أنه كان له ثلاثة ولد، عمرو والخطاب وعبدنهم، وأن الخطاب وعبدنهم شقيقان، وجدته لأبيه هي جيداء بنت خالد التي عمرو عليها فأولدها زيد بن عمرو بن نفيل، وكان نفيل على حلف مع عبد ياليل ابن ناشب الكناني.

ثم كان ولده الخطاب على سنته دينا وسياسة واجتماعا، فهو وثني متعصب لدين قومه دفعته وثنيته هذه الى أن يسوم زيد بن عمرو أخاه وابن أخيه سوء العذاب لتركه دين قومه واعلانه عن تمسكه بدين ابراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

وسار في السياسة سير أبيه فحالف خولي بن أبي خولي الجعفي وعامر بن ربيعة ابن كعب.

وتزوج الخطاب بأسماء بنت وهب الأسدية، وحنتمة بنت هاشم المخزومية، وأولد الأولى زيد بن الخطاب، وأولد الثانية عمر بن الخطاب، وكان له الى هذين

الولدين ابنتان هما صفية بنت الخطاب، وقد تزوجها قدامة بن مظعون، وفاطمة بنت الخطاب وقد تزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأولاد الخطاب الأربعة أسلموا جميعا وفازوا بالهجرة في سبيل الله.

كان الخطاب فقيرا في شطر من حياته استوعب طفولة عمر، وكان الى ذلك فظا قاسيا لكنه شريفا في قومه عاملا من أجل سيادتهم غير مغموز النسب لعز شرفه ووفور عرضه، ثم كان عليما بالنسب، وكما نال عمر من أذاه في العمل نال من علمه في النسب وعلى الرغم من الشدة القاسية التي مارسها مع عمر كان بعيد التأثير في نفسه عزيزا عليه الى درجة أنه كان يحلف به، ولم يترك القسم به حتى نهاه عنه رسول الله ﷺ.

فأما عمر فقد وُلِدَ بمنازل بني عدي بأصل العاقر من جبال مكة، وما شب عن الطوق حتى أمكن أن يتخلص من مشقة العيش الى ثراء غامر اكتسبه من تجارات مختلفة، وظل ثريا طوال حياته، وان ألم به بعض فترات من عوز نظرا لما كان ينفق في سبيل الله فيما يعتري الناس من نوائب، واذا مات مدينا كفت ثروته مؤنة دينه، وقد روى عمر بن شبة - باسناد صحيح أن رجلا من ورثة عمر باع ميراثة بمائة ألف[1].

وتزوج عمر وتسري وأنجب بنين وبنات، فتزوج من عشرة نسوة، وأنجب من البنات: حفصة ورقية وفاطمة وزينب، ومن البنين: عبد الله وعبيد الله وعياضا وعاصما، وزيدا الاكبر والاصغر، وعبد الرحمن الاكبر والاوسط والاصغر.

وينفرد الامام أبو حنيفة - رضي الله عنه - بذكر ولد لعمر اسماه محمدا، لم أجد في مراجعي - من يتابعه عليه، ولم أجده أيضا في جمهرة أنساب العرب، ويميل بي ظن الى اعتباره من ولد ولده[2].

---

(١) ابن حجر - فتح الباري ٧/٥٣.

(٢) البحث ص ٣٢.

وكان لعمر من الصفات الخلقية والخلقية ما يكون منه شخصاً سويا له قـوة التأثير وبعد النظر و نجاح القيادة العسكرية والسياسية وبراعة التدبير الى جمال العبارة وإحكام المنطق، وظل ممتعا بكل قواه البدنية والنفسية الا ما طرأ عليه في سنيه الاخيرة من ضعف في البصر، ونِسْيَانٍ كان ينتابه في صلاته لاشتغاله بأمر الرعية وخوفه من التفريط في شيء من شؤونها، فكان ـ بحق ـ الحاكم القوي الأمين الذكي المهيب الذي لا ينكص به ذكاؤه لِيُدَ عِثْرَهُ في غرور، أو يرتفعْ به عن استشارة، وكان له من هذا الذكاء بصيرة أدت به الى موافقات معروفة عنه.

وكان على رحمته بالرعية صلبا ضد متلاعب بواجبه أو مجاهر بمعصيته أو مبتدع لفتنة، أو لشاعر أطلق لسانه في أعراض الناس، وشدته في ذلك كله لم تجاوز العدل أو تجمع إلى عدوان.

ولقد أعطى الاسلامُ عمرَ الكثير، ولولا اسلامه ما افترق عن أبي جهل في شيء، لكنه باسلامه سنة ست أو سبع من مبعث رسول الله ﷺ نال عطاء الاسلام في العقيدة التي أرست في نفسه قواعد المسؤولية والجزاء في الخلق والسلوك فقد استأصل الاسلام منه خلقا وعادة لا يتناسبان مع الاسلام، ثم استعلى الاسلام منه بخلق آخر وغرس ثالثا، فاستعلى بما يتفق معه وغرس ما جد بهذا الدين.

وعَلّمُه الاسلام كتابَ الله، ووهبه تلمذة نادرة على يدي رسول الله ﷺ، وانتهى به عطاء الاسلام الى امامة في الدين قائمة ما كانت الدنيا وكان المسلمون.

وألْمَعْتُ ـ في فصل حياته، رضي الله عنه ـ الى حوادث بارزة في حياته كالهجرة ومؤاخاته لأبي بكر وعتبان بن مالك وعويم بن ساعدة، وكان لهذه المؤاخاة أثرها العلمي.

ومن الحوادث البارزة أيضا رؤياه في الاذان، فقد كان فيها اثبات وموافقة لرؤيا عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجي وأقره رسول الله ﷺ. فصار تشريعا الى يوم القيامة يقود الناس الى لقاء ربهم على خير حال.

وعمر أول من حمل لواء جمع القران الى الجهة الرسمية في الدولة فأقره ابو بكر فكتب لأول مرة على الورق، وانه لعمل جليل بارز في الأمة أفرادا وجماعات أطفالا وشبانا وشيوخا.

وتولى عمر الحكم والجزيرة مدينة لله بالاسلام ولعمر بالطاعة فانطلق عمر من الجزيرة الى غيرها وهو آمن من غدر او انشقاق فاتسعت رقعة الدولة وزادت الرعية وبدأ الاسلام يتعامل مع المسلمين وغير المسلمين ويمارس تشريعه في هؤلاء وهؤلاء، وازداد عمال عمر ودارت بهم عجلة الحكم، وكانوا يمثلون جهازا متنوع الاختصاص شامل لاحتياجات الدولة وخدمة الأفراد، وهم يؤدون عملهم عن رضا بشروط يقرونها ـ اذا رضوا بالعمل ـ قبل ابتدائهم به، وكان عليهم من عيون عمر ما لا يعلمهم الا الله وحده.

واستبعد عن العمل أهل الكتاب كما استبعد المرتدين الذين أسلموا.

ووفر عمر للعامل أجرا ورعاية، وكان يَسُوُه أَنْ يُؤذيَ عامله ويغضب لذلك أشد الغضب، وليس في مراجعي مَنْ عُزِلَ منهم لخيانة، ولكنه عزل:

لاقدام العامل على أمر خطير دون اعلامه به، ولتعرضه لما يفسد عليه رعيته، ولوجود من هو خير منه، وفي اتهام شخصي لا صلة له بحقوق الدولة أو الناس، كذلك عزلّ لرغبة الرعية عزل أميرها اسكاتا لألسنتها وحماية لعامله، وعزل العامل لعطائه الشعراء ان لم يكن في ذلك اسكاتا لألسنتهم.

وكان له مع عماله دورات اجتماع جماعية تحقيقا للعدل واطمئنانا الى حسن سير العمل.

وتكونت ادارته المالية من بيت المال ومن الديوان، وكان لبيت المال خزائن مبثوثة في بقاع الدولة، وكان الديوان ضابط حركة العمل لبيت المال فضم الوارد والمنصرف وأهل العطاء.

والى جانب العمال والادارة المالية كان جهاز المستشارين يؤدي أجل الخدمات لعمر، وبهذا الجهاز تتم حلقة جهاز الحكم.

ثم كان أبرز أعماله خليفة - رضي الله عنه:

تدوينه للتاريخ، ففتوحاته الاسلامية، ثم ما ترك في النهاية من علم وأدب.

ولم يمت حتى أوصى بكل رعيته خيرا، وبخاصة أهل الكتاب منهم، وترك الأمر من بعده شورى في خير أصحاب محمد ﷺ.



ويبحث الفصل الثاني في علم عمر ومصادره:

فَعَلِمْنَا - فيه - أن عمر - رضي الله عنه - كان واحدا من القلائل الذين محو أميتهم، وأنه محا أميته على يد حرب بن أمية، ثم اتخذ طريقه - الى العلم - بوسائل أجملناها في ثلاث: القراءة، والبحث عما لا يعرف، والتلقي من المختصين.

وذكرنا أن خير فترات علمه تنظيما وتلقيا هي فترة لقائه برسول الله ﷺ الذي جمع بينه وبين عمر حب وتقدير، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالعلم، وحرص - رضي الله عنه - على علم الدين: قرآنا وسنة، فَنَظَّمَ لقاءه - في المدينة برسول الله ﷺ حتى لا يفوته شيء من علم، وكانت حصيلته: حفظ القرآن الكريم:

حفظ عمر القرآن، وأثرى في علومه، فرويت عنه قراءات فيه، وكان له المام بأسباب النزول، وكان هو نفسه سببا في نزول أكثر من آية، الى علمه بتاريخ نزول بعضها ومكانه وساعة نزوله، وذكرنا الآيات التي كان سببا مباشرا في نزولها، وأخرى كان سببا غير مباشر فيها.

كذلك وجدناه يروي من الحديث الشريف ما يعين على تفسير آيات من الكتاب العزيز، وفسر هو - أيضا - بعض الآيات، وكان له في تفسيره منهج، فا‍ جاوزنا الأيات التي يفسر بعضها بعضا، وجدناه يأخذ بتفسير النبي ﷺ... فان يجد طلب ما يريد في مظانه عند الصحابة، فان لم يجد، ولم يهتد الى ما يريد

لا يحاول أن يفسر من عنده، ويرى ذلك تكلفا لا حاجة اليه، ويمسك حتى يهتدي، كما سأل في الآية الكريمة.

ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ٦ ـ ١٢٥.

وفي المتشابه أمر بالأخذ عن السنن، واحتاط في الأخذ عن الاسرائيليات الا ما طابق منها حديث رسول الله ﷺ.

وله الى جانب تفسيره تعليقات سريعة على بعض الآي تتلى عليه أو يستشهد بها على حال، ومصدر علمه الأول في القرآن هو رسول الله ﷺ.

وقد وضع عليه واضعون شيئا فزجوا باسمه فيما ادعوا انه سبب نزول، أو موافقات أو تفسير ليس لعمر منه شيء، كذلك زجوا باسمه في أخبار موضوعة للترغيب في التلاوة.

ب وشيئا من السنة.

فقد حرص على الأخذ من رسول الله ﷺ والاستفسار منه لنفسه أو ولده أو الناس، وحفظ له أهل الحديث خمسمائة حديث وتسعة وثلاثين، أو سبعة وثلاثين حديثا، اتفق الشيخان على ستة وعشرين منها، وانفرد البخاري بأربعة وثلاثين، ومسلم بواحد وعشرين، ولدى الامام أحمد تسعة وثلاثمائة حديث وبعضها مبثوث في مراجع اخرَ كالموطأ وبقية الصحاح وغيرها.

وَوُفّقَ عمر لرواية بضعة أحاديث لها شأنها العظيم في العقيدة والعمل والقضاء وصنف ما رواه عمر فاذا هو شامل لابواب:

الايمان والعمل، والقدر والسنة والعلم والذكر والدعاء والطهارة، والصلاة والجنائز والزكاة والصدقات والصيام والحج. والنكاح والطلاق والنسب والفرائض والوصايا والاجتماع. والمعاملات والحدود.

واللباس والاطعمة والاشربة والذبائح

والأخلاق والزهد والرقاق والمناقب والفتن والقيامة.

والهجرة والجهاد والغزوات

والخلافة والامارة والقضاء.

وكان حريصا على السنة مطواعا لها، وقد حاول جمعها ثم استخار الله شهرا حتى عزم الله تعالى له فانصرف عن جمعها حفاظ على كتاب الله، وتشدد في قبول الحديث من الناس بعد وفاة رسول الله فطلب الشهود، ولم يأخذ ـ في بعض الأحوال ـ بما انفرد به راو وكان له واقعة معينة[1]، واشتد في طلب من اكثر الرواية فسجنه.

وطلب مع ذلك العلم عن رسول الله عن ثقة، فكان له بذلك موقف وسط فهو ـ وان لم يدون السنة ـ لم يطلق العنان لروايتها، وَلَعَنَ من سأل عما لم يكن حتى لا يكون سبيل الى بحث عن حديث لتأييد أمر معين، فانتهى الأمر ـ في عهده ـ الى تداول الصحيح، قال معاوية: اياكم والأحاديث الا حديثا كان في عهد عمر، فان عمر كان يخيف الناس».

ونقدته عائشة ـ رضي الله عنها ـ في الحديث «ان الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه»، والحديث: «لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس».

لكن ثبت صواب ما رواه عمر كما حقق الامام البخاري في الأول، وكما بينت السيدة أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة أم المؤمنين في الثاني.

وينتهي بنا الحديث في القرآن والسنة الى فقه عمر ومدرسته ومنهجه، فأما مدرسته فكان معه فيها ابن مسعود وزيد بن ثابت. وكان منهجه يبدأ بالأخذ عن كتاب الله فالسنة فما ثبت عن أبي بكر فاستشارة اصحاب رسول الله ﷺ.

ولم يتخذ الرأي وسيلة في فهم الدين فكان في اجتهاده على حذر حاذر منه، يتهم الرأي على الدين، ويلجأ اليه بحذر شديد اذا أعوزه الدليل، ويسند الأمر فيه لنفسه حتى يرتد خطؤه اليه إذا كان ثم خطأ.

---

(١) البحث ص ١١٣.

ولم ينج عمر من وضع الحديث عليه، فوضع عليه الاحاديث أكثر من أربعة وستين رجلا ذكرنا اسماءهم في جدول أبجدي.

وله علم بآثار لأهل الكتاب من بني اسرائيل:

نرجع أن اقباله على قراءة ما قرأ منه كان بالمدينة، ان لم يكن قرأ منه شيئا من قبل فتردد على مدراسهم، واستمع الى نصوص منها يصدقها القرآن، وقرأ بعض هذه الأسفار، وكتبوا له منها، ثم ناظرهم احيانا وانتصر عليهم، وهو على أي حال - لم يسترسل في قراءة أسفارهم.

وكان له علم بالنسب:

أخذه عن الخطاب والده ثم نمى معلوماته فيه حتى صار يعرف من قريش من دخل منهم في بطن آخر أو قبيلة أخرى، ويستطيع أن يرد عن النسب من يدعيه مستعينا الى جانب ذلك:

بالقيافة التي كان له بها علم

فقد كان يقفـو الآثار ويلم بدقيق الشبه في الكف وغيره

وله علم بالشعر ولم يكن شاعرا:

حفظ منه الكثير، حتى حفظ ما قيل منه ضد الاسلام، فما قاله المشركون أو المرتدون، وكان منه على طرف لسانه ما يستطيع أن يعقب به على حوادث يومه، وطبعي جدا أن تدور بصيرته في محفوظة من هذا الشعر، ويقع منه على درر، ويكون له في نفسه مراتب يتفاوت معها اعجابه، فان مرحلة الاختيار مرحلة أدبية معروفة تكون في الأديب بعد تكوين ثروة من الأدب يقع بعدها على اختياره لقممه الأدبية، هذه القمم التي مثلها عند عمر: زهير والنابغة وعبدة بن الطبيب وغيرهم.

كان عمر يحس القيمة الجمالية للشعر ويتذوقه ويفطن لمواطن الجمال والقوة فيه، ويبصر مطارح الالهام في روحه، فكان له شاعرية في نفسه وروحه لكنه لم يكن شاعرا، ولا يثبت له بيت مما نسب اليه.

وله علم بأحوال الجاهلية وصدر الاسلام

فهو على علم بعقيدة القوم في جاهليتهم، وعلى علم بأنسابهم، وأعدته السفارة اعدادا ممتازا لهذا الجانب من المعرفة.

ثم كان اسلامه وصحبته لرسول الله ﷺ وملازمته له في غزواته، ثم عمله مع أبي بكر - رضي الله عنهما - كل ذلك يجعله حجة في تاريخ الاسلام حتى وقته.

ولقد تولى الخلافة بعد ذلك وصار مسؤولا عن رعية تبلغ الملايين جمعت من ألوان البشر: المسلم والذمي، ومارس - بالاسلام - شؤون هذه الخلافة فنما علم الاسلام ومارس التطبيق وأثبت كفاءته في هذه الميادين على يد هذا الخليفة العالم الزاهد.

وكان له علم بجغرافية دولته وبالحساب، فأما الحساب فيدلنا عليه علمه الموسع بالمواريث وممارسته لها تطبيقا، ورجوع القوم اليه فيها الى ما كان له من اشراف على توزيع العطاء والفيء وتحصيل الجزية: وغير ذلك من حصر المواليد ومن بلغ الفطام... الخ.

وسعى - بنفسه - الى معرفة بلدان الخلافة، موقعها وسهولها وجبالها، وألم بهذه المعرفة الماما كبيرا جعل هذه البلدان كأنها بين يديه شخص ينظر اليه.

★ ★ ★

يلي ذلك الباب الثاني الذي عني بدراسة أدب عمر، فبدأ بدراسة خطب عمر، وأفرد لها فصلا بحث فيه عن الخطابة في الجاهلية حيث كانت أداة من أدوات ارساء نظام القبيلة وسياستها في الداخل والخارج، وفيه بينت شأنها العظيم بتصدرها لأداء الغرض في المناسبات الاجتماعية المختلفة داخل القبيلة، ثم قيامها بحاجتها في الوفادة الى الملوك والامراء وغيرهم، وببيانها في المفاخرة والمنافرة واعلان الحرب وارساء السلام حيث كانت الحرية من أهم عوامل نشاطها في هذا المجتمع، ولا زال لها به شأن حتى علت بالخطيب فوق الشاعر لسدادها في ميادين ليس للشعر فيها كبير مقام ولسبب تكسب الشاعر بشعره.

وقد ذَكَرْتُ خصائص هذه الخطابة من حيث النداء للجماعات والفصل لطروق موضوعها، وسمات ألفاظها وطابعها النفسي حيث كانت صادقة الانفعال، فصيحة يلازمها السجع كثيرا، ويضعف الترابط بين جملها، وقد نجد فيها ألفاظا موحشة غريبة.

ثم جاء الاسلام، فقامت بالدعوة ورقت أساليبها وتركت السجع، وتخلت عن الوحشي والغريب، وبعدت عن التكلف وكانت - الى قيامها بالدعوة - لسان الجهاد، وسياسة الحكم، وشرح الشعائر والمناسك.

وفي الاسلام مارس العربي حريته كاملة فنمت الخطابة في لسان الحاكم وأفراد الناس.

وتميزت خصائصها في هذا العصر فبدأت بحمد الله والثناء عليه ثم الصلاة والسلام على النبي، ثم فصلت (بأما بعد) كما كان الامر من قبل ثم طرقت موضوعها وانتهت بدعاء أو استغفار أو سلام.

ووجدنا خطبة عمر صورة من هذه الخطابة، لا تتميز عنها الا بما يتميز به الفرد عن غيره بفروق فردية.

وكانت ألفاظها سهلة الادراك سريعة الاداء لما تحمل من معان جيدة التركيب لا وحشي فيها ولا غريب لها مقاماها من حيث القوة والدعة ذات مقدرة على بث انفعالات عمر في نفوس المستمعين لما لازمها من اخلاص صاحبها.

وما طرأ بها من بعض الغريب، وهو قليل جدا، فانما كان غريبا على مولد، وليس غريبا على عربي خالص. وقد استعمله عمر لأنه اللفظ الذي يؤدي المعنى دون استطراد أو إطناب، أو لأنه ركن في مثل عربي، ومع ذلك فان عمر يضع اللفظ في سياق يكشف عن معناه.

ودرسنا أسلوب عمر ابتداء من الفكرة في ذهنه الى انسيابها عبر ألفاظ ليسمعها الناس أو ليقرؤوها .

فوجدنا أفكاره معبرة عن القيم الاسلامية تنطلق في أسلوب صادق التعبير سهل مسترسل واضح مقتصد في ألوان البيان قوي التأثير، لا يخلو من لون فني ولا يتقيد به، ذي زخرف محدود، واذا كرر، فان تكريره لا يخلو من تجديد.

ويلزم خطبته الطابع الاسلامي بدءا وعلاجا وخاتمة ونلاحظ عليها خلوها من الشعر والحكمة الجاهلية.

ووجدنا أغراض خطبة عمر كفيلة باشباع حاجة الجمهور، وحاجة الحكم الاسلامي، وحاجة عمر نفسه، هذه الحاجة المنطلقة من احساسه بواجبه وأدائه للأمانة، فكان التعليم، والتنظيم، واعلان الانباء السياسية والحوادث الاجتماعية الهامة والوعظ والارشاد ـ أغراضا رئيسية في خطبة عمر.

ثم نظرنا في عرض ودراسة الى هذه الخطب، فوجدناها: خطبا طوالا، أو قصارا، أو مقتطفات، وهي جميعا، اسلامية ولكنها ليست كل خطب عمر من ناحية، كما انها من ناحية أخرى لا تمثل نصوصها عموما خطبة تامة كاملة، الأمر الذي يجب أن يضعه الناقد نصب عينيه قبل أن يصدر عليها حكما ما.

ووجدنا معظم هذه الخطب يفقد المقدمة، كما تبين لنا أيضا أن مقدمة عمر كانت تتضمن أفكارا بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله الأمين ﷺ وبعض هذه الافكار كان استهلالا بارعا لموضوعه.

وكان من العسير علينا تحديد موضوع الخطبة عموما في المقتطفات بسبب اقتصار الراوي لها على ذكر موطن الاستشهاد منها فيما يتصل بتخصصه: فقها أو أدبا أو تاريخا، وبالتالي لا يمكن أن نحكم على الخطبة بالطول أو القصر للسبب نفسه.

فأما قصار الخطب في الامور الاجتماعية فانها تكشف عن موضوعها وغالبا مالا تتعداه.

فأما خطب الشعيرة فبعضها بالضرورة قاصر على موضوعه كالاستسقاء والبعض ـ كما رأينا ـ يتناول عدة موضوعات يمكن أن نحكم بترابطها اذا اكتمل لنا

عقدها تماما.

ولاحظنا أن عمر قد يُفْرَضُ عليه موضوع خارجي أثناء خطبته من علم تبرز مناسبته، أو رأي يعارضه يتناوله عمر بنفس سوية ويعالجه فيكون له أو عليه، أو أمر يراه عمرُ مخالفا للسنة فينبه عليه، أو شكوى ترفع اليه الخ.

وهذه الامور الطارئة دليل في ذاتها على قوة عارضته وسرعة بديهة وتمكنه من فن الخطابة، فان أدنى بعضها يمكن أن يعوق غير مفن فيها.

وفي ضوء دراستنا لخطبه أمكن أن نعرف أن بعض خطب عمر كان يرتجلها سريعا، وأن منها ما كان يعالج موضوعه ويتروى له ومنها ما كان يتصعده، وما كان الاخير الا خطبة النكاح، ومرد تصعدها له فيما عالجته من أمرها أنها كانت مخالفة لطبعه، لما اعتاده الناس من أمرها من مديح ليس يرضاه عمر، ولعلم عمر بالانساب، وميله الى تحقيق الكفاءة بين الزوجين، وما كان فيه من زهد يؤثر به الابتعاد عن مثل هذا الحفل.

ووجدنا عمر - رضي الله عنه - مقنعا لمستمعيه جذابا لهم يستبق كبار الصحابة الى منبره مبكرين حتى لايفوتهم ما يقول، وكانت أدلته من القوة في مستوى قضاياها من الخطورة يسوقها متتابعة بعضها أقوى من بعض الى ما كان له من فصاحة وبلاغة، ثم فوق هذا كله، أمانة تلتزم الحق والعدل وتبتعد عن التناقض والغموض فتمتعت خطبه بسبل الاقناع النظيف، لا سيما وقد كانت خطبته مطروحة على الجمهور لا تمنع نقاشا بين عمر وبعض المستمعين مما وصل بها الى قمع الاقناع.

وتندر في آثاره خطبة التأبين، ووجدنا - من مقامها - كلمات ضئيلة.

كذلك لم يخل الامر من نحل على عمر في الخطبة، وفي البحث من ذلك أثران[1]، وختمنا الفصل بنماذج عدة محققة لبعض خطبه - رضي الله عنه.

ودرسنا - في الفصل الثاني من أدب عمر - الوصية، وهي رافد من روافد

---

(١) البحث ص ١٠٥ و ٢١٢.

الأدب العربي من العهد الجاهلي، وكانت في هذا العهد غنية العطاء بالمثل والحكمة والتجربة، متناولة مختلف نشاط الانسان في هذا المجتمع القبلي، وكانت مع ذلك نبيلة، دعت الى خلال كريمة في شتى مظاهر الحياة، وصيغت خلال هذا العصر - شعرا ونثرا.

وجاء الاسلام فرفع من شأن الوصية، وتجاوز بها حدود المجتمع القبلي الى الجماعة الانسانية، وحض على اللون المالي منها.

ونراها - في أدب عمر - لا تتخلى عن لون من ألوانه حتى ليكاد أدبه أن يكون كله وصايا لحرصه على المسلمين وزوده عنهم، وليس بين أيدينا كل وصاياه، وتفقد من وصاياه ما فقدناه في خطبه من بعض المضمون أو بداية أو نهاية أو مقام حال.

ووجدنا ألفاظها ألفاظ الخطبة وغير الخطبة ذات بساطة وسهولة يشع منها اخلاص صاحبها، وبراعته في دقة التصوير.

ويميل فيها أسلوبه الى الاستقصاء والتحليل ضرورة بيان أهميتها والتدليل عليها، وتخلو - فيما بين أيدينا من الشعر.

وساقها عمر - رضي الله عنه - ارشادا لعماله - ونصحا لقواده، ورعيته وله قطعة منها أوصى فيها الخليفة من بعده.

فأرشد عماله بتبصيرهم بواجباتهم وبحقوق الرعية، ولفت أنظارهم الى محاسبة أنفسهم وتجنب الكبر والحجاب عن رعيتهم وغير ذلك مما يقيم الحق وينشر العدل.

ونصح قواده بما يجب أن يتحلوا به من صفات الجند حرصا ويقظة وتعاونا وأمانة، وعلما بـ «دستور الحرب» الإسلامي.

وأوصى رعيته فنصح لها في دينها ودنياها وأولادها وشأن حياتها كله، وبذل في ذلك كل ما رآه خيرا وواجبا.

وكتب الى حفصة أم المؤمنين - رضي الله عنه وصيته المالية

فكان مدار أغرآضها بين رعيته وعماله وقواده. ووصاياه المحفوظه كخطبه كلها إسلامية.

واستمد في وصاياه مما رضيه الله لعباده من كل ما هو أصيل كريم، فاستمد من كتاب الله، ومن تعاليم رسوله ﷺ، فكانت وصاياه متفقة مع كل ما هو انساني نبيل.

وحملت وصاياه أحد طابعين: اما التحذير من شيء لما فيه من مكروه واما الحث عليه لما فيه من صلاح.

وهي - عموما - تحمل سمات ثلاثا تبدو في وصاياه:

فنجد «الامكان» طابعها، فهو لايغرق الموصَي في فلسفة غامضة يطرح فيها ذكاءه وتفوقه العقلي في فلسفة لاتمس حال الموصي أو تهتم به، كذلك تبدو فيها «خبرته بطبيعة النفس البشرية، وحاجتها الدائمة الى التربص بها حتى لاتفسدها سلطة أو تبطرها نعمة» ثم «مساعدة الموصي» عمليا بما يمكنه من ممارسة الوصية عملا والانتفاع بها.

ثم لا يخلو الأمر من وصايا نسبت الى عمر ليس من الممكن قبولها بوجه من الوجوه لاختلافها مع ما عرف عن عمر علما وعملا، خلقا ودينا ولما في سندها من وضاعين أمثال ثمامة بن عبيدة أبي خليفة العبدي، ومحمد بن عمر الواقدي والاول نص على كذبه ابن المديني والثاني [متروك] نص على كذبه الامام أحمد (١).

وقد أوردنا في ختام الوصية بضعة وصايا محققة.

ثم تناولنا في الفصل الثالث رسائل عمر بالبحث، فمهدنا لذلك بدراسة عن الرسائل في الجاهلية انتهينا فيها الى وجود الرسائل التجارية والسياسية، ولم أجد ما يمنع أن يكون للقوم رسائل أدبية ضرورة ما قدم النقاد من تعريف للنثر الفني وخلاصة الامر أننا - لفقدنا لآثارها - لانستطيع تحديد خصائص هذه الرسائل المحبرة.

---

(١) راجع للكناني - تنزيه الشريعة ١/٤٣، ١١١.

وجاء الاسلام وظهرت الرسائل غيرَ عارية من ألوان الفن ولا مسرفة في رصفها وانما كان حسبها من ذلك الصدق في الأداء والتروي لجلاء الحق بلا تكلف، والقصد في الزينة.

وبرزت الرسالة موجزة تبدأ بالآية: بسم الله الرحمن الرحيم أو (باسمك اللهم) ثم ببيان المرسل والمرسل اليه، فالسلام فالغرض فالختام بالسلام غالبا.

ثم نظرنا بعد ذلك في رسائل عمر فعالجنا أمرها (من الرواية الى التدوين) فتبين لنا أنها جميعا مروية، اما عن نص مكتوب أو مسموع، أو يحدث عنها الراوي باشارة أو مضمون، وهي جميعا اسلامية.

ورأينا أن لفظ عمر لم يغب عن هذا المضمون مستدلين على ذلك بآثار بينت عن لفظ (الحكاية) مضمونا، وأخرى ذكرت (نص) عمر، فاذا في المضمون من ألفاظه، وعرضنا في هذه الدراسة الى طريقة بعض الكتاب في ذكر النص، وطريقة آخر يجمع بين مضمون من لفظه ثم يلحق به من لفظ عمر، وبعض الكتابات تدلنا على رسائل لعمر، وان لم يذكر الراوي لفظ الرسالة أو يشير اليها ـ على الاطلاق ـ وانما عرفنا ذلك ضرورة ما حوت الكتابة من أمور لا يستطيع عامل عمر أن يفعل فيها شيئا دون كتاب منه.

وانتهينا من علاج هذا الموضوع الى أن الأمر في الرسالة كالأمر في الخطبة الا قليلا جدا من الرسائل وجدناه تاما. بينما يفقد الكثير منها بداية او نهاية او شيئا من مضمونها.

وبين يدي أغراض الرسالة عند عمر بينت ما كتب به الى عمر في مختلف الشؤون من مسؤولين يشاركونه السلطة ومن غيرهم:

فكتب له قواده يصفون له الجبهات الحربية، وواقع حالهم، وما يتطلبه الموقف وما يصلهم من أخبار العدو.

وكتب اليه عماله بسير أعمالهم، وكتبوا يستوضحونه في حقوق الرعية وكتبوا اليه

في العصاة، وكاتبوه في شؤون تخصهم.

وكتب اليه أفراد من الرعية.

وهذا التمهيد بين يدي أغراض الرسالة ـ معين على تحديد الأغراض التي كتب فيها عمر، كما أنه يقربنا من تصور صحيح لحجم كتاباته ـ رضي الله عنه، ثم هو مؤشر دقيق يدلنا على أن ما وصل الينا من كتابات عمر قليل من كثير.

ويمكن اجمال اغراض الرسالة عند عمر في:

أ ـ توجيه قواده في شؤون الجهاد، فكتب في هذا الباب يأمر بتحريك قوات من مكان الى آخر، أو باعتصامها في مكان، وكتب يرشدهم الى وضع خير من آخر، وكتب بتعيين قادة وعزل آخرين، وكتب فأمر بالتعبئة العامة أو الخاصة في مواجهة خطر شامل، وكتب يطلب تنظيم الجيش وقواده وفي تأديب المخطئين، وكتب يحذر من الفرار والانتهاب، وكتب في اجازات الجند، وفي حقوق أهليهم، وكتب يطلب احاطته بتوضيح كامل عن العدو مكانا وقيادة وقواتا، وكتب لقواته فيما سألوه بشرح واف فيمن وفى بالعهد وفيمن نقض. وكتب لقواته بمراعاة أحكام الاسلام في الأمان والوفاء به، وحذرهم من الغدر، وكاتبهم في اقامة التجار الأجانب بالأرض الاسلامية، ومدة الاقامة وما يجب فيها من رسوم.

وكتب الى عماله في شؤون الحكم، فكتب يخطر بتعيينهم وكتب يعزل بعضهم أو يحاسبه أو يؤنبه.

وكتب لهم في الشؤون الدينية وله رسالتان نادرتان في الهلال وكتب يأمر باقامة المنشئات التي تؤدي خدمات للرعية كشق الأنهار وتخطيط الطرق وبناء المنازل، وكتب بتشجيع احياء موات الارض، وكتب باقطاع بعض الرعية، وكتب بعدم التبدي وهجرة المدن بالنسبة لمن رحل من الجزيرة الى الديار المفتوحة توطينا لهم بالمدينة وارساءً الروح الاجتماع فيهم.

وكتب لهم فيما تطور من شؤون أهل الذمة، وكتب في حماية المجتمع من الجريمة.

وكتب لمن لجأ اليه من الرعية مستعينا في حق فأعانه، وكتب يفتي وله في القضاء أكثر من رسالة.

وكتب لعماله يعظ وينصح، ويحسم الخلاف منتصرا للسنة وكتب فنهى عن مباح لما قد يؤدي اليه من ضرر.

وكتب يطلب اليهم جمع الشتات المتفرق من قبيلة وحصر الناس وطالب عماله بالأهتام بالشؤون التربوية وتحسين العلاقات الاسرية وكاتب بعض أفراد من رعيته اعانة لهم على تخطي عثرة، كما كتب اليهم فيا سألوه.

وكاتب بعض حكام عصره لتصفية بعض الأوضاع، كما كتب يلاحق مفاجآت عصره.

ومن هذا العرض نعلم مدى اتساع أغراض الرسالة عند عمر ومدى نموها ثم مقدرتها على علاج شؤون الدولة والناس أجمعين.

فاذا تجاوزنا الأغراض الى ألفاظ الرسالة وأسلوبها، وجدنا لها طابعها في الخطبة وفي غيرها، غير أننا نزيد هنا من واقع اللفظ في الرسائل الحربية - فضلا عن وضوحه الشديد كثرة تجرده من رداء فني يضفي عليه خيالا أو يتجاوز به دائرة الحسم والفصل، وهما سمتا رسائله الحربية وسمتا لفظه اذا عاقب أو أنذر أو أفتى.

والأمر في الأسلوب هو الأمر في الخطبة وغيرها، أفكار متفقة مع القيم الاسلامية، تعبر الى الناس في أسلوب سهل بألفاظ فصيحة غير حوشية ولا مبتذلة تحمل شيئا في قصد من الرداء الفني في غير كلفة مقتبس في انسياب متلائم مع مسار الحملة.

وفي عرض ودراسة بينا أمر المنشور في الدولة الاسلامية وعند عمر، فظهر ما كتب به من منشور عام أو خاص، وأنه - تقريبا - لم يتميز بشكل خاص عن الرسالة من حيث الخصائص الادبية الا بما جاء فيه من عبارة جعلته منشورا.

وبعد، فان رسائل عمر لها قيمتها الأدبية، كذلك لها قيمتها التاريخية والفقهية.

وبعض رسائله تدل ـ في وضوح ـ على أن اهتمامه بشؤون الافراد ومعالجتها لا يقل عن اهتمامه بمعالجة الشؤون العليا في الدولة، وانه ليتابع من هذه ما يتابعه في تلك حتى ينتهي أمرها بما فيه مصلحة صاحبها وقضاء حاجته العادلة.

وبينت في هذا العرض ما وقع فيه بعض الكتاب من وهم وصححته كذلك كتبت دراسة شخصية عما أشك فيه من رسائل نسبت لعمر وما رأيته منحولا موضوعا، وقدمت منه خمس رسائل وصكا كلها منسوبة لعمر، وبينت ما فيها من نحل جهد الطاقة ثم ختمت الفصل بنماذج محققة لرسائله رضي الله عنه.

وبحثت ـ في الفصل الرابع ـ عهود عمر، مصدرا البحث بالنظر في العصر الجاهلي، وفيه وجدنا العرب قد عرفوا العهود فيما بينهم ومارسوها، كما عقدوا عهودا دولية بينهم وبين ممالك غير عربية، فكان بين بعض ممالكهم في الشمال معاهدة بينهم وبين (أشور بانيبال) أحد ملوك الدولة الاشورية بين عامي (٦٦٨ - ٦٢٦ ق م) وأخرى بينهم وبين قمبيز عام (٥٢٥ ق م) وثالثة بين الأنباط وروما.

كذلك تعاهد العرب ـ فيما بينهم ـ بالحلف والجوار، وكانت لهم تقاليد خاصة بتأكيد الحلف وكتابته، ويمثل القسم بالنار والملح ضربين من ضروب تأكيده.

وجاء الاسلام وصار له طابعه الخاص في العهد شكلا ومضمونا فصار يبدأ بالآية « بسم الله الرحمن الرحيم » وينتهي ببيان « التزام الذمة به » ويحدد فيما بين ذلك أسماء طرفي العهد، وواجبات كل منهما وحقوقه ثم يذيل بشهادة الشهود وقد يذكر في النهاية اسم كاتب العهد.

وكانت العهود الاسلامية مرنة يمكن التجديد في نصوصها على ضوء ما قد يتقرر من جديد في اطار من التزام الوفاء والعدل.

ولم يكن تدوينه يلتزم عبارات رسمية معينه، وانما حسبه أن يجدر هذه الأمور السابقة.

وعهود عمر، ونقصد بها ما صدر عنه شخصيا أو كتبه أحد قواده ـ صورة

لتلك العهود لم تتميز بجديد.

وفي دولته وجدنا عهدا دوليا واحدا هو الذي وقعه نيابة عن عمر عمرو بن العاص مع الروم، وفيه التزموا بالجلاء التام عن آخر معقل لهم في مصر، وأبحروا - طبقا لنصوص العهد - عن الاسكندرية في ١٧ سبتمبر سنة ٦٢٤ م.

وما عدا ذلك من عهود كانت جميعا بين الدولة وجزء من رعاياها أهل الكتاب، قدمت فيه الدولة التزامها نحوهم مكتوبا ومشهودا عليه من رجالها. حيث نص على:

أ - استمتاع هذه الرعية بالأمان، والتزام المسلمين بالدفاع عنهم.
ب - واقرار هذه الرعية بدفع الجزية للمسلمين والتزامهم بأن يكونوا أمانا تاما للمسلمين.

ووجدنا لعمر عهدين صدرا عنه، هما: عهده لأهل ايلياء، وعهده لأهل لد، وكان - رضي الله عنه - يحتفظ - في تابوت عنده - بكل ما صدر عن الدولة من عهود.

فأما العهد الذي ذكره الأرشمندريت بنيامين بوانيدي فهو عهد موضوع منحول لا يمثل حقا ولا واقعا [١].

وصدرت عهود عمر جميعا في لغة سهلة بسيطة لا تحتوي نصا غامضا أو تزهو بنصر، ولكنها صورة دقيقة لمعاملة الدين وبساطة عقيدته ووضوح قصده.

وفي الفصل الخامس عالجنا حكمة عمر، وهي - ككل حكمة مصدرها تجارب البشر عامة، وواقع الأمور من حيث تبدأ الى حيث تنتهي، يحصدها من الناس ذوو الخبرة والفطنة، وَعُمرْ واحد منهم.

ووجدنا حكمته - رضي الله عنه - موزعة في أدبه من رسالة أو خطبة أو

---

(١) البحث ص ٤١٠.

غيرها، وبعض المصادر، في كتب الجاحظ، يرسل بها غير منوطة بلون من أدبه، ولتشابه أسلوبه يصعب رد هذه الحكمة الى لون من أدب عمر.

ووجدنا حكمته في عبارة موجزة تارة، وأخرى في عبارة تطول ويتخللها التقسيم، وقد تأخذ بحطها من زينة اللفظ دون كلفة، وربما استعان عمر في تصويرها بلون من البيان فالخيال.

وحكمته - التي عرفنا موطنها من أدبه - ليس لها مكان خاص استقام عليه في وضعها، وانما يرسلها حيث تقع في صدر الكلام أو في خاتمته أو بين ذلك.

وقد يرسلها مفردة، وربما أردف بعضها في تعانق عضوي محكم، أو يوالي بينها حسب ما يقتضيه تصويرها.

وحكمته بعضها مطروق يجري على ألسنة الناس، ولعمر فيه فضل الصياغة، وقد يستمد فيها من رسول الله ﷺ. وبعضها ابداعه فيه واضح في حدود ما تناولت من مراجع.

وتنوعت حكمته - رضي الله عنه - فتناولت الدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع، وأثرت في كل هذه الضروب في قبسات عالجت واقع الحياة من أجل الناس وارتاذت لهم لتنفعهم.

وفي النهاية من الرسالة كان البحث عن «عمر الناقد» فقدمت فيه شيئا عن النقد قبل عمر، هذا النقد الذي عاش في ظلال الشعر، وبسط على الشعر نفوذه. فرأينا أنه قد استقام عمود القصيدة الجاهلية في كنف النقد الجاهلي، ولا بد أن هذا النقد هو الذي سوى وزنها، واختار لها أن تعيش على ضرب من الموسيقى الخارجية - سميناه وزنا - حتى النهاية، وأنه هو أيضا الذي أعجب بروي واحد يتم لها في قافيتها واستراح اليه فالتزمه الشعراء وهذا النقد أيضا هو الذي عاب أن يتم البيت دون أن يستقل بمعنى، وأنه رَضِيَ بتعدد موضوع القصيدة... الخ، ولا بد أن زمنا

انظر البحث ص ٤١٠.

طويلا جدا كان فيه هذا النقد من القوة والنفوذ حتى جعل القصيدة الجاهلية نموذجا فريدا في القوة والجمال والابداع.

ولم يحتفظ العرب بسبب أميتهم بشيء من كليات هذا النقد وضروبه لكن بناء القصيدة يدل عليه، ولا زلنا نكتشف من قوت لآخر شيئا منه جعلنا نعلم أن الجاهلي كما صدر ـ في نقده ـ عن الذوق والاحساس بالجمال، فقد صدر فيه أيضا عن مصدر الوضع اللغوي نفسه، وكما كان منه لمحات كان منه أيضا حدود أدبية التزمها الشعراء في المديح وغيره.

وعاش ـ بهذه الصورة ـ حتى ظهر الاسلام، فكانت له بدوره قيم استجاب لها من تمثل الاسلام من الشعراء وأحبه وأنشد له.

★ ★ ★

ثم طرقنا بالبحث روافد النقد عند عمر، فذكرت أن عمر لم تفته ثقافة العصرين: الجاهلي والاسلامي، وأنه كان مستوعبا حافظا لدرر الشعر العربي حتى زمنه، عالما بأحوال العرب: جاهلية واسلاما: عقيدة وعلما وتاريخا وأنسابا، فقد كان واحد من المسؤولين في الجاهلية، ثم رأسا في الاسلام، ثم كان من الروافد ـ الى ذلك ـ مجالسه الأدبية المتعددة.

وكانت مجالس جمعت ضروبا شتى من العلم وفنون الأدب أنشده فيها الشعراء، وألقى بين يديه الخطباء، فكانت غنية بالعطاء لاسيما وقد جمعت أفذاذا من رجالات العرب وأدبائهم وعلمائهم.

وأمكن ـ بما بين أيدينا ـ من أدب عمر ـ أن نصل الى استكشاف عمود النص الأدبي عنده ومعراجه، وخلصنا من ذلك الى أمرين أولهما: خصائص تتوفر للكلمة فترتفع بها من لغو الكلام وسقطه لتصل الى معراج الأدب، وذلك بسلامة عربيتها من اللحن، وانسياب أفكارها عبر ألفاظ مأنوسة لا وحشية فيها واستقلال المعنى فيها بحظه التام من التعبير وحسن التكوين في وضوح تام كامل، وأدب عمر كله لا يفقد

هذه السمات، كما ينبه عمر الى ما يريده من الوضوح فان أمره خطر اذا لم يتنبه الاديب لامره قد ينزلق الى افاضة يضيع معها اطار الفكرة، ولذلك قال: اياك والمكايلة، أي المزايدة في الكلام، فهو يريد ايضاحا يمسك عن فضل القول، حسبه أن يجلي عن الفكرة، ويبرز المعنى، وكان في آراء عمر تلك رصيد أساسي لعلم البلاغة فيما بعد.

فاذا توفر للنص هذه الخصائص أمكن أن تكون له خصائص ثانية تجعله قمة من قمم الأدب عند عمر، وذلك اذا اجتمع له الصدق:

الصدق في تصوير الافكار النبيلة بمشاعر تجاربها الوجدانية في واقعية لا تفوتها جزالة التعبير وجمال الأداء، ولا يحلق بها الخيال الى مبالغة تحيل صدق المضمون الى أوهام لها من دبيب الصنعة ما يفصلها عن المشاعر والوجدان، وقد استحسن عمر الصدق لذاته ولما فيه من مكارم الأخلاق، وتحراه في كلام الأديب حتى سأل عنه متمم بن نويرة، وقد أعجب برثائه في أخيه فقال له: اكذبت في شيء مما قلته في أخيك؟

وللصدق أعجب بزهير.واستمع لشعره حتى برق الصباح، وسخط على الحطيئة لمدحه الناس وذمه لهم بما ليس فيهم.

وانحاز به مذهبه في الصدق الى ارتباط مع حقائق هذا الدين في نقده لأنها تمثل حقا تحدث به رب العالمين أو رسوله المصطفى الأمين صلوات الله وسلامه عليه، فكان يعقب بمضمون هذه الحقائق على ما يسمع من بعض الشعر.

ثم ننتهي الى الكلمة التي تشبع حاجة عمر الى مثله الأعلى في الأداء وتستحوذ على اعجابه فنجدها:

الكلمة - في لونها الأدبي - تكون شاملة لمفهومها كله مستوعبة لأبعاد معانيه جميعا، كمثل قول زهير:

وان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

والكلمة التي تقدم معنى مبتكرا.

وفي ضوء هذا المذهب رَدَدْنَا ما قال الدكتور شوقي ضيف في رده اعجاب عمر بزهير الى نجدية زهير وحجازيته، مبينين في تحليل سابق ولاحق مزايا زهير عند عمر، وهي مزايا أعجب بها النقاد قديما وحديثا من أمثال جرير ثم أحمد حسن الزيات ودكتور طه حسين الذي يرى أن عمر قدم زهيرا على الشعراء لأسباب فنية خالصة وختمنا هذا الفصل ـ من البحث ـ بكلمة عن مسؤوليات الحكم وتأثيرها على عمر، وبينت فيها كيف كانت سببا في منعه الهجاء، وانشاد المناقضات، واخماد المنافرات، وعزله لبعض عماله الذين قالوا في الخمريات، أو هددوا الرعية في أشعارهم، وأمثال ذلك مما يمكن أن يثير الفتنة في هذا المجتمع الذي اضطلع بدور الريادة للاسلام بين العالمين وأنه ـ فيما عدا ذلك، شجع انشاد الشعر وبنى لذلك رحبة بالمسجد النبوي يلجأ اليها عشاق الشعر ليتنا شدوه، واستمع اليه ولم يكن عليه حرج أن يسمع من ألوان الأدب ما لا يمس أعراض الناس أو ينال من القيم الاسلامية.

وذكرت في النهاية قضيتي الحطيئة والنجاشي وبينت أن لجوء عمر فيها الى حسان وغيره من الشعراء انما كان من باب ما يجب على القاضي من عدم الحكم بما يعلم دون أن يستشهد بالخبراء والا كـان خصما وحكما معا وذلك ما لا يتحمله ضمير قاض منصف.

وأحمد المولى على ما تفضل وأنعم.

المراجع

القرآن وعلومه

★ القرآن الكريم

★ تفسير القرآن العظيم: الإمام عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي ـ دار احياء الكتب بمصر ـ ١٣٧١ هـ.

★ جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ دار المعارف بمصر لا تاريخ.

★ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ الميمنية ط أولى لا تاريخ.

★ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ـ مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٧ هـ.

★ مدارك التنزيل وحقائق التأويل: الامام أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ـ الحسينية بمصر ١٣٢٦ هـ.

★ معالم التنزيل: للشيخ الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد البغوي ـ المنار بمصر ١٣٤٣ الى ١٣٤٧ هـ.

★ فضائل القرآن: الامام عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير ـ دار احياء الكتب العربية ١٣٧١ هـ.

★ الاتقان في علوم القرآن: الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ المعاهد بالجمالية ١٣٥٤ هـ.

★ مـذكـرة علوم القرآن: الشيخ أحمد أحمد علي ـ الأزهر الطبعة الخامسة ١٣٨١ هـ.
★ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: دكتور عبد الصبور شاهين ـ دار القلم ١٩٦٦ م.
★ أسباب نزول القرآن: العلامة أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية المعروف بالواحدي النيسابوري ـ هندية بالقاهرة ١٣١٥ هـ.
★ لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ مصطفى البابي الحلبي ط ثانية ١٣٧٣ هـ.
★ تاريخ المصحف الشريف: الشيخ عبد الفتاح القاضي ـ مطبعة المشهد الحسيني لا تاريخ.

الحديث وعلومه

★ الآثار: الامام محمد بن الحسن الشيباني ـ أنوار محمدي لكنهو الهند لا تاريخ.
★ الآثار: الامام أبو يوسف يعقوب بـن ابراهيم ـ الاستقامة ١٣٥٥ هـ.
★ اقليسة النبي المصطفى محمد ﷺ، الامام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم الدين الحنبلي ـ السعادة ط أولى ١٣٩٣.
★ الجامع الصحيح (صحيح مسلم): الامام أبو الحسين مسلم بـن الحجاج بن مسلم القشيري ـ شركة الاعلانات القاهرة ١٣٨٣ هـ.
★ جامع مسانيد أبي حنيفة (جامع مسانيد الامام الاعظم): الامام أبو المؤيد محمد ابن محمود بن محمد الخوارزمي ـ مجلس دائرة المعارف الهند ١٣٣٢ هـ.
★ الزهد: الامام أبو عبد الله أحمد بـن محمد بن حنبل ـ دار الباز للنشر والتوزيع ـ مكه لا تاريخ
★ سنن ابن ماجه: الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجه) ـ دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٣٧٢ هـ.
★ سنن أبي داود: الامام أبو داود سليمان بـن الاشعث بن إسحاق الازدي السجستاني ـ مصطفى البابي الحلبي ١٣٧١ هـ.

★ السنن الكبرى: الامام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ـ مجلس دائرة المعارف النظامية ـ الهند ١٣٤٤ هـ.

★ سنن النسائي: الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ـ دار احياء التراث العربي بيروت لا تاريخ.

★ سنن الدارقطني: الامام علي بن عمر الدارقطني ـ دار المحاسن للطباعة القاهرة ١٣٨٦ هـ.

★ سنن الدارمي: الامام أبو عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ـ دار المحاسن للطباعة القاهرة ١٣٨٦ هـ.

★ صحيح البخاري: الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري ـ المطبعة البهية ١٢٩٩ هـ.

★ صحيح البخاري (نسخة أخرى): الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري ـ الشعب ١٣٧٨ هـ.

★ صحيح الترمذي (سنن الترمذي): الامام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ـ المصرية بالازهر ط أولى ـ ١٣٥٠ الى ١٣٥٣ هـ.

★ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: العلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ـ دائرة المعارف النظامية ـ الهند ١٣١٥ هـ.

★ المسند: الامام أحمد بن محمد بن حنبل ـ دار المعارف بمصر ١٣٧٣ هـ.

★ المسند (نسخة أخرى): الامام أحمد بن محمد بن حنبل ـ الميمنية ١٣٠٦ هـ.

★ مسند أبي حنيفه رواية الحصكفي: الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان ـ شركة المطبوعات العلمية ١٣٢٧ هـ.

★ مسند أبي داود الطيالسي: الحافظ سليمان بن داود بن الجارود الفارسي ـ مجلس دائرة المعارف النظامية ـ الهند ١٣٢١ هـ.

★ مسند الشافعي: الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي ـ شركة المطبوعات العلمية ١٣٢٧ هـ.

★ المصنف: الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ـ المكتب الاسلامي

بيروت ط أولى ١٣٩٢ .

★ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: الحافظ بن حجر أحمد بن علي العسقلاني ـ المطبعة العصرية الكويت ط أولى ١٣٩٣ هـ.

★ موطأ الامام مالك: الامام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك ـ محمد علي صبيح ١٣٥٣ هـ.

★ اكمال اكمال المعلم: أبو عبد الله محمد بن خلفة الوشناني الأبي المالكي ـ السعادة ط أولى ١٣٢٧ هـ.

★ ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ـ المطبعة الميرية الكبرى ط ٦ ١٣٠٤ هـ.

★ تنوير الحوالك على موطأ مالك: الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ محمد علي صبيح وأولاده ١٣٥٣ هـ.

★ حاشية السندي على صحيح البخاري: العلامة السندي ـ البهية ١٢٩٩ هـ.

★ شرح الزرقاني على موطأ الامام مالك: العلامة محمد الزرقاني ـ الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٩ هـ.

★ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد بن علان الصديقي الشافعي ـ مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٩١ هـ.

★ عون المعبود شرح سنن أبي داود: العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ـ المكتبة السلفية المدينة المنورة ١٣٨٨ هـ.

★ فتح الباري شرح صحيح البخاري: الامام شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني ـ المطبعة الميرية بمصر ط أولى ١٣٠٠ هـ.

★ الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة (الموضوعات الكبرى): العلامة نور الدين علي بن محمد بن سلطان (الملا علي القاري)

★ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: الامام محمد بن علي الشوكاني.

★ كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس: الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ـ دار احياء التراث العربي ط ثانية بيروت ١٣٥١ هـ.

* اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع: الشيخ محمد أبو المحاسن القاوقجي الحسني - البارونية بالجدرية بمصر لا تاريخ.
* اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - الأدبية ط أولى ١٣١٧ هـ.
* البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف: الشريف السيد ابراهيم بن حمزة الدمشقي - البهاء بحلب ١٣٢٩ هـ.
* تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: أبو الحسن علي بن محمد ابن عراق الكناني - عاطف بميدان الخازندارة مصر ط أولى لا تاريخ.
* تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - محمد سلطان النمنكاني ط أولى ١٣٧٩.
* تقريب التهذيب: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دار الكتاب العربي القاهرة ١٣٨٠ هـ.
* تهذيب التهذيب: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - مجلس دائرة المعارف النظامية الهند ١٣٢٧ هـ.
* تهذيب الاسماء واللغات: الامام أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي - المنيرية لا تاريخ.
* ميزان الاعتدال في نقد الرجال: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - دار احياء الكتب العربية ط أولى ١٣٨٢ هـ.

الأموال والأحكام والنظم

* بداية المجتهد ونهاية المقتصد: القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد - دار الفكر بيروت بلا تاريخ.
* الخراج (كتاب الخراج): يحيى بن آدم القرشي - المطبعة السلفية مصر ط ثانيه ١٣٨٤ هـ.
* الخراج (كتاب الخراج): القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم: المطبعة

السلفية مصر ط رابعة ١٣٩٢ هـ.

★ الشرح الكبير: الامام شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي ـ دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٢.

★ اعلام الموقعين عن رب العالمين: الامام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) ـ السعاده ط أولى ١٣٧٤ هـ.

★ الأموال: الامام أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ـ دار الفكر للطباعة ١٣٩٥.

★ نظام الحكومة النبوية: العلامة الشيخ عبد الحي بن محمد الحسني الادريسي ـ حسن جعنا بيروت ط أولى ١٣٤٧ خـ.

السير والتراجم

★ السيرة النبوية (سيرة ابن هشام): الامام أبو محمد عبد الملك بن هشام ـ دار النصر للطباعة ط أولى ١٣٨٧ م.

★ السيرة النبوية: الامام أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي ـ عيسى البابي الحلبي ١٣٨٤ هـ.

★ الروض الأنف: الامام عبد الرحمن السهيلي ـ دار النصر للطباعة ١٣٨٧ هـ.

★ اخبار العلماء بأخبار الحكماء: الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ـ السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ.

★ أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن محمد الجزري (عز الدين بن الأثير) ـ الشعب ١٩٧٠ م.

★ أشهر مشاهير الاسلام في الحروب والسياسة: رفيق بك العظم ـ المنار بدرب الجماميز ١٣٢١ هـ.

★ الاصابة في تمييز الصحابة: الامام أحمد بن علي بن محمد (ابن حجر العسقلاني) ـ مصطفى محمد بمصر ١٣٥٨.

★ الأنساب (كتاب الانساب): القاضي أبو سعيد عبد الكريم بن أبي بكر التميمي السمعاني ـ مصور عن مخطوط المتحف البريطاني مكتبة الازهر رقم خاص ٢٨٥٥ عام ٤٥٣٣١ .

جمهرة أنساب العرب: أبو محمد علي بن أحمد بـن سعيد بن حزم الاندلسي ـ دار المعارف ١٣٩١ هـ.
الرياض النضرة في مناقب العشرة: الامام أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري ـ دار التأليف ط ثانية ١٣٧٢ هـ.
الاستيعاب في معرفة الاصحاب: للعلامة ابن عبد البر مشترك مع الإصابة لابن حجر ـ انظر الاصابة ص ٤٩٧.
سيرة عمر بن الخطاب: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ابن الجوزي) ـ المصرية بالازهر ١٩٣١ م.
الطبقات الكبرى: محمد بن سعد كاتب الواقدي ـ دار صادر ودار بيروت ١٣٧٧ هـ.
الفهرست: محمد بن اسحاق النديم ـ الاستقامة لا تاريخ.
معجم الأدباء (ارشاد الأريب الى معرفة الأديب): ياقوت الرومي ـ هندية بالموسكي ١٩٢٣ م.

الأدب والنقد

★ أخبار عمر وأخبار عبد الله بـن عمر: علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ـ دار الفكر بدمشق ط أولى ١٣٧٩.
★ أخبار النساء: الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر الزرعي ـ التقدم العلمية ١٣١٩ هـ.
★ الأدب العربي بين الجاهلية والاسلام: د. حسن جاد ومحمد عبد المنعم خفاجه والمسلوت ـ التأليف ١٣٧١ هـ.
★ الأسلوب: أحمد الشايب ـ النهضة المصرية ط ثالثة لا تاريخ.
★ الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأموي الاصفهاني ـ دار الكتب المصرية ١٣٤٥ هـ.
★ الأمالي: أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي ـ دار الكتب المصرية ط ثانية ١٣٤٤ هـ.

★ البخلاء: أبو عثمان عمرو بن بُحر الجاحظ - دار الكتب المصرية ١٣٥٨ هـ.
★ البيان والتبين: أبو عثمان عمرو بن بُحر الحاجظ - مكتبة الخانجي القاهرة ط ثالثة - ١٣٨٨.
★ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: السيد محمود شكري الآلوس - دار الكتاب العربي ط ثالثه لا تاريخ.
★ التاج في أخلاق الملوك: منسوب إلى أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - الاميرية ط أولى ١٣٣٢ هـ.
★ تاريخ الأدب العربي الادب القديم من مطلع الجاهلية الى سقوط الدولة الاموية: دكتور عمر فروخ - دار العلم للملايين بيروت ط أولى ١٣٨٥ هـ.
★ تاريخ الأدب العربي: أحمد حسن الزيات - الرسالة الطبعة ٢٥ بلا تاريخ.
★ تاريخ الادب العربي العصر الجاهلي: دكتور شوقي ضيف - دار المعارف الطبعة السابعة ١٩٧٦ م.
★ تاريخ الادب العربي العصر الاسلامي: دكتور شوقي ضيف - دار المعارف الطبعة السابعة ١٩٧٦ م.
★ جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي - دار نهضة مصر ط أولى بلا تاريخ.
★ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة: أحمد زكي صفوت - مصطفى البابي الحلبي ط ثانية ١٣٨١ هـ.
★ جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة: احمد زكي صفوت - مصطفى البابي الحلبي ط أولى ١٣٥٦ هـ. العرب
★ حديث الاربعاء: دكتور طه حسين - دار المعارف الطبعة ١٢ ١٩٧٦ م.
★ الحطيئة البدوي المحترف: دكتور / درويش الجندي - مطبعة الرسالة ط أولى ١٣٨٢.
★ الحكم والامثال والنصائح عند المصريين القدماء: الاستاذ محرم كمال - دار القلم ١٩٦٢م.

الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ـ مصطفى البابي ط ثانية ١٣٨٦ هـ.
ديوان حسان بن ثابت: حسان بن ثابت ـ دار صادر بيروت لا تاريخ.
ديوان الحطيئة: أبو مليكة جرول بن أوس المعروف بالحطيئة ـ مصطفى البابي الحلبي ط أولى ١٣٧٨ هـ.
رسائل الجاحظ: جمع حسن السندوبي ـ مصطفى محمد بمصر ط أولى ١٣٥٢ هـ.
زعامة الشعر الجاهلي بين امرىء القيس وعدي بن زيد: الاستاذ عبد المتعال الصعيدي ـ المحمودية بمصر ط أولى ١٣٥٣ هـ.
زهر الآداب وثمر الألباب: ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري ـ السعادة بمصر ط ثالثة ١٣٧٢ هـ.
شرح أشعار الهذليين: أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري ـ دار العروبة ١٣٨٤ هـ.
شرح نهج البلاغة: عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ابن أبي الحديد) دار الكتب العربية الكبرى لا تاريخ.
الصناعتين (كتاب الصناعتين): أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ـ محمود بك بالآستانة ط أولى: ١٣٢٠ هـ.
طبقات الشعراء الجاهلين والاسلاميين: أبو عبد الله بن سلام الجمحي ـ مكتبة الثقافة العربية لا تاريخ.
عبقرية عمر: عباس محمود العقاد ـ دار الهلال ١٣٨٨ هـ.
العقد الفريد: أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ـ لجنة ـ التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٤ هـ.
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ـ السعادة بمصر ط الثانية ١٣٧٤ هـ.
عيون الاخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ م.

★ في تاريخ النقد والمذاهب الادبية ـ العصر الجاهلي والقرن الاول الاسلامي: الدكتور طه الحاجري ـ رويال بالاسكندرية ١٣٧٢ هـ.

★ الفن ومذاهبه في النثر العربي: دكتور شوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر ط ثالثة ١٩٦٠ م.

★ الكامل في اللغة والأدب: العلامة أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ـ دار العهد الجديد للطباعة لا تاريخ.

★ كتاب الوزراء والكتاب: أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ـ مصطفى البابي الحلبي ط أولى ١٣٥٧ هـ.

★ لباب الآداب: الأمير أسامة بن منقذ ـ الرحمانية بمصر ١٣٥٤ هـ.

★ مجالس ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيي ثعلب ـ دار المعارف بمصر النشرة الثانية ـ ١٩٦٠.

★ المحاسن والاضداد: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ـ الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٩٦٠.

★ المعمرون والوصايا: أبو حاتم سهل بن محمد بن يزيد السجستاني ـ دار احياء الكتب العربية ١٩٦١ م.

★ المفضليات: المفضل بن محمد بن يعلي الضبي الكوفي ـ دار المعارف بمصر ط الرابعة لا تاريخ.

★ من حديث الشعر والنثر: دكتور طه حسين ـ دار المعارف بمصر ١٩٤٨.

★ النثر الفني في القرن الرابع: دكتور محمد زكي عبد السلام مبارك ـ دار الكتب المصرية ط أولى ١٣٥٢ هـ.

★ نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي: دكتور حسين نصار ـ السنة المحمدية ط ثانية ١٩٦٦ م.

★ النقد: دكتور شوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٤ م.

★ نهاية الارب في فنون الادب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ـ كوستاتسوماس وشركاه القاهرة لا تاريخ.

التاريخ والحضارة

★ الامامة والسياسية: منسوب إلى الامام أبي محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة).

★ البداية والنهاية: الامام عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير ـ مكتبة المعارف ببيروت ١٩٦٦.

★ بلاد ما بين النهرين الحضارتان البابلية والاشورية: لـ ديلابورت ترجمة محرم كمال ـ النموذجية ٣٥ (الألف كتاب).

★ تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي: الدكتور السيد عبد العزيز سالم ـ دار المعارف ط ثانية ١٩٦٩ م.

★ تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: الدكتور حسن ابراهيم حسن ـ السنة المحمدية ط السابعة ١٩٦٤ م.

★ بقية الجزء الثاني من تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر... الخ): ابن خلدون أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محرر بن محمد الحضري الاشبيلي ـ المصرية ببولاق ط أولى ١٢٨٤ هـ.

★ نفس المرجع (المجلد الثاني): ابن خلدون أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محرر بن محمد الحضري الاشبيلي ـ الباسيلية لبنان ١٩٥٦ م.

★ تاريخ الخلفاء: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ المدني ط ثالثة ١٣٨٣ هـ.

★ تاريخ التمدن الاسلامي: جرجي زيدان ـ دار الهلال ١٩٥٨.

★ تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ دار المعارف بمصر ط ثانية لا تاريخ.

★ تاريخ العرب (عصر ما قبل الاسلام): الاستاذ مبروك نافع ـ السعادة بمصر ط ثاينة ١٩٥٢ م.

★ تاريخ العرب قبل الاسلام: الاستاذ محمد محمد مصطفى النجار ـ الازهر ١٣٧٢ هـ.

★ تاريخ العرب مطول: دكتور فيليب حتي - دار الكشاف بيروت ط ثالثة ١٩٥٨ م.

★ تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية: شحادة خوري ونقولا خوري - بيت المقدس بالقدس الشريف ١٩٢٥ م.

★ تاريخ مدينة دمشق الخ: الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ابن عساكر) - الترقي بدمشق ١٩٥١ م.

★ زبدة الحلب من تاريخ حلب: الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد (ابن العديم) - المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٥١ م.

★ طرفة الاصحاب في معرفة الأنساب: السلطان الاشرف عمر بن يوسف بن رسول - الترقي بدمشق ١٣٦٩.

★ الفاروق عمر: محمد حسين هيكل - السنة المحمدية: ١٩٦٣.

★ فتوح البلدان: الامام أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري - السعادة بمصر ١٩٥٩ م.

★ فتوح الشام: الامام أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي - دار العهد الجديد ١٣٧٤.

★ فتوح مصر وأخبارها: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم - ليدن - بريل ١٩٢٠ م.

★ قصة الحضارة: ول ديورانت - لجنة التأليف والترجمة ط ثانية ١٩٦١ م.

★ الكامل في التاريخ: العلامة عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن الاثير - دار صادر ١٣٨٥ هـ.

★ دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين): محمد فريد وجدي - الطبعة الرابعة ١٣٨٦ هـ.

علوم مختلفة

★ أيمان العرب في الجاهلية: أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله النجيرمي ـ السلفية ط ثانية ١٣٨٢ هـ.

★ علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة): دكتور حامد عبد السلام زهران ـ التقدم ط ثانية ١٩٧٢ م.

★ علم النفس الاجتماعي: دكتور حامد عبد السلام زهران ـ التقدم ١٩٧٢ م.

★ الفوائد: منسوب إلى الإمام شمس الدين محمد بن ابي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ ط ثانية ١٣٩٣ هـ.

★ القانون الديبلوماسي: محمد حسني عمر بك ـ الاميرية ١٩٤٦ م.

اظن نقص

★ في تاريخ النقد والمذاهب الادبية ـ العصر الجاهلي والقرن الاول الاسلامي: الدكتور طه الحاجري ـ رويال بالاسكندرية ١٣٧٢ هـ.

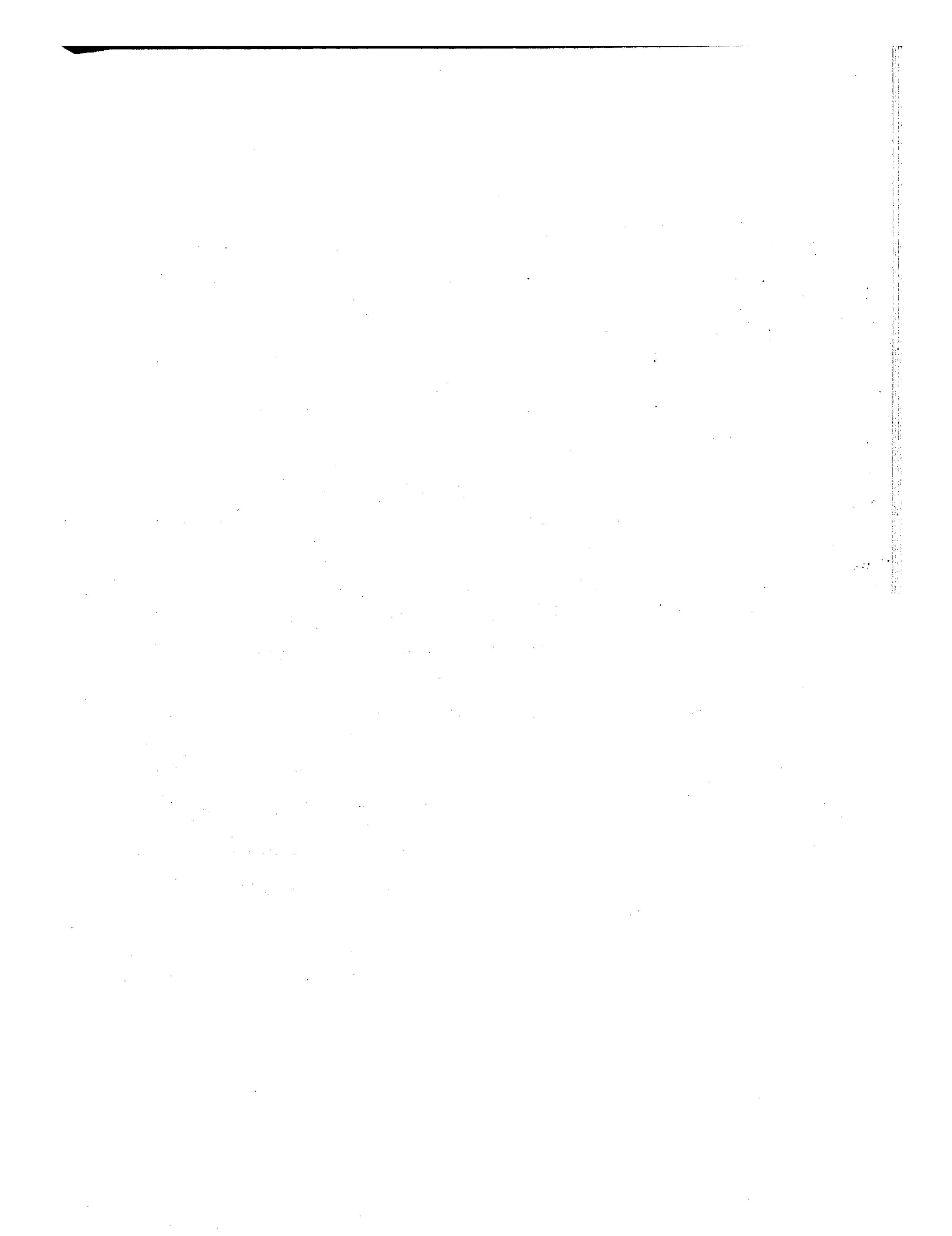
مراجع اجنبية مترجمة

The Greek orators J.F. Dobson.

خطباء اليونان. ج. ف دبسون ٤٩٦ الالف كتاب

Ancient Greek literature G.M. Bowra.

الادب اليوناني القديم. س. م. باورا ٥٦٠ الالف كتاب.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



